دير القديس أنبا مقار

برية شيهيت

رسائل

القمص متى المسكين

كتاب: رسائل الأب متى المسكين.
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأولى: ٢٠٠٧
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٧٦٠ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولي: 977-240-254-8

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة.

متى المسكين (الأب)، ١٩٢٠ – ٢٠٠٦

رسائل الأب متى المسكين ٠– ط١ ٠– وادي النطرون: دير القديس أنبا مقار، ٢٠٠٧

٥٦٠ص، سم

تدمك ٨ ٢٥٤ ٢٤٠ ٩٧٧

١– التأملات (المسيحية)

أ– العنوان

المحتويات

- رسالتان شخصيتان متبادلتان بين نيافة أنبا إغريغوريوس والأب القمص متى المسكين ١٣

- الجزء الأول: رسائل أُرسلت للآباء الرهبان ١٩

- [١] توجيهات رهبانية (١) ٢١
- [٢] توجيهات رهبانية (٢) ٢٦
- [٣] توجيهات رهبانية (٣) ٣١
- [٤] توجيهات عن الصوم الأربعيني المقدس ٣٦
- [٥] رسالة تعزية ٤٠
- [٦] عن عمل الله في خدمة بيت التكريس ٤١
- [٧] رسالة تعزية ٤٤
- [٨] عن كيفية مواجهة الضيقات ٤٥
- [٩] تبكيت الروح القدس ٤٩
- [١٠] بين الفرح الروحي والسلام الداخلي ٥٥
- [١١] بخصوص مكان جديد ٥٧
- [١٢] كلمات للتعزية ٦٠
- [١٣] وعد الله باختيارنا ٦٣
- [١٤] كلمات تشجيع وتعزية ٦٦
- [١٥] إنه لن يتخلى عنا ٦٨
- [١٦] فضل المسيح، ومنفعة النسك ٧٣
- [١٧] بين المحبة العالية والمحبة البشرية ٧٦
- [١٨] بين محبة الحَمَل، وغضب الخروف ٨١
- [١٩] اطلبوا الرب! ٨٤
- [٢٠] شهادة الضمير ٩٠
- [٢١] إرشادات نافعة للرهبان ٩١
- [٢٢] خطورة سيادة الذات ١١٠
- [٢٣] لماذا لا يفرح الإنسان؟ (من وحي عيد الميلاد المجيد) ١١٢
- [٢٤] (إلى راهب) دعوة للرجوع إلى القلاية ١١٤
- [٢٥] إلى رهبان دير مارجرجس — الحرف - لبنان ١١٦
- [٢٦] رسالة تشجيع لاسترداد صلاح الإرادة ١١٨
- [٢٧] ضرورة تسليم النفس لله أثناء الضيقات ١٢٢
- [٢٨] قد وهب لنا أن نتألم مع المسيح ١٢٥
- [٢٩] «الموت يعمل فينا، ولكن الحياة فيكم» ١٢٨

- [٣٠] ماذا أعطانا المسيح، وماذا لم يعطنا؟ ١٣٠
- [٣١] ميلاد المسيح وميلادنا نحن من الله ١٣٣
- [٣٢] دعينا لأن نكون في طاعة طفولة المسيح ١٣٧
- [٣٣] اليوم وُلد قربانُنا في بيت لحم ١٣٩
- [٣٤] دعوتنا يتحتم أن يكون لها ختم الصليب ١٤١
- [٣٥] ضعف الطفولة، وقوة الله ١٤٣
- [٣٦] نحن شركاء في العهد الجديد، كنائلين العطية ١٤٥
- [٣٧] بدء حياتنا الحقيقية والأبدية ١٤٧
- [٣٨] عيد باكورة ثمر البشرية ١٤٩
- [٣٩] عطاء الحب وهبة الاتضاع في المسيح ١٥١
- [٤٠] ميلاد ابن الله بالجسد، أعطانا حق الميلاد بالروح ١٥٣
- [٤١] توجيهات رهبانية (٤) ١٥٥
- [٤٢] حياتنا كلها ذبيحة ١٥٨
- [٤٣] التعب يؤول إلى مجد ١٦٠
- [٤٤] تزكية العمل ١٦٣
- [٤٥] واظبوا على الصلوات الكنسية والتناول ١٦٥
- [٤٦] طريق الصلاة وطريق الدينونة ١٦٨
- [٤٧] الطقوس وروح العبادة ١٧٢
- [٤٨] شهوتي أن أكون وأبقى وأموت راهبا ١٧٥
- [٤٩] تطلعوا إلى وجه يسوع وحده ١٧٧
- [٥٠] الحرية من جديد ١٨١
- [٥١] الاستشهاد والموت الإرادي ١٨٢
- [٥٢] النعمة والكلمة والسر ١٨٥
- [٥٣] جثسيماني: بستان "معصرة الزيت" ١٩٤
- [٥٤] في إنتقال الأب القمص عبد النور ٢٠١
- [٥٥] وصايا للسلوك الرهباني ٢٠٣
- [٥٦] الطريق الضيق، وطريق الراحة والإراحة ٢٠٦
- [٥٧] سهم التأديب والإصلاح ٢١٠
- [٥٨] عيد الميلاد وكلمة عتاب ٢١٢
- [٥٩] حصاد ٤٠ سنة رهبنة ٢١٤
- [٦٠] وصايا لكهنة جدد ٢١٩
- [٦١] مبادئ رهبانية ٢٢١
- [٦٢] طقس الكنيسة هو المعلم الدائم ٢٢٣
- [٦٣] رسالة بعد نياحة الأب سلوانس ٢٢٨
- [٦٤] رسالة بعد انتقال الأب بطرس ٢٣٠

- [٦٥] من أجل رهبنة منطلقة ٢٣١
- [٦٦] رسالة بعد نياحة الأب مرقس ٢٣٢
- [٦٧] رسالة لأبينا يعقوب وجهاد السنين ٢٣٤
- [٦٨] رسالة بعد نياحة الأب زينون ٢٣٦
- [٦٩] المعنى الحقيقي للزمن ٢٣٧
- [٧٠] بمناسبة رسامة رهبان جدد ٢٣٩
- ملخص حديث مع الأب عمانوئيل لان من دير شيفتوني ببلجيكا ٢٤٠
- [٧١] رسالة إلى القمص بيشوى كامل أثناء مرضه ٢٤٤
- [٧٢] رسالة ثانية للقمص بيشوي كامل ٢٤٦

- الجزء الثاني : رسائل أُرسلت للمكرَّسين ٢٥١

- [٧٣] لماذا تضنون بأبنائكم؟! ٢٥٣
- [٧٤] رسالة لأعضاء بيت التكريس عام ١٩٦٠م ٢٦٦
- [٧٥] عيد الميلاد هو عيد الغربة ٢٧٥
- [٧٦] قدسوا صوما ٢٧٩
- [٧٧] رسالة إلى إخوة بيت التكريس في عيد الميلاد ٢٨٧
- [٧٨] تعريف الحق ٢٩٢
- [٧٩] البشارة المفرحة ٣٠٢
- [٨٠] كيف أخلص؟ ٣٠٧
- [٨١] التكريس ٣١٢
- [٨٢] توجيه لأحد الإخوة المكرَّسين ٣٢١

- الجزء الثالث : رسائل أُرسلت إلى مؤمنين يعيشون في العالم ٣٢٣

- [٨٣] المسيحية مجازفة إيمانية ٣٢٥
- [٨٤] توجيهات تجاه أزمنة الضيق والانقسام ٣٢٨
- [٨٥] رسالة أبوية من مرشد روحاني عن التزام وصايا المسيح وسط العالم ٣٣٣
- [٨٦] الخليقة كلها تمجد الله ٣٤٣
- [٨٧] كيف يسلك المؤمن في العالم بوصايا المسيح؟ ٣٥٣
- [٨٨] معنى الموت في المسيحية ٣٥٩
- [٨٩] خلود الروح ٣٦٦
- [٩٠] عن التفاعل مع الوطن ٣٧٠
- [٩١] كيف يعبر المؤمن حياته على الأرض؟ ٣٧٤
- [٩٢] رسالة تشجيع لأحد المؤمنين ٣٧٩
- [٩٣] المحبة وقوتها ٣٨١
- [٩٤] سلطان القيامة في حياتنا اليومية ٣٨٤

- [٩٥] الروح الخالدة وآلام الزمان الحاضر ٣٨٩
- [٩٦] الصليب وعظمة المجد الناتج عنه ٣٩٤
- [٩٧] الذين قبلوا صليب المسيح لا يخافون شيئاً ٤٠٠
- [٩٨] رسالة تعزية لأرخن كريم في انتقال ابنة شقيقته الخادمة المكرّسة ٤٠٣
- [٩٩] سرُّ الزواج متّسع لأعمال الروح ٤٠٥
- [١٠٠] خسارة المال لا يجزع منها الإنسان الروحي ٤٠٨
- [١٠١] صعوبة الطريق الرهباني ٤١٢
- [١٠٢] التشبُّث بالرب كل حين ٤١٥
- [١٠٣] الدوام في رجاء الحياة الأبدية ٤١٧
- [١٠٤] تجديد أيام الشباب الروحي ٤١٩
- [١٠٥] ما بين التدين والزواج ٤٢١
- [١٠٦] عيد الميلاد والفرح الروحاني ٤٢٥
- [١٠٧] التغلُّب على الملل في الصلاة ٤٢٧
- [١٠٨] ناموس الطبيعة في الإنسان ٤٣٠
- [١٠٩] الانطلاق صوب الله يستلزم المعاناة ٤٣٥
- [١١٠] كلمة خلاص لأحبا بها ٤٣٧
- [١١١] خطورة الانفصالية الفكرية ٤٣٨
- [١١٢] قيمة عمل قيامة المسيح في حياتنا الشخصية ٤٤٠
- [١١٣] إجابة على الأسئلة السابقة ٤٤٥
- [١١٤] رسالة تعزية يوم عيد القيامة عن آلام المسيح ٤٥٣
- [١١٥] القيامة والخلود ٤٦٣
- [١١٦] الزواج المسيحي حسب الروح ٤٦٨
- [١١٧] التصرف المسيحي في مكان العمل ٤٧٠
- [١١٧ - ١٣٢] توجيهات في الحياة اليومية ٤٧٣
- [١٣٣] توجيهات في الحياة الروحية ٤٩٩
- [١٣٤] توجيهات للحياة اليومية ٥٠١
- [١٣٥] تأملات عن النعمة ٥٠٣
- [١٣٦ - ١٤٢] توجيهات في الحياة المسيحية العائلية ٥٠٧
- [١٤٣] أفراح مجد القيامة ٥٢٦
- [١٤٤] إرشادات روحية ٥٢٨
- [١٤٥] التسبيح في أفواه محبّي المسيح ٥٣٠
- [١٤٦] خفقة القلب بالحب نحو المسيح ٥٣٢
- [١٤٧] اتحد بالآخرين لأكون كفؤاً للاتحاد بالله ٥٣٤
- [١٤٨] الخميرة الصغيرة ٥٣٧

فهرس موضوعي

١- الألم وتحمل الضيقات:

- [٨] عن كيفية مواجهة الضيقات ٤٥
- [٢٢] خطورة سيادة الذات ١١٠
- [٢٧] ضرورة تسليم النفس لله أثناء الضيقات ١٢٢
- [٢٨] قد وُهب لنا أن نتألم مع المسيح ١٢٥
- [٤٣] التعب يؤول إلى مجد ١٦٠
- [٥٦] الطريق الضيق، وطريق الراحة والإراحة ٢٠٦
- [٥٧] سهم التأديب والإصلاح ٢١٠
- [٧٤] رسالة لأعضاء بيت التكريس عام ١٩٦٠م ٢٦٦
- [٨٤] توجيهات تجاه أزمنة الضيق والانقسام ٣٢٨
- [٩٥] الروح الخالدة وآلام الزمان الحاضر ٣٨٩
- [٩٦] الصليب وعظمة المجد الناتج عنه ٣٩٤
- [١٠٠] خسارة المال لا يجزع منها الإنسان الروحي ٤٠٨
- [١٠٨] ناموس الطبيعة في الإنسان ٤٣٠
- [١٠٩] الانطلاق صوب الله يستلزم المعاناة ٤٣٥

٢- تاريخ أحداث:

- [١١] بخصوص مكان جديد ٥٧
- [٤٤] تزكية العمل ١٦٣
- [٤٨] شهوتي أن أكون وأبقى وأموت راهباً (الاستعفاء من الترشيح للبطريركية) ... ١٧٥
- [٥٠] الحرية من جديد (بشرى رفع الاسم من الترشيح للبطريركية)..... ١٨١
- [٥٩] حصاد ٤٠ سنة رهبنة ٢١٤
- [٦٠] وصايا لكهنة جدد ٢١٩

٣- تأملات عن النعمة

- [١٣٥] تأملات عن النعمة ٥٠٣

٤- تسليم الحياة للمسيح

- [١٩] أُطلبوا الرب! ٨٤
- [٢٠] شهادة الضمير ٩٠
- [٤٩] تطلعوا إلى وجه يسوع وحده ١٧٧
- [٨١] التكريس ٣١٢

- [٩٧] الذين قبلوا صليب المسيح لا يخافون شيئاً ٤٠٠
- [١٠٢] التشبُّث بالرب كل حين ٤١٥

٥- تعزية عند المرض أو عند انتقال أحد الرهبان

- [٥٤] في إنتقال الأب القمص عبد النور ٢٠١
- [٦٣] رسالة بعد نياحة الأب سلوانس ٢٢٨
- [٦٤] رسالة بعد انتقال الأب بطرس ٢٣٠
- [٦٦] رسالة بعد نياحة الأب مرقس ٢٣٢
- [٦٧] رسالة لأبينا يعقوب وجهاد السنين ٢٣٤
- [٦٨] رسالة بعد نياحة الأب زينون ٢٣٦
- [٧١] رسالة إلى القمص بيشوى كامل أثناء مرضه ٢٤٤
- [٧٢] رسالة ثانية للقمص بيشوي كامل ٢٤٦
- [٨٨] معنى الموت في المسيحية ٣٥٩

٦- تعزية وتشجيع

- [٥] رسالة تعزية ٤٠
- [٧] رسالة تعزية ٤٤
- [١٢] كلمات للتعزية ٦٠
- [١٤] كلمات تشجيع وتعزية ٦٦
- [١٥] إنه لن يتخلّى عنا ٦٨
- [١٦] فضل المسيح، ومنفعة النسك ٧٣
- [٢٦] رسالة تشجيع لاسترداد صلاح الإرادة ١١٨
- [٨٨] معنى الموت في المسيحية ٣٥٩
- [٩٢] رسالة تشجيع لأحد المؤمنين ٣٧٩
- [٩٨] رسالة تعزية لأرخن كريم في انتقال ابنة شقيقته الخادمة المكرَّسة ٤٠٣
- [١٠٤] تجديد أيام الشباب الروحي ٤١٩

٧- توجيهات رهبانية

- [١] توجيهات رهبانية (١) ٢١
- [٢] توجيهات رهبانية (٢) ٢٦
- [٣] توجيهات رهبانية (٣) ٣١
- [٢١] إرشادات نافعة للرهبان ٩١
- [٢٤] (إلى راهب) دعوة للرجوع إلى القلاية ١١٤
- [٢٥] إلى رهبان دير مارجرجس – الحرف – لبنان ١١٦
- [٤١] توجيهات رهبانية (٤) ١٥٥

- [٥٥] وصايا للسلوك الرهباني ٢٠٣
- [٦١] مبادئ رهبانية ٢٢١
- [٦٥] من أجل رهبنة منطلقة ٢٣١
- [٧٠] بمناسبة رسامة رهبان جدد ٢٣٩
- [١٠١] صعوبة الطريق الرهباني ٤١٢

٨- توجيهات في الحياة المسيحية العائلية

- [٧٣] لماذا تضنون بأبنائكم؟! ٢٥٣
- [١٣٦ - ١٤٢] توجيهات في الحياة المسيحية العائلية ٥٠٧

٩- توجيهات في الحياة اليومية والسلوك وسط العالم

- [٨٢] توجيه لأحد الإخوة المكرَّسين ٣٢١
- [٨٣] المسيحية مجازفة إيمانية ٣٢٥
- [٨٥] رسالة أبوية من مرشد روحاني عن التزام وصايا المسيح وسط العالم ٣٣٣
- [٨٦] الخليقة كلها تمجد الله ٣٤٣
- [٨٧] كيف يسلك المؤمن في العالم بوصايا المسيح؟ ٣٥٣
- [٩٠] عن التفاعل مع الوطن ٣٧٠
- [٩١] كيف يعبر المؤمن حياته على الأرض؟ ٣٧٤
- [١١٧] التصرف المسيحي في مكان العمل ٤٧٠
- [١١٧ - ١٣٢] توجيهات في الحياة اليومية ٤٧٣
- [١٣٣] توجيهات في الحياة الروحية ٤٩٩
- [١٣٤] توجيهات للحياة اليومية ٥٠١
- [١٤٤] إرشادات روحية ٥٢٨

١٠- الخادم والخدمة

- [٦] عن عمل الله في خدمة بيت التكريس ٤١
- [٧٧] رسالة إلى إخوة بيت التكريس في عيد الميلاد ٢٨٧
- [٧٨] تعريف الحق ٢٩٢
- [٨٠] كيف أخلُص؟ ٣٠٧

١١- رسائل شخصية وأحاديث:

- رسالتان شخصيتان متبادلتان بين نيافة أنبا إغريغوريوس والأب القمص متى المسكين ..١٣
- ملخص حديث مع الأب عمانوئيل لان من دير شيفتوني ببلجيكا ٢٤٠

١٢- الروح القدس:

- [٩] تبكيت الروح القدس ٤٩
- [١١٠] كلمة خلاص لأحيا بها ٤٣٧

١٣- الزواج المسيحي

- [٩٩] سرُّ الزواج متَّسع لأعمال الروح ٤٠٥
- [١٠٥] ما بين التديُّن والزواج ٤٢١
- [١١٦] الزواج المسيحي حسب الروح ٤٦٨

١٤- الصلاة والتسبيح

- [٤٢] حياتنا كلها ذبيحة ١٥٨
- [٤٦] طريق الصلاة وطريق الدينونة ١٦٨
- [٥٣] جثسيماني: بستان "معصرة الزيت" ١٩٤
- [٦٩] المعنى الحقيقي للزمن ٢٣٧
- [١٠٧] التغلُّب على الملل في الصلاة ٤٢٧
- [١٠٩] الانطلاق صوب الله يستلزم المعاناة ٤٣٥
- [١٤٥] التسبيح في أفواه مُحبِّي المسيح ٥٣٠

١٥- الصوم الأربعيني المقدس

- [٤] توجيهات عن الصوم الأربعيني المقدس ٣٦
- [٥٢] النعمة والكلمة والسر ١٨٥
- [٧٦] قدسوا صوماً ٢٧٩

١٦- الطقوس والصلاة داخل الكنيسة

- [٤٥] واظبوا على الصلوات الكنسية والتناول ١٦٥
- [٤٧] الطقوس وروح العبادة ١٧٢
- [٦٢] طقس الكنيسة هو المعلم الدائم ٢٢٣

١٧- عطايا الله ووعوده لنا

- [١٣] وعد الله باختيارنا ٦٣

١٨- عيد القيامة

- [٩٤] سلطان القيامة في حياتنا اليومية ٣٨٤
- [١١٢] قيمة عمل قيامة المسيح في حياتنا الشخصية ٤٤٠

- [١١٤] رسالة تعزية يوم عيد القيامة عن آلام المسيح ٤٥٣
- [١١٥] القيامة والخلود ٤٦٣
- [١٤٣] أفراح مجد القيامة ٥٢٦

١٩- عيد الميلاد

- [٢٣] لماذا لا يفرح الإنسان؟ (من وحي عيد الميلاد المجيد) ١١٢
- [٣٠] ماذا أعطانا المسيح، وماذا لم يُعطنا؟ ١٣٠
- [٣١] ميلاد المسيح وميلادنا نحن من الله ١٣٣
- [٣٢] دُعينا لأن نكون في طاعة طفولة المسيح ١٣٧
- [٣٣] اليوم وُلد قربانا في بيت لحم ١٣٩
- [٣٤] دعوتنا يتحتم أن يكون لها ختم الصليب ١٤١
- [٣٥] ضعف الطفولة، وقوة الله ١٤٣
- [٣٦] نحن شركاء في العهد الجديد، كنائلين العطية ١٤٥
- [٣٧] بدء حياتنا الحقيقية والأبدية ١٤٧
- [٣٨] عيد باكورة ثمر البشرية ١٤٩
- [٣٩] عطاء الحب وهبة الاتضاع في المسيح ١٥١
- [٤٠] ميلاد ابن الله بالجسد، أعطانا حق الميلاد بالروح ١٥٣
- [٥٨] عيد الميلاد وكلمة عتاب ٢١٢
- [٧٥] عيد الميلاد هو عيد الغُربة ٢٧٥
- [٧٩] البشارة المفرحة ٣٠٢
- [١٠٦] عيد الميلاد والفرح الروحاني ٤٢٥

٢٠- الفرح الروحي والبشارة المفرحة

- [١٠] بين الفرح الروحي والسلام الداخلي ٥٥
- [٢٣] لماذا لا يفرح الإنسان؟ (من وحي عيد الميلاد المجيد) ١١٢
- [٧٩] البشارة المفرحة ٣٠٢
- [١٠٦] عيد الميلاد والفرح الروحاني ٤٢٥

٢١- المحبة

- [١٧] بين المحبة العالية والمحبة البشرية ٧٦
- [١٨] بين محبة الحَمَل، وغضب الخروف ٨١
- [٩٣] المحبة وقوتها ٣٨١
- [١١١] خطورة الانفصالية الفكرية ٤٣٨
- [١٤٦] خفقة القلب بالحب نحو المسيح ٥٣٢
- [١٤٧] أتحد بالآخرين لأكون كفؤاً للاتحاد بالله ٥٣٤

• [١٤٨] الخميرة الصغيرة ٥٣٧

٢٢- الموت وخلود الروح

• [٢٩] «الموت يعمل فينا، ولكن الحياة فيكم» ١٢٨
• [٥١] الاستشهاد والموت الإرادي ١٨٢
• [٨٩] خلود الروح ٣٦٦
• [٩٠] عن التفاعل مع الوطن ٣٧٠
• [٩٥] الروح الخالدة وآلام الزمان الحاضر ٣٨٩
• [١٠٣] الدوام في رجاء الحياة الأبدية ٤١٧
• [١١٣] إجابة على الأسئلة السابقة ٤٤٥

رسالتان شخصيتان متبادلتان

بين

نيافة أنبا إغريغوريوس والأب القمص متى المسكين

رسالتان شخصيتان متبادلتان

بين المتنيح نيافة أنبا إغريغوريوس وقدس الأب القمص متى المسكين

بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي
دير الأنبا رويس - شارع رمسيس
العباسية - القاهرة
ت : ٢٨٢٤٩٦٢

ص.ب : ٣٣ العباسية - القاهرة
الرقم البريدى ١١٣٨١
تلغرافياً : الأنبرويس بالقاهرة

القاهرة فى ٢٤ /يوليو/ ١٩٩٢
١٧ /اميب/ ١٧٠٨

العزيز الحبيب الأخ والأب الإيغومينوس متى المسكين.

بقبلات الحب والأشواق أُقبِّل روحك وقلبك وفكرك ووجنتيك ورأسك داعياً الرب من أجلك، مع أنني أيضاً في حاجة إلى صلواتك عني، أن يحفظك الرب متمتعاً بالسلام الروحاني الذي يفوق كل عقل، وأن يدفع عنك كل ما يكدر صفوك وصفاءك روحياً ونفسياً وجسدياً لتظل دائماً كعهدي بك نامياً بغير توقف إلى ملء قامة المسيح له المجد.

هذا خطاب، مجرد تعبير عن أشواقي إليك، ورغبتي العارمة في الاطمئنان على صحتك وأحوالك، شاكراً لك كتابك الأخير عن القديس بولس الرسول، وكتابك الأسبق منه عن الإنجيل للقديس يوحنا. وكل منهما جهد ضخم لا يقوى عليه إلاَّ راهب ناسك تجرَّد من الاهتمامات والشواغل التي تعوق الذهن والقلب. إني أُهنئ قلبك وروحك بهذا الجهد الروحي والعلمي المتميز.

كلما أسأل عنك، أسمع أنك معتكف، ولا تقابل أحداً ولا أعلم إذا كنت تقيم حالياً بدير العظيم القديس أبو مقار، أم أنك تقيم في مغارة خارج الدير.

لا بأس باعتكافك، وباعتزالك، ليتني أنا أيضاً مثلك فأنا في جميع الأحوال مطمئن قلبياً إلى منهجك الرهباني، ولم يتزعزع إيماني في محبتك أنك طراز الراهب الذي منذ البدء قصدتَ الرهبنة لذاتها، وفي ذاتها، وهو المفهوم الأصيل للرهبنة القبطية الأصيلة لآباء الاسكيم ⲛⲉⲛⲓⲑ̀ⲙⲡⲓⲥⲭⲏⲙⲁ

أريدك أن تحيا سعيداً بما أنتَ عليه، وأن تُصلي من أجل الرهبنة، ومن أجل كنيسة الله القبطية الأرثوذكسية، ومن أجل شعب الله في الأيام والسنوات القادمة حتى يبقى جميع المسيحيين ثابتين غير متزعزعين متوقعين مجيء المسيح في مجد.

تقبل في الختام قبلات محبتي وإعزازي وتقديري، وأرجوك مُلِحاً أن تصلي من أجلي. الرب معك دائماً، ولتشملنا نعمته.

الجمعة ٢٤ يوليو ١٩٩٢م – ١٧ أبيب ١٧٠٨م

شهادة القديسة اوفيمية العذراء

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين.

نيافة الحبر الجليل الأنبا إغريغوريوس أسقف التعليم العالي ومعلم الكنيسة.

أُقبِّل يديكم الطاهرتين ملتمساً صالح دعواتكم.

استلمت خطاب نيافتكم بكل احترام وشكر على سؤالكم عنا والمملوء محبة ومشاعر مقدسة. وأنا لست أهلاً ياسيدي أن تكتب إليَّ ولكن هو اتضاعكم الذي يفيض مودّة خالصة.

أنت يا سيدي كنت ولا زلت معلمنا الذي نشأنا نحمل لك كل احترام واجلال ونعتبر أقوالكم وحياتكم منبعاً للمعرفة الصحيحة والعقيدة القويمة. وكنا ولا زلنا نراك أباً للكنيسة ومعلماً لأرثوذكسيتنا السعيدة. وأنا لا أنسى أبداً اليوم الذي عرجت عليكم في الكلية الإكليريكية لأستودع منكم كلام عزاء ومنفعة قبل ذهابي للدير مباشرة. كان ذلك في ربيع ١٩٤٨م وقدَّمْتَني إلى كبيرنا آنذاك الأستاذ حبيب جرجس وتقبَّلتُ منكما كلمات التشجيع والدعاء، فكان هو الزاد الذي تزوَّدتُ به في طريقي الضيق وكان نِعْمَ الزاد، عشت عليه اثنين وأربعين سنة ونيِّف، وروح الكنيسة يتأجج في قلبي ويضيء على دربي ويشدُّ من أزري في أحلك ساعات عمري، فما عثرتُ قط ولا أعوزني العزاء أبداً.

وها أنا لا أزال أجترُّ كلماتكم، ودعاؤكم يسندني، وقد قارب الطريق النهاية وما أسعدها نهاية حينما نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب؛ فهذا منتهى المنى حين يقودنا الحَمَل لنستقي من نهر الحياة.

اقبل مني ياسيدنا كل الحب والإعزاز فأنت أهلٌ لكل تكريم وكرامة.

متى المسكين

الجزء الأول

رسائل أرسلت للآباء الرهبان

الرسالة {١}

توجيهات رهبانية (١)

كُتبت في مغارة دير السريان في ديسمبر ١٩٥٥م

(في صوم الميلاد)

يا أحبائى، التهبت نفسي فيَّ فكتبتُ لأُحذركم من فخاخ العدو المُحيطة بكم والتي ازدادت جداً في هذه الأيام لكي تسلبكم بركة جهادكم وتعبكم في طريق الخلاص الذي أخذتُموه بتعب وجهد وآلام كثيرة احتملتموها واحتملها أهلكم بسببكم.

احذروا التذمر، فإنه يخرج بكم عن الطريق ويُهلك كل سلام داخلكم ويجعل الأعمال ثقيلة في نظركم مع أنها بسيطة للغاية، وخدمتكم في العالم كانت أكثر تعباً وجهداً، فلا تستسلموا لروح التذمر لئلا يُوصلكم إلى اليأس. ولكنى أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم. تذكروا قول القديس مار إسحق الذي يقول: 'الذي لا يشكر على الأمور الصغيرة كذاب إن هو قال إنه يشكر على الأمور الكبار'.

اشكروا الرب لأنه صالح وإلى الأبد رحْمته، وهو لا يدعْكم قط أن تُجرَّبوا فوق ما تحتملون. والضيقات الجسدية التي تجوزونها الآن لا تُقاس بالسعة والراحة الروحية التي سوف تنالونها في هذا العالم ولا بالمجد العتيد أن تشتركوا فيه مع القديسين في العالم الآخر. فاقبلوا كل تعب وعرق بفرح لأنه سيؤول إلى خلاص النفس.

المسيح لم يُعطِ الطوبى للجالسين في الراحة والهدوء، ولكنه أعطاها

للمتعَبين والباكين والجياع والعطاش والمشتومين والمطرودين، لذلك أحب القديسون التعب والشقاء وجالوا في البلاد والجبال معوزين متضايقين بلا مأوى. هؤلاء يقول بولس الرسول إن العالم لم يكن مستحقاً لهم مع أنهم في ذواتهم كانوا يظنون أنهم غير مستحقين أن يعيشوا كبقية الناس.

احذروا الحرية قبل الأوان. نعم الحرية شهية للنفس، ولكنها لا تُغتصب اغتصاباً. فالذين يتجرأون على مذاقة الحب قبل مذاقة الصليب يُوبَّخون! ولن يذوق أحد مجد القيامة قبل أن يشرب كأس المُر على الصليب وتجوز نفسه ظلمة القبْر قبل أن يرى النور. والذي يريد أن يشترك في مجد القديسين عليه أن يجوز بإرادته ضيقات كثيرة. والذي لا يحتمل إهانة وتوبيخ الناس واحتقارهم وازدراءهم كيف يصمد أمام جبروت الشيطان وحيله؟!

أُذكروا ذلك الراهب النشيط الذي ما رضي أن يسكن مع قديسين بل طلب بركتهم وسعى ليسكن وسط المُؤدِّبين؛ مع رهبان يُقوِّمون أخطاءه بازدرائهم وشتيمتهم، وبذلك رفض الحرية قبل الأوان مع أنها عُرضت عليه وسعى هو برجليه إلى العبودية لينال الحرية بثمن جهاده وتعب احتماله.

أُذكروا إيسيذوروس الإسكندرى العاتي، كيف أسلم ذاته للمحقرة والإهانة حتى نال بها إكليل الخلاص وعبر من أرض الشقاء.

لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتي، لأنكم لا زلتم في طقس التائبين، والتائب يليق به أن يجلس على المزبلة لا أن يجلس على كراسى المعلمين. وكلام التعليم قبل تكميل واجبات التوبة يصدنا عن السعي بحرارة في طريق الخلاص. لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً كما يقبل التائب تائباً مثله،

واحذروا مَلَق الناس وإلحاحهم بطلب نصيحة أو مشورة أو كلمة، لأنه إذا لم ينتفع الناس من أعمالكم وسلوككم فباطل هو كلامكم. أو هل يمكن أن تتكلموا أحسن من المكتوب في كتب القديسين؟ إن أردت أن تنفع أخاك، فانفعه بصلاتك وتواضعك وحبك واحتمالك وصبرك.

احذروا الدينونة، فلا تلُمْ أخاك إذا عثُر أو سقط أو انحرف، لأنه ربما يتوب ويقوم ثم تسقط أنت ولا تقوم!

كما قال البستان أقول لكم: إذا لم تُحسَّ أن هذا العالم عبارة عن أنت والله فقط فسوف تطول سنو توهانك حتى تعود إلى نفسك وتعلم هذه الحقيقة: «أنا لحبيبي وحبيبي لى، الراعي بيْن السوسن».

وانتفعوا بنصيحة الرب «لا تدينوا لكي لا تدانوا»، واخشوا من تحذير المسيح وتوبيخه للعين المتوقحة التي سعت لتُخرج القذى من عيون الناس بينما الخشبة داخلها.

الدينونة هي خروج الإنسان عن نفسه، والذي يحيا بعيداً عن نفسه يحيا في الظلمة ولا يعرف أين يسير. دواء الدينونة دينونة الذات وتوبيخها بشدة إلى درجة الشتيمة والضرب كما نقرأ في البستان.

احذروا الملل، لأنه يُولِّد العبوسة، وهي موضع العدو. جاهد يا أخى حتى إلى الموت، ربما في آخر لحظة تغلب عدوك وتأخذ إكليل النصرة عند آخر رمق من حياتك جزاء كلمة شجاعة وإيمان تقولها في حينها أو عمل يرضي قلب الله. أنت دُعيتَ إلى الحرب ولبستَ أسلحتها بإرادتك فلا ترجع إلى ورائك حتى إلى الموت. جاهد، وإن أعوزتك القوة أو الشجاعة أو الصبر أو الاحتمال، ارفع رأسك إلى فوق حيث رئيس جند الرب واقف ورب القوات يتطلع ليعطى مَنْ يسأله عطايا جيدة أحسن

من عطايا الناس والرؤساء.

حارب الملل بالفرح، لأن دعوتنا ممزوجة فرحاً بحُزن، وألماً بشكر، فعلى الصليب امتزجت مسرة الآب في السماء بانسحاق الابن بالحزن، وعلى الصليب نال العالم الخلاص وجاز في نفس العذراء سيف الحزن.

حوِّل الملل، الذي هو حزن مُفسد، إلى حزن مُفرح، لأنه «طوبى للباكين الآن» (لو ٦: ٢١) هكذا قال السيد، ولما سمع ذلك القديسون ما كفُّوا عن البكاء. وكما قال البستان: 'عيد الراهب دموعه'.

احذروا الطموح في النسك، فإن هذا الباب أسقط جبابرة ذوى بأس في الصوم والصلاة. تشبهوا بالقديس أنطونيوس الذي كان يقول للشياطين: 'إني لستُ بمستطيع أن أقف أمام أصغركم'، وكان يتمرغ في التراب، فنظر الرب لتواضعه وصار رُعباً للشياطين. اجعلوا أعمالكم النسكية على قدر إيمانكم لئلا تغلبكم الشياطين.

لا تجعلوا أعمال النسك وسائل خلاص، بل اجعلوها دلائل حب السيد وثمرة من ثمرات الحياة معه ومظاهر الجلوس تحت قدميه.

ما أجْمل سهر المُحب! ينتظر محبوبه، كلما طال كلما استسلمت له، فإذا جاء في الهزيع الأخير وجد النفس مُحترَّة كالنار لم يزدها الانتظار إلا اشتياقاً.

وما أجْمل الصائم الصامت الذي فطم شهوة بطنه ليملأ شهوة حبه بدسم عرس الخروف! فكلما ازداد صومه كلما دسمت نفسه.

ما أجْمل القراءة للبحث عن صفات المحبوب للتغني بها والتفتيش عن طرق إرضائه والوصول إليه حتى نجعل القراءة دليل الطريق فلا نكف عن القراءة حتى نجده.

ولكن ما أشقى الساهر الذي يبحث عن فضيلة السهر؛ والصائم الذي يُتمم فريضة نسكية؛ والقارئ الذي يُحب أن يحفظ كلام الآخرين ليتمجد به.

اجعلوا المحبوب هدفكم والحب طريقكم، واستهينوا بكل شيء حتى تجدوه.

برية شيهيت في ديسمبر ١٩٥٥م.

الرسالة {٢}

توجيهات رهبانية (٢)

كُتبت في مغارة دير السريان في ديسمبر ١٩٥٥م

(أثناء صوم الميلاد)

نعمة ربنا يسوع المسيح تكون مع جميعكم، وسلام الله الذي يفوق العقل قادر أن يحفظكم إلى النهاية أمناء له وللدعوة التي دُعيتم إليها لمدح اسْمه ومجد نعمته، لتكونوا كمنارة في أعلى البيت.

كتبتُ رسالتي الأولى وكنتُ أظن أني سأكتفي بها، ولكن شعرتُ بدافع يدفعني للكتابة إليكم راجياً من السيد المسيح أن لا تكون كتابتي لكم ثقيلة على أحد، ولا يظن أحدٌ أني كتبتُها من فرط معرفتي أو فهمي، فإني كأعمى أتحسس على الحائط وأكتب ولا أعلم ماذا أكتب، لأني في كل خطية أُحذِّر عنها أجد نفسي مديوناً لها، ولكن دم يسوع المسيح قادر أن يطهرنا إلى التمام من كل خطية لنُوجد أمامه بلا لوم في يوم مجيئه العظيم الذي هو على الأبواب. فتطهَّروا معي يا أحبائي، تطهَّروا بزوفا الروح القدس، والبسوا ثياباً تليق بالعريس، لأني أجد أننا قد اشتُرينا لهذا اليوم العظيم وأخذنا التصريح بالدخول و لم يعُد علينا إلا أن نُهيئ الملابس. فاحذروا أن يتوانى أحد في أن يغسل نفسه كل يوم مفتشاً عن الخطايا المُختبئة في الداخل ويفضحها في نور الضمير المستنير بمعرفة الروح القدس ووصايا الرب التي هي سراج يُنير لنا الطريق، بل شمس نتطهر بها كل يوم.

الآن أنتم أخذتم هذه الدعوة المقدسة، أي دعوة الرهبنة، باغتصاب عظيم، وقد حُسبتم في عداد القديسين الذين تعبوا وأنتم دخلتم على

تعبهم. فلا تستهينوا بهذا الطريق لأنه عالي المقدار ومملوء أسراراً، وكل منْ استهان به وازدرى بطقسه وتوانى في القيام بفروضه وواجباته ينحجز عن عينيه مقدار المجد الموضوع للسائرين في هذا الطريق الحرج، فلا تأخذوا من العالم أو ممنْ فيه مثلاً لكم أو نموذجاً تعيشون عليه، فالبرية غنية بأبطالها وقديسيها.

اُنظروا إلى العظيم يوحنا الدرجى ومقدار الحكمة التي أعطاها له الله ليكتب وصايا من نور للسائرين في أول الطريق.

اُنظروا إلى يوحنا الشيخ الروحاني وتأملوا في أسرار الروح التي انكشفت له وصار يتكلم عن الروح والملائكة والثالوث الأقدس كمنْ يراهم في مرآة. وبالرغم من أن الترجمة من السرياني إلى العربي أضعفت من الأسلوب وقللت من جمال التركيب، إلا أن الروح الذي في الكلام يُغنى عن كل شيء، والذي درب حواسه يستطيع أن يحس به كائناً في الكلمات والجُمل يُلهب القلوب ويُنير العقل ويُشعل النفس بحب الطريق واستعذاب آلامه مهما بلغت.

اُنظروا إلى كتابات مار إسحق الشيخ الرزين المملوء من تعاليم الحكمة والفلسفة، فهي غاية في البلاغة، تستطيع أن تنير لنا الطريق حتى آخره. لقد تكلم عن أعلى درجات الحياة الروحية وواجباتها وأصولها وترتيبها.

اُنظروا، لم يعُد لنا حُجة، فالطريق مكشوفة، والروح ساهر مستعد، والكنوز مفتوحة، وأبواق الملائكة تخفق الليل مع النهار قائلة: هلموا يا عطاش إلى البر، استقوا من ينابيع حبه، وسيروا في طريق لم تتعبوا في تعبيدها.

الآن أنتم أخذتُم الطريق الموصل إلى الجلجثة والذي يبدأ من المزود.

أحنوا رؤوسكم يا مُختارى الله، لتستطيعوا أن تدخلوا مغارة البهائم، لأن فيها خلاصكم ومن هناك تبدأ سيرتكم العطرة برائحة التواضع.

اذهبوا وابحثوا في معلف البهائم، تجدوا بين التبْن إلهاً ترك السماء وبهاء الملائكة القديسين ليكتب لكم قصة خلاصكم بنفسه. نزل ونزل حتى وصل إلى أصغر أخ في البشرية، ومن وسط الحيوانات بدأ الطريق حتى لا يترك وراءه إنساناً قط.

الذي يريد أن يصير للمسيح تلميذاً، فقبْل أن يحمل الصليب ليتبعه، عليه أولاً أن يُولد في المزود هناك وراء البشرية كلها يضع نفسه، وبيْن الحيوانات يختار له مكاناً. وهو إن صنع هذا تماماً فسوف يجد أنه لم يستطع أن يتضع كما يجب، لأنه سوف يرى السيد الرب لا يزال أكثر منه تواضعاً حتى يظل إلى الأبد يقول: «تعلموا منى لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩).

يا محبي العبادة النقية الطاهرة، طريقنا يبدأ من حيث بدأ المسيح، تجرُّد كامل، لأن هذا هو ثوب التواضع الذهبي. اُنظروا إلى ملك الملوك وهُم يلفوه بالخِرَق يوم ميلاده! اشتهوا هذا الثوب الملوكي يا أولاد الملك، لتستطيعوا أن تكونوا له تلاميذ. ألا يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه؟

كثيرون يستطيعون أن يلبسوا أحسن الثياب وأنظفها وأجْملها، ولكن واحد فقط يستطيع أن يلبس الخرق وهو هو نفسه الذي يستطيع أن يحمل الصليب.

وُلد المسيح في المزود لأنه أراد أن يحمل الصليب ورضي أن يموت، ولبس الخرق لأنه أراد أن يغلب العالم ولا يجعل لرئيس هذا العالم فيه شيئاً.

كان للمسيح في بيت لحم أهل وأقارب لكونها مدينة داود، ولكنه كان فيها غريباً. كان غريباً في مدينة أبيه وأمه، لأنه أراد أن يكون ابناً للإنسان عامةً وأخاً للبشرية كلها.

طالما نحن لنا أب على الأرض أو أخ أو أخت أو أم، فنحن لا زلنا متغربين عن المسيح، فالناس جميعاً هُم لنا تجمعهم كلمة الإنجيل: "قريبك".

حب قريبك كنفسك (مت ٢٢: ٣٩)، وقريبك هنا تشمل كل البشرية. أما «من أحب أباً أو أماً أو أخاً أو أختاً أو... الخ أكثر مني فلا يستحقني» (مت ١٠: ٣٧).

فالآن، أيها الأحباء، ارفعوا عيونكم إلى بيت لحم وخذوا منها معنى الغربة، لأنه حيثما أنت غريب، فهناك تكون السماء قريبة منك والملائكة حولك تُحيط بك لتنجيك. وابدأوا من المزود لتتعلموا التسابق للرجوع خلف الصفوف، هناك حينما ترى أنك صرت آخر الكل، ابدأ لأن هذا هو مزودك الذي ستأخذ منه الطريق للجلجثة.

وإذا تشامخت وجعلت بعض الناس وراءك ممن تظنهم خطاة ومتوانين، ومِن شكلهم ظننت أنهم مرفوضون أو متعوقون، فاعلم أن طريقك مسدود ولن يُوصلك إلا إلى حيث ابتدأت. وحينما ترى نفسك آخر الكل ستشعر في الحال بأنك تسير بقوة صاحب القول: «الآخرون أولون» (مت ١٩: ٣٠)، «منْ أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً» (مر ١٠: ٤٤)، «كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مت ٢٠: ٢٨)، «وأكبركم يكون خادماً لكم» (مت ٢٣: ١١). «فمنْ يرفع نفسه يتضع ومنْ يضع نفسه

يرتفع» (مت ٢٣: ١٢).

خذوا لكم من الخرق التي لفوا بها يسوع لباساً ذهبياً تسترون به قبح أجسادكم وأعضائكم.

من أعوزته الطهارة أو قداسة الأعضاء أو الأفكار فليأخذ قطعة من هذه الخرق القليلة التي لفوه بها ويضعها على جسده فيُشفي.

تجردوا من العظمة فيلبسكم التواضع كالثوب وتلتحفون به فتسترون أنفسكم من أفكارها.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

برية شيهيت في ديسمبر ١٩٥٥م.

الرسالة {٣}

توجيهات رهبانية (٣)

كُتبت في مغارة دير السريان في ديسمبر ١٩٥٥م

(أثناء صوم الميلاد)

نعمة لكم وسلام من الله. محبة يسوع المسيح فلتكن مع جميعكم ورباط الصلح والسلامة يحفظكم في وحدانية الروح لتكميل جسد المسيح، والمحبة المنسكبة في قلوبنا بواسطة الروح القدس تعلمنا الطريق وترشدنا إلى الحق وتقودنا إلى الحياة مُغيِّرة صورتنا وشكل ذهننا من مجد إلى مجد إلى ملء قامة المسيح، وحرارة المسحة التي قبلناها من القدوس لتزداد لنا جميعاً يوماً فيوماً وتضطرم في قلوبنا بغيرة النسك والعبادة والعمل الصالح حتى نركض بأكثر شدة في ميدان الروح مع المسيح لننال جعالتنا التي من أجلها نحن متغربون.

ولكن اُنظروا لحساب منْ أنتم تركضون؟ وممنْ ستأخذ الأجرة؟ ومنْ سيستقبلك في نهاية الطريق ليفرح بنصرتك؟ اسأل نفسك كل يوم: لماذا أنت تشقى يا فلان؟ حتى توجهوا أذهانكم دائماً نحو ذاك الذي بِعْنا كل شيء وتبعناه، لئلا يسرقكم روح التواكل أو لذة خيْرات الدير وهدوئه، فيكون لك نصيب يسَّاكر بن يعقوب الذي أستحي أن أقوله؛ اقرأوه؛ فهو مكتوب في سفر التكوين ٤٩:١٥، لا بل يكون لكم بنعمة الله (أفسس ١:١٧،١٨). لأن لأجل هذا نحن دُعينا «وهبات الله ودعوته هي بلا ندامة» (رو ١١: ٢٩). فتشددوا الآن، الطريق طويلة وشاقة والعدو يتربص ليصطاد، فاملأ جعبتك بسهام آياتك المبْرية لأن الطريق ملآنة شكوكاً وعثرات وفخاخاً قد وضعها العدو، فاملأ جعبتك من

الآيات وعندك مزاميرك والكتاب المقدس، خُذْ منهما مؤونة للطريق حتى لا تخزى إذا كلّمك الأعداء على الباب.

اضرب سهماً بسهم ولا ترتد حتى تفنيهم، وتشجع فالذي معك أكثر من الذين معهم. ويوحنا الرسول يقول: «إنكم من الله أيُها الأولاد وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم» (١يو ٤: ٤). فتشجع وكُنْ جبار بأس الذي يتهلل في طريقه بسرعة. فإذا هاجمك العدو بفكر العظمة فاختر له السهم الذي يصرعه: «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩).

وإذا جاءك بفكر دينونة، فرُد السهم في قلبه: «لا تدينوا لكي لا تُدانوا» (مت ٧: ١). وإذا حام حولك بظن سيئ من جهة إنسان أو عمل، فأَخرج له ما يناسبه: «لا تحكموا في شيء قبل الوقت» (١كو ٤: ٥).

وإذا حرَّك سُم البغضة في قلبك أخرجه في الحال، لأنه أصابك في مقتل، واضربه بسهمَين: «منْ أبغض أخاه فهو قاتل نفس» (١يو ٣: ١٥)، «ومنْ لا يُحب لا يعرف الله» (١يو ٤: ٨).

وإذا استطاع أن يرشقك بسهم الحسد فاحذر جداً، لأنها ضربة قايين المُرة التي جعلته يذبح أخاه. قُمْ قابله بسهم: «المحبة لا تحسد» (١كو ١٣: ٤).

وإذا ساق عليك فكر ملل من سير الزمن على وتيرة واحدة، فاضرب بسهم: «واحدة سألتُ من الرب وإياها ألتمس أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي» (مز ٢٧: ٤).

وإذا هاجم بروح ضجر، فتقدم كشجاع وبيدك السهم: «هنا صبْر

القديسين، هنا الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع» (رؤ ١٤: ١٢).

وإذا احتال عليك بفكر دنس، فاستجمع غضبك وقُمْ وفي يدك سهمان: «نحن الذين مُتْنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها» (رو ٦: ٢)، «كُنْ أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة» (رؤ ٢: ١٠).

وإن خادعك ليجذبك للكسل والنوم، قُمْ قُبالته وسهمك في يدك: «طوبى لمنْ يسهر ويحفظ ثيابه ولا يمشى عرياناً فيروا عورته» (رؤ ١٦: ١٥).

وإن قال لك ما فائدة المزامير، فارشقه بالقول: يسوع المسيح نفسه سبَّح بها «ثُم سبَّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (مت ٢٦: ٣٠).

وإن قال لك ما فائدة التكرار في المزامير؛ إنه تعب باطل، فأخزِه بالقول: يسوع المسيح صلى في جثسيماني بنفس الصلاة هي هي ثلاث مرات قائلاً ذلك الكلام بعينه. وإن قال لك ما قيمة المطانيات؛ إنها من وضْع الناس، فأخرج له من الجعبة السهم المناسب: «ثُم تقدم قليلاً وخرَّ على وجهه وكان يصلي»، وكرر السجود في كل مرة. وإن سخر منك وقال إن تعبك باطلاً، فخُذْ هذا السهم وقابله: «ها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله» (رؤ ٢٢: ١٢). نعم آمين، تعال أيُها الرب يسوع، فها قلوبنا مستعدة «مستعد قلبي يا الله؛ مستعد قلبي» (مز ٥٧: ٧).

أعدُّوا قلوبكم، يا أحباء يسوع ليأتي ويسكن فيها لأنه على الأبواب. آه أليس كذلك، أيُها الأحباء، أليس كذلك، إنه في الداخل. منْ له قلب يحس فليحس.

حدثتُكم؛ أيُها الأحباء؛ عن المولود في المزود كيف نزل إلى أصغر أخ

في البشرية حتى يرفع الجميع إليه، وكيف اشتهيتُ معكم أن أقف خلف كل الصفوف لأكون قريباً منه؛ ذلك الذي وقف خلفي!

وعبثاً حاولتُ أن أرجع خلفه، فقال لى يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد مثل سيده... وحتى يظل إلى الأبد ينادي: «تعلموا مني».

ويْحُنا نحن البشر إذ نحن إلى الآن لم نعرف أن نتضع مثل الله. كل بني البشر ما استطاعوا أن يصلوا إلى الدرجة التي نزل إليها ربهم!!

ليس التواضع، أيُها الأحباء، هو أن نحتقر أنفسنا ولو أن ذلك حسن، وأن نكرم الآخرين أكثر منا ولو أن ذلك حسنٌ أيضاً، ولكن المسيح لم يصنع ذلك.

ولكن التواضع هو أن نحتمل أثقال بعض. يقول الرسول بوضوح: «احْملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح!» (غل ٦: ٢). جاء المسيح ليحمل أثقالنا ويحمل أخطاءنا وعيوبنا وزلاتنا وآثامنا ويضعها على نفسه حتى أنه من ثقلها كان يئن تحت الصليب، لا من ثقل الصليب ولا من مرارة الصليب ولا من شدة العذاب ولا من فداحة الألم، ولكن من ثقل خطايانا. هكذا اتضع ابن الله ورضي أن ينزل من حضن أبيه ليحمل قاذوراتنا، ونحن لم نتضع بعد.

لا تحتقروا أنفسكم؛ أيُها الأحباء؛ ولكن أتعبُوا أنفسكم في حمل أثقال وأخطاء وعيوب إخوتكم. لا تكرموا الآخرين؛ أيُها الأحباء؛ ولكن اخدموهم، اخدموهم خدمة العبد للسيد وليست خدمة السيد للعبد. فالذي يغسل أرجل الناس ليس هو سيداً وإن كان كذلك بالحق إلا أنه كان يخدم كالعبد. هذا هو ناموس المسيح. فليتنا جميعاً وأنا معكم نضع أنفسنا من أجل الآخرين لنتذوق طعم الألوهية، «فليس لأحد حُب

أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥: ١٣).

لا تقُلْ بعد الآن أريد أن أعرف المسيح. ضعْ نفسك من أجل الآخرين، تعرف المحبة. ومنْ عرف المحبة عرف الله لأن الله محبة، هكذا يقول القديس أغسطينوس. وإن كانت هذه فلسفة كلام كما تظهر في شكلها إلا أنها حقيقة، ومنْ يريد أن يقبل فليقبل.

ما أجْمل طريق المسيح! إنه يبدأ في مغارة؛ في عوز شديد؛ في ضيق اختيارى؛ في بُعْد عن الناس؛ في تجرد كامل من كل أشياء هذا العالم ما خلا مزود من طين فيه قليل من التبْن.

ألا يمكن أن نبدأ؟ نريد أن نبدأ، هذا يكفي.

سلام لكم جميعاً، كُلاًّ باسْمه. كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

برية شيهيت في ديسمبر ١٩٥٥م.

الرسالة {٤}

توجيهات عن الصوم الأربعيني المقدس

إخوتي المحبوبون في الرب يسوع

نعمة لكم وسلام من الله أبي ربنا ومُخلصنا يسوع المسيح الذي قد صارت لنا معه المصالحة بدم ابنه المحبوب بقوة المحبة التي أظهرها لنا نحن غير المستحقين لشيء من هذا، من أجل كثرة الخطية المعمولة منا بإهْمال التوبة والازدراء بالدموع وقرع الصدر.

أكتب إليكم لأني قصَّرتُ في المجيء، وقد منعتني ظروف خاصة كثيرة أود أن أتغلب عليها في المستقبل حتى أستطيع أن أتمتع بالوجود معكم كل يوم سبت حسب عادة الآباء المفروزين للعبادة الحقة بتوجيه وإرشاد الروح القدس.

لقد مضى جزء كبير من الصيام، ولكن أود أن تكونوا قد أخذتُم شيئاً من بركاته التي لا تُحصى.

وإن كنتُ قد كتبتُ كلاماً كثيراً عن الصوم في كتاب حياة الصلاة، إلا أنِّي أشتاق أن أوجِّه روحكم المقدسة الطاهرة لأمور روحية أخرى أعلى قليلاً حسب قياس النعمة التي صارت لكم من مُمارسة أعمال القديسين في هذه البرية المقدسة.

أود أن أقول إنه سلوك حسب الروح، الذي سلك فيه (في الصوم) حسب الروح يعرف هذا الكلام جيداً، لأنه يكون قد ذاق كلمة 'حياة وسلام' حسب وصية بولس الرسول «اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام» (رو ٨: ٦).

أما كيف أذوق الحياة؛ وكيف أذوق السلام، فلا تسألني لأنها أمور لا

تُفهم بالعقل لأنها من جوهر أعلى من العقل، وكل ما نستطيع أن نأخذه من الوصية هو أننا نفهمها أولاً ثم نعمل بها، وأما الحق الذي فيها فإنه يتحول فينا إلى روح غبطة وسعادة، بها نتذوق الحياة ونتذوق السلام وكل ثمار الروح.

كل مَنْ فطم نفسه من وساخة الجسد ولجم شهوات نفسه من الداخل ومن الخارج يستطيع أن يسلك حسب الروح. وكل منْ لا يزال يُجاهد ضد الجسد فلا يتسرع ليطلب القيامة لئلا يُوبَّخ من الملائكة وأرواح القديسين الذين أكملوا البر. منْ هو مثل ذلك لا يحزن ولكن عليه أن يفرح بحزنه ويجتهد بالأكثر أن يستعد للصلب والقبْر؛ حينئذ يفرح بالفرح. ولكن منْ يستهين بكلامي فهو سيحتاج إلى أتعاب كثيرة ليكمل ما أكمله غيره بلا تعب.

الصوم هو الدخول بالوصية إلى حدود الطاعة المحبوبة بلا تململ أو ضيق، لأن الطاعة بفرح لها إكليلها. أما طاعة الحزن والاضطرار فهي طاعة العبيد، وهذه ليست لها أجرة بل تُحسب كأنها دَيْن واجب تسديده.

والذي يتعبد للطاعة من أجل البر فهذا قد قطع شوطاً كبيراً للتحرر من عبودية الجسد وشهواته العاملة فيه بسلطان الخطية.

طوبى للإنسان الذي يصوم بفرح، فهذا قد أخذ معونة خفية من الحق «والحق يُحرركم»، لأن منْ يفرح بضيقات الجسد فهذا يكون قد بدأ السلوك حسب الروح.

افتح أُذُن قلبك لتسمع طلبات الروح حينما تكون قد تحررت من شهوات الجسد المفسدة للأذُن الروحية. في هذا الوقت؛ افتح قلبك لترى ما هي نقائصك اللازمة للدخول في النور، وما هي أنواع الأسلحة

اللازمة لغلبة قوات الظلمة العاملة في الجسد وبالجسد. إنها أوقات مباركة جداً، لأننا نكون فيها مكشوفين أمام الحق ولو أننا لا نراه، ولكن نرى على ضوئه عيوب أنفسنا وما يلزمنا من تطهير في حواسنا حتى نستطيع أن نشترك في بهجة القائمين هناك.

إذا كُنا بعد لم نعرف ما يلزمنا للدخول في زمرة القديسين، فنحن نحتاج إلى بكاء كثير ونوح قلب، لأن هذا يكون معناه أننا لا زلنا واقفين على الباب ولا نعرف هل يُفتح أم لا.

لنا عزاء عظيم في صيام السيد المسيح الأربعين يوماً المقدسة على الجبل وحده، لأننا بذلك نحن نقدم صومنا للآب مكمَّلاً فيه. وما كان عاجزاً عنه الإنسان قبلاً حتى بالصوم من أجل ضعف الجسد أمام مطالب الوصية، قد صار لنا الآن بصوم المسيح قوة روحية فعالة لتجديد الحياة وغسل أوساخ الجسد وتهذيب شهوات الجسد الوحشية، وإعداد الإنسان العتيق للصلب الكامل مع المصلوب في الجلجثة لنوال العتق الكامل من سلطان الخطية والموت العامل فيها «أين شوكتك يا موت؟!» نعم؛ أين سلطانك يا خطية؟! هكذا نصرخ الآن في صومنا مستمدين قوة إلهية من السيد المسيح الذي أعان جسدنا بجسده وأكمل صومنا بصومه.

يا أحبائى، استعدوا فنحن قادمون على الصليب، هيئوا النفس لغلبة سلطان الخطية، تشجعوا لتصلبوا الجسد العتيق على الصليب صلباً كاملاً حتى الموت؛ أي حتى لا يعود للجسد سلطان علينا في شيء، وأظنكم لا تجهلون سلطان الجسد، ولستُ أقصد به الأكل والشرب أو الزنا فحسب، بل ضبط النفس تجاه الخطايا التي تلوث الحياة الروحية كالحسد والحقد والبغضة والدينونة وطلب الظهور والشهرة والتفوق على الآخرين... الخ.

نعم؛ استعدوا للصلب لتقدموا الجسد بشجاعة مُهملين كل طلباته

وصراخه، أميتوا كل أعضائه التي على الأرض حتى الموت الكامل. وهذه هي العلامة خذوها فإنها حق ومن الحق: الذي مات لا يفرح ولا يحزن بشيء جسداني أرضي ترابي. أيُّ شعور بالفرح والحزن إذا كان مصدره التراب فالجسد العتيق حيٌّ.

«الذي مات قد تبرأ من الخطية» (رو ٦: ٧). مباركة وحق وعادلة هي هذه الكلمات التي لمعلمنا بولس الرسول ذي الذهن المستنير الذي رأى الرب ورأى أمجاد السماء بالروح.

نحن قادمون على الصليب، فلا ترتاعوا ولا تجبنوا، وتقدموا بشجاعة الحق وحرروا هذه النفس المستعبدة لأباطيل الجسد، مزقوا الحجاب وادخلوا إلى القدس لتحيوا.

كل من يستطيع أن يُميت الجسد العتيق سيأخذ جسداً روحانياً حياً، وبعد أن كان هذا الجسد عدواً له يُحارب روحه ويسبيه إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائه، فإنه يصير له عصا يتوكأ عليها، بل أقول يصير له وقوداً يشعل به ذبيحة حية إلى الأبد.

لا تخافوا، لقد مات الذي كُنا مُمسَكين فيه! نعم لقد مات الجسد لما مات المسيح، فلم يعُد للخطية سلطان علينا إلا إذا ملَّكناها نحن في أجسادنا المائتة؛ فنطيعها في شهواته.

لقد أُعطى لنا صك الحرية، فعلينا التنفيذ لو أردنا الحرية. كل خطية هي ميتة، لأن ليس لها سلطان الموت الأول الذي كُنا متعبدين له، ولكن إذا ملَّكناها نحن في أجسادنا، نكون قد فقدنا نحن سلطاننا عليها فتعمل هي لتثمر للموت، لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله. لماذا؟ لأن الجسد ليس خاضعاً لناموس الله.

برية شيهيت في أبريل ١٩٥٦م.

الرسالة {٥}

رسالة تعزية

رسالة إلى الآباء الرهبان (بدير القديس أنبا صموئيل) من القاهرة ١٩٥٩/٢/١٥م

إخوتي المحبوبون

سلام من الله لأرواحكم المتقدسة في المسيح لمجد الله.

أتعشم أن تكونوا جميعاً في كمال المسرة الروحية في عِشْرة روحية خالصة بغير همٍّ، مُطهَّرة ضمائركم من الأعمال الميتة ولكم إيمان وثقة ورجاء ينمو ويتجدد. وأرجو أن تكون سيرتكم الفردية بلا لوم أمام ضمائركم حسب مشيئة الله، حتى تسعدوا بحياتكم ويكون فرحكم بلا نقصان.

العمل الذي أرسلني الرب له ينمو وينجح بشكل واضح، وكلمة الإيمان فعالة وقد ازدادت بلا مانع في قلوب الشباب، والروح يُمجِّد خدمته بكلام قليل، والمبادئ الصعبة أو بالحرى المستصعبة صارت سهلة في قلوب المتعطشين للخلاص، وخدمتي تتركز في تبليغ رسالة الإيمان الحي وطريق الخلاص والتجديد للجميع.

الباب مفتوح أمامي، مفتوح بسعة، لذلك أحتاج إلى مؤازرة الصلوات المرفوعة من قلوب محبِّي خلاص شعبه ومجد كنيسته، وأرجو أن أكون أميناً في رسالتي، لذلك أصلي لكي يُوضح لي الرب الطريق ويأذن بتكميلها على شكل ما حتى أعود إلى خلوتي.

جميع الذين يعرفونكم يصلون لأجلكم لتكميل رسالتكم وامتلائكم.

وصلتني رسالتكم وجارى عمل النجارة، والرب يبارك عمله.

كونوا جميعاً معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٦}

عن عمل الله في خدمة بيت التكريس

الخطاب الثاني للآباء الرهبان بدير الأنبا صموئيل

(من القاهرة) أواخر مارس ١٩٥٩م

أحبائي وإخوتي في الرب

نعمة ربنا يسوع المسيح تحفظكم في سلام القلب وتُوحِّد قلوبكم في هبة المحبة لخدمة الله الحي، بضمير طاهر بلا لوم وبغير عثرة، كأبناء وورثة لميراث واحد، مُهيأة لحياة الخلود بالسلوك الكامل في وسط هذا الدهر، مقروءة أفكاركم لدى بعضكم البعض، معروفة أعمالكم لدى كل إنسان أن ذواتكم غير محسوبة عندكم، غير مُهتمين قط لما يُريح أشخاصكم بل ما يُريح قلب المسيح فيكم وأحشاء القديسين الذين سبقوكم إلى المجد.

أكتب إليكم بعد غياب كثير، أعلم أنه ثقيل على نفوسكم، ولكني متيقن من محبتكم وصبْركم واحتمالكم غيْبتي، متوسلاً إليكم أن لا تعتبروا غيابي تقصيراً في واجبي نحوكم أو كأنه استراحة في غربتي بعيداً عنكم، ولكن مبارك هو الرب الذي حفظني إلى هذا اليوم عاملاً مشيئته متجنباً أي سلوك يتعارض مع القصد الذي قصده فيَّ، إذ جعلني موضع ثقة لخدمة مباركة أراها تحصرني من كل وجه لأكملها كما يرضيه، فالكلمة تقوَّت في فمي العاجز، والروح استخدمني لتغيير قلوب كثيرين للخلاص والتجديد، قلوب كانت خادمة ولكن كانت غير مُثمرة، وإذ تغيرت في وقت قليل جداً جاءت بثمر وافر للغاية، والباب انفتح أمامي ليعمل مُمتداً بقوة جارفة امتد إلى نواحي الخدمة في القاهرة والإسكندرية

لوضع أساس عملي لإيمان حي فعَّال للخادم والخدمة، وتعيين هدف الكرازة الذي كاد يختفي من مجال الخدمة غير المؤسسة على أساس الإنجيل ودم المسيح.

وقد آلت فكرة بيت التكريس إلى عمل واضح وأساس حي، أضع اليوم نفسي فيه كبذرة خردل، أود أن آتي إليكم سريعاً بثمارها لتفرحوا معي. وانضم إلى البيت نُخبة من أولاد الله الأمناء لأنفسهم وللمسيح،... أمثال (...)، والباقون في طريقهم إلى المجيئ: (...) وكثيرون، وهكذا يعمل الرب لبدء جديد لغاية مجيدة نُحسُّها ولكن لم نعرفها بعد.

أما بخصوص مجيئي، فأطلب من الله أن يكمل معي بدء العمل فقط، أي تهيئة نظام البيت والحياة الروحية فيه ومبادئه سريعاً، حتى آتي إليكم قبل أسبوع الآلام.

ولكن أنا واثق أن الرب الذي يقود حياتنا بوضوح وعلانية هو الذي يُدبِّر كل شيء، وهو القادر أن يفعل بنا كل عمل مجيد لتكميل حياتنا حسب قصد مشيئته لخلاصنا ومجده، وقد استودعْنا أرواحنا مرة واحدة في يديه وهو يقود.

أطلب إليكم أن تذكروا حياتي المسيحية في صلواتكم، ليملأها الرب غيرة وأمانة وعملاً مثمراً، وأن يجعل أبواب خدمة كنيسته مفتوحة أمام وجوهنا إلى آخر نسمة في حياتنا ويرحمنا كعظيم رحْمته، ويكمِّل حبنا فيه بلا لوم كجسد حي له.

والدى بالجسد انتقل، الرب يعطيه راحة عنده.

سلموا على أبي القمص روفائيل وأبي الراهب أندراوس وأبي الراهب صليب وأبي الراهب متياس وأبي الراهب استفانوس وأخي المبارك يسى

عبد المسيح وعلى بعضكم بعضاً.

حاضر للرهبنة معى أخان مباركان، الرب يُهيئ طريقهما.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٧}

رسالة تعزية

وصلت يوم أحد السعف ١٩٥٩م

أحبائى في الرب

نعمة لجميعكم وبركة وسلام من الله.

أتعشم أن تكونوا جميعاً في ملء بركة كلمة الحياة القادرة أن تثبتكم إلى الأبد في رجاء الإيمان لنوال ميراثنا.

إن سلامنا الداخلي الذي أسسناه على صخر إيماننا وسط زوابع عاصفة كثيرة وتهديدات منوعة وآلام كثيرة، منها الحرمان الجسدي والنفسي بالراحة التي يستمتع بها عامة الناس، يُختبَر الآن في ضيقة حاضرة.

وليس لي على هذه الضيقة تعليق أستطيع أن أقدمه لكم، ولكن إلهكم يتولى الرد عني وعنكم، والذي قَبِلَ دعوتنا ورَحَمنا وأعاننا هو هو لا يزال يرحم ويعين. لقد رأيتُ هذا اليومَ من بعيد، لذلك لم أجزع منه كثيراً، ومرحباً بضيقات من بني جنسي.

أستودعكم الله إلى أن ألقاكم، لأني مضطر أن أنتظر في مصر إلى أن ينجلي موقفكم. إن عبادتكم وصلواتكم ودموعكم سوف تُهيئ سلاماً وراحةً، وسوف تُزعزع أعتاب السماء، ليتكفل الله بِيُتْم أنفسنا في هذا الجيل.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٨}

عن كيفية مواجهة الضيقات

وصلت يوم ١٩٥٩/٥/٣١م

(من برج العرب)

أحبائي

سلام لكم جميعاً في قوة سلام ربنا يسوع المسيح الذي يفوق منطق العقل، والقادر أن يثبِّتكم غير متزعزعين في عبادتكم التي اخترتُموها حسب الطريق الأضيق.

واضح أيُّها الإخوة أن الرب يمتحنكم: هل أنتم للمسيح بأنفسكم أم له بآخر؟ هوذا الآخر رُفع من وسطكم لتُختبر عبادتكم، وليس لي أن أتكلم الآن عن الوسائل التي اتُّخذت لإبعادي، وكيف استطعتُ على آخر لحظة أن أُحوِّل هذه الوسائل في نفسي لتكميل عبادتي كما أردتُها وكما أريدها أن تكون دائماً حُرة منطلقة حتى آلت إلى خدمة، يوماً ما تؤول إليها في ذات المنهج، أي عن حرية وانطلاق لتكون من الرب وللرب.

ولكن آن لي أن أُذكِّركم بما سبق وقلتُه إن الذي استطاع أن يموت في ذاته عن العالم يستطيع أن يحيا للمسيح يسوع حتى وإن انعكست كل ظروفه الخارجية، وإن الذي يريد أن يحيا للمسيح يسوع ليس له أن يُدبر كيف يُهيئ ظروفه حوله بل يُهيئ نفسه لكل الظروف.

أنا أعلم أن بعضاً منكم سيندم أنه سار معي، هؤلاء لم يكونوا حاسبين النفقة، وأخاف لئلا يشمت بهم العدو، وهؤلاء أوصيهم أن يستفيدوا من الضيقة وينطلقوا بقوة الإيمان وراء المعلم الحقيقي ويتبعوا الراعي الأعظم، ولا يبحثوا لهم عن ظل آخر أو شبح لمعلم أو لراعي.

هؤلاء، هذه هي ساعتهم للتجديد لو أرادوا، وهذه هي ضيقة خلاصهم لو شاءوا.

إني أشكر الله أني لستُ معكم الآن حتى يُستعلن لكم وللناس ولله ما هي مشيئتكم الحرة، بل إني قصدتُ أن لا أكون معكم، ثُم أُجبرتُ على ذلك حتى يتمجد الله فيكم، وإن كان على حساب سُمعتي واسْمي الذي يتبارى الناس الآن كيف يُوضعوه ويُخفضوه، فشكراً لله.

وإن شئتم أن تعرفوا قصد خطابي صراحة، فهو أن تمتلئوا وداعة ولُطفاً وتحنناً، ولا تقابلوا التهديد إلا بالصلاة والحب، وتُفصحوا عن مبادئكم الروحية الراسخة التي نتبناها معاً على أساس المسيح والقديسين. لا تخرج كلمة قاسية من أفواهكم، لا تعيبوا تصرف أحد خصوصاً من الذين سيُقلّدون الرئاسة عليكم، تكلموا بالحق، نعم تكلموا بالحق، نعم تكلموا بالحق، ولكن ليس كدينونة أو باستهزاء أو على سبيل الحقد، بل بقلبٍ وديع تكلموا معاً بالخير من أجل الخير.

ليس لى أن أتكلم عن الخطة التي أَحكَموها وصاغوها حسب الفكر البشرى كيف يُسكتون فمي، ولكن لا أظن أنهم سيقدرون، لأن الذي يتكلم فيَّ الآن يتكلم فيكم وفي كثيرين.

أنا لم أُسئ إلى أحد منهم، الله يشهد، لذلك فكل إساءة منهم نحوي ستُحسب لى نعمة، ليتهم يزيدون.

وفي وحدتي وعُزلتي عن العالم والناس والخدمة والآباء والإخوة، سوف أمضي في خدمة كنيستي حتى آخر نسمة من حياتي.

كونوا معافين.

القمص متى المسكين

أقوال متنوعة مُلحقة بخطاب قدسه

ليتكم تُفرِّقون بين الخير والحسن، لأنه ليس كل شيء حسن يكون خيراً، والذي يختار الحسن عسير عليه أن يبلغ نهايةً خيِّرة. والعاقل يختار دائماً الخير الذي هو الحق مهما كان غير حسن وغير مريح، أما الجاهل فهو يميل بسرعة للحسن مدفوعاً بالشهوة والطمع.

+ + +

النفس معلم صالح، وطوبى لمن كانت نفسه عارفة مثقفة بالحق، ولكن الذي يتتلمذ لمنْ هو دونه في المعرفة يفقد نفسه ويتوه عن الحق، أما الذي يستمد لنفسه المعرفة من مصدر مليء بالحق فنفسه لابد أن تمتلئ أيضاً.

تعليم الحق لا يتم بمناقشة، ولكنه يُستعلن في آخَر، فاطلبوه أينما وجدتُموه. والأبديات لا نحصل عليها بالفهم وإنما نأخذها اغتصاباً، فهي تحتاج إلى شجاعة. والأعمار تتناقص ثم تنتهي، فلا تملأوا أعماركم أعمالاً ولكن املأوا أعمالكم حياة.

+ + +

ليس ما يقوله الإنسان يُزكِّيه ولا ما يعمله، ولكن الذي يشتهيه. لذلك كثيرون يتكلمون خيراً وكثيرون يعملون خيراً ولكن قليلون يتزكَّون. لتكن إذن تزكيتكم لا أقوالكم ولا أعمالكم ولكن شهوات قلوبكم.

+ + +

الذي يشتهي ردياً يؤول عمله إلى الردي مهما كان خيراً، لأن النية

تقود العمل. لذلك قبل أن تعملوا عملاً افحصوا نيات قلوبكم قبل أن تعملوا خطط مشروعكم. أما الذي يشتهي خيْراً للخيْر فعمله يؤول إلى نجاح مهما تحالف الشر ضده.

+ + +

صعبٌ جداً أن تضرب حد السيف بيدك، وأصعب منه مقاومة الضمير، لأن للجرح شفاءً ولموت الجسد قيامة، ولكن لموت الضمير لا شفاء ولا قيامة. فاسْمعوا للضمير لأنه معلم الحق فيزداد علماً ويزداد حقاً لأنه ينمو بطاعتكم.

لا ترتاعوا إذا أحاط بكم الشر من كل جانب لأن الحق داخلكم.

ولكن الذي لا يُعلن الحق في وقته، يطغى عليه الشر ويضيع الحق منه.

لذلك زمان الشر هو زمان الحق، وزمان الضيق، إذا حُزْنا المعرفة والحق والصلاة. لقد كنتم دائماً تسألون عن الحق، والآن عليكم أن تعملوا إن كنتم سألتم حقاً، ومن الآن يسألكم الناس ليعلموا الحق الذي فيكم، فليت وجهي لا يخزى ولا وجهكم. فستظل أرواحكم تُحيط بي إلا روح الذي ينكر محبتي وجهادي وآلامي بينكم.

وحينما يتفرق ويتشتت الأشخاص، تتحد المبادئ فتنمو وتتكاثر.

الرسالة {٩}

تبكيت الروح القدس

مايو ١٩٦١م.

إخوتي الأحباء في الرب

نعمة وبركة وسلام من الله لأرواحكم جميعاً.

أتوسل إلى الله أن تكونوا كلكم في ملء السلام والفرح الإلهي الذي هو عربون مواريث المُختارين، قادرين أن تفتدوا الأيام لحساب الدهر الآتي، صانعين من أنفسكم ومن أجسادكم ومن كراماتكم قمصاناً تطرحونها في طريق الرب، حتى يسير فيكم وعليكم ويجد راحة معكم.

أنتم شاروبيم الله على الأرض، فاحْملوه في قلوبكم وعقولكم واجعلوا غيرة المحبة تتَّقد فيكم معاً حتى تصيروا عرشاً نارياً بالحب يليق بأن يكون حاملاً للاهوت المتقد ناراً وحباً. وأنتم تعلمون من سفر الرؤيا أن الله يطلب الحارين، فكونوا كذلك، وروح الله الذي عرفناه ناراً لسانية يستقر في أحشائكم ويجرف شوائب الفكر والنُّطق ليجعل منطقكم إلهياً في كل شيء وبكل معنى. فاقبلوه باستعداد الألم لأنه لا يُعزِّي إلا بعد أن يُبكِّت، وهو شديد الوطأة في تبكيته، شديد الوطأة في عزائه، والذي لا يحتمل نار تبكيته المُحرِقة لا يحتمل نار محبته الدافقة التي تجعل الإنسان مُتغرباً عن نفسه هاجراً ذاته هجرة بائنة.

وتبكيت الروح القدس لا يسري في قلب طامع للدنيا، أو طامع في شيء مما في الأرض قاطبة، أو طامح لما يفوق قَدْره أو مُرتئي إلى أعلى مما يجب أن يرتئي إليه.

تبكيت الروح القدس لا يعمل ولا يحرق إلا في أنصار المذلّة وفي نفسٍ وضعت في نفسها حكم الموت لعلها تبلغ إلى قيامة أخرى.

الإنسان الساعي إلى التبكيت غير الإنسان الساعي إلى الفضيلة، وهُما على نقيض، فالأول ساقط من ذاته بسرور، هابط بتلقائية لذيذة غير مُتحفظة، أَعدَّ نفسه إلى قرارها وقرارها لاشيئية وموات ولا موجودية؛ والثاني مرتفع بذاته بطرق ملتوية أو مخفية وطامح في رفعة إرادية، أَعدَّ نفسه لها مهما تمادى في هبوطه المصطنع ومهما تهاوى عن مستواه الذي يتمسك بما هو أرفع منه.

التبكيت بالروح القدس هو استسلام لأقصى ما يُمكن أن يُصاب به الإنسان، ولا يُمكن أن يُصاب الإنسان في الدنيا بأكثر من الصليب. ولكن حتى إصابة الصليب على دربيْن: **الأول** صليب يسوع؛ وهو للأبرار الذين بلا لوم، وهو في شكله وموضوعه مجد، لأن يسوع تمجد بالصليب والآلام لأنها كانت له عن آخرين. **والثاني** صليب اللص اليمين؛ وهو لنا إن شئنا أن نعبُر اليوم إلى الفردوس، وهو في شكله وموضوعه ذلة وهوان شديد ولكن ليس كأنه فضيلة أو كأنه عن آخرين، ولكن نكاد نقول مع اللص إننا بحق قد جوزينا لا من أجل الخطيئة، فالخطيئة لا يرفعها جزاء مهما كان ثقيلاً، ولكن من أجل العبور لأن العبور إلى الملكوت بضيقات جمة، وإن كان مجاناً من جهة الإيمان.

والذي يعرف هذا عليه رحْمة الله، ولْترافقه النعمة والسلامة حتى يكمِّل طريق خلاصه بالآلام. والذي يتألم هكذا وعلى هذا القياس هو في رحْمة عظيمة، وعلى قدر شدة تألمه تشتد له التعزية إلى أن يبلغ الفرح وهو في صميم الألم. والفرح في الألم هو برهان الروح والقوة؛ هو انفجار نور النهار في ظلمة الدنيا وهو مُبدِّدها، حيث يبقى الألم في

الفرح كما يبقى الليل في النهار، لأن الليل موجود دائماً في النهار ولكنه مُتبدِّد القوة، مستعد دائماً أن يستعيد سلطانه وقوته إن انحسر عنه النهار.

إذا وقع الإنسان تحت تبكيت الروح القدس واستسلم لفعاليته المُحرِقة، فهو بالغ الاتضاع بالضرورة، ولكنه اتضاع حقيقي وليس كاتضاع الساعي وراء الفضيلة، لأنه اتضاع لا ينزع إلى رفعة ولا إلى تعويض بل هو فرح بالنزول بالنفس إلى ما لا نهاية. إذا انصاع الإنسان لتبكيت الروح القدس بلغ الطاعة في حقيقتها لا في صورتها المزيفة، لأن الاستسلام لتبكيت الروح القدس يبعث في النفس إحساساً صادقاً غاية الصدق ليس فيه أدنى شك أو ريبة أنه يقترب من النور بقدر ما يقترب من النار. والروح نار تحرق ثم تُنير، ويستحيل على الإنسان أن يُدرك معنى الطاعة ويُحققها إن لم يُحس إحساساً صادقاً غاية الصدق ليس فيه أدنى شك أو ريبة أنه يسير نحو الله.

فالطاعة ليست عصابة تُلطَّخ بها العينان ليسير بها الإنسان سير الأعمى خلف آخر، فيسقط راضياً فيما يسقط فيه الآخر، ويقوم مترضضاً بما يترضض به هذا الآخر. حاشا؛ فالطاعة استنارة جديدة تُضاف على استنارة الإنسان ليضمن سيراً حثيثاً آمناً أفضل مما يسيره هذا الآخر الذي يتبعه.

أما قرأتُم كيف طلب أليشع ضعفيْن من روح إيليا فأخذ (٢مل ٢: ٩)؟! فالطاعة طمع شديد في المزيد من الاستنارة لحساب الطريق والغاية، وليست اكتفاءً بالظلمة أو العَمَى والسير على العصا.

وأخيراً، إذا بلغنا إلى حقيقة الطاعة بلغنا إلى حقيقة الاتضاع، ومن الاثنين يتعزَّى الإنسان على أساس أن كل ما يصيبه في حياته هو لخير

حياته، وكلما تقبَّل الضيقة أدرك الطاعة، وكلما أدرك الطاعة بلغ الاتضاع، فينمو ولا يكون لنموه نهاية.

يستحيل أن يتقابل الناس تقابلاً حقيقياً يبلغ إلى معنى الوحدة إلا بقدر ما يتنازل الإنسان بنفسه أو عند نفسه!

لا يمكن أن نتقابل في أنفسنا ، يلزمنا أن نهجر ذواتنا. والهجرة عن الذات أشد عذاباً ولَوْعةً من هجرة الأوطان.

لابد أن نمارس الهجرة الذاتية حتى نتقابل في موضع آخر، ولا موضع آخر خارج الذات إلا الله.

إذاً الله هو الذات الحقيقية التي ينجمع فيها الإنسان فيستمد منها كل واحد ذاتاً جديدة بشبه الله. الله هو الأنا العظمى التي نتقابل فيها عندما نفقد أنانيتنا الكاذبة التي صنعها لنا العالم والشيطان. ليس لأولاد الله جميعاً إلا أنا واحدة.

نحن لن نجد راحتنا في أنفسنا. الله هو راحتنا الوحيدة، والله ليس غريباً عنا، فإن نجحنا في أن نهجر أنفسنا، فما ذلك إلا لأن الله يجذبنا، الله يجذبنا لأنه هو نفسه يستريح فينا. الله يستريح في قديسيه كما يستريح على الشاروبيم.

الإنسان هو كرسي الله على الأرض.

راحة الله وراحتنا شيء مشترك، لذلك هو يتضايق في كل ضيقتنا، لأنه يستريح في راحتنا. ولكن إن مِلْنا إلى راحة في غير الله، الله يضايقنا لأنه يُسَرُّ بأن يسحقنا بالحزن حتى نستريح راحة حقَّة لا راحة غاشة مُهلكة.

أنتم ارتضيتم أن تكونوا لله، فكونوا له ولا تكونوا لأنفسكم،

واحسبوا الموت غاية لأنه الباب المنفتح على الله. الموت آخر عدو لنا، لأنه يفصلنا عن الله.

الرب يسوع أبطله، فنحن سنجوزه بهدوء شديد إن كُنا نسير على الطريق، لأن الباب هو على الطريق، وحينما نعبره نجد الله. الموت حادثة، وهو آخر حوادث الزمان، لذلك هو فاقد سلطانه علينا مقدَّماً لأننا لسنا من هذا العالم ولا لهذا الزمان إن كان قد أشرق علينا نور الخلود ودخلنا في إحساس القيامة!

القبر لا ينغلق على الروح، نحن نترك الجسد عن طواعية ليعتمد في تراب القبر وظُلمته لمعمودية القيامة الثانية التي نفقد فيها جسم خطايا البشرية بكل أعضائه التي جرحتها الخطية ولمسها الشيطان، وهي معمودية الزمان أي أن الجديد لا يقوم طالما للزمان وجود، وحينما يقوم الجسد الجديد تنفتح حواسه للأبدية.

الذي يعيش الآن في إحساس المعمودية التي هي حقاً وبالحقيقة اعتماد لموت الرب ودفنه يستطيع أن يطرح جسده في القبر بسهولة عالماً أن القبر تكميل لفرحة القيامة وبهجة المعمودية.

أرواحنا ستكون ضمن المُشيِّعين لأجسادنا، والروح لا تبكي على الجسد، وإنما تستودعه القبر كما يستودع الفلاح بذرته في جوف الأرض.

أنا لا أتكلم من نفسي ولا أتكلم كلاماً، ولكني أروم أن أخُطَّ في قلوبكم الوعي بالقيامة. إن حياتكم مستترة في المسيح، وطالما المسيح حي فأنتم لن تموتوا. هو مات مرة واحدة عن الجميع حتى نبقى نحن أحياء فيه ولا نموت.

حياتنا ستظل مستمرة في يوم الفرح كيوم الألم وحتى يوم الممات لا يعتريها توقُّف قط. الجسد يدخل القبر والروح تعبُر من عليه لا ترى ظلمة البتة، لأن نورها المسيح، والمسيح يضئ في الظلمة والظلمة لا تدركه.

ليكن فيكم هذا الوعي المسيحي الجديد ولتضئ قلوبكم حقيقة القيامة، لأنه إذا قبلتم القيامة كفعل من أفعال الروح القدس الأصيلة للإنسان، فسوف تُشرق عليكم حياة المسيح فتتبدد عنكم جميع الأفكار والظنون النابعة من غرائز الجسد وانطباعات الدنيا، وتستهينوا بكل شيء، وتحسبوا كل شيء خسارة وتربحوا الروح القدس الذي يقودكم إلى ملء قامة المسيح في القداسة والحق.

وختاماً اقبلوا محبتي وسلامي في المسيح،

وكونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

حلوان في ٣ مايو ١٩٦١م.

الرسالة {١٠}

بين الفرح الروحي والسلام الداخلي

للآباء الرهبان في مغائر وادي الريان في ١٧ يونيو ١٩٦١م

إلى إخوتي المحبوبين في الرب المتغربين على وجه الأرض المضطهدين من أجل حق يسوع وإرضاء الضمير برجاء بلوغ السعي ولُقيا وجه الله بلا عائق أياً كان.

إخوتي المحبوبون الأعزاء بالرب

نعمة لكم وسلام من الله، ومحبة قلبي لأرواحكم التي تطوف حولي أينما سرتُ.

أتعشم أن تكونوا في ملء المسرة المنبعثة من إيمان محَّصته التجارب فتَزكَّي، وأن يكون سلامكم عميقاً يستطيع أن يدوم فوق العاصفة وفوق الأمواج كسلام المسيح لما عبر البحر إلى التلاميذ وهم في اضطراب وخوف وجذب شديد. نحن نذوق هذا السلام عينه، وما أعجبه! إنه لا يُوصف. ولكن لن يذوقه أحد قط إلا الذي أُهِّل أن يسير في العاصفة أو يحمل الصليب.

إن المفاضلة بين الفرح الروحي والسلام الداخلي أمر يكاد لا يدركه الإنسان العادي. ولكن في القياس المنهجي للسائرين على الطريق يقع الفرح في درجة صغرى بالنسبة للسلام الداخلي، فالفرح علامة القُربى، والسلام حقيقة الوصول.

الفرح حالة لابد أن تتبادل مع ما هو ضد الفرح حينما لا نكون قد بلغنا السلام. فإذا بلغنا السلام بلغنا الفرح الذي لا يُنْزع عنا إلى الأبد، لأنه يكون نابعاً من العُلا، لأن السلام علامة السُّكنى مع الله، والله فوق

متناول زعازع الدنيا واضطرابات الحياة فهو صخر الدهور.

نحن نسير، وسيْرُنا يكاد يكون قد بلغ الذروة، فنحن نقطع المراحل الأخيرة الضيِّقَة من الطريق وقد تزاحمت فيها كل أصناف المعوِّقات والمُفزعات، ولكن لولا القوة الروحية التي سكنت عقلنا وقلبنا وأنارت بصيرتنا الروحية بالمعرفة الإلهية لانْخلع قلبنا ولصِرْنا فريسة اليأس والذعر، ولابتلعنا أسدُ الشيطان.

ولكن ها نحن نحيا ونسير، وسيرنا يكاد يكون أثبت مما ابتدأنا، وخلاصنا أصبح حقيقة. أليس كذلك؟ وسلامنا لم يفارقنا، بل ها هو يزداد بنسبة التهديدات والضيقات. أليس ذلك عجباً؟! ولكن لا يظن أحد أن ما نحن فيه هو نتيجة لسعينا أو ثمرة لجُهدنا، فنحن أخذنا ولم نُعط، وإن كنا نعطي فمما أخذنا!! فلا أحد يفتخر بما فيه ولا يفتخر أحدَ بنا، والذي يريد أن يفتخر فليفتخر بذاك الذي يرحم ويتراءف ويرفع من المزبلة ويُجْلِس بين الأعزاء.

شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح.

شكراً لإلهي على الفرصة التي هيأها لى بالابتعاد عنكم قليلاً حتى يختلي كل واحد بنفسه فيقيس قامته ويتعرَّف على مقدار شركته الفردية الخصوصية بالرب مباشرة، ويدرك ما بلغه من العمق والطول والعرض والارتفاع في معرفة الرب مع القديسين، حاسباً بمفرده حساب نفقة الحياة مع الصليب ضد العالم. حينئذ يزداد الجُهد وتزداد الغيرة للحصول على حق الدخول الفردي لدى الله.

وبذلك إذا عُدتُ إليكم (سريعاً) أجدكم كما تشتهي نفسي فأرتاح.

حلوان في ١٧ يونيو ١٩٦١م

الرسالة {١١}

بخصوص مكان جديد

وصلت وادى الريان في ٢ أغسطس ١٩٦١م

إخوتي الأعزاء بالرب والمحبوبون من الله والناس

نعمة وبركة وسلام من الله لأرواحكم. أتعشم أن تكونوا جميعاً سائرين. كنتُ عازماً على الحضور هذه المرة لولا انفتاح باب لنا يُهيئ أمامنا طريق العبادة بصورة أكثر استقراراً وأقل تكلفة على الذين يقومون بإعالتنا.

ثلاثة شهور قضيتها في البحث عن مكان مناسب، قطعتُ مئات كثيرة من الأميال، سرتُ في طريق مرسى مطروح حتى العلمين، بحثتُ في الواحة الخارجة والواحة الداخلة والوادى الجديد، اتصلتُ بأشخاص رسْميين وبحثنا على الخرائط وادي قنا ووادي جندالي (جنوب السويس)، واتصلتُ بخبير في الواحات والصحاري وبخبير في مياه مصر الباطنية وبخبير زراعي في حكومة ليبيا، والكل لم يفيدوني بشيء، إذ أن كل المناطق تقريباً خالية من المياه العذبة. وصممتُ على العودة إلى وادي الريان وأنا كسير القلب، لأني أحْمل هماً كبيراً بسبب:

(١) صعوبة تموينا وكثرة تكاليفه وعدم وجود مال، و(...) يستدين والأخ (...) صرف كل أمواله حتى آخر قرش.

(٢) عدم إمكان زراعة ما يلزمنا محلياً في وادى الريان بسبب عدم صلاحية المياه مما يضطرنا للاعتماد على قافلة شهرياً على الأقل وهي تُكلف ٣٠ جنيهاً كل مرة.

(٣) عدم صلاحية المياه بوادي الريان لأمعائي بصورة قاطعة وخطرة لأن علاجى لا يزال متعثراً، وأخبرنى الطبيب أنه يلزمنى سنتان كاملتان برِجيم (نظام غذائي) دقيق وأدوية بدون انقطاع لعودة الأمعاء على القدرة على هضم الخضروات والفاكهة لأنها ممنوعة حالياً.

وأخيراً حددتُ أسبوعاً أمام الله ينتهي يوم الجمعة الماضى معطياً فرصة للملاك ميخائيل أن يعمل شيئاً لنا، وانتهي الأسبوع بلا علامة حتى يوم الجُمعة. وفي آخر لحظة انفتح لى بابٌ لم يكن في الحسبان إطلاقاً، إذ جاءنى (...) وأخبرني بأنه يُوجد مكان بقرب بلدهم يصلح للسُكنى على النيل، فقمتُ معه وقابلتُ أحد الأعراب صدفة، فأخبرني بوجود وادي بالقرب من الصف يُسمى وادي الصف به عين ماء عذب. قُمنا بالسيارة الجيب وعاينتُ المكان ووجود المياه على بعد حوالي مترين من سطح الأرض وهي عذبة وجميلة جداً. والوادي به جبال كثيرة ويصلح للسُكنى والوحدة، وهو يبعد عن الريف حوالي ٢٠ كيلومتراً، والطريق إلى الوادي مُمهد بالجبل ويُمكن لأي سيارة أن تسير فيه، فشكرتُ الله.

ونظراً لتعبي وجدتُ أنه يلزمني أحدكم لمعاونتي في اكتشاف المنطقة أكثر لإعطاء رأي أخير وقاطع. لذلك أتوسل إليكم أن تُقيموا صلاة بثقة ولجاجة أمام إلهنا الصالح أن يُوفقني، وترسلوا لى أحدكم وليكن أبونا الحبيب القس مينا، لجسِّ الجبال والمياه في مناطق الوادي لاختيار مكان مناسب وتأجير بعض العمال الحجَّارة (من المعصرة) لحفر مغائر أو بناء قلالي حسب ما يأمر إلهنا، على أن نرُد عليكم في ظرف عشرة أيام بالنتيجة التي سنصل إليها أنا وأبونا مينا. ولكن على أي حال أرسلوا الأدوات الحديد كلها: إزم، عتل... كذلك يُمكن إرسال الكتب لتخفيف الأحْمال القادمة (ولتكن كتبي كلها).

كان وجودي في القاهرة هذه المُدة بتدبير إلهي يصعب أن أقص حكايته في هذا الخطاب، وعندما أراكم أتكلم إليكم كثيراً جداً، لأحيطكم علْماً برحْمة إلهنا وكيف يستخدم ضعفنا لتكميل مقاصده العظيمة للكنيسة والإخوة والتاريخ.

حاضر طرفكم الدكتور (...)، وهو شُعلة مقدسة مُختطَفَة من النار. اقبلوه بفرح وعزُّوا قلبه بالحب الذي فيكم.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٢}

كلمات للتعزية

١٢ أغسطس ١٩٦١م

إخوتي الأعزاء بالرب

نعمة وبركة وسلام من الله لأرواحكم جميعاً.

أتعشم أن تكونوا قائمين في الحق غير متأثرين بالأخبار التي تأتيكم من حين إلى حين، لأن الذين هم في حق المسيح فأولئك في سلام يفوق العقل، أو بمعنى أوضح لا يزعْزَع سلامُهم لأنه فوق قياسات العقل والمنطق، حتى ولو كانت أسباب القلق ومسببات عدم السلام شديدة وضاغطة، لأنه كما سيبيد الرب قوة الشيطان بكلمة فيه كذلك سيبدد الرب كل طرقه وحيله ومكره، لتنطلق أرواحنا في تسبيح لا يُعطله شيء ونكون شهوداً لمواعيده الصادقة، آمين.

أرجو أن تعتبروا وجودنا في الريان قائماً كما هو إلى اللحظة التي نركب فيها السيارة جميعاً لننطلق إلى المكان الذي يُعيِّنه الرب، وإلى الآن لم يتحدد شيء. وأكثر من ذلك أود أن تعلموا أن موقفنا من جهة الكنيسة رسْمياً لم يتغير، فنحن معتبرون بدرجاتنا الكهنوتية والرهبانية، لأن الكنيسة لم تجرؤ حتى الآن أن تأخذ خطوة واحدة رسْمية يمكن أن نأخذها عليها أو تأخذها علينا، فكل ما عملوه حتى الآن تنازلوا عنه بصور مُختلفة، وإذا واجههم المسؤولون من الشعب يتملصون ويتقهقرون. ولكن طبعاً نحن لا نريد أن نكتسب من ضعفهم قوة، ولا نريد أن نعتبر أنفسنا كهنة ولا رهباناً، فنحن لا شيء ونسعى لنكون لاشيء، واليوم الذي تُحدد فيه الكنيسة أننا لاشيء أو أننا منبوذون

ومطرودون وأدنياء وقذر كل شيء، في ذلك اليوم تكمل رهبانيتنا ويكمل موتنا عن الدنيا.

المطلوب من محبتكم أن تفتدوا الوقت لأن الأيام شريرة، حوِّلوا ساعاتكم وأيامكم إلى رفع قلب دائم؛ رفع قلب بسيط بدون جهد العقل.

اُشكروا الرب لأنه صالح بالحق، ورحْمته كل صباح وإلى جيل الأجيال. اُشكروه لأنه أهَّلكم لتكونوا قديسين أمامه بلا لوم في المحبة، والقديسون هم الذين أُعطوا أن يُقدِّسوا اسم الله في حياتهم بالحب، وعلامتهم سَكْب الحياة تحت أقدام المسيح بلا ندامة.

أنتم الذين أعطاكم المسيح سلطاناً أن تصيروا أولاد الله على أساس أن تعتبروا أنكم لستم مربوطين برباط الدم ولا بالمشيئة الجسدية ولا بالمشيئة الإنسانية، أو بعبارة أخرى أن تكونوا أبناء الله وليس آخر، وابن الله لابد أن يشبه الله في كل شيء.

والمسيح أعطانا كل أسرار البنوَّة، فإن كُنا أبناء الله بأُخُوَّة المسيح، فنحن بشبه الله نحيا ويستحيل أن تصيبنا الشرور، فكما أن الشر لا يصيب الله فهو لا يصيب أولاد الله، كما يقول سليمان الحكيم: «الصدِّيق لا تصيبه الشرور». لأن الشر شرٌّ هو قبل أن يصيب الصدِّيق، فإذا التحم الشر بأولاد الله خسر الشر سلطانه وفقد اسْمه وانْعدم تأثيره المُفسد وانقلب وصار خيْراً.

افرحوا لأنه لن تصيبكم شرور الدنيا لأنكم خرجتم من الدنيا. والعلامة أن الدنيا تضطهدكم، لأنها لا تحتمل أن يبقى شرُّها عاطلاً عن أن يُزعزع نفوسكم.

افرحوا لأن إكليلكم صار منظوراً بقدر ما صار منظركم هكذا مفسداً واسْمكم مُحتقراً.

يا ليت الرب يكشف عن عيونكم لتنظروا أن النهاية اقتربت، وبصبْركم قد اقتنيتم أنفسكم، وبوداعتكم شابهتم المصلوب، وبشكركم غلبتم الصالبين.

أنا أفرح معكم وفرحي يزداد بنصرتكم، وما كنتُ أظن أبداً أنكم أنتم الضعاف المساكين، هكذا تغلبون العالم ورئيس هذا العالم وتقفون في صفوف المفديين في انتظار الذبْح أو ما هو أشد من الذبْح من أجل حب يسوع المسيح.

كونوا دائماً معافين باسم الثالوث الأقدس.

حلوان في ١٢ أغسطس ١٩٦١م

الرسالة {١٣}

وعد الله باختيارنا

من برج العرب إلى حلوان

الأب العزيز بالرب (...)

أهدى محبتك سلاماً قبلناه من الرب وشركة واحدة في الروح متعشماً أن تكون مع الأب (...) في دوام الصلاة من أجل كل أمورنا ليهدي الرب أمامنا طريق الحياة عالمين أن بالإيمان ننال المواعيد، فليس إيمان بدون وعد ولا وعد بدون إيمان، غير أن الإيمان يجعل وعد الله قائماً بالفعل، بل يجعل مقدار الفرح والعزاء بالمواعيد مساوياً تماماً لتحقيق هذه المواعيد بسبب أمانة الله القادر أن يتمم كل وعد نطق به فمه بدون استثناء. حتى ولو تأخر فهو لابد أن يتحقق، فالله ضامن لكلمته ساهر عليها يُحييها وسط السنين.

وَعْد الله من جهتنا أنه اختارنا في ابنه يسوع المسيح، وقد تمت علامات الاختيار بقبولنا الرب يسوع المسيح حبيباً شخصياً وعريساً لنفوسنا، وقد تثبَّت الحب بحفظنا وصاياه، ولم نحب أنفسنا حتى الموت مفضِّلين بالحري أن نُذلَّ مع مُختاريه من أن نتمتع بسلام وقتي كشبه الخطية. ولو أن الوصية واسعة ونحن عاجزون عن أن نكمل مطاليبها، ولكن نحن قَبِلْنا روح الوصية وخضعنا لسلطان صاحبها بالحب وتسليم القلب في ضعف وعجز شديديْن يكملهما الرب بشدة قوته.

وَعْد الله أنه أحبنا أولاً، ونحن في أحلك فترات حياة الخطية والبُعد عنه حنَّت أحشاؤه، لأنه أمين للمحبة ذاتها ولا يستطيع أن يُغلق أحشاءه عن مُحتاج يصرخ إليه في ضعف، هو أكمل حبه لـمَّا دعانا إلى شركة

قديسيه لنسلك طريقاً ما عرفناه سابقاً ولا خطر لنا على بال، ولكن لكي يتزكّي أمام عروش وسيادات وأرباب وملائكة دعانا إلى المجد بالفضيلة لنكمل برَّ الطريق ونحن متجرِّدين من كل برٍّ ومن كل فضيلة، ولكن الذي يدعو هو الذي يُبرر؛ والذي يُبرر هو الذي يكمل كل فضيلة، فلم نعُد نحتاج إلى شيء بعد أن قَبِلناه، ولم نعُد نخسر شيئاً لأنه هو ضامن لكل مسوغات الدخول.

كل صاحب دعوة له شروط يشترطها على مدعويه، وسرُّ الرب عجيب، فهو يشترط شروطاً دقيقة حسب قيمة الدعوة العليا ولكنه يكملها سراً لمدعويه.

وَعْد الله أن يؤسس فينا مسكناً لراحته لأننا بالحقيقة خيمة صنعتها يداه نضح عليها رئيس كهنتنا بدمه، فاغتسلت بل تبررت بل تقدست فصارت لائقة أن تكون مسكناً للعلي القدير. نحن نرى أنفسنا غير لائقين بسبب مجد الله الفائق، ولكن لما وعد الله أن يأتي عندنا ويصنع فينا مسكناً ليتعشى عشاء الحب هو وابنه، لم يسبق أن يطلب إلا حبنا وها قلبنا لَيفيض حباً، أما عيوبنا فيستُرها الحب لأن الحب يستُر كثْرة من الخطايا.

وَعْدُ الله أن الذي يأتي إليه باسم ابنه يدخل حالاً ولا يمكن أن يُرفض أو يُطرح خارجاً، لأنه بالقديم لما أراد موسى أن يواجه الرب الإله مواجهة اضطر الله أن يمُر بجوده فقط أمامه، فازداد موسى قُرباً ودخولاً إلى الله. أما بالجديد فالله يواجهنا على الباب بحبه، والحب يجذب جذباً، ويعانق ويحتضن ويرفع الكُلفة. آه، هنا السرور الذي لا يُحدُّ، هنا الياء، لأن بعدها لا يعي الإنسان نفسه.

وَعْدُ الله أن يعطينا ملكوته فنكون وارثين مع ابن محبته إن كُنا اشتركنا حقاً معه في تجاربه وجُزنا معه أسرار التجديد. أما التجارب فقد خُضنا فيها تارة برفق بإشفاق شديد من الرب على ضعفنا، ولما يبس عودنا الرطب قليلاً جُزنا التجارب كسيْلٍ وكأن لا نهاية له، وانحنت ظهورنا للضرب وأطالوا. أما أسرار التجديد فنحن لا نلحظ إلا أننا نتغير عن شكلنا، وها ذهننا لا يُسر إلا بسر الله.

وما لنا والعلامات؟ نحن نحس والروح يشهد لأرواحنا أننا أبناء وورثة، وليلومنا أو يعزلنا أو يحكم على كلامنا أيٌّ منْ يشاء، فدينونة الناس رجس عند الله.

بالإيمان نحن قبلنا هذه المواعيد كلها وأمانة الله جعلت مواعيده عندنا قائمة، فبالإيمان نرى ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر. وما أعده الله لنا ليس عنا ببعيد، فأمانة الله تجعل الوعد وتحقيقه شيئاً واحداً.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٤}

كلمات تشجيع وتعزية

من حلوان في أول سبتمبر ١٩٦٢م

الآباء الأعزاء بالرب

نعمة وبركة وسلام من الله الذي دعانا إلى شركة محبته وسُرَّ أن يكون لنا أباً في ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح، الكثير الحب نحو جنسنا، والحامل لآلام طبيعتنا وخطايانا عنا، هو يرعانا بالحب في غربتنا ويقود خطواتنا حتى النهاية. له نسجد خاضعين بالتسليم القلبي لمشورة تدبيره، لأنه بحكمة جزيلة يُحوِّل مجرى الأمور لتستقيم صاعدةً بأرواحنا إلى فوق ويُخضع لنا الزمن ليتحول بالصلاة إلى عِشْرة خلود في شركة طبيعته المملوءة مسرة وسلاماً يفوق العقل.

إن الخطوات التي خُضناها في صبْر عبْر العالم الحاضر هي الآن ليست قليلة ولا تافهة ولا كأنها بلا معنى، بل تُشكِّل منهجَ جهادٍ خاص يتناسب وروح الشر.

لذلك تشجعوا ها حبيبكم آت ليجمعكم في حضنه ويمسح عنكم كل جراحات الطريق. خطوات قليلة باقية، عليها طابع أقدام الرب في جثسيماني، سوف نعبُرها لنبلغ النهاية حيث نواجه الحقيقة الغامضة ونعرف سر الطريق، ونكشف أسرار الحروب التي خُضناها برحْمة قائد خلاصنا، وحينئذ يمتلئ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً وننسى مآسي الزمان الحاضر. وفي سيرنا لا نكفُّ عن الدعاء من أجل الكنيسة.

ونحن ننتظر خلاص إلهنا يوم يفدي أجسادنا بالقيامة. لا نريد معه شيئاً على الأرض، يكفينا الأمل والرجاء أننا غير منسيين عنده حتى لو

نسيتنا أمهاتنا وأهْملَنا العالم ونسينا نحن أنفسنا. يوماً بيوم نتطلع نحـــوه لتعبر أرواحنا إليه على سلم يعقوب السري، وفجأةً وعلى درجـــة مـــن درجاته الكثيرة سوف نتقابل معه ليأخذنا عنده إلى الأبد.

سبِّحوه كل يوم وزيدوه سُبْحاً، لأنه مستحق وعادل أن يأخذ الكرامة من أفواهكم كل حين. لا تطلبوا شيئاً لأنه لم يَدَعْنا مُعوَزين شيئاً قط من كرامة مجده.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٥}

إنه لن يتخلّى عنا

من برج العرب إلى الريان في ديسمبر ١٩٦٢م

إخوتي الأعزاء بالرب

سلام لأرواحكم جميعاً، والنعمة والبركة لكم من الرب الإله القادر على كل شيء.

أتعشم في وجه حبيبنا ونصيب نفوسنا يسوع المسيح الأمين في محبته لنا ولأبيه أن تكونوا مُتَّشحين بالإيمان وبمواعيد الله الصادقة، عالمين أن الذي وعد أتقياءه منذ الدهر بالمعونة والتعزية والتقوية والصفح عن الزلات السابقة بمقتضى رحْمته الشديدة الفائقة لحدود المعقول هو هو اليوم أيضاً قريب لنفوسنا يطلب إيماننا ليَهَبنا مواعيده حسب اشتياق حبه لنا وبمقتضى أمانته الشديدة لكلمته.

نعم لو كان الله تخلى عن كثيرين، فهو لن يتخلى عنا لأننا تركنا كل شيء وسعينا وراءه نطلبه ومن كل قلوبنا نُحبه. بل ولو كان الله قد تخلى عنا كثيراً حسب الظاهر فهو معنا، وهو معنا بالحقيقة يكمل خطته بنا ويقيس أمانتنا في شقائنا ليُقرر في الزمان المُعيَّن نصيبنا عنده ويفتخر بآلامنا التي جُزناها إن كُنا لا نكلُّ، ولكن أومن أنه معنا؛ أومن أنه يُحبنا؛ أومن أن في يمينه إكليل المُجازاة، وإيماني أسستُه على أمانته وعلى وعده وعلى كلمته.

إني أقدم معكم تشكراتي للذي قادنا في أحلك المواقف ظلمة؛ وعزَّى قلوبنا سراً بروح الثقة والإيمان بمواعيده وبشخصه؛ وتخطَّى بعقولنا

المنظور وكل ما يُرى، بل أنسانا الواقع المؤلم وضيَّع من إحساسنا أية استجابة شريرة أو روح مقاومة، وجعلنا نعبُر المخاطر غير مُهتمين البتة بما يُمكن أن يحدث في حدود الزمان والمكان، فسرنا في الظلمة بهدوء بلا انزعاج ببساطة قلب كمنْ يسير في نور النهار، فكُنا بالحق أبناء نور لأن النور لم يفارقنا بل كان معنا وفي داخلنا.

وإن كان كلٌّ منا لا يزال يُجاهد حروبه الخاصة، فليس معناه أنه يوجد فينا أحد مُتخلِّفاً، حاشا للذى دعانا بنعمته أن يتركنا ناقصين من موهبته كأن بأعمالنا يكون لنا خلاص، بل هي حروب الخلاص عينها التي تجرَّب بها آباؤنا جميعاً، لأنه بدون حرب وعراك وجُهد وألم وجروح لا يخلُص أحد. فلْيحتمل كلٌّ منا نوع حروبه، لأنه كما سُرَّ الله أن تكون مواهبه متعددة متنوعة هكذا بالضرورة صارت الحروب أيضاً ومقاومات العدو متشكلة ومتنوعة. ولكن أود من أعماق روحي أن لا يمل أحدٌ منكم أو يستثقل حروبه مهما كانت متواترة أو ثقيلة أو مؤلمة، لأن الوعد هو هكذا: إن شدة ضيقتنا الحاضرة هي تنشيء من نفسها ثقل مجد أبدى للدرجة التي لا يُمكن أن تُقاس بها شدة الضيقة أمام شدة المجد، لذلك قيل: «إن خفة ضيقتنا». فاعتبروا الوعد وصدِّقوا الكلمة أن ضيقتكم خفيفة إن كنتم ناظرين بالإيمان إلى ما لا يُرى.

إن مُجاذبات العدو خادعة، وأشد ما فيها من خدعة هي أنها تظهر كأن الإنسان هو الذي يُفكر في الشر أو يطلبه أو يتلذذ به. حاشا، يعلم الله، أنَّى للإنسان الذي ذاق نعمة ربنا يسوع المسيح ورَسَمَه مصلوباً في قلبه وباع الدنيا أن يشتهي الشر، ولكن هو عدو الخير عدو الخلاص الذي يجول عقلياً ويزأر بالشهوة ليُخيف النفس ويُضعفها حتى تشعر أنها ساقطة أمامه فيبتلعها بمكره. اسهروا واعلموا أنكم أنقياء من أجل كلمة

الإنجيل التي سكنت قلوبكم بغنى، افرحوا واعلموا أنكم اغتسلتم بل تبررتُم بل تقدستم بدم ذاك الذي أحببتموه وأنكم باسْمه منتصرون وأخذتُم ختم الخلاص وعربون الروح. أما هذه المُجاذبات الفكرية الشيطانية أو هذه الأوجاع التي يُرهق بها العدو حياتنا فهي سمات الرب يسوع؛ هي آلام الختم؛ هي ثمن الفرح يُدفع مقدماً.

يرانا الناس من الخارج والله يرانا من الداخل، وفارق عظيم بيْن رؤية الناس ورؤية الله. يرانا الناس في منظر معيب غاية العيْب، يروننا عنيدين غير موقرِّين لإرادة الرؤساء، غير مُتجاوبين مع مطالب العالم الحاضر، فاقدين للمرونة الواجبة في ملاقاة الوجوه والتوفيق بين المتضادات المعتبرة أفخر أنواع الحكمة عند أهل العالم الحاضر، نعم نحن هكذا ونفتخر بأننا سنظل هكذا، لأن الكتاب يُعلمنا أن الاعتماد على الرب خيْرٌ من الاعتماد على الرؤساء، وأيضاً أن لا نتكل على الرؤساء الذين ليس عندهم خلاص الذين يموتون فيعودون إلى ترابهم وتهلك معهم كافة أفكارهم، بل نتكل على الخالق الذي يحفظ العهد إلى الدهر. نحن لا نُوفق بين إرادة الرؤساء وإرادة الله، بل نرفض كل إرادة لا تتمشى مع المحبة والفداء والتواضع الذي تعلمناه من المسيح كرئيس إيماننا ورأس الكنيسة كلها.

نحن اخترنا بالحرى أن نُذلَّ مع الذين هم خارج السياجات ونُرضي قلب الله بالفقر والتجرد والإيمان أفضل من أن نعيش مقربين إلى الرؤساء بالمداهنة والرياء والمُجاملة والخوف.

إن أفخر (قَسَم) سمعتُه في حياتي وأحببتُه جداً ولو إني لا ألفظه بسبب الوصية التي تقول «لا تحلفوا البتة» هو: ''وحياة منْ صُلب باختياره''. جميل جداً أن نشعر بأن السيد القدوس صُلب باختياره، وهكذا يتراءى

لى أن أجْمل عمل قمنا به في حياتنا أننا صُلبنا (تقريباً) باختيارنا، ولكن بالحرية التي قبلنا بها الآلام والمهانة سوف نكتشف بها أنها هي هي أيضاً طريق القيامة والفرح والحب في المسيح، ونعبُر هذا العالم؛ أحراراً من كل إنسان ومن كل شيء؛ عبيداً حقيقيين لله الحي.

إن أعجب ما رأته عيناي وسمعته أذناي من جهة ضلالات الطريق في هذه الأيام هو سهولة تحول الناس من الطريق الضيق إلى الطريق الواسع دون حرج أو خجل أو تأنيب ضمير، وتم القول: «ولو أمكن لضلَّ المُختارون أيضاً»!! ألم يختَرْ الرب يهوذا الإسخريوطى مع الباقين، ولكنه وقع في الغواية وانحاز لرؤساء الكهنة هروباً من الصليب الذي وعد به الرب لأتباعه؟! إن الأتقياء في هذه الأيام يهربون من شوك الطريق الضيق ويرتعبون من فكرة الاضطهاد والألم، مع أن هذا الشوك وهذه الآلام صارت عندنا بالاختيار سبب عزاء ولذة.

ولكن، يا إخوة، معلوم جيداً أن الذي يختار المسيح يخسر كل شيء، وأول خسارة هي خسارة مديح الناس وتكريم الرؤساء والتأهيل للوظائف المُحترمة. إن كانوا لقبوا المسيح بالضلالة وإفساد الشعب وأنه خاطئ وبه شيطان، فهل يُمكن أن يحترموا أتباعه ويكرموا تلاميذه ويختاروا أولاده؟ ألا يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه؟! إذاً، فكما المسيح يكون مريدوه، وهذه علامة.

ولكن أعود فأقول لكم إن الذي يتصرف حسب الواقع المنظور، حسب ما يرى، هذا يحيد عن الطريق بسهولة ويدخل في ضلالة العالم الكبرى ولا يمكن أن يبلغ الحياة الحقيقية مع المسيح. إذاً، لابد أن نؤمن أولاً بغير المنظور؛ أن نثق فيما لا يُرى، فنسير على عكس كل الواقع وضد كل ما يراه العالم لنبلغ إرادة الله. ويلزم أن نربط الإيمان بالوعد

ونثق أن الذي وعد به هو يُتممه أيضاً مهما كان الواقع مُخالفاً!

الرب يبارك اجتماعكم. اُذكروني دائماً حتى أجيء. تأخيري هو لراحتكم. الرب عمل معنا عملاً عظيماً. اُشكروه إلى الأبد.

كونوا معافين. حاضر سريعاً.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٦}

فضل المسيح، ومنفعة النسك

حلوان في ١٢ يوليو ١٩٦٣م

الآباء المحبوبون الأعزاء بالرب

بركة ونعمة وسلام من الله لجميعكم.

أتعشم أن تكونوا متعزِّين بالرب؛ متشددين بقوة الإيمان القادر أن يحفظكم لرجاء استحقاق كل مواهب الروح؛ ثابتين وراسخين تجاه كل تجربة؛ عالمين أن النصرة من الرب والغلبة هي بدم إلهنا. كما أرجو أن تكون تعاليم الكتاب المقدس سبب تجديد لأذهانكم دائماً. ولا تكتفوا بما عندكم مما حصَّلتموه سابقاً، بل ليكن قول المغبوط بولس نبْراساً يضئ أمامكم إذ يقول إنه ينسى ما هو وراء ويُمدد ذاته إلى قدام حتى يبلغ إلى قيامة حقيقية مع الرب، غير ظانٍّ أبداً أنه قد نال ما يريد أو صار كاملاً، بل يكتفي فقط بالسعي المتواصل.

ثم اعلموا أيُها الأحباء أن الرب تبارك اسمه لم يترك لنا شيئاً من التعاليم أو الأعمال أعظم من شخصه، فشخص المسيح الفادي هو علْمنا؛ هو معرفتنا؛ هو عملنا؛ هو إيماننا؛ هو رجاؤنا؛ هو حبنا؛ هو حياتنا. وشخص الرب متواضع وديع لطيف، قريب جداً من القلوب التي تسعى إليه في إخلاص وفي إصرار. وأيضاً فلنقل مع الرسول بولس: نحن لسنا نريد أن نعرف شيئاً في الدنيا إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً؛ وأن يكون إيماننا لا بحكمة كلام وبرهان وإقناع العقل، بل بقوة سرية روحية مستمدة من شخصه مباشرة فيها قوة موته وقيامته وحياته ومحبته. ولا ترتبكوا أيُّها الإخوة من جهة ضعف الجسد، لأن الرب عالمٌ ذلك وهو

يُشفق جداً طالما الروح نشيط وساهر في يقظة الرؤيا المستمرة بحضرة إلهنا، متعلمين من بولس الرسول كيف كان **بالإيمان** يثق أنه قد **بلغ** كمال كل عطية **وجاز فعلاً** كل نُصرة كاملة بالروح على الجسد، وأنه **عَبَر صلب الإنسان العتيق وأبطل جسد الخطية**، وساد على روح وناموس الخطية والموت، وأنه قام قيامة حقيقية كاملة مع الرب، وأنه **نال** الجلوس مع المسيح عن يمين الآب في السماويات، مع أنه في ذات الوقت كان يئن متوقعاً التبني فداء الجسد؛ ويشتهي أن يُنقَذ من جسد الموت؛ ويجتهد بأصوام وأسهار وصلوات أن يَقمع جسده ويستعبده. وهكذا يُعلِّمنا هذا المغبوط أننا بالإيمان ننال المواهب بالنعمة **مجاناً**؛ وبالأعمال ندفع شيئاً من الديون المتراكمة. بالنعمة نبلغ كمال العطية؛ وبالنسك وقمع الجسد نضبط مغانم الروح لئلا تفلت منا. ببرِّ إلهنا ننال الصفح عن الخطايا والزلات؛ وبإمهال الله وبدموع عيوننا وقرع صدورنا نُحفظ حتى لا نقع في تجربة.

بالدم والروح والماء نتقدس، وبعرق التقوى ونشفان الريق وصلب الجسد بالوقوف وبسط اليدين والتذلل في التراب، تنحفظ أعضاؤنا على الأرض لتصير آلات بر وينحجز غضب الله عنا.

إذاً، ما هو فضل النسك والعمل؟ كثير على كل وجه، لأنه كالكلب الحارس للجواهر الثمينة، فالكلب في ذاته حقير ولكن به تنحفظ جواهر الروح التي لا يساويها شيء على وجه الأرض، وبدونه نخسر العطية ولا نستطيع أن نحفظ الوديعة. واللصوص الجبابرة العتاة يرهبونه وكل سطوهم تنحل وتهرب أمام نباحه.

ولكن إذا لم تُوجد العطية وإذا لم نجمع في مخازن حياتنا بركات الإيمان وجواهر الروح وهبات النعمة المجانية، ماذا يكون نفع النسك؟

وماذا تكون قيمة الأعمال؟ أقول لكم يكون نفعها وقيمتها مثل رجل فقير مدقع لا يملك من حطام الدنيا شيئاً ويبيت في العراء ولا يملك لقمة عيْش ولا خلقة (خرقة) يستُر بها عورته ويشتهي أن يربي عدة كلاب ثمينة من أصناف فاخرة.

أيُها الأحباء، اجْمعوا حنطة فاضلة واملأوا مخازنكم من حقل الإنجيل؛ واعلموا جيداً أن فضل المسيح هو في غناه، والذي لا يغتني بفضل المسيح لا تنفعه عبادة ولا نسك ولا عمل ولا خدمة. اغتنوا بأفضال المسيح تنعموا ببر إلهنا، وامتلئوا من الروح. اشبعوا بالإيمان. افتحوا قلوبكم لتنسكب فيها المحبة المتدفقة من الروح المُرسَل لكم، ثم اجتهدوا أن تحفظوا كل هذا بكل عمل وبكل جهد بدموع؛ بصلاة؛ بصوم كثير؛ بسهر إلى أن يأتي الرب.

ختاماً، اقبلوا محبتي. يسلم عليكم الأب ديونيسيوس مع كل الإخوة.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٧}

بين المحبة العالية والمحبة البشرية

٢٢ أغسطس ١٩٦٣م

إخوتي الآباء المحبوبون الأعزاء بالرب

النعمة والبركة والسلام من الله لأرواحكم جميعاً.

أتعشم أن تكونوا في ملء التعزية التي من أجلها نحن نجاهد طالبين دوامها، إذ ليس لنا شيء آخر نطلبه في زمان غربتنا إلا اقتناء عشْرة صادقة مع الرب وعزاء بالروح، عالمين ومتيقنين أن هذه العشْرة وَهذا العزاء لا يُمكن اقتناؤهُما مع فسحة العيش وراحة الجسدَ وانبساط النفس، وإنما بضيقات كثيرة وعوز وغربة مع أمراض واضطهادات، ومُحال أن نحفظ سلام العالم مع سلام المسيح ولا أن نُرضي الناس ونُرضي المسيح، غير أن المحبة تسود وتستطيع أن تذلل كل طبع وتُخضع كل فكر إلى طاعة الحق.

والذي تضبطه المحبة العالية يرتفع فوق العالم باضطراباته وقلقه، ويسود على كل معثرة يلقيها الشيطان، ويجذب إليه قلوب الأعداء، ويخترق ظلمة هذا الدهر كسهم من نور لا يدركه الظلام، ويعبُر إلى المنازل المُعدَّة حيث النور الدائم وعيد الأبدية الذي لا تشوبه حركة مضادة ولا فكر سلبي ولا جذب جسدي ولا ألم من أي نوع!

ولكن المحبة العالية منزل إلهي وحضرة مقدسة، وهي صورة للملكوت الآتي والذي تضبطه تذيقه من طعام الخلود؛ وتأسر قلبه ليحيا هناك كثيراً، فيشتهي ويئن لو يخلع هذه الخيمة الأرضية سريعاً.

هذه المحبة العالية لا تأتمن نفسها إلا للقلوب التي رفضت لذة الدنيا

ومجدها وانفتحت للحق، ثم انعصرت في اختبارات شديدة لتزكية نيتها سراً وجهراً. لذلك فبقدر ما أن المحبة العالية جليلة القدر؛ هكذا ثمنها يكون، ولهذا أيضاً فالذي اقتنى المحبة العالية اقتنى الملكوت.

والمحبة العالية هي بشبه الله تَضبط ولا تُضبط. نحن لا نملك إلا أن نجري خلفها، وبقدر التهابنا تحتضننا؛ وبمقدار توسلنا تشفق على ضعفنا، ولكنها تنفر من القلب الذي فيه رائحة بغضة؛ وتهجر الإنسان الذي يتحرك ضميره بالغضب؛ بغضة من أي نوع وغضب لأي سبب. وهي لا تقبل الأعذار ولا تذعن للتعليل، فهي تقول لك إن كنت تلوثت بالبغضة من أي نوع ولأي سبب، فاتركني إلى أن تتطهر، وحينما تطهُر تماماً، اُطلبني تجدني.

توجد أنواع محبات كثيرة كلها من صنع الإنسان وكلها مُزيف كالآلهة الكثيرة، وليس إلا إله واحد. المحبة العالية هي 'المحبة' وهي صفة الله الأولى، وعلامتها في القلب أن يصير القلب غير قادر على البغضة مهما استفزه الإنسان ومهما ألقى الشيطان أمامه من معثرة، فالقلب الذي سكنته المحبة العالية **لا يستطيع أن يبغض ولا يشاء البغضة أبداً**، لأنه بمشيئة المحبة يعيش.

لا يُمكن التمرين على 'المحبة'، كما لا يُمكن أن يتدرب الإنسان على رؤية الله أو اقتناء الروح القدس!! كل محبة تتولد من التمرين وتنشأ بالتدريب هي شبه المحبة، وهي ليست المحبة العالية الإلهية، ولكنها صورتُها البشرية المزيفة.

علامة المحبة البشرية المزيفة أن القلب **يستطيع أن يُحب ويبغض**، وهي قائمة ومذعنة، توافق على المحبة، وتوافق على البغضة.

أن يندم الإنسان على أية بغضة تتحرك في قلبه في أية لحظة ولأي

سبب، فهو إنما يُمهد قلبه للمحبة العالية. أن يرجع الإنسان عن الغضب ويلوم نفسه ويذلل طبعه، فهو يُهيئ قلبه لسُكنى المحبة الإلهية. ولكن يستحيل أن يكُف الإنسان عن البغضة أو يهجر الغضب تماماً إلا إذا سكنته المحبة العالية.

على المحبة العالية يُمكن بل وبالضرورة يبني المُحب كل وداعة واتضاع وتعفف ومسكنة وكل فرح وسلام وطول أناة وأحشاء رأفات ورحْمة، وعلى غير المحبة لا يُبنى شيء.

لذلك، فالمحبة العالية هي 'الطريق الأفضل'، وهي 'تكميل الناموس'، وهي 'الوصية العظمى'، وهي أيضاً هدفنا الوحيد غير المنفصل عن حياتنا كل يوم في طريقنا الضيق. «وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة **حتى** تدركوا مع القديسين ما هو الطول والعرض والعمق والارتفاع، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة». وهذه الآية قيلت كشرط يلزم تحقيقه أولاً أو حالة يلزم وجودها حتى «يحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣: ١٧).

آه، يا أحبائي، إن علامات المحبة الإلهية وحركاتها في القلب هي بعينها علامات الاختيار، وهي حركة الروح القدس وسر النمو في معرفة الله والاتحاد به ونوال مواهبه في كل شيء!! "صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح". بل إن النمو ذاته هو طاقة محبة سواء كان نُمواً في المعرفة أو في الحق أو في الاتضاع أو في الصوم أو في السهر أو في الصمت أو في الدموع. على قياس كل جزء يُحصِّل نُمو الجسد لبنيانه في المحبة.

والمحبة الإلهية تزدري جداً بالكرامة التي من البشر؛ أي كرامة الآدمية؛ التي هي عقبة في طريق وحدة الناس لتكوين جسد المسيح، وبالتالى حائل شديد للاتحاد بالله.

أنظر كيف حطم المسيح مضمونها البشري في غسل أرجل التلاميذ! ثم التفتْ متى صنع ذلك! قبل إعطائه جسده ودمه! وقبل أن يأذن لهم: اشربوا منها كلكم. والذي يرفض كأنه يضيِّع نصيبه. وكأنما يلزم أن تُهدَر كرامة آدميتنا أولاً لنُؤهَّل لمجد مسيحيتنا. ولكن العجب أن ذلك أيضاً لا يتم على مستوى المشيئة أو الاختيار أو التدريب، ولكن يلزم أن يكون هدر الكرامة الإنسانية فوق مستوى المشيئة وأشد وطأة من مستوى الاختيار وأصعب من مستوى التدريب! وإلا لا يُسمَّى هَدْراً وإنما يُسمى تنازلاً، والتنازل نسيب الكبرياء.

أما هدر الكرامة اضطراراً لا تنازلاً فهو مرارة وعلقم؛ وهو تجريح وتجريد وتشهير بالنفس العاتية، كإنسان يشهرونه علناً ويخلعون عنه ثيابه البهية وتاجه الفاخر ويتركونه عرياناً لحظةً، أما هو فلأنه ينتظر ثياباً أفخر وتاجاً أعظم لا يخجل، بل إذ قد تثبت وجهه إلى مُلْكه غير المنظور صار وجهه كالصوان لا يخزى ولا يرتد، وفي شوق حار يود لو يخلع الجلد واللحم!

يا أحبائي، لا يُمكن أن يتم هذا إلا بطاقة محبة عالية تكون قد تأصلت وتأسست في الإنسان، نحن لا نملك إزاءها إلا أن نقول «قلبي مستعد يا الله، قلبي مستعد» (أنظر مز ٥٧: ٧)، وقد هيأتُ نفسي للعار وحملتُ الصليب!

المحبة العالية تنقل اهتمامات الإنسان من نفسه وجسده كمركز للتفكير والهموم، إلى المسيح كخالق للنفس والجسد ومُدبِّر للحياة الحاضرة والمستقبلة، فيتحول الجسد في نظرة الإنسان من عنصر للقلق إلى وسيلة مادية لإعلان قوة الحب فيه وبواسطته، فيصير الجسد كشمعة تحترق لتنير طريق الخلود، ويفنى ويذوب أمام عيْن الروح ليتجدد الداخل يوماً فيوماً.

أما النفس بحسب الإنسان فلا تعود عائقاً وحائلاً بسبب ما فيها وما لها من كرامة وإعزاز ومطالب وطباع، إذ يتحول الإنسان عنها إلى المسيح، فلا تعود بعد محوراً لتفكيره. وقلقه وهمومه ينبذها، يحتقرها، يجحدها، ينساها، يجد في المسيح نفساً جديدة هي نفس المسيح «لا أحيا أنا بل المسيح يحيا فيَّ»، فيعيش الإنسان خارجاً عن جسده ونفسه كمحور للتفكير والهم والقلق؛ مُنجذباً بالحب نحو آخر 'أي نحو المسيح'، فيه الكفاية أن يكون له نفساً وجسداً وحياةً، وجديراً بأن يكون محور تفكير الإنسان، ولا أقول همُّه وقلقُه، لأن مع المسيح لا يكون همٌّ إلا بالعبور، ولا قلقٌ إلا على الوصول.

لذلك، فإن الحياة الرهبانية في مبدأها ونهايتها مُجازفة لبلوغ المحبة الإلهية، وفي المحبة خسارة لامتلاك المسيح ومُحاولة مستميتة لاقتناء الروح القدس، فإذا عجز الراهب عن بلوغ المحبة الإلهية؛ فلا امتلاك للمسيح ولا اقتناء للروح القدس؛ بل حزن مفسد وجهاد عابس بل وعابث أيضاً.

أيُها الأحباء، إما أن نملك المحبة وإلا نموت أفضل، لأن عدم المحبة أشد هولاً من الموت. يا للخسارة، إن كُنا نضيِّع حياتنا في جهاد لا يُكلَّل بالمحبة! يا للخسارة أيضاً، إن كُنا قد عرفنا المسيح وذُقنا الروح القدس وشربنا الدم وفهمنا الحق، ولم نبلغ بعد إلى المحبة! ولكننا سنبلغ، حتماً سنبلغ، لأن حركات المحبة بدأت تتحرك فينا، لأن العالم أبغضنا واضطهدنا أيضاً، فحنَّت أحشاء الحبيب علينا، وهذا يكفينا، شكراً لله.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٨}

بين محبة الحَمَل، وغضب الخروف

٩ يونيو ١٩٦٤م

أحبائى في الرب

نعمة لكم جميعاً وبركة وسلام.

أتعشم أن تكونوا سائرين، كُلاًّ بقدر ما وُهب من تدبير الروح، غير متعوِّقين بأسباب الجسد أو الذات أو أمور الحياة اليومية، لأن الذي يسعى بالروح لا يكمل شهوة الجسد ولا يخضع لكل ما هو من الجسد أو للجسد.

أرجو في وجه ربنا يسوع المسيح أن تكونوا متقدمين في عمل المحبة القلبية، لأنها بحد ذاتها هي تكميل الناموس، ولا تجعلوا وصية أخرى تتقدم عليها، ولا تسمحوا أبداً أن تتكرم في حياتكم وسيرتكم فضيلة أخرى أكثر منها.

الذي ينفتح قلبه للحق لا ينغلق في وجه إنسان مهما كان هذا الإنسان، فاختبروا أنفسكم دائماً؛ وهذِّبوا القلب بتأديب الندامة الجارحة؛ وأَصلحوا لأنفسكم طريقاً متضعاً في كل قلب، لأنكم بهذا تُعدُّون طريقاً للَرب في وسط الجماعة، لأن القلوب المنفتحة لبعضها تتهيأ لقبول الرب حيث يجد فيها راحته. وأنتم بدون الرب عدم، وبه عروس مزينة وكنيسة أبكار مجيدة. غاية الرب من وجودنا الفردي أن نتحد به، وغاية اتحاد كل منا بالرب أن يكون الكل واحداً فيه.

اُذكروا هذا الكلام جيداً، لأن هدف الحياة كلها يقف عند هذه

الكلمة أن يكون الكل واحداً فيه. لا تبخلوا بعطاء ذواتكم للـــرب ولا تجزعوا إذا هو طلبها. ما يصعب عليكم أن تُهذبوه في أنفسكم انتظـــروا بيقين شديد أن الرب سيتولى تهذيبه، ولكن احذروا مـــن أن تظنـــوا أن تهذيب الرب يتم في الأحلام أو في المنام، فأدب الرب يُمارسه علانيـــةً وضربات العصا يُحبها الرب أن تكون مسموعة ومنظـــورة، واذكـــروا القوْل: «جعلتُ وجهي كالصوان و لم أخزَ» (إش ٥٠: ٧). لا تخجلـــوا يا إخوة حينما يفضح الرب صغائركم، والحكيم مَنْ يبادر لإصلاح ذاته لا أن يغطيها ولا أن يعتذر لها.

إن كل المشقات التي يتحملها الناسك من جراء منهج نسكه الخاص لا تساوى غمضة عيْن يقاسيها من وجه الرب، وكل تعاذيب الجســـد وجهاداته تظل عقيمة عديمة القيمة إلى أن يضع عليهـــا الـــرب ضـــربة 'حلوة' من ضرباته، فيتثمَّن الجميع ثمن ذبيحته، ولكن ليس كل واحـــد يتكرم بالضربات، فهي للأخصاء الذين استهانوا بكل شـــيء في ســـبيل المحبة، والمحبة يُفتتح طريقها بالبذل الاختيارى ولا يكمل إلا بصليب فوق المشيئة.

لا تظنوا أبداً أنكم عرفتم طرق تأديب الرب أو أنكم ذُقْتم منها شيئاً إلا بعد أن تنجرح قلوبكم بالمحبة وتعانوا آلام الجروح في بيت الحبيـــب، ولا يتهيأ لكم أن الكلام فيه تورية أو أنه إنشاء أو مُجرد إحساس فكري أو تصور، حاشا، وأنتم تعلمون دائماً أني أكتب إليكم عن حقائق هـــي تُصدَّق لنفسها ولا تحتاج إلى ما يبرهنها.

جرح المحبة مؤلم أشد إيلاماً من جروح الجسد، ولكنه يفوق عنها. إن هذه تلتئم وتشاء لها دائماً أن تلتئم، أما هذا، أي جرح المحبة فهو لا يلتئم ولا تشاء له أبداً أن يلتئم. المحبة تعذيب يُودي بالنفس بعد أن يُسكرها،

ويُهلك الذات فلا يعود لها طاقة على المنازعة. المحبة تُختبر بالنار لأنها من طبيعتها وأعظم، فالنار ماء قليل يطفئها، أما المحبة إذا اشتعلت حقاً في القلب فلا الصدود يطفئها ولا الازدراء ولا الإعراض ولا الامتهان ولا البرودة كلها إذا احتواها قلب عدو ولا الموت إذا تجسم في الشعور المقاوم، هذه كلها لا تستطيع أن تطفئها، ولكن المحبة تُختبر بالنار مرةً واحدة وتتزكي إلى الأبد، واختبار المحبة صدود الله.

آه، يا أحبائى، حينما يقف الله موقف الباغض.

آه، يا أحبائى، حينما يَدَّعي الله الوديع الحليم الطيب الكلي المحبة أنه غاضب، يشيح بوجهه ويُغمض عينيه ويتنحى بسمعه وكأنه يُخاصم، هذا الذي لا يستطيع أن يُخاصم.

آه، يا أحبائى، لجرح المحبة، حينما يُعالَج لا بالزيت ولا بالخمر ولكن بكَيِّ النار! هي مرة واحدة يصرخها الإنسان ويقول: «ألوي ألوي لما شَبَقْتنى»، ويسلم الروح إلى الأبد. هي التخلية السرية التي بعدها عناق الأبد، هي الغضبة المفتعلة التي تحجز وراءها اندفاق المحبة ولا منْ يحجز!

منْ ذا يستطيع يا إخوة أن يحتمل غضب الخروف؟

صدقونى إني أحتمل غضب الفهد والنمر وكل جبار وذى بأس، ولكنى يا إخوة أخور أمام غضب الخروف، ولا أحتمل أن أُمتحن بقساوته؛ قساوته تذيبني. صلوا كثيراً لأني هنا هكذا.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

حلوان في ٩ يونيو ١٩٦٤م

الرسالة {١٩}

أطلبوا الرب!

إخوتي الأحباء الأعزاء بالرب

السلام لأرواحكم المباركة المُحلِّقة حولي والمتزاحمة في قلبي. السلام والبركة والنعمة لترافق نفوسكم وأجسادكم في كل لحظة لتوجدوا مع الرب كل حين.

المسيحي يا إخوتي هو مَنْ تشبه بالرب، والراهب يطلب ذلك إلى أقصى حد! خصوصاً في المحبة الباذلة اللابسة الاتضاع. والإنسان إذا كفَّ عن السعي في التشبه بالمسيح لا يُدعى مسيحياً بالحق، أما الراهب إذا تغافل لحظة عن النظر إلى الرب ارتد في الحال إلى نفسه ليرى فيها الجحيم.

أطلب إليكم أن لا تُرخوا عيونكم من النظر إلى الرب إلى أن تنطبع صورته في سلوككم وأخلاقكم، وإلى أن يتصور المسيح في قلوبكم كما هو بوداعته وبساطته.

إن أعظم ما ظهر في المسيح هو شدة تمسكه بالاتكال على الآب، وأعظم ما يُمكن أن يؤديه الإنسان بإرادته الحرة هو أن يلقي بكل ثقله على المسيح. لا تجعلوا بالكم ينشغل بالعالم ولا بمطالب الحياة ولا بالعمل الذي في أيديكم، وإنما اهتموا جداً بالبحث عن المسيح. أقول البحث عن المسيح، لأن وجوده والمعيشة في حضرته تأتي أثناء البحث عنه، ووجوده الآن صعب.

يا أحبائي، المسيح لا يُوجد داخل الزمان، لأنه قام من الأموات، فلا تطلبوه كربِّ اليوم والساعة الذي يقضي أعوازها وحوائجها، ولكن

أطلبوه فوق الزمن؛ أُطلبوه فوق مستوى العوز الزمني وحاجة العمر؛ أُطلبوه في أبديته؛ أُطلبوه كباب إلى الخلود وكطريق إلى الحياة الأبدية.

يا أحبائى، المسيح لا يُوجد في حدود المكان؛ لأنه صعد إلى السماء، فلا تطلبوه هنا أو هناك لأنه لا يرتاح إلا فيكم. إن دمه وجسده لا يتحولان فينا إلى ما هو لنا، ولكنهما يُحوِّلان ما فينا إلى ما هو له. إن اتحادنا به يُغيرنا ويُجدد صورتنا الروحية.

يا إخوتي، اقبلوا المسيح فيكم ولا تخافوا منه وإلا ستظلون كما أنتم في خطاياكم وهُمومكم وأحزانكم. إذا قبلْتم المسيح، فهو يُطهِّركم ويُقدِّسكم، ويجعل هُمومكم وآلامكم عليه، فتأخذ صورة مُمجَّدة ويصير لها رجاء ومعنى.

إذا اهتممتم بتقديس ذواتكم بكثرة الانشغال في أنفسكم ونسيتم النظر إليه وأهْملتم السعي وراءه ومَسْك هُدْب ثوبه، كيف تبْرأون؟ العمل لا يُقدس الإنسان، والانشغال بأوجاع النفس وكثرة التأمل فيها والحزن عليها لا يشفيها؛ ولكن يجعلها تزداد سوءاً. اُذكروا المثل الذي قاله الرب إنه كما رفع موسى الحية في البرية، هكذا يُرفع ابن الإنسان حتى كل من نظر إليه يُشفى.

يا أحبائى، ما أصعب وما أشق أن تقنع إنساناً عضَّته حية وسُمُّها يسري في كيانه بصورة حادة مرهقة مؤلمة إلى حد الموت أن ينسى ما به وينسى ما أصابه وينسى خوفه من هول الموت ويرفع بصره إلى عصا مرسوماً عليها حية! وهل حية تشفي عضة حية؟! هكذا كان المثل مُحكَماً على المسيح المصلوب والميت، ولا يزال اللغز كما هو مُحير، وهل المتألم يشفي متألماً؟ الأمر كله منصبٌّ على الإيمان بالوعد ومتركز

بصورة خاصة وهامة في إمكانية التحرر من النظر إلى النفس وهي في حالة خطيئة، وعدم النظر إلى المُخلِّص لنوال الخلاص كهبة، تساوي الاتكال على من يستطيع أن يُخلِّص كالوعد.

يا إخوتي، إن مُجرد التحرر من الذات وانعتاق الإنسان من الاهتمام بنفسه والاتكال على شخص الرب يسوع والارتماء عليه حسب الوعد يُعطي الإنسان حق الالتصاق بالرب وصيرورته روحاً واحداً مع المسيح.

انشغال الإنسان بحاله وتركُّزه في الاهتمام بنفسه يجلب عليه أمراضاً نفسية ويجعل أجهزته الفكرية والعصبية تضطرب وتخرج عن سَوِيَّتها. انشغالنا الوحيد هو النظر إلى الرب والاهْتمام بالوجود معه، هذا يعيد إلى النفس قوتها وهدوءها وسلامها وفرحها.

يا إخوتي، قوتكم وهدوؤكم وسلامكم وفرحكم هو في الخروج عن ذواتكم والكف عن الاهْتمام بأموركم الشخصية. المسيح لم يهتم بمستقبله ولا أَرضَى ذاته، واتكاله على الآب أوصله إلى الصليب والعار والفضيحة، ولكن ثقته بأبيه جعلته يطيع حتى الموت.

كل مرة تقعون في حيرة وارتباك واضطراب وتختل كل أفكاركم وتتدهور صحتكم ويتوقف تدبيركم، افحصوا ذواتكم تجدون العلة في انشغالكم بأنفسكم ونسيانكم النظر إلى المسيح. وفي اللحظة التي ترفعون فيها عيونكم نحو الرب تتلاشى كل مخاوفكم وأوهامكم في لحظة، وتجدون أنفسكم واقفين على الصخر وأمواج الشك والاضطراب انسحبت من تحت أرجلكم.

يا إخوتي، ابنوا بيوتكم على الصخر؛ على المسيح. كفُّوا عن التخطيط فوق الرمال. الذي أسس على الصخر يعرف قوة بنائه عندما تأتي

التجربة أو يأتي الجفاف أو المرض، هل يتزعزع أم لا؟ البناء على الصخر أسهل من البناء على الرمال، لأنه من المسيح نأخذ ونبني عليه. ما أسهل البناء على شخص الرب، لأن الرب يبني معنا ويبني لنا، والذي له بالرب صلة قوية يعرف أن هذا الكلام حق وهو سهل.

سنين طويلة من الجهد والمُحاولات والمآسي والفشل لا تساوي لحظة العثور على الرب والارتماء في حضنه، لأنه يزيل كل أخطائنا ويُصحح كل ما تخلف من حماقاتنا بطريقة مدهشة دون أي خلل أو تشويه.

يا إخوتي، إن سر حياتكم مَخفيٌ في المسيح شخصياً فلن يُكشف لكم سر حياتكم وتعرفون منْ أنتم ولماذا أنتم وأين أنتم وكيف أنتم إلا بعد أن تجدوا الرب.

حياتكم ستظل لغزاً أو معضلة وغير ذات معنى ولا موضوع إلى أن تجدوا المسيح، وفي المسيح تعرفون كل شيء.

يا إخوتي، لا تغرقوا في المهام التي وُكِّلتم عليها، لأنها عابرة. وكما عبرت مهام كثيرة مضت، ستعبُر هذه أيضاً ولا يتبقى منها إلا مقدار ما اختلسناه منها وأعطيناه للرب سواء من وقت أو جُهد أو كرامة.

يا إخوتي، لا تنظروا إليَّ أنا كصاحب مهام ولا مُخترعها، فهي لكم ومن أجلكم، وهي ضرورة تُحتمها الظروف العابرة، ولكن لا يجب أن تُوصلوا بين هذه التوافه وبين علاقتكم بي، فعلاقتكم بي فوق المهام والضرورات الزمنية وتوافه الجسديات، علاقتكم بي تستمد وجودها من خلف المسيح لا من أمام العالم ولا من تحت الحاجة الزمنية.

إذا جعلتم مقياس حبكم وطاعتكم 'وخوفكم!' لي على أساس هذه المهام التي أطلبها منكم أو أشير بها عليكم، فأنتم لستم للمسيح، لأن

الذي للمسيح لا يُحب ولا يطيع 'ولا يخاف' إلا على أساس المسيح.

أنا - أمام الله - لا أطلب حبكم ولا طاعتكم ولا خوفكم، ولكن أطلب أن تكون محبتكم وحبكم وطاعتكم وخوفكم للمسيح فقط.

أنا فلاح في كرم أنتم فيه فلاحون، فلستُ صاحب الكرم ولا له شريك. فإن كنتُ أهتم باهْتمامكم بي وإن كنتم تهتمون باهْتمامي بكم، فنحن مشاغبون بطّالون مُفْسدون للكرم، ونُوجد مُحتقرين لصاحب الكرم. حاشاكم يا إخوتي، واعلموا أنه في اللحظة التي تُضحُّون فيها بطاعة المسيح والحق لإرضائي أنا تكونون بذلك خارج الطريق.

كذلك أتوسل إليكم بمحبة يسوع الذي عليه رجاؤنا أن تتحرروا من فكرة إرضائي أو الاهتمام براحتي أو عمل حساب تكدُّري حتى لا تكونوا مقيَّدين في تصرفاتكم، بل كونوا أحراراً في تدبيركم لأنكم ستعطون الجواب أمام الله. وإذا كنتُ في علاقتي أنا بكم أُوجد أحياناً منتقداً أو لائماً، فهذا ليس معناه أن تتلافوا النقد والملامة بوقف التصرف وتجميد الحركة، لأن هذا معناه تماماً توقيف تدبيرى أنا وتجميد حركتي أنا وربط حريتي في النقد والملامة، الذي يفيدكم بقدر استجابتكم له، ويضركم بقدر تأثركم به التأثر العاطفي الشخصي. وفي الواقع أنا أعتبر أن أكثركم قدرة على الاستجابة للنقد هو منْ يتقبله بهدوء وابتسام، وكل منْ يقع عليه اللوم موقع الإهانة فيتقبله بألم وعبوسة هو أكثركم إساءة لفهم اللوم وأقلكم اكتساباً منه.

قلتُ لكم إنه يُمكنني أن أكفَّ عن النقد واللوم، ولكن هذا يتبعه **حتماً** انسحابي من وسطكم وتوقفي عن مباشرة الإرشاد الإيجابي. هذا اليوم لابد آتٍ، ولكن لما يأتي هذا اليوم ستندمون فيه ندماً موجعاً، لأنه

حينئذ سيترأس عليكم إنسانكم العتيق الذي طالما تململ من نقدي ولوْمي، وستقود حياتكم عبْدة وخادمة حقيرة نجسة اسْمها 'الذات' والأنانية التي طالما ضَجَّت من تعنيفي وتوبيخي لها.

ربما تقولون إن معيشتنا قاسية، وهل الخلاص يستلزم هذا الشقاء كله؟ أقول لكم: الشقاء، الشقاء حقاً ليس هو في العمل المضني أو في الجهد الجسدي، الشقاء في خلو النفس من فرحة المسيح وبهجة الخلاص، وعشرة الرب تُنسِي الإنسان منْ هو وتذيب من قلبه جبال الهموم فتصير المعوجات مستقيمة في عينيه والعراقيب سهلة، لأن الرب يسير معنا.

يا إخوتي، أقول الصدق في المسيح كما أُحسُّه وكأنه صادر منه، إنه يستحيل أن يكون خلاص بلا شقاء. تقولون: وكيف يكون السرور وتكون البهجة؟ أقول: يلزم أن يكون السرور وتكون البهجة ويكون الشقاء! إنما يكون السرور في ميدان مع البهجة ويكون الشقاء في ميدان آخر، والسرور والبهجة يرتفعان جداً جداً فوق الشقاء ويضحكان عليه.

أخ رأى رؤيا كان فيها شهيد من الشهداء الذين ماتوا بذبْح السيف رآه لابساً حول رقبته عقداً من زهور حمراء مضيئة كالنجوم!

والحَمَل رآه يوحنا قائماً في عرشه مذبوحاً، وكأن صورة آلام الإنسان ستظل خالدة، ورسم تعذيب الحمل جواب أبدى لكل تأوُّه أو أنين.

لو تبصرتُم لوضحت الرؤيا أمامكم. لو تحققتم المنظر الإلهي المُحيط بكم لعلمتم الحقيقة أنكم مُختارون، وأن سلوككم لا يتناسب قط مع المجد المُحيط بكم.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

حلوان في ٢٥ يوليو ١٩٦٤م

الرسالة {٢٠}

شهادة الضمير

أول نوفمبر ١٩٦٤م

الآباء الأعزاء

سلام من الله. أتعشم أن تكونوا جميعاً بخيْر.

نشكر الله الذي يقودنا لتكميل حياة محسوبة له في كل شيء، وإن كانت الأمور الجسدية تجري بغير مسرة الروح فيكفينا شهادة الضمير، والله نفسه الذي يرضى عن قلوبنا هو يقودنا كما يشاء إلى ما يشاء. ونحن نتابع المسير إلى أن ينفجر نهار الخلود فنستريح من جذب ليل العالم، ولكن حقيقة واحدة لابد أن تظهر لكم جميعاً وهي أنكم غير قادرين أن تثبتوا في الحق إلا إذا أكملتم واجبات جهادكم حسب الطريق الأضيق الذي اخترتُموه بمحض إرادتكم.

وبدون حياة مع المسيح صادقة وأمينة، لا يُمكن أن يدوم إنسان على الطريق المؤدى للحياة الأبدية، وأي مكر أو التواء أو خُبْث يسكن في قلب الإنسان لابد أن يُوصله إلى نهاية بعيدة جداً عن المسيح.

طوبى لأنقياء القلب. طوبى لذوى الضمائر المغسولة من فساد النية. طوبى للذين يجدون بساطتهم كل صباح في وجه المسيح المشرق مُلْقِين حمل هُمومهم عليه.

إن الطريق لا يزال يحتاج إلى منْ يكتشف عمقه وعظمته وكرامته.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٢١}

إرشادات نافعة للرهبان

رسالة إلى الآباء الرهبان الثلاثة المُرسلين بمشورة العلي إلى دير الأنبا صموئيل من وادى الريان في مارس ١٩٦٦م

نعمة لكم وسلام من الله بسؤال وصلاة وتضرع كثير أمام عرش رحمة الله القادر على كل شيء، أن يجعل خلاصكم أقرب وأقوى في المكان المقدس الذي اختاره لكم الرب، عالمين أنكم أُرسِلْتم من أجل أنفسكم وليس من أجل شيء آخر على الإطلاق، وأن الأسباب والأعذار والضرورات التي تبادرت في أذهان الناس والبطريرك والتي حتمت حسب منطق الناس بوجودكم في الدير هي كلها علة حكيمة ساقها الله بتدبيره الكلي الحكمة ليقودكم إلى مكان تنكشف فيه أنفسكم أكثر وتنالوا خلاصكم وكمال سيرتكم.

أتوسل إلى أرواحكم أن تثقوا بتأكيد أنكم لم تُرسَلوا لدير الأنبا صموئيل لحفظ حيطان الدير، ولا لخدمة الآباء الكبار ولا لإظهار قوة سواعدكم وحذاقة أفهامكم وخبراتكم في الأكل والشرب والعجين والخبيز وتربية الفراخ وزرع الأشجار وبناء أسوار واختراع اختراعات.

حقاً حقاً أقول وأتوسل لدى الله الآب ويسوع المسيح والروح القدس، طالباً أن لا يكف الروح عن إثبات صدق ما أقوله لكم أنكم مُرسلون لخلاص أنفسكم وبدء تدبير حياة رهبانية نسكية وحدوية سليمة لم تتوفر لكم في وادى الريان، بسبب استغراقكم في الحرية والخدمة غير المطَقَّسة وكثرة المسؤوليات التي تفوق قامتكم الروحية والجسدية.

لذلك إذا وعيتم ما أقوله لكم وما يقوله الروح القدس مؤكداً كلامي لدى أرواحكم، فأتوسل إليكم برحمة الله، إذ ليس لي أن آمركم، إلا مستعيناً بقوة الله المقنعة لكم أن لا تُدخلوا أنفسكم في أعمال ومسؤوليات واهتمامات وواجبات وادعاءات ومُماحكات تنتهي بكم إلى أن تعيشوا خارج قلاليكم النهار كله وربما الليل.

كفاكم تيهاً، كفاكم ضلالةً، كفاكم تلذذاً بإشباع أهوية قلوبكم وأمزجتكم، واثبتوا في قلاليكم بطقس الرهبان، الرهبان، الرهبان. لستُ أقول الحبساء، مع أنه يلزم أن تكونوا حبساء. لستُ أقول متوحدين، مع أنه يلزم أن تكونوا متوحدين، بل أقول رهبان. والراهب لا يخرج من قلايته إلا لضرورة قصوى، لخدمة مجمعية فُرضت عليه، وللصلاة، ويعود مسرعاً مسرعاً مسرعاً إلى قلايته ليصلي ويسجد ويقرأ ويبكي.

ويكون خروجه مُطَقساً ودخوله مطقساً، وفسحته في الجبل مطقسة وليس للف والدوران على الجبال بدون عقل، بل ساعة واحدة لا يزيد خارج الدير كل يوم في مكان معلوم يعرفه جميع الإخوة ويعلمون أن الراهب الفلاني يتفسح كل يوم من الساعة الفلانية إلى الساعة الفلانية، وهو يذهب إلى المكان الفلاني بتحقيق ولا يُغيِّره على الإطلاق.

أنتم لم تخرجوا من العالم لتُنعشوا أجسادكم بالتنزُّهات والفسح، ولا خرجتم لتعملوا في الأرض ولا في الطين، ولكن لتحيوا حياةً سرية مع المسيح، وتكتشفوا عيوبكم وأخطاءكم وخطاياكم، وتكتسبوا بمذلتكم واتضاعكم رحمة الله ومؤازرة الروح القدس لتجديد الحياة ولبس الثياب البيضاء وإكليل الجهاد المقدس.

الخلاص في العالم وبالأخص في هذه الأيام أمر عسير جداً جداً، ولكن

الخلاص في الدير لإنسان جاهل أحمق لا يجمع بضاعته كل يوم ويحسب مكسبه وخسارته يكون أيضاً صعباً. وحاشا لكم أن تختاروا الجهالة وأنتم حكماء وقد وهب الله لكم كل مُمكنات الخلاص والمعرفة الصادقة غير الغاشة، ولكن أُحذِّركم أن المعرفة وحدها لا تُخلِّص ولا الفهم الجيد ينفع شيئاً إذا لم يكن للإنسان سيرة مقدسة عملية داخلية، يزيدها كل يوم لهيباً على لهيب، وفي كل لحظة من طول النهار له شيء يُحكِّم به طبيعته، فإذا خرج خارج القلاية يكون إما رابطاً بطنه بالصوم أو رابطاً لسانه بالصمت أو رابطاً عقله بالصلاة. وإذا دخل قلايته يستحضر خطاياه ويرصها أمامه أكواماً أكواماً وعلى كل كوم يكتب الصنف، ولا يكف عن البكاء والملامة إلى أن يُطلق المسيح نفسه بقيامة صادقة يحسها بقوة تتحرك فيه على الدوام.

لقد كان صعباً على أنفسكم أن تكونوا مُدققين في تدبير سيرتكم بمشورتي، بل ولا أمكنكم أن تنتفعوا بي في بناء حياة مطقسة من الداخل والخارج، ولستُ ألومكم كثيراً لأن وجودى دائماً معكم كان يخلق جواً من الفرح والسرور وكأنه عيد، ولكن الآن قد رُفع العريس (مع الاحتفاظ بحقي في وصف نفسي بالنجاسة والملامة الشديدة) وليس عيد. الآن زمان العودة إلى الداخل والرجوع إلى النفس لمحاسبة الذات وإخضاعها لواقع الحال ومتطلبات القداسة وأصول العبادة وحقوق الله من مخافة وعبادة وسيرة طاهرة ونية لا تُلام.

لو حاولتم أن تخلقوا لأنفسكم جواً من الفرح والمسرة والعيد ستفشلون، ويأتي الشيطان ليُعيِّد ويفرح معكم ويترك فيكم يأساً مُميتاً وصغر نفسٍ قاتلاً، لأن الله لا يريد لكم الآن أن تفرحوا بل أن تخافوا، ولن يهبكم سلام الحرية التي عشتم في اغتصابها قبل الأوان معي في

الريان. والله يطلب لكم منذ الآن حياة تبدأ من الصليب وتتدرج في الآلام حتى القبر، وبعدها تنالون حريتكم كهبة قيامة وحياة حقيقية يكون لها شهادة قوية من تجاربكم الشخصية وآلامكم التي تكون النعمة قد أجازتكم فيها، وأحزانكم وتضييقكم على أنفسكم بإرادتكم في كل شيء.

حياتكم مع "أبونا متى" لن تتكرر بصورتها الأولى، لقد أخذتُم مؤونة زائدة عن الحد لسفركم، وقد جاهدتُ بكل ما أعطاني الله من قدرة وفهم ومعرفة وروح وخبرة لكي أُموِّن كل واحد منكم بما يكفيه من الزاد في طريقه الخصوصي. حينما كنتم لاهين وبينما كنتم غير مهتمين ولا واعين كنتُ أنا مشغولاً بشحن 'جرابندية' كل واحد منكم بكل ما سيحتاج إليه في سفره الخطر، ووضعتُ في قلوبكم 'وليس شعوركم' كل جواب لكل سؤال بحكمة الله وبكل فطنة روحية وهبها لي الله، عالماً بل ناظراً من بعيد الساعة الحرجة التي سيقف فيها كل واحد منكم وهو وحده على الطريق وعلى فمه سؤال الحيرة والارتباك، لذلك كنتُ أعتني أن أُكرر وأكرر وأكرر، مرة بصورة تحذير مكشوف، ومرة بحكمة بسرٍّ أُلقي كلمة في أعماق اللاشعور، بإحكام، ولا أكف حتى أطمئن أنها أصابت مكاناً أميناً واضحاً في النفس يسهل عليها العودة إليها والانتفاع بها ساعة الخطر. وكنتُ أتحايل على نفوسكم لأغلب لهوها وعدم مبالاتها، فكنتُ مرةً أضع التعليم في صورة قصة أو شكوى وهمية من إنسان أو أمنية أتمناها أو كأني أعرض اهتماماتي ببعض المشاكل أو أستعرض دراساتي وكأني مهتم بدراساتي وأبحاثي، وهكذا فعلتُ بكل حيلة حتى أوصل لكم رسالتي التي سيأتي وقتٌ حينما تتيقظون وتطلبونها لا تجدونني.

ربما يتبادر إلى ذهنكم – بسبب بعض العمى الروحي – أنكم لا زلتم أحراراً ويُمكنكم أن تكسروا النير الذي وُضع عليكم وتواصلوا الحياة الأولى معي في الريان، ولكن الأمر تعدَّى هذا التفكير الساذج، فليس الوضع يخص إرادة الإنسان، ولا هو يقع في دائرة المكان أو الزمان، الوضع وضع إلهي والدعوة هي لمسير مفرد، والطريق غير منظور لا ينطبق على مواصفات مكانية معينة، ولكنه يلتزم بحدود أوامر إلهية صادرة تحددت لها أمكنة وأزمنة وظروف لاختبار طاعة الإنسان وخضوع إرادته المطلق!!!

أية حركة تصدر من الإنسان لتغيير تدبير مشورة الله، سواء كانت حركة إرادة جاهلة بنوع الحرية التي يتعاطاها الإنسان من نفسه، أو كانت حركة تفكير عن فهم ومعرفة بنوع الاعتماد على الحيلة، واستخدام وسائل تنطبق على بعض أقوال آباء أو آيات من الكتاب المقدس كإمعان في 'تقديس' التحايل البشري للخروج خارج طاعة تدبير العليِّ. سواء بهذا أو بذاك يتسبب الإنسان في تعويق الطريق المفتوح، ويُدخل نفسه تحت تأديب النعمة الذي يجعل نصيبه أكثر ثقلاً. ما أخفَّ نير المسيح إذا لم يُحاول الإنسان أن يُخففه! وما أهْوَن صليبه إذا لم يُحاول الإنسان أن يُنقص منه!!

أسرار الطريق لا تُكشف إلا للسائرين فيه، ومهما تصور الإنسان أنه يعرف شيئاً عن أسرار الطريق ولا يكون ماسكاً لتدبيره بكل قلبه وعقله ومُخضعاً جسده وإرادته وهواه لقانون السيْر وطقسه، فمعرفته تكون مُخالفة لحقيقة المسير ولا تفيده ولا تفيد غيره شيئاً. وأول ما يضع الإنسان رجله على الطريق ويخضع من كل قلبه لنير المسير بكل قوانينه ووصاياه، يبتدئ في أن يرى ويكتشف بمنتهى الوضوح أسرار الطريق،

وليس فقط ما يلزمه في كل خطوة، بل وما يلزم حتى نهاية الطريق.

وأما الذي يريد أن يتحكم فقط بالمعرفة ويكشف الروحيات ليتمجد بها، فإن معرفته كلها مُجتمعة لا تسعفه أن يخطو خطوة واحدة صادقة على الطريق.

الأمانة للمسيح تتحقق في القلب ويذوق منها الإنسان كل مُشتهاه حينما يُوقف الإنسان حياته كلها لعبادته، ويجمع كل مشاعره ويُقدمها له، ويُخصص أبْهج أوقاته وأفراحه لتسبيحه وتمجيده. ومن هنا يتحتم أن يسهر الإنسان على أفكاره واهتمامات قلبه وشهواته وعواطفه ويحكمها ببأسٍ حتى لا تتسرب وتخدم أية غاية إلا المسيح شخصياً. حتى خدمة الضعفاء والشيوخ والغرباء والمساكين لا ينبغي أن تسلب عواطفنا أو اهتمامات قلوبنا من شخص المسيح، لئلا تصير الخدمة نفسها نداً للمسيح ومتاهة نتوه في طريقها المتشعب الذي لا نهاية له، لأن الخدمة والعطف والمحبة تتسرب لإراحة الذات حينما نستزيد من واجباتها أكثر من واجبات العبادة الداخلية للرب شخصياً.

إذا سرتَ أو كنتَ سائراً بناموس الطريق وكنت خاضعاً لكل قوانينه وصلواته ولم تحس في قلبك بحركة الروح ولم ينفتح ذهنك لقبول أسرار التدبير، فاعلم يقيناً أنك لست أميناً للمسيح، وقد وضعت هدفاً لعبادتك وخدمتك وصلواتك مُخالفاً للرب. أمانتك للمسيح تمنعك من إشراك أي هدف مهما كان صالحاً في عبادتك خلاف شخص الرب نفسه وحده. تحوُّلك عن أمانتك للمسيح يبتدئ بفكرة خدمة الآخرين أو اشتهاء كرامات الكهنوت والوظائف الكنسية بحجة خدمة اسم المسيح. هذا كذب وخداع ذات. إن كنت تعبد المسيح حقاً وقدمت له حياتك فلا تشته شيئاً سوى عبادتك له وعبادتك له فقط. وفرحك بعبادة

المسيح سيملأ حياتك ويكون برهاناً صادقاً على أمانتك له، ولا تعود تشتهي شيئاً في الوجود إلا عبادته. وسيرة الذين تركوا خدمة الناس والذين تركوا حتى الأسقفيات لعبادة المسيح في السكون والوحدة تشهد بذلك.

أخطر تجربة ستمر بك حتماً هي دينونة الناس، وذم الإخوة والرئيس. إذا أعطيت لهذه التجربة فرصة وفسحة من التفكير والهم، فهي ستهدم نفسك وتُنهي على عبادتك وتحرمك من كل تعزية.

الحقيقة أن الناس فعلاً يعملون أعمالاً مُعثرة، والإخوة يتدبرون بلا فهم ولا حكمة ولا عقل، والرؤساء يسودون على الرعية بحكم مناصبهم دون أي إحساس أنهم هم أيضاً خراف. ولكن أنت مُطالَب بنفسك فقط. وإساءات الناس والإخوة والرؤساء إذا قَبِلْتها في صمت زادت خلاصك. وطاعة كل منْ له عليك ولاية إن كان قد أخذها بدالة المحبة أو برسم التدبير الجسداني أو الروحاني، فلن تؤذيك إذا كانت عبادتك الداخلية حارة وأمانتك للمسيح لا تنازعك فيها شهوة أخرى.

الشكوى للإخوة من الإخوة أو من المدبر علامة أكيدة أنك لم تعرض أمرك للمسيح في صلاتك، وبرهان أن أفكارك وحواسك غير محكومة من النعمة، وعبادتك مفصولة عن حياتك، وصلاتك برسم الطقس فقط وتأدية الواجبات.

الشكوى عملية تثبيت للدينونة، وهي عملية فضح لنفوس الآخرين وتبْرير كاذب للذات. إذا كشفتَ ضيقة نفسك أو ظلمك لله في الصلاة، لعلمتَ في الحال أنك أنت المسيء والمُخطئ، وإن كان الأمر يخصك فهو لمنفعتك. والسيرة الرهبانية والسكون في القلاية أعظم مُرشد في الحياة.

وأي جاهل وأي تافه وأي عديم الحكمة أو عديم الصبْر أو عديم الاحتمال إذا أخلص في عبادته للمسيح في سكون القلاية والاعتكاف، يعرف كيف يتدبر من النعمة إلى أن يصل إلى إنسان كامل في المسيح ويكون قادراً أن يجعل كل الظروف المعاكسة والعثرات وأتعاب الآخرين وسوء تدبير الناس حوله يخدم خلاص نفسه، والصلاة دائماً تكون سلاحه.

العين المستعلية التي تطلب الكرامة تشهد على نفسها أنها عاطلة عن السير في الطريق الضيق، وهي لا تطلب كرامة المسيح ولا تشتهي بالحق تمجيده، وهي مشغولة بكرامة نفسها. هذه النفس خالية من النعمة وليس لها نصيب مع القديسين، والمسيح يُشبعها من كرامات الناس حسب شهوتها جزاء لعبادتها التي تُؤديها لهذا الغرض، فهو لا يزال يستجيب لها إلى أن تستوفي أجرها، أما شركتها في مجد المسيح فلن تذوقه لأن شركة مجد المسيح هي أجر لمنْ تألم وأُهين وأُهدرت كرامته وسُلبت حقوقه وشبع مهانة ومذلة عن رضى وفرح من أجل السرور الموضوع أمامه.

الذي له سيرة داخلية طاهرة نيرة يكتفي بعزائه الداخلي ولا يطلب له مزيداً من الخارج، فهو يرفض تكريم الناس له بشدة وحزن، لأنه يعلم بالخبْرة والحق أن مثل هذا العزاء يحرمه من العزاء الداخلي. لذلك تجده يتصاغر عن سنه حتى لا يُكرم كشيخ، ويتصاغر عن علمه حتى لا يُكرم كحكيم، ويتصاغر عن مواهبه حتى لا يُحاسب كقديس أو كصالح أو كرجل الله، ويتمادى في ذلك لأنه بقدر ما يرفض العزاء الخارجي والكرامة التي يتفضل بها الناس عليه يزداد عزاؤه الداخلي ويتفرغ أكثر لتكريم المسيح بالعبادة الطاهرة التي تشعل نفسه كالنار.

والذي يتعزى بسيرة عبادته ولا يتفرغ إلا لتكميل حقوقها وواجباتها،

لا يعود ينتظر سلاماً من الخارج لأنه لن يكون له سلام في العالم. وإذا حاول أن يُمهد له جواً حوله من الهدوء والسلام يفشل ويرتبك سلامه الداخلي، لأنه يستحيل أن يُضاف سلام الله الذي من الداخل إلى سلام الناس الذي من الخارج. والذي يطمع أن يزيد سلامه الداخلي بسلام من الخارج، يُنْزع منه الذي من الداخل شيئاً فشيئاً، والذي من الخارج يزول مع الريح.

طريقك الذي أنعم به المسيح عليك طريق مهول ومُكرم جداً، وبقدر ما تُكرمه وتوفيه حقوقه يظهر لك عظم قدره، ولا تعود تحتمل مُجرد التأمل فيه، لأنك تُذهَل كيف فتح لك المسيح طريقه الملكي الذي دشنه بالدم الإلهي ونصب فيه صليبه وسر قبْره لتعبُر عليهما وتجوزهُما وترتاح عليهما وفيهما. طريقك سرِّي لا يراه أحد سواك، وإذا حاولت أن تُشرك أحداً فيه معك تخرج منه في الحال وتُوضع في طريق العامة الواسع دون أن تدري. وإذا أقحمت نفسك في طريق غيرك تُضرب بشدة، لأن حراسة طريق المسيح لا تزال بيد الشاروبيم بلهيب سيف متقلب.

القلب موضع الغفران ومكان حلول الروح القدس وفيه تجري كل حركات المسير نحو الله، فهو أقدس مكان لك في هذا العالم حيث تجري كل معاهدات الله معك. فلا تفتحه بدون احتراس أو اكتراث لكي يعبث الناس فيه بعواطفهم الميتة، فالقلب الذي صار لله لا يصح أن يأخذ أو يُضاف إليه شيء من الناس، هو يعطي فقط لأنه جدير بالعطاء كأحشاء رحمة كنبع عطف ومحبة خادمة باذلة. وفي اللحظة التي يطلب من الناس رحمة عوض رحمة أو عطفاً عوض عطف أو محبة عوض محبة تكف نعمة الله عن الفيض فيه ويمتنع روح الله عن تعزيته وملئه. يكفيه ما للناس، ولا يصير بعد ذلك كفؤاً أن يعطى عطاءً من الله بل يدَّعي ذلك كذباً، فإنه

يعطي من نفسه ليأخذ لنفسه.

النفس التي بدأت المسير في الطريق وتمنطقت بعزم الإرادة وقطعت كل ربطها التي تشدها إلى الأرض والأهل والعالم وانطلقت إلى الأمام، لا تنظر إلى خلف، يصير لها شكل المسافر على الدوام. إن جلست تأكل فقلبها يكون في الطريق، وإن قامت بعمل أو بخدمة ففكرها مربوط في الأفق أمامها، وإن نامت فباستعداد القيام في كل لحظة، لا تهنأ براحة ولا بالمسامرات ولا أحاديث الماضي، لأن عينها مشغولة بالآتي، والصلاة تصير عندها أعظم عمل وأكرم خدمة وأهم واجب، لأنها جوهر المسير. وكل كلمة في الصلاة وكل رفع قلب وكل تنهد وكل قرع صدر وكل دمعة والعين مرفوعة إلى السماء تُمثل عبورها فرسخاً من فراسخ الطريق، فإن قرع الناقوس يكون بمثابة الموسيقى التي تلازم الجيش في سفره الخطر يُزكّي قلب الجنود ويُلهب حماسهم ليشدُّوا الخطوة ويرفعوا رؤوسهم وينطلقوا وكأن صوت الموسيقى قوة سرية سَرَت في كيانهم، هكذا يكون صوت الناقوس حينما يدق لرفع الصلاة عند الإنسان السائر.

المسافر حمله خفيف، وهو يدقق أقصى ما يُمكن أن لا يحمل شيئاً فوق الحاجة، وروح العبور لا يفارق ذهنه ويجعله يستهين بأهم الأشياء في عُرف الناس، فطلبات المسافر تُوزن بميزان دقيق؛ دقيق غاية الدقة، وكل إنسان له مقياسه ولكن إذا قطع إنسان مرحلة من الطريق بنجاح، فإنه يزداد معرفة وحساسية بالذي يُطلب والذي لا يُطلب، والذي يُقتنى والذي لا يُقتنى.

وأما الجالسون في قعر بيوتهم فلا يكفون عن الطلب واستعمال أشياء وأكل أشياء بلا حساب ولا ميزان ولا تدقيق. وكل يوم يزدادون في طلب أشياء جديدة وكأنهم يزدادون رجوعاً وينمون إلى الوراء.

إذا توغل المسافر في سفره لا يعود يرتاح إلا في المسير والإسراع فيه، ويفقد كثيراً من حساسيته الأولى نحو جسده والاهتمام بصحته ومرضه، لأن قوة سرية تحل فيه بدلاً من الحياة الجسدية، وهي تغذيه سراً بالرجاء حتى أن جسده نفسه يزداد قوة فعلاً كلما ازداد عوزاً ومرضاً. وسروره بوضوح الهدف الذي يسعى نحوه يوماً عن يوم يجعله يستهين بأتعاب ومشقات وتجارب يستحيل أن يحتملها أقوى إنسان في العالم. ويحس في نفسه أن ثقل جسده وتعطله تسبَّب في إنبات جناحَيْن تطير بهما النفس، فيتلذذ برقاده مطروحاً على الأرض من شدة ضعفه وانحلال جسده، لأن روحه تكون مُحلقة على الدوام بخفة متناهية، ويتهيأ له أنه يُمكن أن يطير، وفعلاً هو يطير وإنما ليس بالجسد.

قساوة القلب وعناد النفس وتعظم العقل يجعل الإنسان يتصور أنه يُمكنه أن يصنع ويُمارس كل الأمور الروحية، ويجترئ فعلاً أن يُتممها. ولكن للأسف وللحزن الشديد يزداد بواسطتها جفافاً ويزداد قساوةً وعناداً وتعظماً، وتؤول كل جرأته إلى صغر نفس وضعف شديد في الروح وحيْرة وبلبلة، وتختفي كل معالم الطريق من أمام النفس، حتى يكاد الإنسان ينكر أنه يُوجد طريق!!

فأعمال وجهادات وواجبات وطقس الطريق واحدة، ولكن يوجد إنسان يُمارسها في أمانة وإخلاص باتضاع وخوف وتكريم شديد وتوقير لأبسط الأعمال والقوانين، وحينئذ يُستعلن له سرها وعظمتها الحقيقية ويُوهب قوة نظير أمانته. أما الذي يُمارسها كمقتدر وكأنه يلعب ويُمرن نفسه وجسده ويوفي واجباتها التافهة، فإنه يُحرم من سرها ويُحرم من قوتها وتزداد صعوبتها عنده حتى يأتي وقت يُعدم القدرة على مُمارستها مهما صارع وتجلد فيها.

طياشة العقل وتشتت الفكر أثناء الصلاة وأثناء بقية أوقات التأمل شاهدة ضدك أنه ليست لك أمانة ولا محبة للمسيح ولا جدية السعي والسفر. فإن عقل الإنسان يجري وراء القلب، والقلب العامر بأمانة المسيح وحبه والمهتم بالمسير وكميته وسرعته وهدفه يكون صاحياً بشدة كالحارس والديدبان الذي لا يغفل ولا يغمض عيناً، لأن الإحساس بالاهتمام والمسؤولية يربط العقل ولا يجعله يتزحزح عن مكان عمله وخدمته. أما الذي يستهين بسفره وهدفه وليست له مخافة بأحوال العبور والنجاح والسقوط ولم يتربى في قلبه أمانة مطلقة بالرب ولم يلتهب قلبه بحب المسيح، فلو حاول أن يمسك عقله دقيقة واحدة لا يستطيع، فإذا رفعه إلى السماء ينحدر في لحظة إلى النجاسة، وإذا ربطه بالقراءة يخرج كما دخل. أما الذي أحنى عنقه وأحنى عقله لمخافة الله ولتدبير السيرة باتضاع كأضعف إنسان، فإنه من أول يوم يُمنح سيادة على العقل جزئياً تزداد بازدياد الأمانة واتضاع العقل كضعيف وعاجز بالحقيقة، وتزداد بازدياد المحبة المُخلصة للرب التي تشعل القلب وتلهبه.

الله يشاء أحياناً كثيرة أن يترك الإنسان لضعفه حتى تُذل نفسه وتنسحق، فيطلب أن يرضى الرب بالأعمال والجهاد والسهر والدموع والصلاة والخدمة، فلا يجد ولا يُمنح روحاً لذلك، حتى لا يستطيع أن يكمل شيئاً بالمرة، فكلما يُحاول أن يُتمم عملاً يتركه ناقصاً، حتى يدرك الإنسان أنه ليس بالقوة ولا بالقدرة بل بروح الله يعمل الإنسان أعمال الله مهما كانت بسيطة. وفي هذه الأوقات الصعبة يصير انسحاق قلب الإنسان وقبوله المذلة الحادثة له من الله ورضاه بالعجز وصبره على الحرمان يُعتبر له بمثابة مسير على الطريق غير إرادي، وهو أكرم في عُرف الجهاد وأسراره من المسير الإرادي، لأن تأديب الرب ذكي جداً.

كسل الإنسان يُفسح للنعمة فرصة للتخلية السريعة، وينعمي الإنسان ويقول إن الله قد تركني والنعمة تخلت عني. والحق ليس كذلك، فأنت الذي تكاسلت وكان إهْمالك هو السبب. فإذا ندم الإنسان سريعاً وتذلل واعتذر وقدم صلاةً بتطويل، ترضى به النعمة حالاً وتقبل نشاطه وتزيد عليه من عندها أضعافاً.

وأسرار السفر على الطريق وأصوله تُحتم أن يكون للإنسان عمل بطقس السفر، في كل لحظة يجعله في قلبه أو في عقله أو في جسده، إما خفياً أو حتى ظاهراً، حتى لا يسهو الإنسان لحظةً وينسى أنه غريب وعابر يطلب الوطن الأبدي.

تأدية قوانين القلاية وتكميل خدمات الصلاة لها حدود إذا خرجت عنها لا تفيد الإنسان شيئاً بل تزيده برودة بل كبرياء بل ثقة كاذبة وعبادة إسمية. وحدودها أن تكون برسم العبور من العالم، وإيفاء نذور الغربة يوماً بيوم، وتقديم نية الموت عن العالم، فإن كانت بروح التضرع والتوسل فلكي يفكَّ المسيح قيود النفس والجسد من شهوات العالم ويصفح عن جهالاتها السابقة في ثقتها الكاذبة بإمكانية الاستيطان في العالم لمجد الذات. وإن كانت الصلوات للطلب فيكون مرتكزاً على رجاء وعد الله لميراث الملكوت، وإن كانت للشكر والتسبيح فيكون بسبب ما قد أكمله الله حتى الآن ليفكّنا من العالم وليُكمل مسرته فينا المستحقة كل تمجيد وشكر.

وهكذا فقوانين الخدمة والصلاة هي تحرك ودفع مستمر للعبور، لذلك فهي مسير حقيقي. أما الذي يُكمل خدمته وصلواته ابتغاء شيء آخر فهو تائه.

إذا توقفت نفسك عن الجهاد الحقيقي وألقت عصا السفر بغواية الراحة أو شهوات أخرى، تبتدئ الصلوات والخدمات تأخذ صورة العمل فقط كواجب اعتاد عليه الفكر أو الجسد، ولا يحس الإنسان بروح العبور والمسير والغربة، وتخف شهوته في الانتقال والاستيطان عند الرب، ويعود إلى قيئه الأول ويلحس فيه، أي العالم وخدمته وناسه وكراماته وتعزياته وراحاته، وينجذب إلى خدمته حيث تكون تجربة خروجه النهائي عن الطريق وتوقف المسير إلى الأبد. وهو يحس بكل ذلك في نفسه ويدرك خطورة الأمر، ولكنه يسكر بالشهوة ويُجازف ويضحك على نفسه ويصلي أن يُحافظ الله عليه في العالم ويُغري الرب أن يوافق له إكراماً لخدمته وخلاص الآخرين، ونفسه هو لم يشرق عليها نور الحياة بعد، ولا نالت العتق من الخطايا والشهوات الفاسدة، فإذا نزل الإنسان إلى العالم أدرك مصيبته التي اشتراها لنفسه بشهوته حيث يُقيدونه بقيد حديد، يعتاده هو بعد قليل.

روح السفر، روح العبور، روح الغربة، روح الانتقال والارتحال المستمر تحفظ قلب الإنسان وعقله وجسده، وتجعله ينْزعج من أية مُحاولة أو فكر يطرأ عليه للقيام بأية خدمة أو عمل يستغرق منه أكثر من ساعة أو يوم داخل الدير. أما النُزول إلى العالم في مأمورية حتمية من أجل الدير أو المرض أو لحاجة طارئة ضرورية، فهي تستلزم استعداداً داخلياً وسهراً حتى يربط الإنسان كل حواسه ويُهيئ نفسه للتجربة، لأن الوجود في العالم ضد روح الغربة وطبيعة العالم وخدمته وراحته وتسلياته تسلب من المسافر روح السفر، فإذا لم يستطع العالم أن يقنع المسافر بإلغاء السفر جُملةً فهو يُقنعه على الأقل بخطئه ويتركه مضعضعاً مهموماً يحتاج إلى معونة السماء لتضعه في النقطة التي توقّف عندها.

خدمة المذبح والصلاة في القداس والاشتراك في سر الذبيحة وطقسها كرامة مهولة، إذا دُعي إليها الإنسان فليس ذلك عن استحقاق حتى ولو كان في نقاوة الشاروبيم والسيرافيم، فالكاهن يدنس الهيكل بقلبه ويُنجس المذبح بيديه وهو لا يدري، ولولا حلول الله ما تقدست الذبيحة. شناعة أن يشتهي الإنسان أن يكون كاهناً أو شماساً أو مرتلاً، لأن ليست هذه مجال طلب الكرامة، والذي يحس بخطاياه ونجاساته يرتعب من الدنو من مقدسات الله. ولكن حينما يأذن الله للإنسان فالله يُكفِّر عن إثْمه ويَسمح له بالدخول والخدمة، وأما الذي يجترئ يُفسِد نفسه.

الذي يستنكف أن يخدم الهيكل مع آخر أقل منه أو يرفض أن يشارك الخادمين في خدمتهم بحجة عدم استحقاقه في الظاهر؛ وهو في الحقيقة يُضمر ترفُّعه عن الخدمة وعن الخادمين؛ ويكون في الواقع قد ازدرى بقداسة الخدمة وازدرى بالهيكل والمذبح والذبيحة. خطر عظيم وغضب إلهي يترصد القلب المتعظم على عمل الله وخدمة أسراره.

ولكي يقطع الله حجة الإنسان التي يتوارى فيها ليحجب نفسه عن الخدمة أي علة عدم الاستحقاق والنجاسة والخطايا والآثام، أعلمنا أن المسيح نفسه هو خادم السر ومُكمله: "خذوا جسدي، اشربوا دمي". وحينما يتناول الكاهن أول لقمة أو أول شربة يتقدس ويصير أهلاً أن يعطى القدس للآخرين.

إذا وُضعت الضرورة على كتف الإنسان ، فويلٌ له إن لم يُكمل الخدمة. ولكن إذا لم يكن هناك ضرورة، فلا يطلبها الإنسان لنفسه، لأنه ليس أحد كفئاً من ذاته أن يكمل خدمة الله حتى ولو كان رئيس ملائكة.

والذين يشتهون الخدمة ويُقحمون أنفسهم فيها لإظهار مواهبهم تتخلى عنهم القوة الإلهية فيزدادون جمالاً عند الناس ويزدادون قُبحاً لدى الروح ويصير مديح الناس لهم هو كل المكافأة التي ينالونها من خدمة الله.

أما الذي يخدم بروح الاضطرار وهو مرعوب ومرتعب، ويتوسل بدموع أن يُعفَى، فهذا خدمته شهية لدى الملائكة، وهُم يشتركون معه بفرح ويشجعونه حتى يُكمل عمله.

الله لا يهمه ذوى المواهب، فهو يُحب ويفضل دائماً الضعفاء والمساكين والذين لا جمال فيهم، والمعيى والعديم القدرة، وأصحاب الساعة الحادية عشرة هم أردأ مستوى في دائرة العمال ولكنه أحبهم وأعطاهم أجوراً كاملة، فلم يتسبب عجزهم وضعفهم وقلة عملهم في خفض جزائهم. ولكن الله يكره الضعيف المُجترئ كما يكره المتعظم المتخاذل. والذي يخضع لاختيار الله بدون زيادة ولا نقصان ينجو من التأديب والملامة.

وحدة الروح في الجماعة العائشة لله تنمو من الداخل، والانسجام يبدأ من تقارب السيرة الداخلية، فكلما اجتهد الإنسان في سيرة جهاده الخاص مع الله يحس بقربه من الآخرين. فالصلاة والدموع ومحبة المسيح القلبية تجعل الإنسان شديد الصلة بالآخرين، ويحس بكيان الناس في أعماقه. أما مُحاولة توحيد روح الجماعة بالنظام والكلام والترتيب والطقس فينتهي بالفشل كأي نظام بشري مآله إلى الزوال. كذلك مُحاولة تكوين وحدة روحية بالمحبة الظاهرة وأعمال البذل فقط بدون الصلاة الداخلية فإنها تنتهي كعمل بشري لأن المحبة الروحية لا تنشأ إلا من الصلاة.

قوة المجمع في وجود قلوب تصلي بالروح والحق، وهيبة الدير تتعلق بالركب المنحنية في الخفاء في محابسها، والدموع التي تجري وتنحدر على الأرض. الذي يحفظ أسوار الدير ليس عدد الذين بداخلها بل طهارة القلوب التي تحيا فيها وفي ظلها. والذي يرسل الخيْرات في ميعادها بحسب الحاجة إليها ليست الأموال المرصودة ولا الأيدى المتحننة، ولكن مسكنة الضمائر والاستعداد للموت من أجل حب المسيح والأمانة لعبادته في أرض مقفرة ومكان غير مسلوك.

التدبير الصالح في وسط الجماعة لا يقوم على أساس الاهتمام براحة الأجساد، ولكن على الاهتمام بسيرتهم الداخلية. والمكاسب المادية مهما عظمت لا تساوي نفساً واحدة تجلس فاشلة في عبادتها بسبب العثرة الروحية. فالإنسان الذي يُقدم جسده حتى يحترق في بذل الخدمة لإراحة أجساد إخوته لا يكون قد قدَّم شيئاً إلا إذا كانت له سيرة وصلاة وحب مستمد من المسيح حتى لا يضع قلبه على الربح الجسدي بل يكون همه خلاص النفس. وإذا واجه الإنسان خسارة مادية بسبب سوء تدبير المسؤول فلا يغتم، لأننا عتيدون أن نخسر كل شيء وقد وضعنا منذ البدء في قلبنا أننا قابلون خسارة كل شيء. يكفينا أمانتنا للمسيح، لأن غلبتنا على العالم تتوقف أخيراً على شيء واحد لا نخسره هو إيماننا، كما يقول يوحنا الرسول. وفيما عدا إيماننا فسوف نتركه أو يتركنا، حتى الجسد نفسه سيستعفي وينطرح على التراب ولا يقوم إلا في قيامة الأموات جسداً وروحاً.

بقدر ما هو هين على النفس احتمال الخسارات الناتجة عن سهو القديسين وعدم اعتبار أصحاب السيرة الروحانية، لأن فكرهم يكون غير صالح للجسديات، بقدر ما هو قبيح بالإنسان الذي لم يصر له هذيذ

روحاني ولا سيرة متعمقة في النعمة ويستهين بالجسديات، وتتأتى منه خسارات بسبب عدم تدقيقه وتقديره للأمور. والذي لا يتعوَّد التدقيق في الأمور الجسدية الصغيرة لا يتعود التدقيق في الأمور الروحية الكبيرة. اُذكروا قول المسيح: «الأمين في القليل أمين في الكثير»، «كنتَ أميناً في القليل، هلم أجعلك أميناً على الكثير». القليل دائماً كناية عن الجسد، والكثير كناية عن الروح.

كتابتي ثقيلة على النفس التي لم تكشف عيوبها بعد و لم يتحنن الله ويُريها خطاياها. وكتابتي غير مفهومة عند النفس التي ارتبطت بشيء آخر غير العبادة الحقة والأمانة للمسيح، وعزمتْ على السفر المقدس، وهيأتْ نفسها للخروج من العالم كل يوم. وكتابتي لذيذة جداً للذين يذخرون الكلام ويحفظونه ليعملوا به ويُعلموا به آخرين. وأخيراً، كتابتي ذات معنى وذات أثر يزداد وضوحاً كل يوم عند النفس التي عزمت على حمل صليبها وصمَّمت على الخروج من العالم بكل قلبها واتباع طريق القديسين الضيقة.

سوف تأتي أيام لا تروني، فاذكروا قولي لكم لأنني كتبتُ لكم كما من إخلاص كما من الله! و لم أكتب بدون سبب أو من ذاكرتي، بل كنتُ أرى قلوبكم وأقرأ حاجتكم قبل أن تحتاجوها، فكنتُ كمنْ يُجيب عن أسئلة أسْمعها عبْر الزمن.

احفظوا وديعة الإيمان؛ أي الأمانة للمسيح؛ التي دفعنا ثمنها الموت عشر مرات كل يوم ست سنوات، وتمسكوا بالإخلاص للكنيسة وللجالس على كرسي مار مرقس بالرغم من الهوان والمُر والمذلة اختباراً لحبنا للمسيح وثمناً لتمسكنا بكنيسة الآباء، ونجحنا وخرجنا من النار والجليد داعين له بالبركة والصفح القلبي المُخلص، لأننا لبسنا إكليل العار

والمسكنة والضيقة والموت على يديه.

مباركٌ هو اليوم الذي جعلنا فيه هدفاً لكل تأديباته، لأنه منذ ذلك اليوم ونحن محسوبون في شركة آلام المسيح وحبه وتكرُّمنا بالتوهان في الجبال والمغاير وشقوق الأرض.

احذروا أن تسيئوا سيرتكم بالبغضة لإنسان ما، أو تُحاولوا عصيان أي أمر يصدر إليكم لئلا تخسروا كل جهادكم السابق، لأن الزمان قد بلغ النهاية والرب سيمسح كل دمعة من عيونكم ويقودكم بنفسه إلى المراعي السماوية لتشبعوا من دسم تعزياته. سلِّموا حياتكم للعناية الإلهية المُدبرة حسب قصد الله الحكيم في كل شيء، الذي ينبغي له التمجيد والشكر والتسبيح في كل وقتٍ إلى الأبد، آمين.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٢٢}

خطورة سيادة الذات

١٩٦٦/١١/١م

عزيزى الأب (...) دام سلامه

سلام من الله لروحك أيُها الحبيب.

أتعشم في وجه مُخلصي أن تكون في عشرة صادقة وثيقة مع الرب.

إن أسعد أيام الإنسان هي أيام التوبة، وأول مذاقة الحب الإلهي تبدأ بالانسحاق والاتضاع والفقر الكلي. أما الحصول الدائم على حب الله أو قُلْ امتلاك الله، فيبدأ عند الضيقة وفي الهُجران البشري والإلهي والدخول في الآلام التي تفضح الذات وتعزلُها. وعندما تبلغ الآلام ذروتها وتصير الضيقات غير مُحتملة 'وفوق الطاقة' كقول بولس الرسول، فيكون ذلك علامة على انصراع الذات وإحباطها. ولكن أخيراً عندما تُلغَى الذات وتُدحَر نهائياً تكف الآلام والضيقات من تلقاء نفسها، (لأن الآلام والضيقات لا يحسها ولا يتوجع لها ولا يتأثر ويتمرمر بها إلا الذات)، ولكن وبدون الذات، تُستعلن محبة الله للإنسان نقية صافية حلوة، وتبدو كل الأشياء معاً كذلك.

إرادة الإنسان وتصورات قلبه وشهواته هي العازل الوحيد الذي يعزل الإنسان عن الله، بل هي سبب همِّه وقلقه ومرضه وإفساد روحه دائماً وبدون استثناء. وحينما يتعرَّى الإنسان من إرادته (وذلك حينما يستسلم لتأديبات الله التي يسوقها عليه من أحبائه وأعدائه في كل مناسبة وبدون مناسبة)، وحينما يدخل الإنسان في اختبار الإحساس أولاً بأنه عدم ولا

شيء، ثم ثانياً أنه من تراب الأرض، أي يدرك أصله ويتحقق من أنه صفر مطلق، لولا الله الذي نفخ فيه من ذاته، حينئذ يعطي ما لله لله، أي يعطي نفسه لله فيعيش له وحده بصدق كلي وإخلاص جاعلاً نفسه عبداً للكل وأقل من عبد. وحينئذ ترتفع الغمامة التي تعزله عن الله، فيسعد الإنسان بإلهه الخالق إسعاداً صادقاً أبدياً.

إني دائم التوسل من أجلك، أذكرني. كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٢٣}

لماذا لا يفرح الإنسان؟

(من وحي عيد الميلاد المجيد)

١٧ يناير ١٩٦٧م

عزيزى الأب (...)

سلام الله الذي يفوق كل عقل لروحك أيها الحبيب المحبوب. سلام للشجرة المُثمرة التي أزهرت في أوان الربيع وقبلت حرارة الروح القدس لإخراج ثمار النعمة ليأكل منها كل ذي نفس حية ويبارك الغارس والساقي ويُمجد اليد الحاذقة التي تُشْرِك طبيعة الإنسان في شبه طبيعة الله.

لقد حان الوقت، أطلق عبدك بسلام. سمعان الشيخ يفرح، لأن المسيح وُلد في مكان البهيمة، والوطأ ارتفع إلى سماء سماء الله، والمعوجات استقامت بلمْس يد الروح، والعراقيب تسهلت في سكون الليل، وأشرق نهار الخلاص على الطريق مُمهِّداً في قفر قلب اليائسين.

لماذا لا يفرح الإنسان؟ ولماذا لا تتهلل الملائكة؟ وهوذا السلام غُرس غرساً في صميم طبيعة الأرض، ومسرة الروح نبعت بغتةً من وسط شوك الأحزان. والذي لا يريد أن يؤمن بما كُتب، فليأتِ إلينا ليؤمن بما يرى وليضع إصبع الشك على جرح الخطيئة ليحس بنبضات النعمة عوض حركات الخطيئة ويسمع قلب الله يدق خلف صوت الانذهال.

والذي لا يريد أن يؤمن بعد ذلك، فلينظر لأن الحجارة على وشك أن تصرخ لتصم الآذان، فالرب قادم ليعمل عملاً، لا يكون بعده إيمان وتصديق بما عُمل وسط الأذلاء والمطرودين، بل ندم وأحزان لأنهم

جازونا شراً عوض نقاوة أيدينا، وحكموا علينا ظُلْماً عوض حب قدمناه لكافة مضطهدينا، فالمساكين سيُبشَّرون.

اليوم يظهر صوتٌ في سكون الكنيسة ينادي بأن الزمان قد بلغ الميلاد، فالمسيح مزمعٌ أن يتصور في قلوب كثيرة، ليُولد شعبٌ في يوم واحد، وعوض سكون أربعة عشر قرناً ستهتف العاقر بفم أولاد لا يحصرهم العد، وعوض الظلمة التي تشاركت أيدي أئمة كثيرة في تفريخها داخل قلوب الأجيال سيُشرق نور الروح القدس وينسكب بغزارة على كل مظلوم ومنسحق، ويصير الإيمان على الأرض استعداداً للآتي حتى يجد المسيح مُشتهَى قلبه.

زيِّن مصباحك أيُها الحكيم، وليضئْ نور فقرك وانسحاقك، حتى يعلم كل منْ في البيت أننا نطلب مدينة أفضل لها الأساسات وبانيها الله. وليكن نظرك دائماً إلى فوق حيث النهاية السعيدة والنصيب المُعد. ولا ترتبك بأعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحرى امتلئ من السلام بالصلاة وعمل الروح.

التجئ إلى جناحي الله، لتجد مخبأً وقت الشر، وهو يحملك بعيداً. ولا تهتم بشيء بل في كل شيء بالصلاة، لتُعلم طلبتك لدى الله الذي يختم بوعوده الصادقة على كل عمل يُعمل باسْمه بإخلاص.

سلام؛ سلام؛ سلام.

القمص متى المسكين

الرسالة {٢٤}

(إلى راهب) دعوة للرجوع إلى القلاية

٢١ مارس ١٩٦٧م

عزيزى الأب (...)

نعمة وبركة وسلام من الله لروحك.

أتعشم في وجه يسوع المسيح أن تكون روحك استقرت فيك، وارتفع عنك قتال العدو الذي أحاط بك بكل شدة كنتُ أحسها من بعيد، وما كان لي سلطان البتة على قلمي أن أكتب إليك ولا كلمة واحدة حتى تجوز المعصرة وحدك وترى بوضوح وعن قرب 'نتانة' العالم كقول مار إسحق، وتأخذ لك خبرة تدوم معك إلى الأبد عن تعب النفس واضطرابها في بُعدها عن الأب الروحي الذي يُرشد النفس إلى وطنها السماوي ويُدربها على الغُربة الحقيقية في هذا الدهر.

والآن أيُها الحبيب، اعلم جيداً أن آلامك وأتعابك التي مررت فيها هي صورة طبق الأصل مما عانيتُه أنا تماماً معك، وفي كل يوم كنتُ أتمزق في داخلي بسببك، لأني أعلم أن نفسك ليست كفواً أن تواجه الحرمان من التعزية الروحية، التي كنت تستقي منها هنا مجاناً وكل يوم. وأن الهدوء والسكون في غرفة منعزلة لا يكفي إطلاقاً لهدوء وسكون النفس، لأن هدوء النفس هو في راحتها وتعزيتها بالروح، وسكونها يكون بخلوها من القلق والهموم والاضطراب، وذلك يأتي من راحة الضمير بالاعتراف والتسبيح والشكر والتناول مع البعد عن العالم.

وصدقني يا ابني، أنني لو تأكدتُ من إمكانية خلاص نفسك في مصر أو بني سويف تحت الظروف التي رتبتَها أنت لنفسك، ما كنتُ أنزعج

قط وما كنتُ كتبتُ لك أحثك على المجئ. ولكن مسؤوليتي عنك التي وضعهَا الله في رقبتي هي التي تجعلني أتوسل إليك أن لا تبطئ في مجيئك ولا ساعة واحدة بعد الآن، لأني أرى الخطر قد اقترب من نفسك والعدو مهَّد في ضميرك بتشويشات كاذبة كثيرة حتى يُشككك تارةً في شخصي، وتارةً في أشخاص الآباء، وتارةً في البرية هنا، وتارةً في الرهبنة، حتى يستخدم كل هذه الأفكار المضطربة ليضرب ضربته الأخيرة لفشلك وحرمانك من هذا الطريق الإلهي الذي دعاك إليه المسيح نفسه وفتحه أمامك وسهَّله لك.

ولذلك أقول لك جهراً أمام الله، والروح القدس شاهد، أن حياتك في خطر، ومحبتنا لك مجروحة وتنْزف أنيناً ودموعاً، ولن يكون لنا راحة حتى تمسك نفسك مرةً أخرى وتتشجع كالأول وتطرح ثقل العدو عنك بغيرة الخلاص والنعمة، وتحضر لتُمارس جهادك الأول وفرحك الأول ونشاطك الأول وغيرتك الأولى، وتتعزى برجوعك وانفلات نفسك من فخ العدو.

وأنا والآباء نتوسل إلى الروح القدس أن يكون مجيئك من تلقاء نفسك بدون تشجيع من الآخرين، حتى تفرح بعودتك إلى مكان راحتك، ولا يستطيع بعد ذلك أن ينْزع أحدٌ فرحك منك.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٢٥}

إلى رهبان دير مارجرجس – الحرف - لبنان

رسالة إلى رهبان دير مارجرجس – الحرف – بلبنان

بمناسبة لبسهم الإسكيم الصغير عام ١٩٦٧م

الله الذي دعاكم إلى هذا الطريق يبارك دعوتكم ويُقدس أرواحكم ويحفظ قلوبكم حتى النهاية، لتكونوا شركاء في ميراث مجد المسيح.

أنتم باكورة عجين أنطاكية الجديدة الذي سهرت عليه الملائكة حتى صار لائقاً أن يُقدَّم منه اليوم خُبزاً فاخراً تجاه وجه الله.

٢٤ من حزيران تُعيِّده الكنيسة عندكم أصلاً لميلاد الصابغ السابق. وهو اليوم الذي انحل فيه صمت زكريا أبيه ونطق باسم يوحنا. وها اليوم ينحل صمت أنطاكية في المجال الرهباني لتنطق بكم فيكمل حديثها الأول وتستعيد نشيدها السابق الطويل. لقد صرتُم تسبحةً حلوة وتنغماً في فم الكنيسة. اليوم صارت بشارة في أنطاكية أن ها قد أُعد للرب طريقٌ في القلوب المنسحقة، فليأت السيد إلى هيكله وليجد راحة عند المتضعين والمستقيمى العزم «الذين لم يُحبوا حياتهم حتى الموت».

يا إخوة، اليوم يفرح بكم المعمدان، لأن حياتكم صارت امتداداً لصوته ونذوركم استجابة حرة لصراخه.

ويا أهل أنطاكية، صوت الرب لكم كما من فم أليشع عظيم الأنبياء، قدموا قدموا كل الأوعية الصالحة التي عندكم التي باتت هذه السنين كلها فارغة، قدموها لتمتلئ من زيت الله، ولا تبخلوا ببنيكم وبناتكم ليكونوا أوعية خلاص لكم في يوم ضيقكم ويصيروا زيت بهجة ومسرة في زمان الحزن، فيرضى الرب عنكم وتأتي أزمنة الفرج من عنده. ولا

تقولوا كفى كفى، لأن الدنيا تتطلع إليكم.

نعم أضئ يا رب أنطاكية مرةً أخرى، وليستنير العالم بنورها كما في الزمان الأول.

أما أنتم يا باكورة دير الحرف، فسيروا زمان غربتكم بوداعة وخوف، واسهروا على قلوبكم لتمتلئ حقاً من زيت النعمة. وكحكماء حوِّلوا الزمان إلى خلود، وافتدوا الوقت بالمعرفة، ولتضئْ معرفتكم قدام الناس، حتى تكونوا للعالم كمدينة موضوعة على جبل وللكنيسة كسراج على منارة. واعلموا أن الطريق أمامكم شاقة غاية المشقة، لأن اسْمكم أصبح ذا صيت، وأصحاب الأسْماء المشهورة صعب خلاصها ولا يكمل إلا بالآلام.

فابغضوا المناصب، لئلا تزيدوا خلاصكم عسراً على عسر، واذكروا قول ذهبي الفم: 'عجبي على رئيس يخلُص'!!

جاهدوا لتكونوا لا شيء، وتصيروا غير معروفين عند الناس، فتكونون معروفين عند أبيكم الذي في السماوات. تواضعوا ليس لكي يُكرم الناس تواضعكم، بل لتصيروا حقاً مُحتقرين ومُزدرَى بكم فيرفعكم أبوكم في يوم الافتقاد. واذكروا دائماً أن الراهب لا يطلب إلا وجه الله.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٢٦}

رسالة تشجيع لاسترداد صلاح الإرادة

١٩٦٨/٢/٨م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله لروحك أيُها الأب الحبيب.

أتعشم أن تكون بنعمة القدير في عزاء وقوة متشدداً بالروح، قادراً أن تُجاهد الجهاد الحسن، مقدماً ذبيحة الإرادة الصالحة المقبولة من الله أكثر من ألوف أعمال، عالماً أن نية جهادكم وصبركم وإيمانكم هي الأساس الذي يستطيع الله نفسه أن يبني عليها أعماله هو في الجسد والنفس والروح لمجده خاصةً.

وصلتنى رسالتك وسررتُ غاية السرور باجتهادكم لاسترداد صلاح الإرادة الذي سَبَتْه الخطيئة بمغلفات الشهوات والأفكار الميتة التي صنعتها لتبيت في الفكر والنفس والجسد، وتصنع لها مقاماً دائماً هو الموت وهو الهاوية وهو الجحيم نفسه، بل وبدموع الحسرة والندامة أقول إنه هو أيضاً جهنم بنارها المؤلمة دواماً.

وفي الحقيقة قد كشف الله لى أيُها الأب الصالح جهنم الخطيئة داخل الإنسان الذي أكملت الخطيئة بناءه داخل الطبيعة في سنين كثيرة، والإنسان مستهين بخفة الطبقات الملتهبة التي تصبها الخطيئة داخل أعضاء الفكر والنفس والجسد. ولكن حينما يستيقظ الإنسان يجد أن لهب الطبقات المفروزة من سموم الخطيئة قد لصقت جداً بالعقل والنفس والجسد، وأصبح دفعها والتخلص منها يحتاج إلى أن يجرح الإنسان ويُدمى العقل والنفس والجسد ويُعريها بفضيحة. وتظهر شناعة تواطؤ

الفكر وتواطؤ النفس وتواطؤ الجسد مع عدو قتَّال بهذا الوصف، ليس للإنسان فقط وإلا كانت المصيبة تُحتمل، ولكن يرى الإنسان أنه تواطؤٌ ضد قداسة الله وضد حبه وصلاحه ورحْمته وعنايته ولطفه وطول أناته!

فإن كان مجرد الأثر الذي تتركه الخطيئة في العقل أو النفس أو الجسد يصعب رفعه، فيبدو وكأنه عدو رابض في حضن الإنسان وأعماق كيانه كحية سكنت في عبِّ الإنسان، أو ميكروب ماكر عنيد اندس داخل العظام، فكم تكونَ الخطيئة ذاتُها بصفتها الكاملة كفعل شيطاني وابن وبنت إبليس، الذي ولده الإنسان بمباضعة نجسة مع الشهوة داخل الفكر وحبلت بها النفس وولدها الجسد داخله؟

إن الدموع والنحيب لا يكفيان! إن الصوم والتذلل لا يكفيان! ولا العالم كله إذا أقام مناحة على نفسي يكفي! لستُ أريد أن أتخطى ما عليَّ وما وضعه الله في إمكاني، حتى بتسرع جاهل أقول دم المسيح دم المسيح، لأن دم المسيح أنا نفسي بشهوتي وخطيئتي أهْملتُه فيما سبق وازدريتُ به، لأن الخطيئة بمجاذبتها الساحرة اللذيذة السامة أضعفت خضوعي لسلطان الدم الإلهي، وبالتالي رفعت سلطانه الشافي عني!!!

إذاً، فبيني وبين الخطيئة معاهدة نجسة يلزم فكها وجحدها أولاً علناً وبشهود في كل يوم وفي كل موقف مُوات، وفي كل مناسبة تعرضها النعمة. يلزم زجر العقل عند أي ميلٍ نجس ناحية صديقته القديمة الخطيئة الفاجرة الساحرة التي سَبَت قُوَّته وامتصَّت تركيزه وانتباهه حتى لا يفيق ويعود إلى أمانة خالقه.

يلزم حبس النفس الخائنة وسقيها كل يوم كأس أفسنتين عوض كأس شراب الموافقة الأثيمة التي كانت تعاقره مع صديقها العقل وهي مستضيفة عدو الله الكذاب وأبا كل كذاب. يلزم تبكيتها على فجورها وخيانتها ولهوها بأسلحة الموت وشربها أفكار الخطيئة كالماء بسهولة

وبراحة وكأنما لن يُدان الإنسان على تعديها وجنونها. يلزم لومها لوماً مراً وعنيفاً، لأن بجهالة صباها ونجاستها تسببت في توقع دينونة مُرة جداً، حتى عسى بهذا اللوم والتقريع تنسى طريق الشهوة وتجزع من الميل نحو موافقة صوت الخطيئة الساحر الكذاب، وعندما تكف عن موافقتها المرذولة لمشورات عدوها وعدو ربها يجف ينبوع دمها النجس الذي كان يسيل من أعضائها كلها برائحة نتن الكبْرياء والعظمة والعجرفة والاعتداد بالذات والحقد والدينونة والغضب والحسد وبقية روائح الخطيئة ودمها الممزوج بالموت. وعندما تجف الخطيئة من النفس يعود لها حق في دم المسيح ويعود لدم المسيح سلطان عليها للشفاء والتطهير.

يلزم أيضاً ربط الجسد بأقسى رباطات الإرادة وتهديده بالحرق والقطع حتى يحتشم ويرتعب، ولا تعود الأعضاء فيه تطلب عاداتها القديمة التي هي رباطات الموت وجهنم، وإذ تُمنع عنها بقسوة وزجر وبلا رحمة تعود إلى صحتها الأولى، فترى وتحس كيف كانت تشرب السم كل يوم ويسري فيها الموت، إن كان بحركات النجاسة أو حركات النهم ولذة الحنجرة وملء البطن للشبع المتلذذ القريب من الفسق، وكسر قوانين الصوم لإرضاء البطن سيدة الأوجاع أُم كل تعدٍّ.

لا يكفي ما تبقّى من العمر لتنظيف أعضاء العقل والنفس والجسد من وساخة الخطيئة وتطهيرها من داخل ومن خارج، والزمان مُقصَّر والأيام شريرة متعاهدة مع الخطيئة، والعالم المُحيط عالم جهنمي يُحاول كل يوم أن يكسر الحدود التي وضعناها بيننا وبينه ليتدفق داخل بطننا ويُغرقنا بهمومه الوهْمية الكاذبة وأخباره المُزعجة القلقة التي يصنعها فيه خدام الشيطان، كموضات يومية، كل ساعة بساعتها حتى يجذب ما تبقى من وقت ليصرفه الإنسان في التفرج العقلي على تمثيلياته الخرافية التي يخلعها في الليل ليلبس غيرها في الصباح، وهكذا.

أقول إن العمر مقصَّر ورواسب الخطيئة التي ترسبت تحتاج إلى زمن فعلي؛ زمن حقيقي يصرفه الإنسان يوماً بعد يوم يكشف ويُعرِّي الأعضاء الداخلية والخارجية من مغلفات الخطيئة وآثارها النارية المُهلكة.

العمر قصير والخطيئة تمكَّنت، لذلك يكفي ضحكاً؛ يكفي راحةً وتضجيعاً؛ يكفي مسامرات ومقابلات وترويحات وأعذاراً للنفس لتتسلل إلى خارج بيت الله وتلعب مع الشياطين وتعود حاملة عارها، بل يكفي نوماً ويكفي ظلمة، لأن النور معنا زماناً قليلاً.

ينبغي أن نحمل همَّ دينونتنا، ينبغي أن نحمل همَّ موتنا ومقابلتنا الرهيبة للقدوس الذي سبق ونبَّهنا أن نكون قديسين نظير القدوس الذي دعانا، وإلا لن نستطيع أن نرفع وجهنا أمامه.

لا يكفي أن نمزج خبزنا بدموعنا، بل يلزم أن نمزج عملنا وكلامنا بالدموع أيضاً. وإذا لم يكن لنا دموع فليكن لنا قلب مجروح يقطر بالحزن أمام الله نظير قلبه وجنبه الذي طُعن بحربة خطيئة الإنسان، فأخرج لنا دماً وماءً للغسل والتطهير.

الله هو الذي دعانا إلى حياة الوحدة للتوبة. الله هو الذي فصلنا عن العالم لننتبه إلى مصيرنا. الله هو الذي أسكننا هذه البراري المقفرة، حتى لا ننشغل قط إلا بخلاصنا وعتقنا من أسر الخطيئة.

ومبارك هو الله الذي أبقانا حتى هذه الساعة دون أن نرتبط بوظيفة كنسية تلهينا عن خلاصنا وتوبتنا، فالوقت لا يزال وقتاً مقبولاً والساعة ساعة خلاص.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٢٧}

ضرورة تسليم النفس لله أثناء الضيقات

١٩٦٨/٥/١٢م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله.

أتعشم أن تكون في ملء النعمة، قادراً أن تكتسب منفعة جديدة في كل وضع ومن كل ظرف، كتاجر يؤمن بالربْح لحساب صاحب رأس المال.

ما قصدتُ أن أكتب إليك أبداً من أجل مديحك أو تعزيتك، فالمدح والتعزية هُما من الله بعمل الروح القدس في القلب. ولكن كنتُ دائماً أكتب إليك مُحاولاً فتح أبواب جديدة أمامك لمتابعة السير الكرب في الوادى الضيق، لأن متابعة المسير ولو في الظلام هي النصيحة الوحيدة التي يُمكن أن نسمعها من الناس أو الله مهما كان الحال، فالمسير يحمل في طياته كل الحلول والأجوبة عن الأسئلة الحائرة الحاضرة.

أما حينما ركَّزتُ في الرسالة السابقة على الخطيئة التي فينا، فلأنه لا ينبغى أن نحزن على شيء قط في هذه الحياة إلا الخطيئة، وكل حزن آخر هو خطيئة.

كما أنه لا يوجد شيء قط يستحق الاحتقار والازدراء إلا نفس الإنسان، بسبب ميلانها للخطيئة مع أن أمامها فرص البر والتقوى. ولكن فرق بين الحزن على النفس واحتقارها استنكاراً لسوء حالها الذي بلغته، وبين الحزن عليها واحتقارها مهما بلغت من البر والتقوى. فلا تحزن يا

أخي ولا تبكِ ولا تتألم على ما أنت فيه من تخلية أو صدود أو حرمان، فكلنا يجوز هذا التأديب عينه، ونحن نستحقها ولو لم نستحقها ما أتت علينا. ولكن جيد أن نحزن ونبكي على الدوام بسبب خطايانا الصغيرة والكبيرة الماضية والحاضرة سيان. ولا نستغرب قط من روح الحزن والمرارة حينما يداهمنا، فهذا تفسير لحالنا في الداخل حتى لا يسرقنا اللهو وعدم المبالاة في الخارج ويلهينا عن حقيقة نفسنا. ولا تنتظر قط تعزية من الناس ولا من الملائكة، لأنه حينما يقع الإنسان في تبكيت الخطيئة ويرسل الله عليه المحن لتطهيره، حينئذ لا يستطيع أي إنسان أو ملاك أن يُعزِّي الإنسان.

ولا تظن أنه يُمكن للإنسان أن يدخل تبكيت الخطيئة من ذاته، كما لا يمكنه أن يرفع عنه ثقل هذا التبكيت حينما يأتي عليه، لأن الدخول في تبكيت الخطيئة أو الخروج منه هو عمل رحمة وتدبير من اختصاص الروح القدس وحده.

ولكن سيان أن يكون الإنسان في صميم تبكيت الخطيئة أو في سلام الغفران طالما يكون الإنسان قد سلَّم حياته لله، فتسليم النفس لله يمكن أن يتم فوق جميع المستويات والظروف. ولعل تسليم النفس لله وهي في شعور الدينونة وتبكيت الخطيئة فضيلة أعظم من الغفران وأعظم من فرح الملكوت.

كما أني لا أومن بأن الجهاد وسيلة ناجحة للخروج من الضيقة ولا أومن بالتأهب والتوتر إزاء المُحاربات والمحن التي يسوقها العدو علينا، ولكن أومن بالتسليم المطلق لله الذي يستطيع أن يحارب عنا في الداخل والخارج حسب وعده. فإن رأى الرب أن يدوم الصراع وتدوم الضيقة، فهذا ليس معناه أبداً أنها لن تنتهي أو أن الله لا يُحارب عنا، ولكن يعني

أنها مفيدة لنا حتى ينسحق منا الجزء البارز من النفس الـــذي يســـتهوي العدو والذي ينبغي أن يتحطم في القتال.

ولكن شيئاً واحداً يجب ألا يغرب عن بالنا، وهو أن العدو لا يمكن أن ينـــزع عنا النور أو يحرمنا من رحمة الله، ولكنه يستطيع فقط أن يُخفيه عن أعيننا إلى حين! والشمس حتماً ستشرق من خلف الغمام لتحتضـــنَّا في الوقت المُحدد، وحينئذ تتبدد لحظات الجزع وتذوب من حول قلبنـــا كما تذوب قطع الثلج عند الشروق، ويتابع الإنسان استنشاق الـــروح القدس ليطير ولا يعود يشعر بثقل الجسد.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٢٨}

قد وُهب لنا أن نتألم مع المسيح

٩ أكتوبر ١٩٦٨م

إخوتي الأحباء في الرب رهبان وادى الريان

الأرض المقدسة التي رواها الله بنعمته.

نعمة لكم وسلام من الله القادر على كل شيء، وابتهال إلى وجه يسوع المسيح المُشرق في قلوبنا حتى يضئ لكم طريق الحياة والخلود ويقود خطواتكم من معرفة إلى معرفة ليزداد حبكم وتزداد وحدتكم بالروح معاً وبالرب.

أما من حيث **عمل الروح**، فأنا أشعر بقوة ترفعني إلى فوق وكأني طائر يهمُّ بالصعود إلى الجو في عزيمة ورجاء، شاعراً أن قوة الدفع وقوة الرفع تتآزران معاً لنقل عقلي وروحي إلى السماء، وأحس أن هاتين القوتين آتيتان من دم المسيح رأساً. فالقوة التي تدفعني من أسفل إلى فوق هي قوة اتضاع المسيح التي تقف مستعدة لدفع كل نفس مسكينة متضعة حسب ناموس الإله المتجسد وبمقتضى وعده. وأما القوة التي تجذبني وتشدني من السماء فهي قوة مجد المسيح، المجد الذي انفتح علينا من مصادره العليا السرية ليحتضن كل نفس تألمت بالظلم واشتركت في ظلمة قبر المسيح فصار لها حق مكتسب في كل ما صار للمسيح بعد الصليب والقبر.

والحق أن أي إنسان لا يستحق أن يشترك فيما صار للمسيح حتى ولا آلامه، ولكن قد وُهب لنا بصورة مبدئية أن نتألم مثله، فإن وفيَّنا حق الرجولة في احتمال آلام الظلم ومشقة التجند لحساب الصليب، يُصبح

لنا حق الاستراحة معه في مجده، مع أنه كثيرٌ علينا أن نُحسب منذ الأول متشبهين بموته، لأن الآلام والموت طبيعة فينا وجزاء.

هكذا والله لم يتركنا ناقصين قط في موهبة ما، فمواهب المسيح جميعها أصبحت لحسابنا، غير أننا لم نستثمر هذه المواهب التي مُنحت لنا في شخص المسيح كما ينبغي، وبعضنا لم يتعرف بعد على كثير من المواهب التي وُضعت تحت حسابه باسم المسيح، وبعضنا يرفض أحياناً أن يدخل في مواهب المسيح بسبب شكلها المزدرَى به وانعدام كل جمال لها حتى صارت غير مشتهاة مع أن فيها كل قوة المسيح ومجده.

ولعل من أعظم المواهب التي أُعطيت لنا في شخص يسوع المسيح هو حضوره الدائم في القلب حيث حضوره يكون مرافقاً دائماً أبداً لحمل الصليب، ففي أية لحظة يرتاح فيها الإنسان تحت الصليب يستعلن شخص المسيح داخلياً في الحال، وبقدر مسرة الاحتمال يكون وضوح الرؤية التي ينكشف فيها نور وجود المسيح في القلب.

هذا الكلام حق، وهو حسب وعد المسيح تماماً. «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى **شركة** ابنه يسوع المسيح ربنا» (١كو ١: ٩)، حيث الشركة مع المسيح لا يُمكن أن تُذاق إلا في الصليب، لا كتأمل وإنما كتألم، لأن كل ما هو خارج عن واقع التألم فهو حكمة، والحكمة هي المعطل الوحيد للصليب.

فإنسان بسيط جاهل يختبر مذاقة الصليب على مستوى الواقع الحي اليومي يكون قد بلغ إلى عمق أعماق معنى الخلاص وقوته، ويكون قد استعلن المسيح الحي، في حين أن كل فهم وكل تعمق في فلسفة الفداء والخلاص دون الرجوع لمذلة الصليب كفيل أن يملأ الإنسان بغرور الحكمة التي تحجز الإنسان عن قبول محقرة الصليب والرضى بالطرد والمَعْيَرة والازدراء التي هي رأس مال الجهلاء في نظر العالم ونصيبهم في

هذا الدهر. لذلك يُحاول بولس الرسول أن يفتـــدي الحكمـــة الإلهيـــة الصحيحة بقوله إن منْ أراد فيكم أن يكون حكيماً (حكمة صـــحيحة ليست من هذا الدهر ولا لهذا الدهر) فعليه أن يصير جاهلاً أولاً، لأنـــه حينئذ – أي في حال تجاهله – يستطيع أن يدخل بسهولة ورضى تحت الصليب الذي ينبع منه كل حكمة المسيح وبرِّه وفدائه.

فيا أحبائي، كم نشكر نعمة المسيح التي تقودنا من أمام إلى خلـــف حتى نستوفي أولاً نصيب الجهلاء ونقتنى طبيعتهم المستمدة من الصليب، لأنه حينئذ نؤهَّل للمسير في درب ما بعد الصليب المملوء من مرتفعات المجد الخطرة، فنسير بدون خوف محمولين على أذرع المسيح الأبدية التي امتزجت جروحها بجروحنا.

ختاماً، أستودعكم لعمل المسيح ولإنجيله المبارك لتكميل رسالتكم التي بدأتموها في حرارة وحب وشجاعة، وستختمونها بتهليل ورضى وشكر أبدي.

القمص متى المسكين

الرسالة {٢٩}

«الموت يعمل فينا، ولكن الحياة فيكم»

٦ نوفمبر ١٩٦٨م

الآباء الأعزاء بوادى الريان

سلام من الله ونعمة وبركة لأرواحكم جميعاً. ومحبة خالصة من قلبي وقلب أليشع ابنى.

نتعشم أن تكونوا متمتعين بهدوء القلب والسلام الداخلي الذي يفوق العقل.

إنَّ كل رجائي وتوسلي وصلاتي أن لا يكون بُعدي عنكم ثقيلاً على أنفسكم، لأن هذا وحده كفيل أن يزعجني ويجعل وجودي هنا فاقد القيمة. لأني متعشم في وجه إلهي أن يكون الرب وحده رجاءكم وسندكم وتعزيتكم بل وتسليتكم وفرحكم أيضاً.

والحقيقة التي ينبغى أن يُجابهها كل واحد منا هي أننا غرباء بالفعل عن كل عزاء أرضي جسداني، فسرور هذا العالم وتسلياته مُرة في حلقنا بل وأكثر من ذلك، فإن القيمة الجسدية بكل اعتباراتها من صحة وقوة أصبحت عديمة المعنى عديمة الأثر في نفوسنا، فالموت قارب أن يكون معادلاً للحياة، والصحة والمرض تداخلا معاً في الشعور واللاشعور حتى لم يعُد الإنسان قادراً أن ينحاز قلبياً لأحدهما. فالموت يُقربنا إلى الله أكثر من الحياة، والمرض يُجابهنا بحقيقة الحياة الأرضية والأبدية أكثر من الصحة. وفي النهاية يتحتم أن نرضخ لقانون الولادة الجديدة المعادل لقانون الخدمة والكرازة أيضاً، وهو أن «الموت يعمل فينا، ولكن الحياة

فيكم»، وهذا هو ناموس المسيح الجديد.

على أني أود أن تسهروا في هذه الأيام، لأنها أيام تُبشر بتصفية مفاجئة، سيدخل فيها العالم ليتخلص من موجات الفساد والشر التي طغت على تيار المسيرة الطبيعي لبني الإنسان، ولن يتبقى إلا مساكين الأرض الذين ليس عندهم مانع أن يُتمموا مسيرة الكنيسة بروح عريسها. أما المعاندون فسيدخلون غربال النعمة الطبيعية التي أعدَّتها أيديهم من دمار وخراب وقسوة تفوق عدم الإيمان!

فاسهروا لتُوجدوا مستعدين للنقلة الأخيرة بلا خوف ولا انزعاج.

اُذكروا ضعفي.

كونوا معافين.

القمص متى المسكين

الرسالة {٣٠}

ماذا أعطانا المسيح، وماذا لم يُعطنا؟

رسالة ليلة عيد الميلاد المجيد

٧ يناير ١٩٦٩م

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

يا أحبائى

يا كنيسة صغيرة مزينة بالروح القدس، يا قطيعاً سعيداً براعيه الوديع كالحَمَل، أحْمل إليكم نسمات آتية من بيت لحم أرض اليهودية حيث وُلد المسيح، وكأن الميلاد كان بالأمس أو على الأصح هو اليوم بل في هذه اللحظات أيضاً حسب إيماننا بالعيد والطقس، لأن الطقس الإلهي له أثر رجعى يُحْيي الماضي ويجعله حقيقة تُعاش اليوم كالأمس وإلى الأبد. لأننا حينما نشاهد المولود نشاهد إلهاً له ملء القامة بل ملء الوجود والزمان والكيان، لأن به كل شيء كان وبغيره لم يكن شيء مما كان.

فاليوم نحن نُعيِّد للميلاد، وعيدنا يمتد ليشمل كل يوم وربما كل الحياة إلى الأبد.

فتعييدنا للميلاد يسمو بالحوادث والمظاهر والأماكن والأشخاص حتى يبلغ مركز المشيئة الإلهية؛ أي مشيئة الآب مباشرةً التي انحدر منها المسيح؛ حيث نجد في هذه المشيئة ينبوع الحب الحقيقي الذي تفجَّر يوم الميلاد، فانسكب في قلوبنا منذ ذلك اليوم ولم ينقطع. فكان ميلاد المسيح هو ذروة استعلان مشيئة الحب الأبوي من نحونا نحن الذين كُنا مرفوضين وأبناء غضب وعبيد إثْم وسكان ظلمة، فصرنا بني العلي أولاد نور وحب.

فالمسيح يا إخوة هو ابن المحبة، فالمحبة لا يُمكن أن تلد إلا المحبة. ولأن

محبة الآب السمائي مذخورة للروحانيين المبررين فقط، كان من نصيبنا الآن المحبة المولودة في الجسد لكي نستطيع أن نقبلها وندركها. فإن أدركناها على صعيد الجسد وتملكناها بكل قوة ولم تسقط من أيدينا وقلبنا وفكرنا اتحدت بنا على صعيد الروح، وحينئذ نبلغ محبة الآب، لأن الذي يُحب الابن يُحب الآب بالضرورة.

فالمسيح بضاعة محبة معروضة بأرخص الأثْمان في سوق العالم المشحون بمحبات أُخر كثيرات! وكثيرون يعبُرون على هذه البضاعة ولا يجدون فيها ما يستهوي غرائزهم في التلذذ والتملك ويُفضلون عليها محبة امرأة أو ابن أو ابنة أو مال أو صيت حسن أو شهرة أو مجد رئاسة للذات، فيستهينون بحب المسيح ولا يكرمون مشيئة الآب المستعلنة في هذا الحب. هؤلاء هم الذين قيل عنهم إنهم يزدرون بروح النعمة حاسبين الدم الذي تقدسوا به مثل بقية أدناس هذا العالم التي تستهويهم، وفي جريهم وراء شهوات قلوبهم للتملك والمجد الكاذب يدوسون ابن الله!!!

أما الذين أقبلوا على هذه البضاعة الرخيصة والمزدرَى بها في عيْن العالم، وقَبلوا الابن أي جعلوا حب المسيح هدفهم الوحيد، ورضوا أن يدفعوا ثمناً لهذا الحب، لا أقول مالهم ولا أقول كرامتهم ولا أقول جسدهم بل بذلوا حياتهم كلها، مستعذبين كل غرامة ومسترخصين كل إهانة ثمناً لحب المسيح، الحب المجاني الذي لا يطلب الإنسان من ورائه شيئاً قط. هؤلاء يأخذون سلطاناً من الله ليحسبوا أنفسهم أولاد الله، لأنهم إذ أحبوا ابن الله استأهلوا أن يكونوا مثله أمام الله!! والكتاب يؤكد أن ابن الله أُعطي سلطاناً أن يُقسم ميراثه على مُحبيه، ميراثه في ملكوته ومجده وحب الآب له.

أنظروا يا أخوة أية عطية أعطانا الآب في هذا اليوم! فالآب لم يعطنا المسيح ليعمل لنا شيئاً ينفعنا في هذا الدهر، ولا هو أرسله نيابةً عنه ليبلغنا

رسالة تُعزينا وتُشجعنا في جهادنا المُضني عبْر العالم، ولكن الآب أعطانا المسيح وأعطانا معه كل شيء، أي كل شيء يخص المسيح، ملكوته ومجده وحبه وحياته مع الآب.

وأقل ما للمسيح هو صلته بهذا الدهر وبرؤساء وعظماء هذا الدهر وبالمعتبرين أسياداً على الناس الذين يسودون عليهم بمؤهلات هذا العالم. هذا لم يعطه الآب لنا بالمسيح، ولهذا كل منْ يطلب هذا يتحتم عليه أن ينكر المسيح.

أُنظروا يا إخوة كيف ولماذا وُلد المسيح في مذود للبهائم و لم يجد قماطاً يلف به جسده العاري إلا خرقاً قديمة؟ أليس هذا كان من أخص خصائص ما للمسيح، الذي إن رُزِقْناه اليوم فقد يكون بشارة بميلاد حقيقي لأرواحنا؟

ثُم أتجاوز السنين وأقول أيضاً: أُنظروا إلى المسيح ملطوماً من عبد لرئيس الكهنة، و لم يجد واحداً يدافع عنه، فتوسل إلى العبد أن يكف عنً ضربه لأنه لم يتكلم ردياً. أليس هذا كان من أخص خصائص ما للمسيح، الذي إن رُزِقْناه اليوم فقد يكون إعلاناً عن صليب حقيقي قد بلغناه؟

ختاماً: المجد للآب الذي أعطانا المسيح ووهب لنا معه كل ما للمسيح.

المجد للابن الذي قسم لنا ميراثه.

المجد للروح القدس الذي أشعل قلوبنا بحب المسيح. آمين.

القمص متى المسكين

الرسالة {٣١}

ميلاد المسيح وميلادنا نحن من الله

رسالة صبيحة عيد الميلاد المجيد

٧ يناير ١٩٦٩م

إلى الآباء الأعزاء بوادى الريان

سلام من الله ونعمة وبركة في المسيح الفادى والمُخلِّص لأرواحكم جميعاً.

كما كان العالم يتهيأ لميلاد المسيح منذ أن أخطأ الإنسان نحو الله، كذلك لا يزال كل إنسان في العالم مُهيأً ومُعداً لقبول المسيح في كل مرة يُخطئ لله. فالمسيح جاء ليُعدِّل مسار الإنسان نحو الله بصفة دائمة ومستمرة، فالإنسان دائماً يُخطئ تجاهه والمسيح موجود الآن ليُصحح الخطأ ويعيد للإنسان صحة العلاقة التي تشده بالله ويُحقق له بالفعل إحساس التعديل، ويؤمِّن له الهدف النهائي ببُرهان وجوده الإلهي داخل أعماق الشعور.

ولكن بقدر ما كان العالم ينمو في الاستعداد لقبول ميلاد المسيح كان ينمو أيضاً في عدم الاستعداد للإيمان به، إذ كان العالم ولا يزال فيه عناصر التحدي لله مُمثلة في رئيسه المُهيمن على شهوات الإنسان وطموحه الذاتي والذي يمد عقل الإنسان بإغراءات التطلع إلى حرية وسلطان ووجود من دون الله وبعيداً عن وصاياه ونواميسه.

وكذلك أيضاً كل إنسان في حد ذاته مهما بلغ من الخضوع والإيمان بالله لا تزال تنمو فيه مع الزمن وحركة العالم عناصر مُجرمة لنزوات وطموح ذاتي وإغراءات التطلع نفسها إلى التحرر الخاطئ ووجود نجس

بعيداً عن وصايا الله المقدسة!!

غير أن ميلاد المسيح في العالم يقطع دائماً خط الرجعة على طغيان عبقرية الإنسان المنحرفة، إذ لا يزال يوجد منْ يُبكِّت العالم على انحرافه وطغيانه. وكذلك ميلاد الإنسان في المسيح يقطع دائماً خط الرجعة على طغيان وعتوِّ شهوات الإنسان وطموحه الذاتي ويُذلل طبعه الوحشي مُبكتاً ضمير الإنسان بغير هوادة على كل قول وكل عمل لا يتلاءم وجَدَّة الحياة التي أفاضها الروح القدس على إنسان الله.

إن المسيح لم يُولد في العالم ليُوجد في العالم، لأنه ليس أصلاً من العالم، بل وُلد للعالم ليُوجد العالم فيه. فالمسيح لا يُمكن أن نراه في العالم أو مع العالم، أي أننا عبثاً نُحاول التعرف عليه أو الإحساس به أو الخضوع له أو مُجرد الإيمان به ونحن نعيش في جو العالم وفكره ومسراته وطموحه أو ونحن نعايشه ونُمالئه ونتودد إليه. ولكن عندما نخرج من جو العالم ونتحرر من فكره ومسراته وطموحه، وفي اللحظة التي نُضحِّي فيها بالتودد له أو مُمالأته ونحن متجهون بأعماقنا لله، حينئذ نجد المسيح ونتعرف عليه ونحسه بقوة فائقة وبمواهب وعطايا غامرة تُعوض لنا عن كل خسارة فرضها العالم علينا جزاء تحديه.

وحينما يدخل الإنسان مجال المسيح، هناك يجد العالم الجديد الذي وُلد له المسيح ليملك على كرسيه إلى الأبد، المعبَّر عنه بملكوت الله، عالم الإنسان المبرر والخاضع لله، عالم القديسين وأرواح الملائكة، عالم الكنيسة الحية والجسد السري والنور الأبدي.

وكذلك أيضاً كل إنسان يؤمن بالمسيح ويعتمد له أي ينصبغ به، فإن المسيح لا يُستعلَن له مولوداً بعيداً عنه هناك في بيت لحم أو حتى في

بيت القلب. فهذا إن تخيله الإنسان فهو لن يكون جوهر الاستعلان الحق بل هو استعلان التاريخ الذي هو صورة الحق. أما الاستعلان الجوهرى لميلاد المسيح بالنسبة للإنسان فإنما يتم على وجه التحقيق بميلاد الإنسان نفسه في المسيح لله. فنحن بواسطة الإيمان والانصباغ السري الروحي بالمسيح نأخذ سر الميلاد الإلهي من الله أو على حد تعبير الكتاب: «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنين باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله (يُولدون)» (يوحنا ١: ١٢، ١٣).

إذاً، فنحن مدعوون لرؤية ميلاد المسيح في ميلادنا نحن من الله ميلاداً بسلطان إلهي لا يعتمد على قوة ذاتية من عندنا بأي نوع إلا بقوة الإيمان العامل بالمحبة، كما لا يتأثر بخطيئة ما موروثة في الجسد، بل يتعدى كل خطيئة بغسل دم المسيح الفائق في الرحمة واللطف والإشفاق على ضعف الإنسان.

لذلك كان من واقع الحال أن كل مَنْ يعيش ميلاده الجديد في المسيح يعيش في رؤية بيت لحم بصورتها السمائية كما رآها الملائكة، فلا يهدأ ليل نهار من التسبيح بمجد الله في العلا؛ والتعمق في سلام المسيح على الأرض؛ واستجلاء مسرة الله وسط أتعاب هذا الدهر!

يا إخوة، إنه رباط هذا الزمان الذي رُبطنا فيه معاً ليحمل سراً عجيباً من أسرار المسيح، فالرهبنة التي تجمعنا معاً تحت شكلها غير قادرة بتاتاً أن تُنشيء منا جسداً واحداً وروحاً واحدة وكنيسة واحدة، فالرهبنات في كل العالم تعاني جفافاً وتمزقاً وفُرقَة.

لذلك فنحن نتقدم إلى روح المسيح الذي ألبسنا زى المحبة وأفاض

علينا نعمة التواضع على صورة الفقر والمسكنة والإذلال وصَهَر قلوبنا وصنَعَنا قلباً واحداً، نفرح معاً ونحزن معاً ونمرض معاً ونشكر معاً، نتقدم إليه لكي يُقدس وحدتنا وحبنا وذلنا وفرحنا وحزننا ومرضنا وشكرنا ذبيحة حية مقبولة حُباً وكرامةً لاسْمه العظيم المبارك.

القمص متى المسكين

الرسالة {٣٢}

دعينا لأن نكون في طاعة طفولة المسيح

في مناسبة عيد الميلاد المجيد

١٩٦٩/١/٧م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله لروحك أيُها الحبيب.

أهدى محبتك تحيات الميلاد، عيد رجاء البشرية المُتجدد الذي مهما أحاط البشرية من ظلام وتجمد، فهو النور الذي بقدرته أن يضيء داخل قلب كل إنسان ليُبدد بسلطان قَهَّار كل عتمة وكل شك، ويُشيع في جُمود الإحساس حرارة الفرح التي تجعل من ثليج المشاعر قوة تُحرك الأرض بأسرها.

فليست البشرية، مُمثَّلة في الأمم وحدهم، هي وحدها التي كانت ترزح في كورة الموت وبرودة الظلمة الروحية وظلال العدم حينما أشرق عليهم فجر يوم المسيح على صوت بُشرَى الملائكة، بل وبنو إسرائيل أنفسهم المكْنِي عنهم ببنى الملكوت وأبناء النور والماسكين بمفاتيح المعرفة، حكماء إسرائيل المتعلمين في ملكوت الله، أبناء الأنبياء، أصحاب العهود والمواعيد والمُشرِّعين للفضيلة وناموس البر، هؤلاء كلهم خيَّم عليهم ظلام الموت والجهل بل وأُغلق عليهم جميعاً في العصيان، لكي يظهر أنه بدون المسيح ليس ملكوت ولا نور ولا معرفة ولا حكمة ولا علم ولا رجاء في عهد ولا قيمة لتشريع أو فضيلة أو ناموس أو بر!

إذاً، فيا لفرحتنا بالمسيح اليوم فهو وحده يكفينا، لأنه قد تعين لنا من الله أن يكون هو برَّنا! فقد صار لنا براً وقداسةً وفداءً من الله. بل وماذا

بعد المسيح وهو الذي فيه كنوز الحكمة والمعرفة، فحينما نقبله ونُسكنه في قلوبنا يصير قلبنا بحد ذاته كنـــز الصلاح تخرج منه الصالحات، بـــل ويصير ينبوع نعمة يفيض منه الروح القدس كل معرفة وكل فهم وكل وقار ورزانة وحب.

لقد صار لنا المسيح ناموساً بحد ذاته، لا بكلمات مكتوبة، بل بفعـــل حي يُسيطر على تفكيرنا وإرادتنا وعملنا وكل حياتنا، حتى تنتهي كلها إلى مشيئته المباركة لخلاصنا من هذا الدهر، وذلك عندما نقبله ونتقبـــل مشيئته بكل رضى وتسليم.

إن طاعة المسيح للآب كانت في إحدى صورها المبدعة هذه الطفولة المستسلمة ليد الله في وسط مُحيط الشر الآدمي، ولكنها حُفظت ســـالمة من كل أذى بكل حكمة وفطنة.

وهكذا دُعينا أن نكون في طاعة الطفولة عينها تحت تدبير عناية الآب السمائي، لنؤهَّل لتدبير حكمته، ليُمكِّننا من ملكوته الأبدي وليُظهر فينا مسرة مشيئته.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٣٣}

اليوم وُلد قربانُنا في بيت لحم

في مناسبة عيد الميلاد المجيد

١٩٦٩/١/٧م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله لروحك أيُها الحبيب.

أهديك تحيات الميلاد التي تحمل رائحة قربان هو أقدس قربان وأطهر قربان عرفه بنو الإنسان. اليوم بطُل مذبح خبز الوجوه، وعوض الخبز الساخن الذي كان يضعه الكاهن على المذبح فما يُوشك إلا وتعتريه البُرودة، وإن نُسى لحظةً أصابه العطب، اليوم وُلد الجسد الذي أشعل نار الله في القلوب الباردة، فقلَبَها أتون حب ما يفتأ يضطرم اضطراماً حتى يأتي على كل خطية الإنسان! هذا الجسد الملتهب باللاهوت الذي صرع برودة الموت فأقام الجسد حياً، وما يزال يُقيم كل مَنْ يسمع في القبور صوته. اليوم وُلد قربانُنا في بيت لحم؛ الخبز الحي النازل من السماء الذي ختمه الله، وكل مَنْ يأكله ينطبع عليه ختم الروح فيصير ذبيحة حية وقرباناً مقبولاً.

كان خُبْز الوجوه لا يأكله في القديم إلا ذوو الصفة الكهنوتية، والآن صار المسيح مأكلاً لكل أحد، لأنه قادر أن يجعل كل واحد كاهناً لله الحي. وهكذا أصبح قربان المسيح بمثابة مسحة جديدة وقرن دهن بهجة يمسح القلب ويُتوِّج الروح بإكليل "قدس للرب".

اليوم صنع الروح القدس من مريم 'عجنة للبشرية'، بعد أن قدسها ثُم اقتطع منها قرباناً جعله الابن خاصته، ووحَّده بلاهوته، وسلَّمه لبني

الخطاة، ليرفعوه قرباناً عنهم رغماً عنهم على الصليب. الحكيمة مريم احتفظت بسر القربان إلى أن حان وقت تقديمه، وقبل الساعة المُعيَّنة بقليل قالت له: أظهرْ نفسك!

واليوم نحن نلتفُّ حول المزود لنفرح بقربان حياتنا، قوة كهنوتنا الذي به نلنا جراءةً وقدوماً إلى عرش الله.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٣٤}

دعوتنا يتحتم أن يكون لها ختم الصليب

في مناسبة عيد الميلاد المجيد

١٩٦٩/١/٧م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله لروحك أيُها الحبيب.

أهديك تحيات العيد، متوسلاً لدى الرب يسوع أن يسبغ عليك من نعمته لتمتلئ حياتك بالروح القدس كمواعيد الآب والابن الصادقة، حتى تصبح كل أعمالك وأفكارك شهادة حية للمسيح وبرهان صدق الوعد، ليتشجع بك كثيرون ويتمجد الله فيك.

إن فرص أسفاري بعيداً عنكم هي في الواقع محكٌّ قوى لكشف أصالة روح المحبة الإلهي الذي ضمَّنا وربطنا ووحدنا، حتى أنه بمجرد أن تغيبوا عني بالجسد أحس بحنين روحي طاغ لا أستطيع أن أُهدئه، يظل يضطرم في روحي فيجعل كل شيء أمامي مُراً وكل مسرة وراحة شوكاً، إذ لا أعود أطيق راحةً أو صحةً أو هدوءاً جسدياً أو روحياً بدونكم. فالهدف الذي نسعى جادين نحوه يفوق كل ما للجسد، هذا الهدف وإن كان غير منظور لكثيرين فهو واضح ومُتلألئ في قلب المسيح، لا يراه إلا الذي يرى المجد والنصرة في كل الصليب، والعز والعظمة والخلود في الجسد المُسجَّى في القبر.

إن المجد الذي نسير نحوه هو هو في صميم الألم والذل والمسكنة التي فرضها العالم علينا، مع أن هذا الألم والذل والمسكنة عينها هي مطلوبنا في نفس الوقت. ولو كان العالم لم يسعَ لفرْض هذه العقوبات علينا،

لكنَّا فرضناها نحن على أنفسنا تحدياً للعالم ورئيسه، لأننا يوم خرجنا من العالم وضعنا في أنفسنا أن نزدري بكل مجده وراحته ومسراته الوهمية الكاذبة.

إذاً، فنحن بلغنا مطلوبنا خلسةً، وإلى أن يحين اليوم الذي يُشيِّعنا فيه العالم إلى القبْر سنظل متوسلين أن نبقى كما نحن قائمين في عظمة ذلنا وفي مجد انسحاقنا وفي نصرة فضيحتنا وفي قوة عدمنا، لا كأننا نتلذذ بالألم في حد ذاته، بل متلذذين في شركة ألم ابن الله الكلي المجد، عالمين أن دعوتنا يتحتم أن يكون لها ختم الصليب، فإن غاب الختم غاب برهان الدعوة إلى الأبد.

فشكراً للذي دعانا وختمنا.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٣٥}

ضعف الطفولة، وقوة الله

في مناسبة عيد الميلاد المجيد

١٩٦٩/١/٧م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله لروحك أيها الحبيب.

أهديك تحيات الميلاد المملوءة فرحاً سمائياً التي تختلط فيها أصوات المرنمين من بني البشر مع أصوات الملائكة بلا تفريق، يشدُّهما معاً رؤيا واحدة هي الحب الأبوي المطلق الفائق الحنان والاتضاع الذي تجسد في يسوع هدية أبدية لبنى الإنسان، الذي فيه قد استُعلن كل حكمة الله وكل تدبيره ليكون المسيح حامل مجد الآب والمتقبِّل كل عبادة لله، والذي فيه ينتهي قصد الخليقة كما بدأت به.

يسوع الذي بدأ حياته على الأرض طفلاً بلا قوة ثم أنْهى حياته على الأرض بالقيامة من الأموات بكل قوة، ليُثبت أنه فعلاً الألف والياء؛ بداية كل شيء ونهاية كل شيء، حتى نجد فيه كل قوتنا في منتهى ضعفنا ثُم نجد فيه منتهى ضعفنا في قوتنا، لأنه حامل لفخر القوة والاتضاع معاً. وهكذا يُغطي المسيح ضعفات الإنسان المتوشح بالمسيح ويكشف سترْ الإنسان المتقوِّى بنفسه.

هيرودس الملك أراد أن يقتل الطفل يسوع، لأنه ظن أن ضعف الطفولة فرصة مواتية لسيفه الأحْمق، ولكن ضعف الله يستحيل أن يقع في متناول ذراع الأحْمق والظالم، فضعف الله أقوى من الناس، وعلى الصليب وبالصليب انْهزم الشيطان هزيمة أبدية.

الإنسان بحد ذاته ضعيف مهما بلغ من القوة والبطش والسلطان، بل مهما بلغ من القداسة والبر والتقوى. أما القوة الحقيقية؛ القوة التي تظل أبداً قوة والتي تخرج منها كل النصرة، فهي لا تُستمد إلا من المسيح بالنعمة مجاناً، حينما يؤمن الإنسان ويتحقق تماماً من ضعفه وييأس كلية من كل اعتماد على كل قوة الإنسان ووسائل تغلُّبه المصطنعة بالعقل والمال والحيلة. فحينئذٍ يستمد قوة المسيح نفسه من مصادرها الإلهية غير المحدودة.

نشكر الله الذي أوردنا موارد الضعف الإنساني حتى واجهنا أنفسنا على واقع الحقيقة فأدركنا عدمنا وتيقّنا من قوة الله، وما بقي علينا إلا أن نقبل ضعفنا حتى نقبل قوة الله.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٣٦}

نحن شركاء في العهد الجديد، كنائلين العطية

في مناسبة عيد الميلاد المجيد

١٩٦٩/١/٧م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله لروحك أيُّها الحبيب.

أهديك تحيات الميلاد التي سمع فيها الإنسان لأول مرة – بعد خطيئة الإنسان – صوتاً من السماء يُعزي قلب الإنسان ويدعوه للسلام والسرور.

مبارك هذا اليوم، لأنه يوم عزاء للبشرية وقوة سرور قادرة أن تُحول دائماً وباستمرار كل أحزان الإنسان إلى رجاء.

إن القارئ للنبوات الأخيرة وخاصةً من بعد إشعياء النبي ليُصدم من كثرة الويلات والأحزان والتهديدات التي صبَّها الأنبياء الواحد تلو الآخر على نصيب كل الأمم والشعوب: وحيٌ من جهة... وحيٌ من جهة... وحيٌ من جهة ... حتى ليكاد قلب الإنسان ينخلع من فرط التهديدات السمائية الغاضبة.

ولكن شكراً شكراً لله القادر على كل شيء الذي أنْهى عهد الغضب والويلات وفتح صفحةً جديدة كليةً لمصير كل الشعوب والأمم يوم ميلاد المُخلص، «نور خلاص للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو ٢: ٣٢).

ما أجْمل إشعياء وما أروع صوته المعزِّي: عزُّوا عزُّوا شعبي!

هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنفرح ونبتهج فيه، لأنه يوم خلاص مجاني؛ يوم فداء من لدن الله، يوم عهد صادر من طرف واحد هو الله فقط، أما الإنسان فلم يشترك فيه إلا بتقديم جسد طاهر من العذراء لله ليتخذه خيمة يحل فيها ليكمل عهده بذراعه هو!!

نحن شركاء فعليُّون في العهد الجديد، ولكن لا كمسؤولين وإنما كنائلين العطية. يا لهذا السخاء في الشركة! ويا للتساهل المفرط! فالدم المسفوك دمنا، أحْمر قانٍ ملتهب، ولكن القوة التي فيه إلهية فائقة الفعل والمفعول، هو جسد وهوً دم حامل لضعفنا وحامل لقوة خلاصنا معاً.

اُنظروا إلى بيت لحم وتأملوا، فالمولود هو ابنكم وهو ربكم! هو الحامل لطبيعتكم وهو المُقدِّس لها والفادي.

اليوم لبست طبيعتنا اللاهوت ولبس اللاهوت طبيعتنا!

اليوم تحول الضعف إلى قوة، والخطيئة اضمحلت وحل مكانها بر أبدي.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٣٧}

بدء حياتنا الحقيقية والأبدية

في مناسبة عيد الميلاد المجيد

١٩٦٩/١/٧م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله لروحك أيها الحبيب.

أهدى محبتك تحيات الميلاد، العيد الذي نبدأ به سنتنا أو سنة الرب المقبولة، بل نبدأ به حياتنا في الله وخلاصنا الأبدى، حياة يسميها الكتاب حياة أخرى، لها سمات روحية لا تخضع لمؤثرات هذا الزمان، ولا تستمد سعادتها من الجسد: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه» (يو ٢: ١٩)! «مجداً من الناس لستُ أطلب» (يو ٥: ٤١).

وإن كانت الحياة التي عاشها المسيح على الأرض كانت في الجسد وكان لها كل السمات الجسدية وخضعت لكل المؤثرات الزمانية، إلا أنه بالقيامة أثبت أنها كانت حقاً ليست من الجسد ولا بالجسد بل حياة إلهية أُظهرت في الجسد وحسب: «الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا» (١يو١: ٢) ورأيناها ولمسناها.

هذا السر الإلهي المتضاعف قوةً وعمقاً بدأ بسيطاً في بيت لحم وكأنه طبيعي، ولكنه استعلن عجبه واستُعلنت آيته العظمى يوم العماد في الأردن، فعُلم يقيناً أن المولود في بيتَ لحم هو الحياة الأبدية تجسدت حسب مسرة الآب في أقنوم الابن متأنساً. لذلك كان من حكمة الكنيسة الأولى أن تُعيِّد للميلاد والغطاس معاً في يوم واحد، باعتبار أن الغطاس هو استعلان لسر الميلاد الأزلى القائم في الميلاد الجسدي، بحيث

من غير الممكن بل ومن المستحيل أن نفصل أحدهما عن الآخر.

وعلى نفس النمط تماماً نبدأ حياتنا الإلهية التي هي الحياة الحقيقية والأبدية بالمعمودية عندما نأخذ روح المسيح أي روح الابن، أو على وجه أدق، روح الآب المنبثق من الآب في الابن، الذي يلدنا من جديد أو يلدنا ثانية، أو على وجه أدق، يلدنا من البدء لله، فتبدأ الحياة الأبدية تتحرك وتنمو في أحشائنا سراً، فنبتدئ نعيش مع المسيح في الله حياة أبدية تتخطى كل مؤثرات هذا الزمان وتتجاوز كل عيوب ونقائص الجسد، لا تزيدها هذه وتلك إلا وضوحاً وقُرباً من جوهرها الإلهي القادر أن يبتلع الموت والفساد ابتلاعاً حتى يتجلّى الجوهر الروحي بكل جماله وكماله الإلهي، وحينئذ يهتف كل لسان بعظمة رحمة الله في المسيح الذي عَوَّض الإنسان عن كل ضعفه وألمه ودموعه فرحاً وبهجةً وعزاء وسروراً.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٣٨}

عيد باكورة ثمر البشرية

في مناسبة عيد الميلاد المجيد

١٩٦٩/١/٧م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله لروحك أيُها الحبيب.

أهديك تحيات الميلاد رقيقة كالنسيم الخفيف حيث سُمع فيها صوت المحبة الأبوية على أنغام الملائكة، صوتٌ منعش ومُحيي، أحيا البشرية من مواتها ويأسها. فهذا الصوت ليس رسالة، بل جسدٌ استُعلنت فيه كل مراحم الله وكل إشفاقه وصفحه عن الزلات السابقة بطول إمهال يفوق الوصف وبأناة تجاوزت كل خطايا كل الناس! هذا هو الطفل يسوع المُضجع في المزود عربون الصليب الذي تم في حينه. هذا هو يسوع الذي وُلد ليموت عنا! محبة مُجسَّمة، بذل مُتجسد، اتحدت محبة الآب للخطاة بمحبة الابن للآب فوُلد المسيح!

اليوم أُخصبت البشرية بعد عقم الروح الذي أصاب أبويْنا. اليوم وُلد للإنسان ابن يُدعى إلهاً أبدياً!! نحن نُعيِّد اليوم عيد باكورة ثمر البشرية الذي صار بكراً بين إخوة كثيرين ورأساً لكنيسة روحية ملء السماء. هذا هو الوسيط الوحيد بيننا وبين الآب، لأنه أخونا وابن الله بآن واحد! قادر بحق وجدارة واستحقاق أن يشفع في كل ذنب وفي كل ضعف من جهتنا، لأنه ارتضى أن يحمل أمام الآب والملائكة كل خطيئة الإنسان ويتقبل عنها كل تعيير وعقاب. وبعد أن أكمل كل تطهير لازم لطبيعتنا ألبسنا جسده الطاهر لنظهر به أمام الآب بلا عيب ولا لوم.

فمبارك هذا اليوم في عداد كل أيام الإنسان، الذي فيه سلَّمْنا جسدنا للروح القدس بواسطة العذراء ليأخذه المسيح عنا ويُصيِّره لـــه خاصـــةً، فيتراءى أمام الآب به مُصالحاً كل إنسان فيه!! مبارك هو كل إنسان له روح المسيح بالإيمان، لأنه لَن يعود يظهر بعد في جسده الميت الفاســـد أمام الآب، بل سيُعطَى جسد المسيح ليتراءى به، فينال نعمة ويحل عليه مجد الله.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٣٩}

عطاء الحب وهبة الاتضاع في المسيح

في مناسبة عيد الميلاد المجيد

١٩٦٩/١/٧م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله لروحك أيُها الحبيب.

أهديك تحيات الميلاد المفعمة بالحب والاتضاع بصورتيهما المتجسدتين اللتين صارتا في لحظة الميلاد قوتين جديدتين في عالمنا حاضرتين في طبيعتنا بمجرد قبولهما أو الرضى بهما!

مبارك الآب الذي أعلن لنا حبه وكشف لنا اتضاعه في شخص يسوع المسيح، لأنه لا بإعلان عرَّفنا فقط بالسر الذي احتفظه لنا في قلبه بل بإرسال ابنه الوحيد المحبوب، لا لكي يُعرِّفنا فقط بنفسه عن سر حب الآب من نحونا ولا لكي يُعلن لنا عن سر اتضاعه الذي قَبِلَه ليكمل به خلاصنا، بل لكي يُعطينا نفس حب الآب عطاءً مُتجسداً ملموساً، ويهبنا سرَّ اتضاعه لكي يكون قوة ساكنة فينا تضمن خلاصنا ضماناً كلياً.

أما عطاء الحب وهبة الاتضاع فهما في المسيح نفسه لا يُمكن التعرف عليهما بدونه أو الحصول عليهما منفصليْن في شخصه الحي، ولا حتى إلى لحظة واحدة أو طرفة عين. فالحب الذي يعطينا المسيح هو الروح الأبوى المنسكب فيه، والاتضاع الذي يهبنا المسيح هو جسده المُهان المضروب المجروح الميت الحي!

ماذا نرى في بيت لحم إلا حباً خالصاً ملفوفاً باتضاع مذهل، وأُماً مُنتشية بالروح، لا تعي من ألم المُخاض إلا بملائكة تصعد وتنزل عبر السماء، وجسدها المتعب الملقى على تبن المزود! الطفل ابنها تماماً وهو الحامل لكل صفات الإنسان وطبيعته، ولكنه هو هو الابن الأزلي القائم في حضن الآب ظهر مُتجسداً ليجمع في شخصه كل ما للآب وكل ما للإنسان.

ماذا نرى في بيت لحم اليوم إلا حضوراً إلهياً مضمونه الحب ووسيلته الاتضاع وغايته الخلاص. ونحن موضوع هذا الحب، وطبيعتنا وسيلة هذا الاتضاع، وخطيئتنا وذلنا ومسكنتنا هي ميدان هذا الخلاص وعمله.

نحن اليوم موضوع بيت لحم.

نحن نُعيِّد عيد الحب الأبوي، ونُطوِّب الطبيعة البشرية المسكينة التي صارت مسكناً للاهوت، ونُهلل للخلاص الذي صار لنا.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٤٠}

ميلاد ابن الله بالجسد، أعطانا حق الميلاد بالروح

في مناسبة عيد الميلاد المجيد

١٩٦٩/١/٧م

عزيزى الأب (...)

سلام من الله لروحك أيُها الحبيب.

أهديك تحيات الميلاد، عيد الكنيسة الأول الذي فيه تُعيِّد لميلاد عريسها. في هذا اليوم افتقد الله كنيسة البرية (العهد القديم) العاقر التي تمخَّضت بتمخُّض الأنبياء وعويلهم، فلم تلد إلا شعباً جافياً مات في القفر والبقية فسدوا.

اليومَ صار الوعد بميلاد كنيسة الأبرار، شعب المقتنَى. فسرُّ بيت لحم يُفسَّر لنا بالمعمودية، وميلاد ابن الله بالجسد أعطانا حق الميلاد بالروح. فاليوم هو عيد الكنيسة، هو سر معموديتها وقوة قيامها ودوامها.

الكنيسة في أصل اللغة اليونانية معناها "المدعوون للظهور" من فعل "ἐκκαλέω"، أي بمعنى آخر المدعوون للانتقال من غير المنظور للمنظور، تماماً كما دُعي ابن الله نداءً لحب الآب السماوي للظهور والاستعلان من غير المنظور للمنظور. فالكنيسة تستمد اسمها وحقيقتها من يوم الميلاد الإلهي الذي فيه ظهرت محبة الله المُخلِّصة لجميع الناس.

اليوم نحن مدعوون للظهور علناً بفرح وبشارة كما ظهرت كنيسة السماء مُمثلة في جوقات الملائكة وتراءت لبني البشر. نحن نعلن أصواتنا المكتومة داخل قلوبنا بتسبيح علني في وسط الكنيسة، لنعلن فرحتنا لدى

الملائكة كرد فعل واستجابة لبشارتهم لنا. هُم أعلنوا لنا بُشرى الميلاد مرةً، ونحن نعلن استجابتنا وترديدنا للبُشرى يومياً وإلى الأبد.

ولكن ليس بالأصوات والحناجر فقط تُعلَن البُشرى أو تنطق الكنيسة وتبشِّر، ولكن بحياة أتقيائها وعُبادها وإن عاشوا وماتوا صامتين، تستطيع أن تقدمهم آية استجابتها لحب الله المعلن في المزود، كما تستطيع أن تقدمهم كنموذج متواضع نجح في استعلان تواضع الملفوف بالخِرَق!

الفرح اليوم هو قوتنا، والمسرة هي طعامنا.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٤١}

توجيهات رهبانية (٤)

نصائح داخل خطاب أُرسِل إلى الآباء بعد انتقالهم إلى دير القديس أنبا مقار

١٩٦٩/٧/٢٢م

غيِّر نفسك ولا تُحاول بل ولا تُفكر في تغيير غيرك.

عدِّل نفسك لتلائم المكان الذي وضعك الله فيه، ولا تُحاول ولا تُفكر في كيف تُعدِّله ليلائمك، لئلا تظل طول حياتك تُعدِّل ولا تستريح.

لا تنظر للآخرين نظرة متحزبة، هذا يوافقك وهذا لا يوافقك، هذا تُكلمه وهذا تعبس في وجهه، هذا تضحك معه وهذا لا تُحاول حتى أن تبتسم في وجهه، هذا تُطيِّب خاطره وهذا تود لو ينكسر خاطره.

يا مرائى، يا كذَّاب، تعلَّم كيف تعيش المسيحية ولا تتحزب لإنسان ولا لذاتك. عامل الجميع معاملة واحدة بالحب الصادق غير المغشوش وبالبذل الحقيقي الذي مصدره التقوى؛ ليس التقوى الاصطناعية بل الحقيقية.

لا تحسب أنك واحدٌ في مجمع القديسين بالدير، بل احسب نفسك خادم تراب الدير، وهذا شرف لك، واعتبر مجمع الآباء أسيادك بالفعل.

لا تنظر إلى ديرك كأنه أفضل من غيره، بل اعتبر كل الأديرة وكل الرهبان أفضل منك.

الله أرسلك لدير أنبا مقار لتخدم قديسيه وترابه، وتموت بين جدرانه،

فحبِّه من كل قلبك، وكمِّل خلاصك بخوف ورعدة، وكُنْ مثلاً مقدساً وصورة مقدسة للراهب المسكين المتضع.

لا تملأ عينك من الأوضاع الخاطئة، ولا تفتح أذنك لكلام الانحلال، حتى تنجو من الدينونة ومذمَّة أفعال الناس. إنسَ كل كلام الناس وأقوالهم ومناظرهم قبل أن تدخل قلايتك لتعيش مع المسيح، لئلا يعشعش الشيطان في قلايتك ويُحوِّلها إلى جحيم.

لا تعُدْ تجلس تتحدث بالفاضي والمليان، وتبدأ الحديث بالمديح لبعض الناس ثُم تنهيه بالذم والنميمة. من الآن لا تعُدْ تمدح أحداً، ولكن تشبَّه بمنْ يعجبك بدل أن تصف أعماله بالكلام الفارغ من التطبيق.

لا تضع مسؤولية خلاصك على أبيك الروحي، فأول ما يأتيك هذا الشعور فاعلم أنك متوانٍ وكسلان ومتهرِّب من قوانين العبادة والصلاة ومبتعد عن وجه المسيح. إذا أخلصت في عبادتك فلن تعود تجد أية حاجة إلى مساندة الآخرين، وعِشْرة المسيح تُغنيك وتجعلك تُغني الآخرين.

إذا أهْملت مشورة أبيك الروحي وتهاونت بتحذيراته ونصائحه التي طالما أوصاك بها، فمصيرك أن تشرب عُكارة كأس الاعتداد بالذات. وفي الطريق تُصدِّق كلام الشيطان كأنه كلام المسيح، وتسير في التيه مسافات طويلة دون أن تنتبه.

اليوم الذي تجد فيه حرارتك الروحية ضعيفة وقد بردت الصلاة من قلبك، وسلامك الداخلي تبدد، احذر ثُم احذر بأن تمسك عملاً عاماً أو تعطى أوامر للآخرين أو نصائح، لأنها ستكون عديمة القيمة عديمة النعمة، والشيطان يستطيع أن يتكلم بفمك بسهولة في هذا اليوم، ويُوقع بك في

محظورات كثيرة. في ذلك اليوم الْزمْ الصمت والحزن على روحك جاعلاً خطاياك أمام عينيك طول النهار.

هذا الكلام هو لك أنت ولا تُحوِّله لغيرك، ولا تَقُلْ في نفسك إن البند الفلاني ينفع فلان، فكل البنود لك أنت، فاعمل بها لتحيا وتأكل خُبْز الصدقة بمسكنة.

القمص متى المسكين

الرسالة {٤٢}

حياتنا كلها ذبيحة

أول أغسطس ١٩٦٩م

الآباء الأعزاء

سلام لأرواحكم جميعاً.

أتعشم أن تكونوا في ملء تعزيات الروح القدس، حارين عابدين مُخلصين في الصلاة وفي العمل وفي الكلام وكل شيء، محبةً وكرامةً للمصلوب.

إن الجهد الذي تبذلونه يُمكن أن يكون بلا ثمرة إذا لم يكن معمولاً بغيرة الحب للمسيح والقديسين والإخوة، ويُمكن أن يكون رائحة بُخور زكية أمام الله الآب إذا كان ممزوجاً بالشكر والتسبيح والصلاة والحب للمسيح والإخوة.

حياتنا كلها ذبيحة، والذبيحة بقدر ما تلتهمها نار الله بقدر ما تصعد من الأرض إلى السماء. والذي يحتمل ظلمة القبر هو هو الذي سيشرق عليه فجر قيامة أبدية.

إن محبتي لكم وشوقي إليكم وحنيني إلى تراب البرية يُوجع جدران قلبي. ولكني إذا تركتُ مسؤولياتي هنا، فلن يتم أي عمل لتعمير هذا الدير العظيم، فأنا آلة مُسخرَّة أنسكب بالجسد وأفنى وتتفتت أعصابي كل يوم ليُبنى هذا الدير ويقوم إلى الأبد منارة للنفوس التي لا يُمكن أن تعيش كما عشنا في جحور الأرض.

فأرجو أن تواظبوا على الصلاة ليعمل بي الله عمله الذي سهر عليه

ليُجريه في حينه الحسن. وأرجو وأرجو وأرجو أن تزيدوا الصلاة وتُقدموا تذللاً لدى المسيح من جهة أعمالي، لأن المعاند لا يهدأ ولا مرة واحدة أن يجعل طرق الله سهلة ولو إلى لحظة واحدة، فهو مستمر في عناده لينال من عزمنا، ولكني وضعتُ في نفسي أن أُفرِّط في حياتي وفي أعصابي ولن أفرط في عمل واحد من أعمال الرب.

تقووا وآزروني في الصلاة.

كونوا معافين.

القمص متى المسكين

الرسالة {٤٣}

التعب يؤول إلى مجد

أول صوم الميلاد في ٢٥ نوفمبر ١٩٦٩م

إلى الآباء الأعزاء بالرب بدير القديس أنبا مقار

سلام من الله لجميعكم يملأ قلبكم ويُدفئ روحكم ويهبكم الصبْر على كل أتعاب العالم الحاضر. فالتعب في العالم شيء مُحتَّم، ولكن شتان بين إنسان يتعب للجسد أو لإرضاء الذات أو لاسترضاء اللحم والدم، وفرق أن يتعب الإنسان لله ولإرضاء وجهه واسترضاء روحه الساكن فينا المستعد أن يُحوِّل كل أتعاب هذا الزمان إلى مجد حقيقي.

إن لذة الإنسان الروحاني هي في شعوره الداخلي الصادق بأن كل تعبه يتحول أولاً بأول إلى قبول إلهي ورضى، حتى أنه يلحظ عملية التحويل هذه التي تُجرى فيه، وكأن بقدر ما يفنى الخارج يتجدد الداخل فعلاً وعملاً، حتى أن فرحة الإنسان في هذه اللحظات تكاد تجعل الأتعاب والضيقات والأمراض كأنها عُمْلة سماوية يشاء الإنسان لو يملأ منها خزائنه، فهي العُمْلة الوحيدة التي سيبقى رصيدها محفوظاً في سجل أعمال الإنسان بعد وفاته.

قد يأتي وقتٌ يشتهي الإنسان الراحة والهدوء والبعد عن الأتعاب ومصدرها، ولكن هذه الشهوة سرعان ما تتحول إلى سأم وملل بعد أن يُحققها الإنسان، إذ يجد في عزلته أنه محروم من لذة إفناء الخارج أي الجسد كرامةً ومجداً للحبيب.

طوبى للإنسان الذي يعرف كيف يتعب وقت التعب وكيف يرتاح

ويسكن وقت الراحة، لأن مثل هذا الإنسان يكسب دائماً ولا يخسر أبداً.

لقد تعودنا في كل سنة أن نمضى أوقات الصوم في خلوة وهدوء وصلاة منفردة، ولكن للضرورة التي وُضعت علينا ينبغي هذه السنة أن نواصل العمل أثناء الصوم. لذلك يلزمكم اليقظة الداخلية حتى لا تُحرَموا من الصلوات القلبية الدائمة أثناء العمل. أما الأخوان المباركان المبتدئان أخونا (...) وأخونا (...) فأرى بنعمة الله أن توفروا لهما فرصة الاختلاء الكامل أثناء الصوم كله، فتُرفع من عليهما جميع المسؤوليات والأعمال ليتفرغا للصوم والصلاة على أن يزورهما كلٌّ من الأب موسى لقراءة أفكارهم وإعطائهم الحِلَّ للتناول نيابةً عني والأب كيرلس لتسليمهم ذكصولوجيات الصوم المقدس وألحان كيهك ليشتركا في سبعة وأربعة حسب ترتيب الدير المعمول به بدون تغيير. ولكي يتوفر لهما الهدوء الكامل أرجو أن تعطوهُما القلايتين المُتجاورتين في ركن الدير، وذلك بأن يتكرم أبونا إرميا ويعطينا قلايته لمدة الصوم فقط على أن يعود إليها بعد الصوم ويسكنها الأخ (...)، والقلاية المُجاورة لها يسكنها الأخ (...) لمدة الصوم أيضاً، وبعدها يكون الرب قد رتب لنا أمكنة جديدة. أما أبونا إرميا فيسمح ويسكن في قلايتي مدة هذا الصوم، مع رجاء الطاعة.

أما قانون هذا الصوم على جميع الآباء فيكون قراءة مار إسحق والشيخ الروحاني والدَرَجي. تُوزَّع النسخ وتُتبادَل بين جميع الآباء، على أن يكتب لى كل أب مذكرة صغيرة عن قراءاته أثناء الصوم أتسلمها منكم يوم العيد. هذا بالإضافة إلى قراءة الإنجيل للجميع. ويا حبذا لو أن كل أب استخلص بعض المبادئ النافعة أثناء قراءته وسجلها في نوتة

لتكون مرجعاً يومياً يتعزى بها بعد ذلك.

ورجائى العظيم في شخص يسوع المسيح أن تسهروا قلباً وجسداً أثناء هذا الصوم وتُتمموا مطانياتكم ومزاميركم ودموعكم الواجبة، حتى يجدنا العريس مستعدين عند ظهوره. اغفروا لبعضكم أخطاء وغلطات الماضى والحاضر والمستقبل. اغسلوا قلوبكم بالتوبة وبيِّضوا ملابسكم بالطهارة، وهذِّبوا ألسنتكم بالتسبيح والمديح والشكر. واظبوا جميعاً على تسابيح العشيات في الصوم وكيهك، وكل واحد يُحاول حفظ التسابيح المُختارة لشهر كيهك، سواء الذكصولوجيات القبطية أو المدائح العربية المشهورة، لأنها عزاء الراهب المسافر.

أُذكرونى في صلواتكم ليكمل الرب رسالتي ويتحنن عليَّ برحْمته، حتى بعد ما خدمتُ وكرزتُ لا أكون أنا نفسي محروماً، واعتبروني دائماً في وسطكم، لأنه ليست لى راحة إلا بينكم وروحي لا تريد أن تتعزى خارج الدير أبداً.

أُذكروا ضعفي، ها مطانية، اِغفروا لي جميعاً. كونوا معافين.

القمص متى المسكين

الرسالة {٤٤}

تزكية العمل

١٩٧٠/٢/٣م

أحبائى الآباء الأعزاء

نعمة وبركة وسلام لجميعكم.

يشاء الله الكريم والمبارك أن يبدأ عملنا يوم الثلاثاء ٢٦ طوبه (اليوم)؛ في عمارة دير أنبا مقار القديس العظيم أبونا وشفيعنا؛ في ذكرى استشهاد التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهات المكرمين. وذلك بدون خطة أو تدبير منا على الإطلاق. فافرحوا معى أيها الإخوة المُجاهدون الأتقياء سلالة القديسين والشهداء المؤتَمَنين على ديار بيت إلهنا، ومجدوا الإله في قلوبكم الذي استأمنَنا على روح القديسين وحبهم وتعاطفهم وجعلنا ذوى شكل واحد. وافرحوا بالأكثر أنكم لا تُجاهدون وحدكم بل أرواح هؤلاء الشهداء تعمل معكم تطوف الأمكنة التي سُفكت فيها دماؤهم وتُسرُّ بجهادكم وإخلاصكم في عمارة هذا المكان الطاهر.

وإني أتوسل أمام الله أن يجعل خروجكم ودخولكم لمجد المسيح، وأن يتحول عمل أيديكم إلى شهادة محبة وآية إخلاص وبذل أمام الكنيسة كلها والعالم الذي يتطلع إلى سيرتكم بلهفة مذهلة، فسيرتكم صارت معروفة في أنحاء البلاد الخارجية كلها. والكل يُمجد الله بسببكم، لأنكم صرتُم سبب صحة لرجاء قلوب كثيرة تتطلع إلى إشراق يوم جديد للكنيسة تسمو فيه روح المحبة والألفة والبذل فوق الأنانية والتحزب والانتهازية.

إني أصلي بكل كياني وبكل إيماني أن تنتقل أنفسكم إلى الروحانية الصرف من خلال جهدكم وعرقكم، لأنها الفرصة الأخيرة أمامكم لكي تبلغوا بها الدرجة التي تؤهلكم للكمال المسيحي، لأن بعد هذه الفرصة المعروضة عليكم الآن لن ولن ولن تأتي فرصة أخرى مواتية تستكملون بها روحانية سيرتكم التي بها تتراءون أمام وجه الله بدون خزي. لأنه في لحظة سيُستدعى الواحد منكم حيث لا يكون فرصة أخرى لنمو أو تغيير أو تجديد.

واعلموا أيها الإخوة المُحبون والمحبوبون في الرب أن الجهاد الذي تُجاهدونه يلزم أن يكون مفتوحاً على الله وليس على الناس، بمعنى أن يكون معمولاً إكراماً ومجداً لصليب المسيح وليس لإرضاء أحد. كما ينبغي أن يكون جهادكم الجسدي متصلاً اتصالاً وثيقاً بجهاد الروح. وجهاد الروح هو هو الجهاد ضد الذات، حتى يصبح عرقكم حلواً في أنف الله كبخور وذبيحة مقبولة فيه رائحة المحبة لله والناس، معطراً برائحة التواضع وإنكار الذات.

واذكروا قول الرب: أنه «اثنتان تطحنان على الرحى، تُؤخذ الواحدة وتُترك الأخرى» (مت ٢٤: ٤١). ولاحظوا هنا أن الاثنتين تعملان بجهد واحد، ولكن إحداهُما تُزكَّى والأخرى تُرفَض.

إذاً، فالعملُ بحد ذاته لا يُزكِّي، وإنما الذي يُزكِّي العمل هو نية القلب واستقامة الغرض وإنكار النفس.

فليُعطكم الرب الإله تزكيةً في كل شيء، حتى تصبح كل أعمالكم مقبولة ومحبوبة لدى الروح القدس.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين المقارى

الرسالة {٤٥}

واظبوا على الصلوات الكنسية والتناول

١٩٧٠/٨/٢٢م

إلى الآباء والإخوة الأحباء المشمولين بالروح القدس والمؤازرين بروح الآباء القديسين

نعمة لكم وسلام من الله وعزاء وقوة وحرارة لترافق مسيرتكم اليومية على طريق التوبة الذي اخترتُموه والذي باركه لكم الرب والذي أهلتكم النعمة أن تكونوا مناسبين له بالروح والحق.

أتوسل إلى الله الذي رافق آباءنا في هذا الطريق خطوة خطوة حتى أكملوا سعيهم المبارك، أن يكمل مسعاكم ويعطيكم ثمر جهادكم ودموعكم وصلاتكم.

أهدي إلى قلوبكم وإلى أرواحكم المباركة محبتي وإخلاصي ودعواتي. كنتُ أتمنى أن أكون معكم في عيد أبينا الطاهر لابس الروح القديس أنبا مقار، ولكن لظروف خاصة لا أستطيع الحضور، ولكن روحي معكم، سأحضر بعد العيد مباشرةً.

اُذكروا في هذا العيد جهاد ونجاح الذين سبقوكم في هذا الطريق، حتى تتشددوا أنتم أيضاً في جهادكم، لأن العدو لا يترك الذين عقدوا العزم على خلاص أنفسهم دون أن يختبر فيهم هذا العزم وهذا الإيمان بكل أنواع التجارب. فإما أن يتزكى إيمانكم بالتجارب، وإما أن يظل إيمانكم أقل من خلاصكم الذي تطلبونه. فاثبتوا في كل ضيقة، واثبتوا أمام الصعاب والأتعاب والعراقيل التي نصبها العدو في طريقكم، حتى

يعطيكم الله أجنحة روحانية تطأون بها الحيات المُشكِّكة والأفاعي التي تفرز سُموم الشهوات الدنيوية وكل قوة العدو التي تصدُّكم عن المسير في طريق ملكوت الله.

إني أتوسل إلى الله أن يهب الآباء المتقدمين في السن بينكم روح أبوة، روح حنان؛ روح عطف، روح حكمة وتعقل ومشورة، ليصيروا آباءً للبرية، ليكونوا قدوة صالحة في الصبْر، في الشكر على كل حال، في الصلاة بلا فتور.

كما أتوسل إلى الله من أجل الإخوة المبتدئين أن ترافقهم النعمة حتى يزدادوا غيرة روحانية كل يوم ويتباروا في الصوم؛ في الصلاة؛ في السهر؛ في الإسراع إلى الكنيسة مصدر القوة وبيت الملائكة، ليمتلئوا منها وفيها بروح المحبة الأخوية عديمة الرياء.

كل مَنْ يتأخر عن الكنيسة، كبيراً أو صغيراً، سوف يكون مأكلاً للدينونة والتعالي والكبرياء. فالزموا قانون الصلاة داخل الكنيسة بكل دقة، ولا يوجد حِلٌّ ولا بركة لأي واحد أن يتخلَّى عن الذهاب إلى الكنيسة في كل مواعيد الصلاة بدون تصريح مني أنا شخصياً، عالمين أن كل مَنْ يأخذ حرية لنفسه خلسة يفقد إزاءها قوة النمو التدريجي التي ترافق ابن الطاعة ومُحب المشورة.

التناول من الجسد والدم أمر إلزامي لكل مَنْ يحضر القداس الإلهي حسب طقس الكنيسة. فكل كاهن أو راهب أو علماني يمتنع عن التناول – بدون سبب يعرفه الأب ويعطى عليه الحِلّ – فإنه يُحاكم ويُقطع، لأنه يكون سبب عثرة لدى المؤمنين. هذا هو طقس الكنيسة وقانونُها. فالقداس الإلهي بعد قراءة الإنجيل اسمه قداس المتناولين. فالزموا قانون

الكنيسة لتحل عليكم بركة الكنيسة، على أن كل مَنْ يتناول يعتبر نفسه سعيداً إذ حَظِيَ بقوة سرية تعينه وتدفعه دون أن يدري.

أتوسل لدى الله أن يجعل بينكم الصلح والسلام والمحبة كعائلة صغيرة وقطيع صغير سُرَّ الله أن يُعطيه الملكوت، فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة، والزموا التواضع بعضكم لبعض، ليس بينكم كبير ولا صغير فكلنا تراب ورماد، وليس بينكم أول وآخر فأولنا المسيح وآخرنا المسيح، وليس بينكم قديم وجديد فهوذا كل شيء قد صار جديداً. فالبسوا المسيح وليحل عليكم تواضعه ولطفه وإشفاقه وتنازلاته الشخصية التي أوصلته إلى الصليب فبلغ به المجد.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين المقارى

ملاحظة:

أتوسل إلى محبتكم جميعاً وإلى الروح القدس أن لا يتأخر أحدٌ منكم عن صلاة يوم السبت الجماعية، مع رجاء من أبينا مينا قراءة قطعة مُختارة من الكتاب المقدس في بدء الصلاة تستغرق خمس دقائق.

الرسالة {٤٦}

طريق الصلاة وطريق الدينونة

١٩٧٠/١٠/١٧م

الآباء والإخوة الأعزاء بالرب

نعمة وبركة وسلام من الله لجميعكم.

أتعشم في وجه ربنا يسوع المسيح أن تكونوا جميعاً مؤيَّدين بقوة الروح القدس في الباطن، حتى تكونوا مستعدين لإطفاء سهام إبليس المُصوَّبة نحوكم، ساهرين بالروح على دعوتكم المقدسة لكي تزداد عطيتها لكم يوماً بعد يوم، لأن عدوكم لا يهدأ حتى يسلبكم هذه النعمة ويردكم إلى حال ضعفكم.

فاشكروا الرب من نحو صلاحه ورحمته عليكم الليل والنهار لتزداد رحمته عليكم أنتم الذين اختاركم من العالم ليجعلكم في صفوف قديسيه. اُذكروا حال تقلُّبكم في العالم، واذكروا خطاياكم التي غفرها لكم ورفع ثقلها عنكم، حتى تستطيعوا أن تغفروا خطايا الآخرين نحوكم. واذكروا نعمة الله عليكم حتى لا تدينوا بعضكم بعضاً.

اُذكروا قول الإنجيل: «لا تدينوا لكي لا تدانوا» (مت ٧: ١)، لأن هذه الآية فيها خلاص الراهب وفيها هلاكه. واعلموا أن الرب أتى بكم إلى أرض القديسين لكي تزدادوا اتضاعاً ومسكنة وصفحاً، لا لكي تدينوا مَنْ سبقوكم وتؤدبوهم.

تمسكوا بكرامة الدعوة المقدسة التي أدخلكم فيها المسيح مجاناً، ولا تستهتروا برهبانيتكم، لئلا تصيروا مثل عيسو الذي باع بكوريته بأكلة عدس.

اسهروا وصلوا طاعةً لوصية الرب لئلا تدخلوا في تجربة، لأن وقفة الصلاة بانسحاق روح وبإخلاص القلب أمام المسيح قادرة أن تنجيكم من التجارب، فلا تستثقلوا الصلاة لئلا تُسلِّموا ليد المُجرب فيُغرِّمكم عوض ساعة صلاة أياماً برمتها في الحزن وكآبة القلب وتقلقل الفكر وهُموم لا حصر لها. فافتدوا الوقت حسب قول الإنجيل لأن الأيام شريرة، وساعة صلاة بدموع وإخلاص تفتدى أياماً كثيرة يعبُرها الإنسان براحة ومسرة وسلامة قلب.

احذروا من تسويف العمر باطلاً، لئلا تداهمك الشيخوخة أو المرض قبل أن تملأ حياتك صلاة وتملأ قلبك بنور الوصية لتحفظك وتنير لك في أيام الظلام.

الذي يصلي بطول روح ويتعلم كيف يسهر أمام الرب ويقف رافعاً يديه ساعة أو ساعتين كل ليلة، لن تدركه الظلمة أبداً ولن يقوى عليه الشرير إلى الأبد.

الذي يجلس وحده ويصمت ويتأمل كيف كان حاله وكيف صار الآن وقد أصبح معدوداً في صفوف القديسين، فهو لن يتفرغ بعد لذكر خطايا غيره ولن يسرقه روح الغرور والكبرياء ليعتبر نفسه أفضل من غيره. كما لن يجد قوة أن يرفع صوته أو يرفع عينه على مَنْ هو أكبر منه ولا حتى مَنْ هو أصغر منه. ولكن ليحذر كل واحد منكم، لأن خطيته حية رابضة بالباب تنتظر يوم كبريائه لتأتي وتسكن وتُنجس مسكنها القديم. فطهِّروا مسكن قلوبكم بالانسحاق والدموع والصفح عن الآخرين بمذلة قلب ومسكنة، حتى يأتي الروح القدس ويستريح فيكم.

وإني أنبه قلوبكم يا إخوتي، أن مجمعنا مجمع عَمَّال وكل رهبانه يشتغلون باستمرار، لذلك فعيوبُهم ظاهرة، ولكن الرب كفيل أن يغفرها لهم بشفاعة الشهداء والقديسين، بسبب أمانتهم وشقائهم وتعبهم وذلهم

طول النهار وهُم يعملون باجتهاد لعمارة بيته المقدس. ولكن ويلٌ للراهب الذي لا يعمل ولا يشتغل ويجلس ويدين عيوب الذين يشتغلون، لأن عيوبه وخطاياه لن تجد مَنْ يصلي عنها من القديسين ولا مَنْ يتشفع عنها من أرواح الآباء والشهداء الذين نعمل في ديارهم الطاهرة.

أتوسل إليكم يا إخوتي أن تنتبهوا لأنفسكم جداً، لأنه يوجد أمام كل واحد منكم طريقان: طريق الاعتكاف والصلاة غلق الأذن والعين وضبط اللسان عن الوقيعة والدينونة والشكوى، وحينئذ يتفرغ الراهب للصلاة والتأمل في وصايا الرب والدموع والمسكنة، وتصير الصلوات عنده حلوة مُبهجة وقوية ومعزية، والذهاب إلى الكنيسة فيه قوة وسرور وبهجة قلب.

والطريق الثاني هو الجلوس في الطرقات في الدير والسرحان خارج الدير والثرثرة والدينونة والوقيعة والشكوى من كل شيء، وحينئذ تصبح الصلاة ثقيلة والمزامير تموت قوّتها في القلب واللسان، ولا يعود فيها أي سرور، وجرس الكنيسة يصبح كأنه صاحب دين ينادينا لندفع ما علينا، فيكون الهرب والنوم ألذ من الصلاة.

يا حزني ويا حسرتي على المبتدئ الذي يهرب من الصلاة، ويا مرارة روحي وخيبة أملي من الراهب القديم الذي يصير عثرة للمبتدئين ويستهتر بحضور الكنيسة وحضور القداسات والصلوات.

أتوسل إليكم باسم ربنا يسوع المسيح وأبتهل إلى الروح القدس أن يهبكم في هذه الساعة روحاً جديدة، ليهتم كل واحد منكم بخلاص نفسه، لأن خلاصكم الآن أقرب مما كان في العالم.

واليوم يُقدِّم لكم المسيح ملكوت الله لتدخلوه بسهولة وعن سعة كقول الإنجيل، لأنكم أبغضتم العالم وهجرتُم أهلكم وأبغضتم أنفسكم

حُباً وكرامةً للمسيح المصلوب أمامكم. لا تنظروا إلى الوراء كامرأة لوط، أنتم الذين بعتم كل شيء وتبعتم المسيح، لم يعُد أمامكم إلا أن تصبروا قليلاً لتأخذوا الأجرة، والأجرة هي إكليل سماوي وختم يعطيكم الحق مع القديسين لتشتركوا في مجد المسيح إلى الأبد.

وأخيراً، أُذكِّركم دائماً أبداً أن تفرحوا بالرب، الرب هو نصيبكم، الرب قريب، الرب متواضع، هو رفيق طريقكم إلى النهاية. لأن في يوم النقلة المباركة سيأتي ليحتضن روح كل واحد منا كما احتضن أغاثون وشيشوى وبموا، لنوجد في زمرة القديسين في عيد الأبدية، لندخل فرح سيدنا الذي يبدأ ولا ينتهي إلى أبد الآبدين. فاصبروا على الضيقات والأمراض والأتعاب، لأن النهاية مجيدة والأجرة مباركة وجليلة.

وختاماً، أوصيكم أن تخدموا بعضكم بعضاً بلا دمدمة كقول الإنجيل، ولا تكرهوا ضعفات الآخرين. كما أُوصيكم أن يعتكف كل واحد في قلايته بعد العمل، وغير مأذون لأي واحد بزيارة آخر في قلايته ولا الخروج خارج الدير مع أحد، بل كل واحد يكون في خلوته لتتفرغوا للصلاة.

الذين يأخذون دروساً في الألحان أو القبطى يكون داخل الكنيسة فقط. وغير مأذون من الآن أن يدخل أي راهب قلاية راهب آخر إلا في حالة المرض فقط، حتى تتعلموا الاعتكاف ولا تضيِّعوا أوقاتكم فيما لا يعود عليكم بالمنفعة.

اقبلوا محبتي، وإله السلام يحل في وسطكم ويطرح سلامه في قلوبكم.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٤٧}

الطقوس وروح العبادة

١٩٧١/٢/٢١م

إخوتي الأحباء بالرب

سلام من الله لأرواحكم.

أتعشم في وجه ربي يسوع المسيح أن تكونوا في ملء المحبة الأخوية عديمة الغش، وأن تكون قلوبكم متآلفة بالروح بطهارة حقيقية، حتى يحل الروح القدس في وسطكم ويُكمل عجزكم وضعفكم ويصلي عنكم ويُشدد أيديكم وقلوبكم.

أهديكم جميعاً تحية قلبي الذي يحنُّ إلى نفوسكم لا باشتياق الرؤية، ولكن بحنين الاستيطان الصادق الأمين في ميناء الخلاص الذي هو صدر يسوع.

ليست لى شهوة ولا سؤال ولا طلبة ولا أمل سوى أن أجدكم ثابتين في النعمة التي أنتم فيها مقيمون، وأن أجدكم شاكرين فيما أنتم فيه، وأن أرى أرواحكم فرحة مستبشرة بالنصيب الذي صار لها.

حينما أسْمع عن أحدكم أو من أحدكم أنه متزعزع تغتم نفسي وتسْودُّ الحياة في عيني وأبلغ اختناق الموت، لأني لا أود أبداً أن أخلُص وحدي أو أستمتع بنور المسيح في غيبة أي واحد منكم.

فاسهروا يا إخوة واحفظوا ثيابكم لئلا توجدوا عُراة عند ظهوره، أنيروا مصابيح حياتكم بزيت النعمة لئلا يأتي العريس فتوجدوا خارجاً مهمومين بأعمال التوبة حيث يكون زمان الإكليل والفرح.

موسم الصوم قد حضر يا إخوة، فالذي يعوزه شيء من العزاء أو الصبر أو الاتضاع أو المسكنة أو المحبة فلْيشترِ، لئلا يكون هذا آخر الزمان ويُعلن عن اكتمال الزمان ويكون فيكم أحد غير مستعد. الأخ لن يشتري من أخيه ولا الأب يستطيع أن يُغني بنيه، لأن بضاعة الملكوت معروضة في السوق مجاناً، وكل غنَى الملكوت يُخطف اختطافاً. نقص أخيك لا يُكمِّلك ولا كمالك يُغني الناقصين، فابْكِ على حالك ولا تجعل عينيك على عجز أخيك لئلا الذي لك يُؤخذ منك.

كل واحد فيكم استأمنه الرب على نعمة وعلى وكالة وعلى خلاص، لقد بَسَط كل مؤهلاته أمامكم، فلا تتركوا الملكوت وتتجروا بالخسارة، ولا تقايضوا المجد الآتي بتراب الأرض وحنين اللحم والدم.

اثبتوا في قلاليكم في الصوم حتى يأتيكم المُعزِّي، وذوقوا الوحدة والهدوء لأن مذاقتها هي من الروح، وفيها وبها يعرف الإنسان عجزه وما يلزمه.

الصمت الروحي هو لحن السماء الذي من خلاله تتعرف الروح على أصوات الملائكة، فلا تشغلوا عقولكم وأذهانكم بالألحان وحفظها لأن الصوم لا ينسجم إلا مع الأنين والدموع وطلب المغفرة.

أخاف لئلا ازدياد اهتمامكم بطقوس العبادة يُفقدكم روح العبادة، وتكالبكم على الاستزادة في المعرفة قبل أوانها يُفقدكم الاستنارة التي هي أُم المعرفة وينبوعها.

المسيح لن يُحاسبكم على الهزَّات الناقصة من اللحن، ولكن سيُحاسبكم على المحبة الناقصة. فكملوا محبتكم وبساطتكم فيصير أنينكم لحناً معزياً أمام السمائيين ويصير صمتكم ونشفان ريقكم عبادة ناطقة

ذات رائحة زكية.

طوبى للراهب الذي يجلس في قلايته يُحاسب نفسه ويلومها.

طوبى للراهب الذي يجعل إنجيله في حضنه اليوم كله.

طوبى للراهب الذي ثبَّت وجهه نحو أورشليم وطنه الحقيقي الدائم.

ختاماً، أستودعكم الرب. صلوا عني. سأحضر قريباً.

القمص متى المسكين

الرسالة {٤٨}

شهوتي أن أكون وأبقى وأموت راهباً

قُرئت مساء الأحد ٢٨ مارس ١٩٧١م

الآباء الأجلاء والإخوة الأتقياء بدير القديس أنبا مقار

نعمة وبركة وسلام من الله لروحكم.

أكتبُ إليكم رسالتي هذه باعتبارها تذكيراً لذهنكم لما سبق وأن قلتُه مراراً وتكراراً بينكم أن رسالتي في الحياة هي رهبانية خالصة، وأني لن أقبل بأي حال من الأحوال ترشيح نفسي لأي منصب من مناصب الكنيسة، ذاكراً عهدى الأول في اليوم الأول الذي وطأت فيه قدماي تراب الدير أن أكون وأبقى وأموت راهباً.

فلما جاءت الساعة الحرجة قلتُ كلمتي رسْمياً وأبلغتُ قائمقام غبطة البطريرك بذلك.

ثُم إني وجدتُ مسؤولياتي الحاضرة بدير القديس أنبا مقار قد أصبحت فوق احتمالي الذي فيه أستطيع أن أكمل رسالة خلاص نفسي، من جهتين: من جهة تدبير الاعتراف ومن جهة تدبير أعمال المباني. رأيتُ أن أكتفي بهذا القدر وهو ليس بقليل وأصبحت المباني على وشك الانتهاء في مرحلتها التي تكفي لسكنى جميع الرهبان. ثُم رأيتُ أن عبء الاعتراف في المُدة الأخيرة أصبح فوق طاقة روحي بسبب دخول روح الدينونة والتذمر المستمر في نفوس الكثيرين منكم، مما جعلني طول النهار أتقبل شكاوى وأحل مشاكل أزعجت نفسي وهدوئي إلى أقصى حد. لذلك اضطررتُ أن أخلد إلى مكان هادئ بعيد لأقضي ما بقي لى من

عمر، أصلي وأبكي وأتوب إلى أن أموت. وأظن أن أحداً منكم لا يستطيع أن ينكر حقي في الموت عن العالم والناس والصمت والبكاء.

لذلك أتوسل إلى الروح القدس أن يتكلم في قلبكم جميعاً لتعتبروا تصرفي هذا ليس فقط مقبولاً، بل ومثالاً يُمكن أن يحتذيه مَنْ يشاء ليعتكف ويُصلي ويبكي ويتوب، عسى الله يرحمنا بصلوات القديسين الذين عاشوا هكذا تماماً كل أيام حياتهم. فاقبلوا مني تحية الوداع إلى أن تتلاقى أرواحنا في السماء، لأن وجودنا على الأرض وشيك الزوال.

أما بخصوص الاعترافات، فكل واحد له مطلق الحرية أن يختار له الأب الكاهن الذي يناسبه. والرب الإله القادر على كل شيء يعطيكم جميعاً الحِلَّ والبركة.

وطريق الجهاد مفتوح لكل مَنْ يريد الجهاد، له ملاكه وله نعمته وله تعزياته الخفية التي يسكبها الله سراً وبلا كيل على كل نفس تُجاهد بالصبر في العمل الصالح.

واحذروا من روح القلق والضجر والفشل، لأن الذي يطلب السماء ينبغي أن يستهين بالتعب والألم والموت. فاجعلوا المسيح المصلوب أمام عيونكم لكي تحلو لكم الطريق الضيقة وتتلذذوا بالتعب حُباً وكرامةً للذى مات عنا.

وختاماً، أستودع أرواحكم ليد المسيح الراعي الصالح الذي سيقودكم بروحه القدوس إلى الكمال المسيحي الذي دعاكم إليه.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٤٩}

تطلعوا إلى وجه يسوع وحده

قرئت مساء الأحد ٢٨ مارس ١٩٧١م

بعد قراءة الرسالة السابقة

الآباء والإخوة الأعزاء

سلام من الله لأرواحكم جميعاً.

بعد كتابة رسالتي السابقة، وبعد أن استخدمتُ العنف الشديد مع نفسي إزاء رغبتي الجامحة في الخلود إلى الهدوء والبعد عن ميدان الخدمة داخل الكنيسة وخارجها دفعةً واحدة، وبعد أن أمضيتُ ليلةً كاملةً في الصلاة حتى الصباح، أُمسكتُ عن التحرك وأنذرني الله أن لا أتكلم أو أعمل أي كلام أو أي عمل يختص بعلاقتي مع الكنيسة. وها أنا الآن صامت إزاء مشيئة الله حتى لا أجعل عثرة في شيء لئلا تُلام الخدمة بسببي أو يُنسب إلى الله ملامة بسبب حماقتي.

والمطلوب الآن منكم أن تصلوا حتى لا يتخلى الله عن العمل الذي بدأه معنا في المُحيط الرهباني لمجد اسمه وكنيسته. كما أرجو أن تُلحُّوا في الصلاة حتى لا أفقد صبْرى واحتمالي، فأتخذ عملاً يميل إلى صالح راحتي وصحتي مُضحياً بالمسؤوليات التي تبدو فوق طاقتي دائماً.

أنا إنسان بلغ الضعف منه كل مبلغ، وكلما زاد ضعفي أزاد الله مسؤوليتي، مما يُحير نفسي حيْرةً تبلغ أحياناً حد اليأس، لولا بصيص نور خفي يأتي إليَّ في أعسر اللحظات وكأنه قادم من قوة صلاتكم من وراء حدود المعقولات، فأتابع عملي على رجاء المزيد من هذه المعونة لحظةً بلحظة.

أكتبُ إلى الإخوة الذين يلحون في طلب وجودي معهم وينظرون إلى غيابي عنهم كأنه غياب أُم عن رضيعها، أكتبُ إليهم معاتباً لأن أول واجبات الراهب وأخطرها وأعظمها جميعاً أن يكون رجلاً ويتحمل مسؤولية نفسه أمام الله، واضعاً ثقته بيقين شديد على النعمة التي هي أمنا جميعاً، والتي نستقي منها معاً شراباً روحياً واحداً.

إن كل تعزية من الناس أو من الملائكة هي باطلة إذا لم يكن للإنسان علاقة مباشرة مع الرب يسوع الذي عليه وحده وبه وحده تُقاس كل كلمة وكل تعزية. فإذا لم يختم المسيح على القلب بخاتم صورته البهية، فإن القلب لن يستوعب تعزية أو معرفة على الإطلاق.

لذلك أتوسل إلى الروح القدس أن يُغيِّر أذهانكم ويُعطيكم ذهناً صاحياً يتطلع إلى وجه المسيح وحده الذي ينير خفيات القلب بنور مجده المُعلَن في إنجيله، فيُبدِّد من حياتكم كل جزعٍ، كل شك، كل قلقٍ، كل انتظار بشرى، كل أملٍ واسع في أمور هذا الدهر، كل تسويف باطل في تتميم عهد التوبة، كل شهوة نجسة لمجد الذات أو راحة الجسد أو تسلية النفس بأمور هذا العالم الباطلة.

إن بولس الرسول كان يكتب إلى أولاده دائماً أن يكونوا رجالاً ويتشددوا بروح المسيح، لأن تعلُّقهم ببولس لن ينفعهم شيئاً، فماذا بالنسبة لإنسان مثلي؟

أنتم للمسيح أولاً وآخراً، والمسيح لكم هو أيضاً الأول والآخر، ولا رجاء في هذا الدهر ولا في السماء إلا بشخصه. اُطلبوه فهو قريب، والتصقوا بإنجيله فيُوجد لكم.

إن لحظة عزاء واحدة معه تساوي حياة هذا الدهر كلها حتى لو

كانت في سماع عظات وقراءة كتب. إن سر المسيح مفتوح لكل نفس تحفظ نفسها في طهارة الروح والجسد وتتوسل إليه في صبرٍ. فليُعطكم الله صبْر المسيح وبرَّه لتمتلئوا بكل عزاء الروح القدس.

الطريق أمامكم مفتوح للمجد، فلا تسدُّوه بقلقكم وثرثرة لسانكم وتذمركم. أنا أعلم أن بينكم إخوة غير شاكرين، قد دس العدو في قلوبهم روح عدم رضى وروح عدم الشكر، مجاناً وبلا سبب، فإلى هؤلاء أتوسل أن يفيقوا من دوخة العدو التي سحبهم إليها ويلتفتوا إلى خلاصهم لئلا يصبحوا يوماً فيجدوا أنفسهم خارج دائرة نعمة المسيح حيث تنتظرهم مرارة الندم والتحسر بلا رجاء.

أتوسل إلى جميعكم أن تنظروا إلى خلاصكم كأغلى شيء يُمكن أن تقتنوه في هذه الحياة. وهوذا المسيح وهبكم الطريق المؤدي إليه، فلا تستهينوا بكرامته لئلا يُنْزع منكم ويُعطَى لآخرين.

فإن كنتم متألمين أو متضايقين أو مكتئبين، فاعلموا أن هذه كلها كرامات الطريق وقد شرب منها القديسون بلا كيل فازداد المجد المُعدُّ لهم. واذكروا قول بولس الرسول: «قد امتلأتُ تعزيةً وازددتُ فرحاً جداً في جميع ضيقاتنا... لم يكن لجسدنا شيء من الراحة بل كُنا مكتئبين في كل شيء، من خارج خصومات، ومن داخل مخاوف، لكن الله الذي يُعزِّي المتضعين عزَّانا» (٢كو ٧: ٤-٦).

إن سر الفداء المسيحي لا ينبع إلا من الضيقة، وفرح الروح القدس لا يُزهر إلا بعد عطش وجدب وجوع شديد، ومواهب الروح دائماً أبداً هي ثمرة اضمحلال الجسد وعلامة لزوال الإنسان العتيق.

فلا تجروا وراء العزاء الرخيص، ولا يغركم فرح النفس التي تتغذى

على المديح والكرامة، ولا تستهويكم الفضائل وأنتم مستلقون على سرير الراحة.

وختاماً، أستودعكم حضن المسيح وبين ذراعى النعمة، حتى تدركوا القصد السعيد الذي خرجتم من أجله، ليصير نُموكم ظاهراً للجميع آيةً على صدق دعوتكم ومجداً وكرامةً للذي دعاكم.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين المقارى

الرسالة {٥٠}

الحرية من جديد

١٩٧١/٩/٢٧م

أحبائي

سلام من الرب.

السلام من الذي نظر إلى ذُلي وغربتي ومسكنتي، ونجاني من تجربة كانت كفيلة أن تودي بخلاصي وتُؤذي خلاص جميعكم. له الشكر والحمد والتسبيح من قلبٍ مُخلصٍ سيظل يبكي فرحاً ويشكر من خلال الدموع حتى آخر نسمة من حياتي.

اليوم كُتب لرهبانيتي عهد جديد، ليس كالعهد الأول الذي كانت تحوطه أخطار الضلالة، وعلى الأقل إمكانيات الغش والحيلة، لتتزكى النفس عند أهل الدنيا، ثُم تفقد دون أن تدرى تزكية الناظر إلى المتواضعين.

والآن أبدأ حياةً كلها حرية؛ كلها أمل في رهبنة توحدية مطلقة معكم وبكم وفي وسطكم.

اُشكروا الرب معى، وهللوا للذى زكّى صلاتي وصومي ودموعي أكثر من كل صلوات الذين كانوا يطلبون رئاستي و لم يكونوا يدرون أنهم كانوا يطلبون نفسي!

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٥١}

الاستشهاد والموت الإرادي

رسالة مرسلة من أسيوط إلى دير أنبا مقار

عيد النيروز في ١٩٧٣/٩/١١م

إلى الآباء والإخوة رهبان دير القديس أنبا مقار

نعمة لكم وسلام من الله.

قيل عن القديس أنطونيوس إنه نزل من الجبل ليُشدد الشهداء عند تقديمهم للمحاكمة في الإسكندرية، ثُم بعد استشهاد المغبوط البابا بطرس خاتم الشهداء عاد إلى ديره ليعيش استشهاده كل يوم.

فالآن قد أُعطي لكم أيُها الأحباء شرف هذه الشهادة، لأنه قد أُعطي لكم فرصة مداها العمر كله لكي تشهدوا للمسيح بموتكم الإرادي كل يوم حُباً وكرامةً للذي مات من أجلكم. وإني أقول لكم إنه ليس عمل ما من كل ما يعمل الإنسان يساوي عمل الموت الإرادي الذي فيه يصلب الإنسان ذاته على صليب المسيح، لأن كل أعمال الإنسان إما تنتهي بالموت أو تؤول إلى موت إلا صلب الذات بالموت الإرادي، فهو عمل ينتهي بالحياة ويؤول إلى حياة.

إنه سر أقوله لكم؛ الله يشهد؛ إن كل مرة يموت فيها الإنسان عن ذاته وينكر نفسه ويجحدها كرامةً لصليب المسيح وحُباً لشخصه الفادي، ينال التصاقاً حقيقياً بالرب المصلوب ويشترك بالفعل وبالروح في مجد صلبوته الطاهر.

كل شهيد، أيُها الأحباء، مات مرة واحدة عن ذاته بصدقٍ وإخلاص

يشهد لهما حد السيف الذي انصبغ بالدم، أما الراهب المُخلص لرهبنته الأمين لدعوة إلهه، فهو يُقدم ذاته مذبوحة بسيف الطاعة لكلمة الله مرات ومرات، فيتنعم بحياة أخرى ليست من هذا الدهر ويهتف من أعماق قلبه هتاف النصرة مع بولس الرسول: «من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبْنا كغنم للذبح» (رو ٨: ٣٦).

إن كان يوجد في الرهبنة امتياز سري عالٍ عن كل أنواع الحياة الأخرى، فهو يكمن أساساً في فرص الموت الإرادي عن الذات على مدى طول النهار والليل وعلى مدى العمر كله، بإمكانيات وطرق كثيرة برع فيها الآباء، ولم يستنْزفوا تنوُّعها وكثرتها بعد!

الراهب إنسان يحيا صليبه بكل تصميم وهيبة، بكل إصرار وحذق، بكل رزانة وصمت، بكل عشق وهيام، حيث لا راحة له إلا في بلوغ الموت الكامل، ولا سلام له إلا في اختفاء الذات وسحقها، حيث يعيش الحب الصادق عديم الغش، وينبت فرح المسيح الذي يطأ الموت، ويستهين بالمديح والكرامات.

الاستشهاد عملنا اليومي، أيُها الأحباء. ما تُعيِّده الكنيسة مرة واحدة في السنة لذكرى وتكريم أرواح الشهداء نعيشه نحن على مدى الأربع والعشرين ساعة بطول العمر وعرضه. النيروز هو حياتنا، هو سيرتنا التي نكتبها بدموعنا وعرقنا ودمنا ليسجلها لنا ملاكنا في السماويات.

الشهداء هم أصدقاؤنا والفعلة معنا الذين سبقونا وتركوا لنا دماءهم على الطريق علامات ترشد الكسالى والمتوانين والتائهين وراء غرور الذات وكبريائها. دم الشهداء له رائحة منعشة يستنشقها السهارى والتعابى والمتألمون، فيجددون قوةً. دم الشهداء إشارة حمراء تنذر بالخطر

تقف في وجه الهاربين من الضيقة والمتحايلين على الصدق بالكذب والغش واللف والدوران.

دم الشهداء ميراث أبوي استلمناه مع الإيمان بالمسيح، ولا يُمكن فصلهما، لأن غنى الإيمان لا يُمكن تأمينه ضد شهوات العالم إلا باستعداد الشهادة وسفك الدم. والشهداء أثبتوا لنا معنى الإيمان بالمسيح وقيمته، بالدم لا بالكلام.

من أجل ذلك أنبه ذهنكم أيُها الأحباء، أن الإيمان لا يُحسب شيئاً إذا لم يكن له استعداد الشهادة حتى الموت. وبالتالي، فالراهب الذي ليس عنده استعداد الموت الإرادي وإنكار الذات هو إنسان تائه لم يعرف بعد معنى الإيمان ولم يذُق بعد معنى الصليب، وهل يُمكن أن يُدعى بعد ابن الشهداء؟!

يا أحبائي، ليت رائحة دم الشهداء الزكية تنعش أرواحكم اليوم لبدء حياة جديدة. آمين.

كونوا معافين.

القمص متى المسكين

الرسالة {٥٢}

النعمة والكلمة والسر

في بدء الصوم الكبير مارس ١٩٧٦م

في بدء هذا الصوم المقدس أُذكِّركم أن منهج آبائنا السعداء بالرب يقوم أساساً على النسك، والنسك هو حفظ الإنسان لنفسه وجسده وروحه مقدسين للرب بمؤازرة **النعمة**، وفاعلية **الكلمة** وسلطان **السر** الإلهي.

(١) أما **مؤازرة النعمة** فهي مجانية تُطلب فتُعطَى لمنْ يطلب ويسأل ويقرع باب تحننات الرب، حسب قول المخلص: «فمنْ منكم وهو أب يسأله ابنه خُبْزاً أفيعطيه حجراً؟ أو سمكةً أفيعطيه حيةً بدل السمكة، أو إذا سأله بيضةً أفيعطيه عقرباً؟ فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري الآب الذي في السماء **يعطي الروح القدس للذين يسألونه**» (لو١١: ١١-١٣). وهكذا ينبه الرب قلوبنا أن **الآب هو الذي يعطي الروح القدس مجاناً** بمقتضى السؤال والطلبة وذلك طبعاً بدالة ابنه يسوع المسيح ربنا. والروح القدس في النسك هو بمثابة الربان في المركب.

(٢) أما **فاعلية الكلمة** في الإنجيل المقدس فهي للتطهير، تطهير النفس والجسد والروح، وذلك إذا أُخذت مأخذاً جدياً، حيث تُصبح حارقة كالنار وطارقة كالمطرقة كقول الله على لسان إرميا النبي: «ما شأن التبن مع الحنطة، كلمتي **كنار وكمطرقة** تُحطم الصخر» (أنظر إر٢٣: ٢٨-٢٩).

بل وتكون الكلمة خارقة أيضاً كالسيف ذى الحديْن، ينفذ مُخترقاً

الفواصل السرية التي تُفرق بين النفس والروح فتفضح ما تتعلل به النفس كأنه من الروح وهو علة ومرض فيها، وتسري الكلمة بخفة ونفاذ أحدَّ من السيف لتبلغ الخطايا المخبوءة حتى إلى نُخاع العظام والمستورة بين طيات المفاصل وعُقد النفس! وتكشف الكلمة ما احتفظ به الضمير عبْر السنين وما استتر في القلب بعيداً عن النور!

ولكن لا تستطيع الكلمة أن تصنع هذا كله إلا بتحريك النعمة لغاية واحدة وحيدة هي تسليم الحياة لله.

(٣) أما **سلطان السر الإلهي** فهو عمل المسيح الخصوصي للأخصاء، لبنى سره، حيث ينضح عليهم من دمه فيحتويهم سر الفداء ويدخلوا النور الإلهي كقول القديس يوحنا الرسول: «إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يُطهرنا من كل خطية» (١يو ١: ٧).

وفي هذا الصوم المقدس تتجمع هذه الوسائط النسكية الثلاث: **النعمة، والكلمة، والسر**، بقوة غير عادية بسبب أن المسيح يتقدمنا بنفسه في هذا الموكب النسكي صائماً معتزلاً مُصلياً. وكان الآباء يتبارون في هذا الصوم لبلوغ حالات من اليقظة الروحية ويدركون أعماق الأسرار والمواهب الروحية التي كانت تنعش الكنيسة كلها سنة بعد سنة. فكانت غيرتُهم النارية وحبهم الإلهي يشعل قلوب الشباب والمبتدئين، ويأكل تواني المتوانين، ويمسح الصدأ عن القلوب التي تخلفت فتقوم وتجري وتُجدد العهد، وكانت رؤية المسيح على جبل الصوم كقائد ناسك مظفر تلهب الكنيسة برمتها.

ولكن لأن حالنا قد صار رديئاً بسبب ضياع هذه الرؤيا والاستهتار

بركائز النسك الثلاث **النعمة والكلمة والسر**، صار منهج آبائنا في النسك لا يأتي بثماره المرغوبة، ولا تنتفع منه الكنيسة شيئاً، وانقلب إلى موسم وعظ وصياح بعد أن كان حركة ومسيرة وتغييراً وتجديداً وانسكاباً خفياً لنعمة الله في كل كنيسة وبيت.

لذلك قد صرنا مثل الكرم الذي كثرت فروعه وأوراقه وقلّ جوده وإثْماره، فظهر جميلاً من الخارج ردياً من الداخل. بمعنى أنه أصبح لنا شكل التقوى ولكننا لا نملك قوّتها أو بمعنى أكثر صراحةً أننا صرنا أتقياء في أعيُن الناس وأعيننا، وصدَّقنا الناس وصدَّقنا أنفسنا واكتفينا وفرحنا. ولكن في حقيقة حالنا لا نحمل قوة التقوى ولا فاعليتها، فالهالك لا نقوى على إنقاذه، والساقط لا نستطيع أن نقيمه، والمكسور والمريض لا نملك شفاءه، وحتى الضعيف لا نطيق احتماله!

بل ويا ليتنا لما علمنا ذلك انسحقنا وآمنا بنقصنا وبوار حالنا ووقفنا نتضرع أمام الله أن يشفي سقمنا برحْمته ويُجبر عجزنا بنعمته ويتدخل هو بذراعه ليصنع خلاصاً بقوته واقتداره. ولكن عوض البكاء والتوسل عن الذين يسيرون مسرعين في طريق الموت والهلاك اكتفينا بخلاص أنفسنا وأغمضنا أعيننا وسددنا آذاننا حتى لا نرى ولا نسمع عدد الذين يهلكون كل يوم ربوات وملايين، نصلي السواعى وننام مرتاحى البال والضمير، ألسنا رهباناً جئنا لخلاص أنفسنا فما لنا وخلاص الخطاة الزناة الأشرار الأردياء؟ عندما نرى أو نسمع عن الشباب الذي يسقط كل يوم بالملايين بين أيدي لصوص المخدر والجنس، نجوز بفكرنا سريعاً غير مبالين، ندخل قلالينا بقلب رضي هني لا نئن ولا نتنهد ولا نتوجع، وقصة السامري واللصوص نُمثلها بإتقان مذهل بأكثر هوانٍ واستهتارٍ من الكاهن واللاوي فيها، وكأنما صلوات السواعي وقيام نصف الليل

والسجدات – قلّت أو كثُرت – كفيلة أن تعفينا من تحذير الله المخيف على فم حزقيال النبي: «وقال له الرب اعبُرْ في وسط المدينة في وسط أورشليم **وسِمْ سمةً على جباه الرجال الذين يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات** المصنوعة في وسطها. وقال لأولئك – في سمعي – اعبُروا في المدينة وراءه واضربوا، لا تشفق أعينكم، ولا تعفوا الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء، اقتلوا للهلاك **ولا تقربوا من إنسان عليه السمة**، وابتدئوا (الضرب) من مقدسي» (حز٩: ٤-٦).

وهكذا كل الذين لم يحملوا همَّ خطايا الشعب ومفاسده، و لم يتنهدوا و لم يئنوا على هلاك الخطاة ساواهم الله بصانعي الرجاسات سواء بسواء إذ أجاز قتلهم!!

فيا ويلنا يا إخوتنا إن كنا لا نحمل هم الخطاة، ولا نئن ونتنهد الليل والنهار أمام الله في حزن وبكاء في المسوح والتراب كما فعل آباؤنا ونجوا. نصرخ أمام الله بتوجعٍ من أجل الخاطئ كابن وحيد لنا، بل ويا ويلنا إن كنا لا نقف بعزم القلب على أهبة الاستعداد، أتم الاستعداد، أن نُسلِّم كل وقتنا وحياتنا ثمناً لعودة الخطاة لحضن المسيح.

وها هوذا يجيء موسم الصوم في هذه السنة والعالم كله يتطلع إلى منْ يُخلِّص، فالضربة بلغت من القدم للرأس، والحال بلغ إلى نزاع الموت الأخير والكل يتطلع إلينا طالباً المعونة بل طالباً برهان الحياة التي فينا، ألسنا رهباناً نموت عن العالم كل يوم؟ ولكن يا لحزني فنحن لا نملك إلا دموعنا وصرنا كالشجرة التي تعوقت عن إعطاء الثمر في أوان الثمر وصار مصيرها في خطر، لأن صاحب البستان يطلب إخلاء الأرض لولا البستاني الكريم الذي وقف يتشفع فيها هذه السنة أيضاً!!

لذلك أدعوكم بفم يوئيل النبي: «اضربوا بالبوق في صهيون، قدسوا صوماً، نادوا باعتكاف، اجْمعوا الشعب، قدسوا الجماعة، احشدوا الشيوخ، اجْمعوا الأطفال وراضعى الثدي، ليخرج العريس من مخدعه والعروس من حجلتها، ليبكِ الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا أشفق يا رب على شعبك، ولا تُسلم ميراثك للعار، حتى تجعلهم الأممُ مثلاً، لماذا يقولون بين الشعوب أين إلههم؟» (يؤ٢:١٥-١٧).

«ولكن الآن يقول الرب: **ارجعوا إليَّ، بكل قلوبكم، وبالصوم، والبكاء، والنوح، ومزقوا قلوبكم** لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطئ الغضب وكثير الرأفة» (يؤ٢:١٢-١٣)... «**ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر**» (يؤ٢:٢٨).

إذاً، **فحملُ الصلاة** عن الكنيسة كلها والعالم كله مُلقى عليكم، الله هو الذي وضعه علينا مع كل تبعاته وتكاليفه الباهظة جداً، لأنه مطلوب صلاة تُحرك السماء، صلاة بمعاناة وآلام وأحزان عميقة، صلاة بعرق يتصبب كصلاة جثسيماني، صلاة بمخاض كمخاض الولادة، كما شبهها بولس الرسول بمخاض الحبلى إلى أن يتصور المسيح في الخطاة فيُولدوا!! أنتم هي البطن التي وُضع عليها أن تحمل بالخطاة متوجعة حتى يأتي الطلْق بقوة الروح القدس من الأعالي فتلدهم الكنيسة في سنة مقبولة وزمن خلاص. **لقد صلينا كثيراً ولكن لم نصل الصلاة المطلوبة، صلاة التوقع التي ما تنتهي إلا بالاستجابة!** فالأمر التزامٌ هو وليس اختياراً، فالخاطئ إما يذهب إلى الهلاك وإما يُولد للحياة الأبدية، الفرق شاسع ونحن مسئولون.

ها أنا أقول لكم مثلاً: إن رأيت طفلاً صغيراً لا يدرك شيئاً يقف على طريق قطار قادم بسرعة وأمامك فرصة ضيِّقة لإنقاذه، فهل تتركه؟

ولكن ما بالك لو قلت في نفسك ما شأني وحياة طفل، أنا راهب أطلب خلاص نفسي، ولم تجر لتنقذه، هل تخلص نفسك؟ وماذا تكون نظرة العالم ونظرة أمه نحوك؟ هذا سؤال مرعب!

ولكن هل التواني في إنقاذ إنسان من الهلاك الأبدي، وهو خاطئ لا يعرف مصيره، أقل رعبة من التواني في إنقاذ طفلٍ من تحت القطار؟

هل التواني في إنقاذ كنيسة برعاتها وخدامها من روح اللامبالاة من جهة خلاص الهالكين أقل رعبة من التواني في إنقاذ طفلٍ من تحت القطار؟

ثُم هل التواني في إنقاذ أرواح الشباب والشابات الذين يهلكون بالملايين في العالم كله أقل رعبة من التواني في إنقاذ طفلٍ من تحت القطار؟

أليست هذه خطيئة عظمى أن لا نحس بهلاك الخطاة ولا نتحرك ولا نتوجع؟ ثُم أليست هذه الخطية بالذات هي التي أوقفت عمل الروح القدس في الكنيسة؟

بل وهذه الخطية بالذات هي التي أدخلتنا في الظلمة وأصبحنا لا نعلم الطريق ولا إلى أين نمضي لأن الظلمة — ظلمة عدم المبالاة بالقريب الهالك — أعمت أعيننا؟ كيف نقول إننا نعيش في النور ونسلك في النور ونحن لم نحب أخانا بل أبغضناه بغضة الموت لأننا تركناه يهلك ولا نُحرك ساكناً، إلا أننا نكذب وليس الحق فينا إن قلنا بعد ذلك إننا نحب الله أو القريب.

حقاً جيد أن نُخلص أنفسنا، ولكن هل جيد أن يهلك أخونا ونحن نملك بالصلاة إمكانية خلاصه بل وخلاص الملايين؟

تقول أنا راهب وما هي مسئوليتي تجاه منْ لم آخذ مسئوليته «أحارس أنا لأخي» (تك٤:٩)، إن المسئولية تجاه الخطاة تقع على الكهنة ورؤسائهم الذين أقاموا أنفسهم رعاة لهم. ولكن يردُّ علينا الرب على لسان إشعياء النبي ويضعنا في موضع المسئولية العظمى: «على أسوارك يا أورشليم أقمت حراساً لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام، يا ذاكرى الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت حتى يُثبِّت ويجعل أورشليم (الكنيسة) تسبحة ويجعلها تسبحةً في الأرض» (إش٦٢:٦-٧).

تقول ومنْ أنا حتى أحرس الكنيسة كلها والعالم؟ ماذا تفيد صلاتي للملايين وأنا رجل خاطئ؟ إن هذا العمل فوق طاقة البشر، أليس هو عمل السماء؟ ولكن الكتاب يرد علينا مستشهداً بإيليا ويقول: «كان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا وصلى صلاة أن لا تُمطر (السماء) فلم تُمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر ثُم صلى أيضاً فأعطت السماء مطراً وأخرجت الأرض ثمرها» (يع٥:١٧). فهل السماء تسمع وتستجيب لأمر الإنسان من جهة المطر لحياة الزرع والضرع ولا تسمع وتستجيب من جهة خلاص الإنسان وحياته الأبدية؟ ثُم ألم يقل الكتاب إن روح إيليا تقدَّم أمام الرب ليُعد له طريقاً، وهل انتهى الطريق؟ ألستم أنتم إيليا هذا الزمان؟ وهل الصلاة مُجازفة؟ أليست لتمجيد الآب!!؟

ولكن من جهة أخرى، الرب يُؤمِّن استجابة الصلاة **بتأكيد** وضمان شخصي لإتيان المعجزة وفتح السماء: «**الحق الحق أقول لكم مَنْ يؤمن** بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي **ومهما سألتم باسْمي فذلك أفعله** ليتمجد الآب بالابن، إن سألتم شيئاً باسْمي فإني أفعله» (يو١٤:١٢-١٤).

وهنا يتكشف لنا أن القضية — قضية الصلاة واستجابتها — انحسرت

في أضيق نطاق، فالمسيح جعل شرطها الوحيد: "**منْ يؤمن بي**".

إذاً، فهلاك الخطاة يتحدى إيماننا، والشيطان يتحدى إيماننا، بل ومحنة العالم كله هي بسبب عدم إيماننا، ونوم الكنيسة وضعف الرعاة هو من صنع ضعف إيماننا!!

فهل نصمت إزاء هذا التحدِّي؟ أنقبل على أنفسنا دينونة هؤلاء الهالكين؟ بولس الرسول يدعوكم: «جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان؟؟ امتحنوا أنفسكم أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم؟» (٢كو١٣: ٥).

إذاً، هل آن الأوان أن نصارع مع الله في الصلاة حتى مطلع الفجر أو حتى الموت؟ فيتزكى إيماننا ويستجيب الصلاة، وتأتى المعجزة وتنفتح السماء، ويُرسل الله قوةً من الأعالى تُحرك الكنيسة كلها لتكميل الخلاص بسلطان الروح وبقوة وحرارة فيعترف الجميع ويتوبون ويقبلون عطية الله كالأول حتى تأتي أزمنة الفرج من عند الرب.

لماذا فقدنا روح آبائنا وروح أنبيائنا، هؤلاء الذين حركوا السماء بل حركوا قلب الله؟ فهل عسير علينا أن نعمل ما عمل دانيال: «فوجهتُ وجهي إلى الله السيد **طالباً بالصلاة والتضرعات بالصوم والمَسْح والرماد** وصليتُ إلى الرب إلهي **واعترفتُ**... وبينما أنا أتكلم وأصلي وأعترف بخطيئتي وخطية شعبي إسرائيل وأطرح تضرعي أمام الرب إلهي... وأنا متكلم بعد بالصلاة إذا بالرجل جبرائيل... لمسني وفهَّمني وتكلم معي وقال... **في ابتداء تضرعاتك خرج الأمر**، وأنا جئتُ لأخبرك لأنك محبوب» (دا ٩: ٣-٢٣).

والله استجاب لدانيال استجابة فورية.

أو هل صعب علينا ما فعله نحميا: «فلما سمعتُ هذا الكلام **جلستُ، وبكيتُ، ونُحتُ أياماً، وصُمْت، وصليتُ أمام إله السماء**... وقلتُ يا سيد لتكن أذنك مصغية إلى صلاة عبدك وصلوات عبيدك الذين يريدون مخافة اسْمك، أعط النجاح اليوم...» (نح١: ٤-١١). ونعلم أن الله استجاب لنحميا جداً وأنجح كل مسعاه لتجديد أورشليم.

ثُم هل نحن بكل مذخرات النعمة وعمل الدم الإلهي ومجد الصليب وظفر القيامة ومواهب يوم الخمسين أقل من أنبياء العهد القديم؟

أعود فأُذكِّركم، يا أحباء الرب، أن العيب والملامة ليست في الكنيسة النائمة، ولا في الشباب المنحل ولا في العالم المستبيح، ولكن العيب فينا والملامة علينا نحن الذين أقامنا الله حراساً بالصلاة على أسوار أورشليم نحرس الكنيسة في نوباتنا السواعية الليلية والنهارية، فانشغلنا فيما لأنفسنا فارتدت صلاتنا إلى حضننا.

ولكن شكراً لله الذي لا يزال يلح طالباً يقظتنا مرسلاً صوته لنا في بداية الصوم الأربعين موسم الصلاة والبكاء والنوح والتوبة ولبس المسوح والجلوس على الأرض كالأيام الأولى، والكنيسة من حولنا تُردد ألحانها الحزينة وكأنها تُذكرنا بالضحايا الذين خرجوا من حضنها ولن يعودوا، وكأنها تُوقظ فينا عقدة الذنب لعلنا نقوم ونغير غيرة الرب لنحفظ ما بقى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٥٣}

جثسيماني: بستان "معصرة الزيت"

أبريل ١٩٧٦م

أكتب إليكم أيُها الأحباء عن واجبنا إزاء المقيدين والمذلين في العالم والسائرين في طريق الموت باعتبار أنها رسالة حياتنا، لأن هذا قد وُضع علينا بإرادتنا، ولأن لا خلاص لنا إلا بقدر ما نرى أنفسنا مسئولين عن خلاص الآخرين، أو كيف نرتاح في أنفسنا وإخوتنا لا راحة لهم، والرب يُحذرنا: «إن لم تكونوا أمناء في ما هو للغير فمَنْ يعطيكم ما هو لكم؟» (لو١٦: ١٢).

واليوم أكتب إليكم عن سر مخفي من أسرار المسيح فات علينا أن نتعمقه ونعيشه، وهو سر جثسيماني، سر الصلاة التألمية التي أسسها المسيح لتكون الخلفية الحية لحمل الصليب، إذ لا يُمكن يا أحبائى أن يكون صليب بدون جثسيماني. فكل منْ ارتضى أن يكون تلميذاً للمخلِّص ووضع في قلبه أن يحمل الصليب، فعليه أولاً أن يقتني "جثسيماني"، الذي تفسيره بستان "معصرة الزيت"، ليمارس صلاة العرق الذي يتصبب كقطرات دم، ليكون على مستوى الصليب.

كلنا أيُها الإخوة، ذُقنا صلاة التوبة بدموعها الحارقة، وارتوينا من صلاة المزامير حتى الشبع، ومنا منْ اختبر صلاة المناجاة توسلاً أو تشفعاً أو حباً خالصاً، بل ومنا منْ تكرم بأن أُنعم عليه بصلاة الرثاء صلاة إرميا النبي عن قتلى الشعب (الخطاة)، والقليل جداً منْ وُهب دموع راحيل (الكنيسة) وبكاءها المرُّ على أولادها الذين أُخذوا من حضنها وماتوا بعيداً عنها (المرتدين)، ولكن بقيت صلاة لم ينفتح سرها بعد أمام قلوبنا، صلاة جثسيماني، بأعماقها وأحزانها... فلقد أبقاها المسيح للنهاية لتكون

جزءاً لا يتجزأ من الصليب، ابتدأها يسوع لما دنت الساعة، لما أكملوا المشورة عليه واتفقوا على الثمن وقبض الخائن وتحرك الشامتون والحاقدون، فدخل المسيح جثسيماني ليسكب نفسه في جهاد الصلاة ليواجه الصليب والصالبين.

دخل يسوع جثسيماني، وأبقى الثمانية عند الباب وأوصاهم بالسهر والصلاة لأن التجربة عليهم بالمرصاد، ثُم أخذ الأخصاء الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا ليشهدوا ويُسجلوا أروع مواقف الرب وأعمق آلامه: «**وابتدأ يحزن ويكتئب**» (مت٢٦:٣٧)، وكأنه يدخل الصليب مُسبقاً ويغرس المسامير في جسده بيديه!... عجيب هذا المخلِّص الذي يُعلمنا كيف ندخل الموت طواعيةً بالصلاة النازفة!! «نفسي **حزينة** جداً حتى **الموت**» (مت٢٦:٣٨)... «وإذ كان في **جهاد** كان **يصلي بأشد لجاجة** وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض» (لو٢٢:٤٤)!

الآن أدركتُ لماذا اختار الرب بستان "**جثسيماني**" الذي تفسيره "**معصرة الزيت**"، إشعياء النبي يكشف سر المعصرة هذه «مَنْ ذا الآتي من آدوم **بثياب حُمْر** من بُصرة، هذا البهي بملابسه المتعظم بكثْرة قوته، أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص، ما بال **لباسك مُحْمر** وثيابك كدائس **المعصرة؟ قد دستُ المعصرة وحدي** ومن الشعوب (التي فديتها) لم يكن معى أحدٌ» (إش٦٣:١-٣).

لقد دخل المسيح في صلاة جثسيماني كما يدخل الإنسان المعصرة، وقد شاهد التلاميذ الأخصاء كيف انعصرت بالفعل نفسه وصار عرقه ممزوجاً بالدم يتقطر على الأرض! ولثلاث مرات، تماماً كالتجربة على الجبل، واجه الرب هذه التجربة أيضاً في صراع مُرٍّ وجَثْو الرُكب حتى التراب، وفي كل مرة يقوم ليُوصي تلاميذه بالسهر ليستلموا سر الفداء بكل ما فيه من أوجاع وعناء! ولكنه في كل مرة كان يجدهم نياماً، **لهفي**

على بطرس النائم والمعلم أمام عينيه يجوز غُصَّة الموت، والمشورات قد وُضعت من **بعيد**، والخطط أُحكمت على التنفيذ، **والمال دُفع**، والشهادة أُعدت والشهود، والقتل حللوه بالقوانين والبنود، وتبارى القاتلون وكأنهم يُقدمون خدمةً لله!

«لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس» (لو٢٣: ٣١)؟ وكلنا يابسون، فهل نقوى على التجربة ونحن نائمون؟ أيمكن أن نحتمل يوم الصليب وعُنف الصالبين ونحن لم ندخل جثسيماني ولا سهرنا في جهاد الصلاة واللجاجة «**ولا ساعة واحدة**» (مت٢٦: ٤٠)؟

يا أحبائى انتبهوا، لقد أسس المسيح لنا في "جثسيماني" مدينة ملجأ، "بصلاة المعصرة"، نعم بصلاة الصراع على مستوى الموت **لغلبة الموت!** اسْمعوا القول «**نفسي حزينة جداً حتى الموت**»، لقد دخل المسيح بالصلاة الحزينة إلى عُمق الصليب، وبالعناء «والصراخ الشديد والدموع» (عب٥: ٧) حوَّل العرق المتصبب إلى قطرات دم تتساقط!! وكأنه نزيف إرادى!...

إن الصلاة في جثسيماني هي سر النصرة على التهديد بالموت، إذ كيف يخشى الموت مَنْ بلغ الموت بصلاته؟ أو كيف يهاب نزيف الموت على الصليب مَنْ بلغ بأحزانه نزيف الدم في قيامه وسجداته؟

ولكن نحن لا ندخل جثسيماني من أجل أنفسنا، وهل كان المسيح يُجاهد بالعرق والدموع من أجل نفسه؟ إن الشركة في آلام الرب وأحزانه من جثسيماني حتى القبر عبوراً بكل حوادث الصليب هي أفخر ميراث للذين حملوا همَّ خلاص الشعب، وثقلوا أنفسهم بمصير الخطاة، وهزل جسمهم وطار نومهم من أجل المظلومين والمذلين والمطروحين خارج السياجات، هؤلاء الذين قبلوا شرف تكميل آلام الرب في

أجسادهم وفي نفوسهم من أجل الكنيسة.

نعم لهؤلاء أسس الرب منهج جثسيماني في الصلاة، **صلاة معصرة النفس** بأحزان وصراخ شديد ودموع، لكي يكون لهم فرصة أن **يُسمع لهم من أجل تقواهم** ويقضى لهم قضاءهم ويُخلص بذراعه كل مَنْ يسهرون ويتشفعون من أجل خلاصهم!...

ولكن أين نحن من جثسيماني؟ وأين جثسيماني من صلاتنا؟ يا ويل الكنيسة التي ليس لها جثسيماني... يا ويل الراعي الذي لم يدخل بابها... لذلك فالمفقودون لا يُعدون من الكثْرة، ولا يُوجد حتى منْ يذرف عليهم دمعة!! والباقون ليس مَنْ يسهر على حراساتهم في أهوال هذا الليل الطويل المظلم... وما فات هين، والقادم أظلم!

ألم يتحقق ما قاله داود ثُم ما قاله التلاميذ، وها نحن نردده واثقين، «قد ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل، قام الملوك وتآمر الرؤساء معاً على الرب **وأولاد مسيحه**، لنقطع الأغلال (رُبُط المودة) ونطرح عنا نيرهم (نير الإخوة والعلاقات)».

حينما كان الخائن يضع الخطة مع الحاقدين والمتآمرين، كان الرب يصارع في مُجاهدة بحزن ومرارة، ساكباً نفسه للموت بعرق كالدم، مع جثو الرُكب المستمر علىً التراب ثلاث مرات. وهكذا افتتحً لنا الرب منهج الاستعداد الفريد بالصلاة التألمية "صلاة جثسيماني" صلاة ما قبل الصليب، حتى تنكسر حدة «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو٢٢:٥٣).

إن الأيام تجري، والأرجل مسرعة، والأمر يحتاج إلى **معجزة فائقة**، والمعجزات واردة بالإيمان ولكنها تحتاج إلى **عمل فائق**، **جثسيماني** لا غير!! حيث يجوز الرعاة المعصرة وحدهم: «**ليبكِ الكهنة خدام الرب**

بين الرواق والمذبح ويقولوا أشفق يا رب على شعبك ولا تُسلم ميراثك للعار...لماذا يقولون... أين إلههم؟» (يؤ٢:١٥-١٧).

فالنجاة قريبة وهي بروح الله «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود» (زك٤:٦). ولكن أنىَّ لنا بروح الله ونحن لم نتعلم الصلاة، صلاة الصراخ ليل نهار كشرط الرب، ما أصعب الصلاة المنتصرة! لقد أعطانا الرب في جثسيماني نوعاً خاصاً فريداً لصلاة "**الضيقة العظمى**"، صلاة "**الحصار**"، والصالبون على الباب.

ولكن السؤال الصعب: من أين لنا أن نُجاهد في صلاة "المعصرة" حيث يمتزج العرق بالدم عن نفوس نحن لا نحس بقيمة موتها أو حياتها؟؟؟ لا يُقلقنا خلاصها أو هلاكها؟؟

يا إخوة، لا يحس بقيمة خلاص النفس البشرية ولا ينْزعج لهلاكها إلا **منْ له روح المسيح**، والذي ليس له روح المسيح فالمسيح ليس له.

لقد كان المسيح يُجاهد في جثسيماني بأعمق ما فيه من أحزان وعرقه يتصبب كالدم، والقاتلون على الباب، وبالرغم من هذا كله كان التلاميذ ينامون **والشجاع "بطرس" مثقل جداً بالنوم!!** وذلك لأنهم لم يكونوا قد أخذوا روح المسيح بعد، ولا استُعلنت لهم تكاليف الفداء ولا حملوا مسئولية الكرازة وخلاص الناس!! وهم في ذلك كانوا معذورين. ولكن أن ننام نحن، ونحن نقول إن لنا روح المسيح وإننا مدركون تكاليف الفداء وقد حملنا مسئولية النفوس، فهذا أمرٌ لا يطيقه الإيمان، وهو كفيل بحد ذاته أن يُعجِّل بساعة الظلمة ويُطيل ليل الآلام ويُعمق التجربة، وفي هذا كله لن يُلام الله!!

فإما جثسيماني وإما الهروب في ساعة التجربة، فلنحذر لأن ليس للوضع بديل.

يا إخوة، قد تُفرقنا في أيام السلام المعارف والنظريات؛

وقد تُفرقنا في أيام العمل عظمة الرئاسات والمسئوليات؛

وقد تُفرقنا في أيام الغنائم الأحقاد والمُخاصمات؛

ولكن ماذا في أيام المحن والضيقات؟ ماذا وشبح الصليب قد ألقى ظله على الأفق البعيد؟ فإذا لم تجمعنا جثسيماني، ماذا سيجمعنا إلا مِنْجَل الحصاد!

وإن كُنا قد أخفقنا في أيام سلامنا في كل شيء، فلا ينبغى أبداً في أيام ضيقنا أن نُخفق على باب النجاة!! لو أمكن لنا بشيء من البصيرة أن نتصور الخسارة قبل حدوثها لأخذنا الدوار وداهمتنا الرعبة، ولكن لو انتبهنا إلى المطلوب عمله لبلوغ النجاة لأذهلتنا قيمته المبسطة والمقسطة، فجثسيماني حصننا في يوم الصليب!

ولكن ينبغى أن نلتفت أن جثسيماني لا تعفينا من الآلام، ولا تتجاوز لنا الصليب، ولا تلغي ضريبة القبر، فالمسيح صلى في جثسيماني وصُلب ومات وقُبر، ولكنه **قام**!!

والمسيح لم يأخذ في جثسيماني إعفاءً من الصليب، ولكنه أخذ صكاً بالقيامة!!

لقد أمضى الرب بعرقه الممزوج بالدم الحروف الأولى من معاهدة الفداء والقيامة، وعلى الصليب أكمل الإمضاء والختم.

صلاتنا في جثسيماني تؤمِّن لنا الشهادة أمام بيلاطس، وتضمن لنا النصرة على الصليب، وتُشجع التلاميذ والتابعين والشعب من قريب ومن بعيد حيث لا يعود "اصلبه اصلبه" بل "اصلبنا اصلبنا!". لقد حق جداً للمسيح أن يقول مُحذراً في هذه الساعة الخطيرة: «أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية» (مت٢٦: ٣١).

إن صلاة جثسيماني لم تأت جزافاً قبل الصليب بساعات قليلة، فنحن لم نسمع على مدى حياة الرب كلها عن صلاة مثل صلاة جثسيماني... فهي لا تصلح لكل ساعة، لقد أسسها الرب لتكون جزءاً حياً من الصليب!!

إن صلاة المعاناة بتألم شديد أمام الله وبمجاهدة جسدية عنيفة «**بصراخ شديد ودموع**» (عب٥:٧)، قادرة أن تُغيِّر المُجازاة والمقادير «**فسُمع له من أجل تقواه**»!! وبقدر المعاناة تكون المُجازاة... فكم مرة استطاع موسى أن يُغير قضاء الله من جهة إفناء الشعب بأجْمعه؟

أما الضيقات «فنحن موضوعون لهذا»، ولكن الخطر كل الخطر أن تأتي الساعة ونحن لم نقتن صلاة المسيح في جثسيماني، لأننا حتماً سنكل ونخور ولن نضبط قوة على صبْر أو احتمال: «فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة **مقاومة** لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم، لم تقاوموا بعد حتى الدم (بالصلاة)» (عب١٢:٣-٤).

إذاً، فنحن مطالبون إزاء كل مقاومة أن ندخل بستان معصرتنا **ونقاوم مع الله** في الصلاة حتى الدم.

هذا هو منهج الصليب الذي رسمه الرب بدمه في جثسيماني!! وهو أصلح ما يكون لنا في هذه الأيام.

القمص متى المسكين

الرسالة {٥٤}

في إنتقال الأب القمص عبد النور

١٩٧٩/١٢/١٨م

الأب كيرلس والآباء عموماً

لقد انتقل أب شيخ خدم جيله بأمانة، وكان الوحيد المطيع للأنبا ميخائيل حينما تقلب عليه الدير، فحمل روح الآباء وقدَّس التقليد في طاعة رئيس الدير، وكان أكثر الآباء فرحاً بقدومنا من الريان، وقدم لنا كل ما عنده في قلايته وأمواله.

لقد تألم في مرضه، فكان بيِّنةً على اختياره ليستريح في أمْجاد القديسين، وقد عيَّن الله الأب الراهب الفاضل أبسخيرون لخدمته الصعبة، فكان كملاك الله لم يشتكِ ولم يتذمر في خدمته، فنال أجراً مُضاعفاً.

الرب يُنيِّح روحه، ويمنحنا روح اليقظة لأن الدعوة هي للعبور مفتوحة، فعملاً بقول المُخلص اسهروا بالروح لأنكم لا تعلمون الساعة، واقتنوا لكم بجهادكم نعمة تُضئ أمامكم ساعة الظلمة وزيتاً يُوصلنا إلى الميناء الآمن.

إن الموت للذين قبلوا المسيح رباً ومُخلصاً صار عبوراً للحياة التي بلا موت.

وطوبى لمنْ أعدَّ نفسه ليوم الرحيل:

بإنكار كامل لذاته،

وحُبٍ طاهرٍ بشدة لإخوته،

وصلاةٍ بلا انقطاع تنسُّماً لروح الله القدوس،

وشكر في كل شيء،

وفرح بالنصيب المحفوظ لنا في السماوات.

كونوا معافين.

القمص متى المسكين

"انتقل الأب القمص عبد النور في ١٨ / ١٢ / ١٩٧٩م"

الرسالة {٥٥}

وصايا للسلوك الرهباني

٢٠/٤/١٩٨٣م

إلى إخوتي الأحباء الأعزاء بالرب مجمع دير أنبا مقار

أشكر الله الذي مدَّ يده وعبر بي هذه التجربة، وكنتُ أشعر جداً بصلواتكم وخاصةً في الثلاثة الأيام الأخيرة، حين تغيِّر الوضع فجأة وبصورة غير منتظرة. وسأستمر في العلاج والاعتكاف لمدة شهر لأنزل – إن عشنا – للفحص.

وفي اسم المسيح المبارك أتوسل إلى كل أب منكم أن يجعل خلاصه نُصب عينيه فوق كل اعتبار، جاعلاً الصلاة عمله قبل كل عمل وفوق كل عمل. فالصلاة هي درع الإيمان الذي نواجه به كل حروب العدو، ولا يغيب عن بالكم قط أننا نجوز ككنيسة وشعب ودير محنة التصفية الأخيرة، لأن العدو طلب ذلك وأُعطي له، ولن يخلص إلا المُخْلِصون، ونحن الآن في غربال التجربة العظمى.

ووصيتي لكم كالآتي:

أولاً: في حياتكم الخاصة وفي داخل القلاية:

ارفعوا قلوبكم بثقة البنين لله "رفعتُ نفسي إليك"، منتظرين بإلحاح تدخُّل نعمته لتطهير القلب والفكر والضمير كل يوم، لتكونوا على استعداد ملاقاته. استخدموا الركوع طويلاً وقرع الصدر للحصول على رحمته.

اقرأوا كلمة الله بإحساس الجائع العطشان، وهذه هي وصية المسيح

«إن عطش أحد فليأت فليقبل إليَّ» (يو٧: ٣٧). فالذي يعطش إلى الله وكلمته، فهذا وحده هو الذي يرتوي وتسري فيه قوة الله.

استخدموا التعنيف والتوبيخ لأنفسكم وحاكموا أفكاركم وضمائركم، جاعلين ذواتكم تحت دينونة الكلمة، ولا ترحموا أنفسكم ولا تُزكُّوا ذواتكم قط، فالرب يحضُّ كل واحد أن يكون **آخر الكل وعبد الجميع**. والرب الذي أخلى ذاته من مجد الألوهة ليكمل خلاصنا، يطلب منا شجاعة التخلِّي، بالمثل، عن المجد الباطل والفاني لنُؤهَّل لهذا الخلاص ونشترك في مجده الأبدي. لذلك انشطوا جداً في كل فنون التخلية عن أمجاد هذه الدنيا وكرامات الإنسان بوعي وحكمة.

ثانياً: في عملكم مع الآخرين وسلوككم العام:

لا ترفعوا نجاح العمل وإتقانه فوق الرحمة أو المحبة، لأن العمل سيفنى ولكن الرحمة والمحبة ستبقى إلى الأبد شاهدةً لنا أو شاهدةً علينا. العمل الذي يخلو من الرحمة سيختزل رصيدنا من رحمة إلهنا، والعمل الذي لا يقوم على أساس المحبة هو بعينه البيت المبني من القش الذي ستختبره نار الحب الإلهي فتحرقه ولا يبقى منه إلا الحسرة والعناء والتعب. لذلك اختبروا نياتكم بذكاء ومهارة لتتأكدوا أن أعمالكم جميعاً تُحركها دوافع روحية متقنة.

واعلموا أن العمل هو الوسيلة الوحيدة لكشف خبث النفس وخداعها وأنانيتها وكبريائها، فارصدْ حركات نفسك وأخضعها لناموس المسيح، عالمين أن كل جهد مبذول بروح المحبة يتحول تلقائياً وبكل يقين إلى بصيرة روحية وكفاءة. وكلما ثابر الإنسان على البذل القائم على المحبة فقط كلما تحول الإنسان من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب

الروح.

أخيراً أيُها الأحباء، أتوسل إليكم بمحبة المسيح أن تعملوا معاً بـــروح التجرد وإنكار الذات مُقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة. أعطوا فرصـــة للملائكة وأرواح القديسين أن تؤازركم في العمل، وذلك حينما يسود الاتضاع فيما بينكم وتلتزموا بالصبر وطول الأناة والصفح عن أخطـــاء بعضكم.

كونوا جميعاً معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

١٩٨٣/٤/٢٠م

الرسالة {٥٦}

الطريق الضيق، وطريق الراحة والإراحة

١٩٨٣/١٠/١٣م

الآباء المباركون والإخوة المحفوظون بنعمة الله

نعمة لكم وسلام من الله الآب وبركة وعزاء وسرور من الرب يسوع والروح القدس. أتعشم في وجه المسيح أن تكونوا جميعاً في ملء النعمة حارين في الجهاد بالروح مفتدين الأيام بالصلاة.

أشكر الله الذي آزرني بصلواتكم وعبرتُ الضيق اليسير الذي أكرمني الله به في جسمي، إذ شهد الجميع أن الله نجاني.

أكتب إليكم من جهة الطريق الضيق الذي اخترناه وارثين إياه من آبائنا القديسين الذين سلموه إلينا بالدموع وديعةً مؤتمنة عبر الأجيال لتمجيد إلهنا في كفاف المعيشة وخُبْز اليوم، متوسلاً أن تلتزموا شكل الطريق مثل جوهرة، سواء من جهة أكل أو شرب أو نوم أو أي استخدام للعالم والأشياء التي فيه، ولا توسعوا لأنفسكم طريقة الحياة، بل اختاروا الأضيق والأقل دائماً، حتى يُنعم الله عليكم بدخول ملكوت السماوات عن سعة.

وإذ لاحظتُ اتجاهاً منكم نحو تسهيل الحياة، رأيتُ أن أسرع وأنبهكم أن طريق الراحة والإراحة لا حدَّ له. وهكذا ينبهني الروح أن أُسرع لتعديل مسار الحياة لأضعها أقرب ما يكون إلى ما تسلمناه. وبالتالي فكل مَنْ اقتنى خطأً شيئاً أو أشياء تلهيه عن الصلاة الدائمة، يُسرع ويتخلص منها استرضاءً للروح القدس الذي هو عزاؤنا الأعظم والأوحد القادر أن

يُفرح أرواحنا ونفوسنا ويُلذذنا بنَغَم السماء وترتيل الملائكة. نعم صدقوني أن الروح له صلة بآذان قلوبنا كأرغن سماوى ينقل إلينا أصداء ترنيمة الخروف والعرش والمائة والأربعة والأربعين ألفاً، منذ الآن!! وإن كنا لا نستطيع أن نفسرها في الحاضر بسبب تنجس آذان قلوبنا بأغاني هذا الدهر.

أما عن الطعام، فوصيتي للمسؤول عن المطبخ أن يلتزم بما سبق ووضعتُ في تغذية الآباء منذ بداية عهدنا بالمائدة، أن لا يُقدِّم نوعين من الطبيخ ولا نوعين من الفاكهة، ويكون المطبخ يوم الأحد مُغلقاً مهما كان، ويكون أكل الراهب بمقدار وشربه بمقدار حتى تفرح روحه وتطول أيامه على الأرض.

ممنوع قطعياً السهر في قلاية أب آخر. دخولك عند أب آخر يكون بتحشمٍ واقفاً لسؤال تأخذ رده وتخرج في الحال، ولا يكون الواحد عثرة للآخر يلهيه عن صلاته وقراءاته. والذي يذهب لقلالى الآباء ليتسلى ويتعزى ويتكلم ويُضيع الوقت هو راهب منحل يسير الشيطان إثر خطواته، ويحثه ليتوانى ويطيل الكلام عند الآخرين، فتضيع أيامه ولياليه سُدى، ويتلذذ بتضييع أوقات الآخرين، فيشبه الذين قال عنهم بولس الرسول: «الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط بل أيضاً يُسرُّون بالذين يعملون» (رو١: ٣٢). وحاشا أن يكون لكم هذا فأنتم مُختارون ومحفوظون وكلكم مدعوون للمجد، وحاشا أن يكون للشيطان بينكم نصيب فأنتم شركاء القديسين وأحباء للمسيح والروح القدس.

لا تُهملوا الصلاة في مواعيدها كما سبقتُ وتكلمتُ معكم أخيراً في هذا، لأن صلاة السواعي هي طقس الطريق وقوته الدافعة. إذا توقفت

الصلاة في مواعيدها توقف أن يُدعى الراهب راهباً، ولا يظن أبداً أن هناك ما يُعوِّض عنها. وحينما يقول الإنجيل افتدوا الوقت لأن الأيام شريرة، فهذا صادر من فم المسيح، ويستحيل أن يُفتدى الوقت إلا بالصلاة، فهي العُمْلة الوحيدة التي تُحوِّل الزمن الميت إلى حياة أبدية. ولتكن صلاتكم بإخلاص، بحب، بعَشَم حار في وجه الله سامع الصلاة، حتى يسمع ويستجيب ويملأ قلوبكم فرحاً وعزاءً ونعيماً وسروراً.

الراهب الذي لا يُصلي يصبح في الحال يتيماً وله نفس اليتيم وحزنه وكآبته، أما الذي يُصلي فيدخل في الحال في عهد التبنى، يستطيع بكل ثقة أن يقول لله بفم المسيح يا أبا الآب، ويحس بالروح القدس وقد رفعه إلى شركة أرواح القديسين ورفقتهم فيرى نفسه كما يرى بولس أنه واحد من أهل بيت الله. فاسْمعوا لصوت المسيح وصلُّوا، وصلُّوا ولا تملُّوا.

لا تجعلوا العمل علةً لترك الصلاة أو إهْمالها، فهذا تزييف صارخ لطبيعة العمل وطبيعة الصلاة. فالذي يصلي ويشبع ويرتوي بالصلاة يُقْدِم على العمل بفرح، ومهما عمل يزداد شوقاً للصلاة. والعمل، إذا كان بروح الحب والإخلاص وتتخلله صلوات قصيرة ورفع القلب إلى الله، يُلهب الروح ويرفع لديها قيمة الصلاة. وهكذا الصلاة والعمل يُقوِّمان روح الإنسان ليقف أمام الله بدالة. فليس مَنْ صلَّى مثل بولس الرسول، وليس مَنْ عمل مثل بولس الرسول، وليس مَنْ كانت له دالة عند المسيح مثل بولس الرسول، ولكنه يقول: «حاجاتى وحاجات الذين معي قد خدمتها هاتان اليدان» (أع ٢٠: ٣٤)!!!

الحب يُعمي العينين عن أخطاء الآخرين، فإذا غاب الحب ازداد التذمر والضيق من تصرفات الآباء والإخوة. فاختبروا أنفسكم، فإما حب فلا

خطأ ولا خطاة، وإما بغضة ليكون الكل خطـــاة. فاســـتخدموا المحبـــة لتُحوِّلوا جحيم العالم إلى جنة، ولا تزكُّوا أنفسكم ليُزكيكم الله.

اقبلوا محبتي في المسيح، وصلوا عني كثيراً.

أخوكم في الرب

القمص متى المسكين

الرسالة {٥٧}

سهم التأديب والإصلاح

خطاب أبينا الروحي للأب شاروبيم والأب بطرس إثر عودتهما من حادث اصطدام سيارتهما الطريق الصحراوى ونجاتهما من الموت بأعجوبة في ١٩٨٤/٣/٢٦م

عزيزى الأب شاروبيم والأب بطرس

يلزم أن ترفعا قلبيكما نحو السماء وتستنشقا نسيم الحياة الأبدية براحة وهدوء حتى يمتلئ فكركما هدوءاً وسلاماً من جهة أمور هذه الحياة. فالحادثة التي حدثت هي ضريبة الوجود في هذا العالم، ولا يُمكن أن يكون لنا وجود في العالم دون أن ندفع ثمن احتكاكاته، علماً بأن العالم نفسه بأرضه وسمائه سيتزعزع وسيحدث له كما حدث للسيارة (التي تحطمت بكما) في الطريق. كل شيء في هذا العالم قابل للتحطيم والزوال حتى هذا الجسد الذي نلبسه ونُزينه، أما **علاقتنا مع الرب يسوع** فهي غير قابلة للتحطيم لأنها محفوظة في سلام يفوق العقل والعالم، ولا علاقة لهذه بتلك إلا أن الأولى تُمهد للثانية وتخدم مجدها، لأن بقدر ما يفنى الخارج يتجدد الداخل.

نحن نبني قلالي لا لكي نسكن فيها بل لكي نتغرب فيها، عالمين أن ليس لنا هنا وطن أو إقامة. نحن نزرع الأرض ولكن لا نعلم إن كُنا نحصدها أو يحصدها غيرنا، ولكن لا نستطيع أن نبقى في العالم بطالين عن العمل، فنحن نعمل لحساب الأجرة آخر النهار (أي آخر العمر) ولا نستطيع أن نطمر عافيتنا في التراب (أي الجسد المستريح). كل ما نعمله سيفنى، ولكن الروح التي نتعامل بها لحساب المسيح ستبقى وستنمو مع النعمة لتبلغ مستوى الأمانة على الكثير، أي على السماويات.

نحن لا نحزن ولا نأسف على تحطيم السيارة ولا نلوم أحداً، بل نقول للرب: يا رب إن أمكن حطّمنا نحن أيضاً، هشم واجهة كبريائنا ولا تشفق إن كنت حقاً تُحبنا. لا تُبقِ فينا نشاطاً يعمل لحساب التراب، ولا قوة تخدم الذات، ولا حركة يستغلها الشيطان فينا لحساب الفساد. لا تجعلنا نبكي على كرامتنا ولا نحزن على مهارتنا حينما يصيبها **سهم التأديب والإصلاح**. الذي نرجوه منك يا رب أن تسهر على نعمة التأديب لنا حتى نستحق بالحق أن نُدعى بنيناً. اختبر إيماننا بكل عنف حتى لا يبقى فيه إدعاء أو تزييف، ولا تجعل لنا قلباً يعطف على كل ما هو من التراب أو إيماناً يتكل على ذراع بشر أو رجاءً يتمسك بقدراتنا التافهة مهما كانت جيدة في أعيننا أو أعين الناس.

هذه الحادثة جيدة، لأنها نموذج صحيح لعمل الله معنا، فهو ينبه أذهاننا أن نرضيه دائماً ونكون على مستوى الرحيل في أية لحظة، غير مكترثين لأية خسارة أرضية في سبيل ضمان الوجود معه "لأُوجَدَ فيه".

أما تأثير هذه الحادثة على العمل، فهي كفيلة بأن تنقله من مستوى الاهتمام به إلى مستوى الاهتمام بالذي وضعه في أيدينا واستأمنَنا عليه، فطالما نحن نُرضي الرب فلا يهمنا بعد ذلك نجاحه أو فشله طالما نعمله بإخلاص وتقوى.

فإن سألتني عن النعمة التي أعطاني الله إياها في هذه الحياة، فسأقول لك هي مجموع ما حصَّلتُه من تأديبات: إن كان باضطهاد أو ظلم أو خسارة أو صيت ردئ. وهذه حصَّلتُها بسبب نشاطي في عملي الذي أعطاني الله أن أعمله. فنجاحي في عملي انتقل إلى الناس، وتعبي وفشلي تحول لحساب خلاصي. فشكراً لله الذي أهَّلني لكل هذه الأتعاب.

القمص متى المسكين

الرسالة {٥٨}

عيد الميلاد وكلمة عتاب

١٩٨٨/١/٧م

الآباء والإخوة الأعزاء

أهنئكم بعيد الميلاد المجيد، راجياً من الله أن يُظهر لكم مقدار استعلانه على مدى السنين، لأن هذه هي الغاية من بقاء العالم. فالسؤال الآن: هل يتجلى ميلاد الرب في هذه السنين بصورة أقوى عامة في العالم وفي نفوسكم؟

إن لم أكن مُخطئاً أنا أشعر بالعكس، فميلاد الحب والأمانة والنور والمودة الأخوية والصدق والصداقة المُخلصة ضعفت. لماذا؟ ميلاد السلام في القلب وفي الفم خَفَتَ رنينه، الطهارة والعفة والخشوع والخضوع قلَّت قيمتها واختلَّ ميزانُها واحتُقِرت أمْجادها.

أنا مشفق على نفسي، بماذا أواجه الميلاد وإخوتي أحبتي رفاق الطريق الطريق الطويل ٣٥ سنة، والذي ظل يمتد عبْر السنين حتى اليوم وحمل عليه ما حمل من نفوس كثيرة ما يصلح منه أن يستقبل الطفل كسمعان على يديه ويقول: الآن أطلق عبدك بسلام، هل موجود؟؟

ماذا نصنع يا إخوة، الكرم جيد ومُشيَّد بعُمُد وحجارة، والساقي لا يغفله أبداً شتاءً وصيفاً بل يمدُّه بكل ما يُعوزه ويزيد. فلماذا يُخرج عنباً ردياً؟ أنا لا أطلب مَنْ يحكم بين العنب وصاحب العنب، ولكن أسأل لماذا أخرج عنباً ردياً؟

هل من وسيلة؟ لقد أعْيَتْني الحِيَل وخاب ظني وتبددت وضاعت كل

معرفتي. قولوا أنتم: ماذا ينقص الكرم، لعل الله يعود ويطّلع على الكرم الذي غَرَسْته يمينه.

إذا غبتُ عنكم، أرجو أن يستمر كل واحد في عمله.

متى المسكين

الرسالة {٥٩}

حصاد ٤٠ سنة رهبنة

١٩٨٨/٨/٢٧م

الآباء الأعزاء رهبان مجمع دير القديس أنبا مقار

نعمة وبركة وسلام من الله لجميعكم.

أسأل المسيح أن يفتقدكم بروحه القدوس في هذه الأيام، يرحمكم ويؤازركم ويجمع قلوبكم على المحبة من أجل الصليب والدم الثمين الكريم الذي دفعه المسيح لتُحبوا بعضكم بعضاً.

تعلمون أنه منذ أسبوع أو أكثر أكملتُ أربعين سنة في حياتي الرهبانية، وهبتُ فيها كل ما أملك بالروح والجسد والفكر لتتأصل جذورها في أعماق الرهبنة الأولى بكل أمْجادها ومبادئها، مؤسسةً على الإنجيل بوعي وانفتاح على عهديه، ومتأصِّلةً في الكنيسة الأولى بكل لاهوتها وطقوسها وأسرارها، وأنتم جميعاً ثمرة هذه النعمة.

وإن كُنا نوجَد ناقصين وضعافاً إذا قسنا أنفسنا على أمثلة آبائنا العظام الذين وضعوا لنا هذا الطريق بكل مفاخره وعاشوه تحت العَوَز والضيق وتهديد السيف حتى صبغوه بدمائهم، علامة إلهية على أمانة يُجازون عنها حسناً أمام عرش الله الآن في السماء، لكني واثق وأومن أنه لو دعا داعي الشهادة الآن لما كان فيكم أقل من ٤٩ شهيداً بأي حال من الأحوال، بل إن كثيرين يتحرقون شوقاً كل يوم لو نالوا مثل هذا الحظ السعيد.

صدقوني يا آبائي وأبنائي الأعزاء إني تركتُ الدير ولكن لم أترككم، فأسْماؤكم وأرواحكم ماثلة أمامي دائماً، وإن الرابطة الروحية العالية

التي ارتبطتُ بها مع كثير منكم هي سماوية ولن يستطيع الشيطان أن يمسها، فهي ذخيرتي التي سأقدمها أمام كرسي الديان في ذلك اليوم.

تركتُ الدير تحت اضطرار، لأنكم لم تنتبهوا إلى تقدمي في الأيام وكثرة أمراضي، بل زدتُم من ثقل نير المسئولية عليَّ وضاعفتم بسلوككم وكلامكم وعدم طاعتكم وكثرة ملاججتكم وزيادة الشكوى بلا تعقل بعضكم من بعض، حتى صارت قيادتكم تفوق إمكانياتي وقدراتي الروحية والعصبية، خصوصاً سريان داء ترك المسئوليات بعد أن يكون الأب قد أخذ مني جهداً كبيراً في توعيته وبناء شخصيته وتمرين قدراته على القيام بها، في كل مجال كل مجال كل مجال، حتى ارتبكتُ و لم أعُد قادراً على التدبير.

وعند تركي الدير كنتُ مرتاح الضمير، لأن عدد الآباء الذين يصلحون للقيام بكل مسئولياته هو أكثر من كفاية، فلم أكن أفكر قط أنه يأتي وقت ويعوزكم مَنْ يُعرِّفكم أو يُعلِّمكم مسئولياتكم، خاصةً وإني لم أترك أباً في أي مجال إلا وعرَّفتُه ودربته، لا على أصول المعرفة فقط بل وعلى أصول الروح والرهبنة ومخافة الله.

فالتدبير الرهباني والرئاسة والقيام بالمسئوليات الكبيرة ليست مسألة قدرة، بل هي بصيرة روحية تقوم على اختيار النعمة أولاً. فلا تظنوا إطلاقاً أنِّي حينما كنتُ أضع أباً في مسؤولية كبيرة أنِّي كنتُ أنظر إلى قدراته، بل أنظر إلى نعمة الله التي فيه وإلى سهولة قيادة النعمة له ليزداد ويمتد وينجح ويربح روحياً قبل الجسد. فإذا تعطل كنتُ لا أُعْزِي ذلك إلى إمكانياته أو مهارته بل كنتُ ألْمح بسرعة انسحاب النعمة منه لخطأ روحي ارتكبه، فكنتُ أداوي الجرح بدوائه وأَعْصِبه لأُخفيه عن عينيه حتى يعود ويثق في رحْمة الله ونعمته ويكسب من خطئه ومن إخفاقه.

وكنتُ قد أوصيتُ قبل خروجي من الدير أن يلزم ويلتزم كل أب بمسئوليته التي وضعتُه فيها ويتمسك بها للغاية، لأنها هي المنفذ الوحيد لسلامة مسيرة مركب الدير في خضم بحر العالم، ولكن عدم احترامكم للوصية وعدم التزامكم بمسئولياتكم يُعرِّض الآن الدير إلى أخطر المخاطر.

وكنتُ بحسي الروحي الرهباني والكنسي أميناً – بعد خروجي – على وديعة الدير، فكتبتُ خطاباً إلى قداسة البابا شنوده كلى القداسة والاحترام أُخبره فيه بسبب تركي الدير، راجياً أن يستلمه هو مع نيافة أبينا المطران المبجل أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس الدير، لأني هكذا استلمتُ هذا الدير ومسئوليته من البابا الراحل شخصياً وبحضور نيافة أنبا ميخائيل.

وكنتُ أعتقد أن هذا سيتم بسرعة وبمعرفتكم واختياركم، لأن حسب تقليد الأديرة يكون مجمع الرهبان مسئولاً عن اختيار مُدبِّر له يُقدِّمه للبابا لكي يباركه ويُعيِّنه. ولما تأخر استقرار الدير بسبب عدم تعيين منْ يقوم بإدارته، بدأتُ أقلق، خاصةً وأنِّي قطعتُ على نفسي عدم سماع أي أخبار عن الدير إلا ما كان يترامى إلى مسامعي عنوةً. ولكن أخيراً سمعتُ بارتباك حال الدير، خاصةً وأن بعض الآباء والذين ليس لهم دراية سابقة بالمسئوليات الكبيرة أقحموا أنفسهم فيما ليس لهم، فاندهشتُ للغاية لأن أصحاب المواهب والذين تمرسوا جداً في هذه المسئوليات موجودون وجاهزون للعمل، فماذا حدث؟ أين روح المسئولية بل روح مخافة الله وروح التضحية؟ إن الخسارة التي تُطل عليكم جسيمة، فانتبهوا!!

والآن أتوسل إلى الله وإليكم أن تفتحوا قلوبكم وأذهانكم لأُعيد على مسامعكم ما قُلتُه أولاً: إني أكملتُ منذ أسبوع أو أكثر أربعين سنة في

الجهاد المتواصل لإقامة هذا الصرح الهائل الذي يُمثله دير القديس أنبا مقار بكل ما فيه ومَنْ فيه، وصار آية في كل العالم. فهل تظنون أنه سهلٌ عليَّ أن أترك هذا الصرح الهائل لأشخاص لا دراية لهم بالتدبير الروحي أو حتى الجسدي ليسود الأصغر على الأكبر ويقع المجمع صاغراً تحت إرادة أو مشيئة مَنْ لم يختَرْهم الله أو حتى المجمع. لا تظنوا أبداً أنِّي أتساهل في هذا.

فالآن، وبما لي من تزكية من الله الذي اختارني لأقوم بهذا العمل، وبما لى من محبة في قلوبكم، وبما لى من تعب بذلتُه لبناء نفوسكم وأرواحكم، وبحقِّ ما علَّمتُه ووعظتُ به وكتبتُه أقول:

على كل أب في مجمع دير القديس أنبا مقار أن يلتزم بموقعه والمسئولية التي كان قد استُؤمن عليها من الله ومن الدير ومن الأب الروحي الذي أُعطي حق التدبير، وأن يلتزم بكل تدقيق في احترام موضع غيره ومسئوليته.

على كل أب تقدم من تلقاء نفسه واغتصب مسئولية لم تكن له أن ينسحب بروح النعمة والمحبة والتواضع، لكي يكسب النعمة والمحبة والتواضع بل وتتضاعف عليه، عالماً أن الأمين في القليل حسب اختيار الله هو أعظم في عين الله والناس من كل اتساعٍ يؤدى إلى عدم أمانة فيما لله حينما يُطلب منه حساب الوكالة.

يصير إعادة توزيع المسئوليات كما كانت دون أية زيادة أو نقصان، مؤكداً لكم بروح النعمة التي فيكم أن كل ما سينقص في مُجمل تدبيركم لغيابي سوف يضطلع به الله، لأن العمل هو عمله.

والآن أيها الأباء الأعزاء، قد وضعتُ أمامكم سُبُل الحياة الرهبانية

بكل إخلاص وأمانة الروح، فأرجو أن لا تُخطئوا هـذه المـرة لأنها الأخيرة.

فإذا حرك الروح القدس أرواحكم ورفعتم قلـوبكم إلى الله العلـي القدير أن يبارك عليكم، وقَبِلْتم الخضوع لترتيب النعمة، فـأرجو بعـد صلاة قصيرة أن تُسجلوا استجابتكم في صفحة، وتوقعوا عليهـا بشـبه تعهد للعمل الجاد، وتُودعوها عندكم ولا ترسلوها إليَّ، لأن الأمـر لا يعود يخصُّني بل يخصُّكم أنتم وحدكم.

كونوا جميعاً معافين مباركين من فم الثالوث الأقدس.

أخوكم في الرب

متى المسكين

السبت ٢٧ أغسطس ١٩٨٨م

٢١ مسرى ١٧٠٤ للشهداء

الرسالة {٦٠}

وصايا لكهنة جدد

قُرئت في كنيسة أنبا مقار على الآباء

يوم الأحد الموافق ١٤/٧/١٩٩١م

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

الآباء الأعزاء بالرب والإخوة المحبوبون المكرمون

بمناسبة دعوة إخوتكم لقبول طقس الكهنوت المقدس لخدمتكم والكنيسة، هوذا صوت الله يأتيكم أن ترفعوا قلوبكم لتوجَد دائماً عند الرب كما يهيب بكم الشماس في القداس لتذكروا الوطن السعيد الذي ينتظركم.

فاعلم أيُها الراهب المبارك المدعوُّ لنوال إكليل الحياة الأسْمى أنك دُعيت مع إخوتك جميعاً في دعوة الابن الوحيد المبارك عندما دعاه أبوه ليفتقر وهو غني ليرفع فقرنا إلى غناه في المجد، هكذا دُعيتم إلى طقس الفقر المجيد حتى إذا أكرمتم الفقر الصادق من القلب بالروح تصيرون مع الذي يُمجَّد مع أبيه وترون وجهه وتكونون معه كل حين.

وكما دعاه أبوه للطاعة ليكون نموذجاً لنا في كل شيء، هكذا دُعيتم معه ليرفع عنكم عقوق آدم أبيكم الذي اكتسب بعدم طاعته الطرد من أمام وجه الله والتغرب في أرض الشقاء مدى الحياة، حتى إذا أكملتم مع الابن الوحيد طقس الطاعة المحمودة وحملتم الصليب بشجاعة الشهداء وصبْرهم، رفعكم الله إلى المجد وألبسكم إكليل الكرامة العليا.

اعلم أيُها الراهب المدعو والمُختار من الرب لميراث القديسين في النور

أنك إذا تدبَّرتَ حسناً بالتدبير الرهباني القائم على إنكار الذات وجحد المشيئة ورفض الراحة الذي هو أعلى دعوة مقدسة للملكوت، فقد صرت مدبراً أي إيغومنساً عند القديسين والملائكة.

وإذا أكملتَ وضبطتَ شهوة ذاتك ووضعتَ نفسك وأخذتَ شكل العبد وصرتَ خادماً مريحاً لأولاد سيدك، فقد صرتَ شريكاً في نصيب الابن الوحيد رئيس آباء مثل رؤساء الآباء.

نعم فهذه هي درجات المجد الحقيقي التي إليها وحدها دُعيتَ وقبلتَ الدعوة، وهي سلم الملكوت السعيد.

أما إذا تكدَّرت وتذمرتَ بسبب دعوة غيرك ورفعتَ عينك فوق تدبير الله، فاعلم أن الحية القديمة نفخت فيك من روحها، فاحترس أشد الاحتراس لأنه هكذا تذمر شعب إسرائيل على الله الذي دعاهم دعوتك للخلاص والحرية وسندهم في عبورهم من أرض السُخرة وأوصى عليهم الغيم ليضيء لهم الليل ويُظلل عليهم النهار من حر الشمس، فلما تذمروا عليه بعد إحسانه إليهم أقسم بحياته أن كل الذين تذمروا لن يدخلوا راحته. وهكذا اعلم وتحقق أن التذمر كالوثن وهو بمثابة التجديف على الله. فلا تسمح ولا تسمع لصوت غريب يُقلقل روحك ويُحسِّن لك الغضب والتذمر لئلا تفقد اختيارك وتكتسب غضب الله، فإذا قال لك إنك نُسيتَ من الناس ورُفضتَ من كرامة الناس فرتل مع المسيح: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت». وإذا قال لك إنك هكذا عوقبت على ما لم تفعله يداك، فقُلْ مع الكنيسة ورتل: "قد حولت لي العقوبة خلاصاً"، ورُد عليه: «أما أنا فصلاة»، «وأنت الذي لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً على الأرض».

كونوا جميعاً معافين باسم الثالوث الأقدس.

أخوكم المُجرَّب مثلكم متى المسكين

الرسالة {٦١}

مبادئ رهبانية

عام ١٩٩١م

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

سأضع الخطوط العامة التي تليق بمجمع رهبان أقباط ورثوا أعظم طقس رهباني في العالم:

+ مباديء رهبانية:

على كل راهب، كان مَنْ كان، قديماً أو حديثاً، كبيراً أو صغيراً، أن يلزم قلايته طول النهار والليل، يقرأ الآباء ويهذّ في الإنجيل ويُصلي ولا يعمل إلا الأعمال الروحية التي يرى أنها تلزم لخلاصه.

لا يخرج خارج القلاية إلا لعمل هام يُكلف به ويكون بتدبير الربيتة.

لا يخرج خارج الدير أي راهب إلا للضرورة القصوى، وذلك بتكليف من الربيتة، بعد الاستقصاء الكامل عن عمله ومدة غيابه خارج الدير، على أن لا يبيت خارج الدير بأي حال من الأحوال.

لا يعمل أحد أعمالاً في الدير إلا في حدود اختصاصه كما هو ساري الآن، ولكن بعد مراجعة كاملة عن مسئوليته وحدودها مع الأب الربيتة، على أن يكون للقلاية النصيب الأكبر.

بحسب طقس الرهبنة في اختصاص الربيتة كالآتي:

لا يُعمل أي عمل في الدير بدون ترتيب خاص مع الربيتة.

الربيتة هو الذي يبتدئ الصلاة ثُم يُسلم الخورس للمسؤول عن التسبحة.

وغنيٌ عن كل سؤال واستفسار لكل راهب المقولة الإلهية المشهورة:

"اجلس في قلايتك وهي تُعلِّمك كل شيء".

ملاحظة: يُفتح باب الدير لخروج الآباء بعد صلاة الغروب مباشرةً حتى الساعة ٨,٣٠ ويُقفل نهائياً.

المبتدئون:

المبتدئ لا يخرج من قلايته بالنهار إلا لعمل محدود وتحت رعاية الأب الربيتة وأب الاعتراف.

المبتدئ يُسلَّم كتب الآباء: مار إسحق، الشيخ الروحاني، الدرجي، بستان الرهبان؛ على أن يقرأ ويدرس كلاً منها على حدة ويُعمل امتحان سنوي أثناء الصوم الكبير لمعرفة مستوى المبتدئ في الاهتمام بالحياة الروحية.

يُعمل كراس اعتراف لكل مبتدئ يُراجعه أب الاعتراف ومن بعده الربيتة، يُسجِّل فيه صلواته ومطانياته وقراءاته في **كتب الآباء.**

يزور المبتدئ كلٌّ من أب الاعتراف كل أسبوع، والربيتة كل شهر، لمعرفة تقدمه وأنواع أتعابه للعمل على راحته ومساعدته.

كل مبتدئ يدرس: **اللغة القبطية، اللغة اليونانية، تاريخ الكنيسة.**

كل مبتدئ يدرس الألحان في حصة الألحان، وبمفرده للتقوية إذا أراد وكانت عنده استعدادات مناسبة.

إذا أهْمل المبتدئ في حضور الصلوات اليومية أو دراسة الآباء أو الألحان أو الاعترافات يُنذَر مرة ومرتين ثُم يُخلَى سبيله.

الرسالة {٦٢}

طقس الكنيسة هو المعلم الدائم

أبريل ١٩٩٣م

الآباء الأعزاء بالرب رهبان مجمع دير أنبا مقار

مبارك الله الذي يدعونا بصوت كنيسته إلى مشاركته في أسبوع الآلام، برسْم بطرس ويعقوب ويوحنا الأقربين إلى قلبه من بين التلاميذ، لنسهر معه ساعة واحدة في محنة جثسيماني ومسلسل آلامه حتى الصليب.

ولكن أخاف أن يكون النعاس الروحي يغلبنا، فنقف نُسبِّح بأفواهنا تسابيح الآلام وقلوبنا غير مُشاركة، ونجلس نُرتل بتواتر وتكرار: لك القوة والمجد و البركة...إلخ، ونحن غير متكلين عليها.

وشركة آلام المسيح التي أصبحت شرطاً إيمانياً لقبول شركة قيامته، تعني أن نقبل 'بالحق والصدق' أن نتألم كما تألم هو، بمعنى قبول كل ما يأتي علينا من ظلم واضطهاد ومحقرة وازدراء، ثُم لَطْمٍ على الوجه والظهر، بل والبُصاق، وبعدها حُكم جائر ظالم بأننا كاذبون ومدَّعون، ونستحق الرفض والموت. كل ذلك احتمله المسيح بسرور من أجل مجد القيامة التي كان قد دبَّرها باحتمال الآلام وموته.

والمنهج نفسه معروضٌ علينا، كأساس لشركة قيامته وانتصاره على الموت وقبول الحياة الأبدية لجسد بشريتنا الذي لبسه، ليمنحنا فيه وبواسطته حق الموت ونُصرة القيامة ومجد الحياة الأبدية.

وكما سبقتُ وقُلتُ، إن الموت الإرادى وقبول الآلام هو بمثابة ظهر

العُمْلة الذهبية المصوَّر عليها القيامة والمجد الآتي. يستحيل أن نحصل على عُمْلة القيامة بدون قبول الموت الإرادي ومعه الآلام.

أما **الموت الإرادي** فهو **أولاً**: الموت **عن الذات** ومطالبها التي تُمثل العالم الزائف الكاذب. لقد قالها المسيح للآب في صلاته: «ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت» (مت٢٦:٣٩). هذا هو الموت الذي جازه المسيح قبل **الموت**، أي الموت **الإرادي** قبل الموت **الفعلي**.

نحن مُطالَبون الآن: **فقط بالموت الإرادي**، حتى نفوز بالموت الفعلي الذي ماته المسيح من أجلنا. فكل منْ أمات ذاته وزكَّى إرادة الله في حياته، يُصبح له حق موت الرب الفعلي، أي يمتلك كل قوة الصليب والآلام والمجد.

ولا تظنوا أيُها الآباء الأحباء أن الموت الإرادي أو موت الإرادة شيء هيِّن أو تدريب بسيط، بل هو بالحق مُنتهَى الحق، يعادل الموت الحقيقي تماماً. فالذي تقوَّى بالروح حقاً، واستطاع أن يُقمع ذاته وشهواته وأهواءه، وبالأكثر رأيه ومشورته وفكره، ليُزكي رأي غيره ومشورة غيره وفكر غيره، يحس في الحال أنه مات ودَفَن الذات، خصوصاً جداً إذا كان رأيه هو الأفضل ومشورته هي الأكثر حكمةً وفكرُه هو الأرجح والأصح.

أليس هذا هو الذي يُعرض عليكم كل يوم، وترفضون أن تُمارسوه لتُزكُّوا ذواتكم، فتحرموا أنفسكم من قبول أعظم نعمة تُعرض علينا وهي إماتة الذات؟

إن موهبة الراهب الأولى هي إماتة الذات، وأنت دخلت الدير لتفوز بهذه النعمة، التي هي بعينها قبول الشركة في موت الرب بموت الذات

لتفوز بشركة قيامته وتذوق فرحتها العظمى التي تملأ حياتك بهجةً ونوراً وسعادةً سماوية.

ولكن رُبَّ يتكلم الشيطانُ في قلبك ويقول: كيف لا أقول الحق وأعطى المشورة الأفضل والفكر الأرجح؟ ويرد عليك المسيح: وهل أنا لما قلتُ للآب «فلتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو٢٢:٤٢)، هل كانت إرادتي ليست حقاً؟ أنا طلبتُ أن تجوز عني هذه الكأس، كأس حَمْل خطايا العالم كله الذي غرَّمني احتجاب وجه الآب عني، فهل كان ذلك – أي رفض الكأس – ليس من حقي أو هو بذاته ليس حقاً؟ فأنا لم أصنع خطية واحدة، فمن حقي أن لا أحْمل خطية غيري!! ولكن المسيح قالها لنسمعها ونعيها، لتكن إرادتك أنت يا الله، ولتكن مشيئتك أن أحْمل خطايا غيري وأموت بها!! وأنا بلا خطية!!

إذاً، فأنت أيها الراهب، صاحب حق أن تقول الحق وتعطي مشورةً أفضل وفكراً أرجح، ولكن إن جحدت ذاتك وصنعت إرادة غيرك، بمعنى حملت أخطاء أو وِزْر غيرك، فأنت تكون قد شاركتَ المسيح حقاً وفعلاً بأن تنازلت عن حقِّك لتحمل خطية وخطأ غيرك!! هذا هو سر الصليب المخفي، وطوبى لمنْ يحمله، ولن يحمله إلا الذي مات عن ذاته وعن حقه وعن فضله وعن فكره وعن كل إرادته!! وزكَّى كل إنسان، وجحد نفسه وذاته!!

كذلك، فالموت الإرادي هو **ثانياً**: الموت الإرادي عن جميع إغراءات الحياة، خاصةً المحسوبة أنها جيدة ولا غبار عليها: إغراء **الشهرة**، إغراء **مديح الناس** وتبجيلهم، إغراء **الرئاسة** والسلطة والمراكز الأولى أو المرموقة، إغراء **التفوُّق** على غيري، إغراء امتلاك المواهب. تسألني: لماذا لا أطلب ذلك؟

أقول لك: إن هدفنا الوحيد والأعظم، كمسيحيين وكرهبان بالأكثر، هو "**المسيح**" وحده ليكون حياتنا كما كان لبولس الرسول، ويكون مرشدنا ومعلمنا كما كان لأنطونيوس ومقاريوس وباخوميوس وآمون وكل الآباء العظام الذين ألبسونا ثوبهم المقدس المبارك ثوب الرهبنة.

فالراهب إما يكون **هدفه داخله** وهو المسيح، وإما يكون هدفه خارجه الذي سبق وقلناه: الشهرة، المديح والتبجيل، الرئاسة والسلطة، التفوق على الآخرين وامتلاك المواهب... إلى آخره.

أما الراهب الذي هدفه داخله، فيستحيل أن يغريه الشيطان أو العالم بأي إغراء!! لأن هدفه ماسك في المسيح، وبالتالى يُصبح المسيح مسؤولاً عنه، فهو في يد أمينة وقوية لا يقوى عليها أي إغراء!!

أما الراهب الذي هدفه خارجه، فيستحيل على أي أب روحي، مهما كان قديساً ومتمرساً في المعرفة الروحية أن يرشده أو يقوده أو يعطيه نصائح أو تمارين أو يُقدمه خطوة واحدة في الإيمان أو الرجاء أو المحبة، وبالتالي في الخلاص!!

الراهب الذي هدفه داخله، يقبل أية ضيقة تأتي عليه، فهي تزيده كرامة في نظر المسيح، وتعطيه خبرة في الجهاد والنصرة، وتؤهِّله لضيقة أخرى أشد حتى الصليب!!!

أما الراهب الذي هدفه خارجه، فهو لا يقبل أية ضيقة، ولا يحتمل أي اضطهاد أو ظلم، لأن هدفه سواء كان شهرةً أو مديحاً أو رئاسةً أو سلطة إلى آخره، لا يُمكن أن يتناسب مع الظهور بالضعف أو قبول الإهانة أو المهانة، فهو يرفض بشدة أي جرحٍ لكرامته أو أي ظلمٍ مهما كان، وينتهي به الأمر إلى الاحتجاج والتذمر، بل والتهديد، بل

بالشكوى، إلى آخر ذلك المسلسل القاتل!!

والآن، اُنظروا أيها الأحباء، واحكموا بفطنة وحكمة وتعقُّل: هل هدف حياتكم داخلكم أم هو خارجكم؟ ولا تنتظروا إلى أن يحكم عليكم الناس أنكم لبستم الثوب المقدس ورفضتم هدفه الأقدس!!

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

الأب متى المسكين أبريل ١٩٩٣م

الرسالة {٦٣}

رسالة بعد نياحة الأب سلوانس

نوفمبر ١٩٩٣م

الآباء الرهبان القديسون بدير القديس أنبا مقار

نعمة الله الآب والرب يسوع المسيح وعزاء الروح القدس لجميعكم.

أتجرأ وأُعزِّي نفوسكم في انتقال الأب الراهب المبارك سلوانس، الذي أكمل سعيه وأخذ الإكليل وعبر إلى الأمْجاد التي عمل لها وترجَّاها بفارغ الصبر وتأهل لنوالها. لقد كان في وسطنا صانع محبة والتواق لتقديم العزاء لكل راهب وزائر، بل وكان يقتحم قوانين الدير بالالتزام بعدم الاختلاط بالعالم للاحتفاظ بسكينة النفس والروح، ويتطلع لأي زائر مهما كان لكي يُقدم له المحبة والعزاء والإرشاد، لأن حركات الروح والمحبة كانت تغلبه ولكن في رزانة القديسين. ولم أرَ في عمله هذا إلا انغلاباً للروح القدس وتكميل الوصية حتى ولو ناله بسبب تكميلها مؤاخذة! فبقى أميناً لرهبنته وسلوكه أمانةً مشهوداً لها من الجميع، وحظي بصداقة الروح القدس، وأَرضَى روحه الوثابة، وعانق الحب الإلهي.

لقد عاش هذا القديس الجديد معيشة قديسي الكنيسة الأوائل، إن في صلواته في أوقاتها وأكثر من أوقاتها. وكان مثالاً للراهب الذي بدأ بسيطاً يتطلع إلى معرفة الإنجيل، فكان يأتي إليَّ مراراً يشكو لي أنه لا يفهم الإنجيل وأن الآيات صعبة وغير واضحة، ويعزو ذلك لعدم فهمه. ولكن بسبب اتضاعه ومداومته على السماع والشرح والتوضيح انفتح أمامه الإنجيل وأعطته الآيات سرها، فامتلأ معرفةً وفهماً وحكمةً، وانطبق عليه

قول الرب إنه سأل ووجد وطلب وأخذ وقرع ففُتح له، إنما في اتضاع القديسين نال موهبة النعمة ونور المعرفة.

سلوانس خدم جيله كرجل إنجيل ورسول محبة، وخدم الرهبنة بهدوئه وصمته وحبسه لمدد تتجاوز الشهور، يصلي ويعترف ويشكر، ويصلي إلى كل منْ طلب منه الصلاة، ويُحاسب ضميره ليكون حسب الله في كل شيء.

سلوانس أعطى النموذج لراهب التزم بديره وبقلايته وإنجيله، وخدم الجميع، فأكرم الخدمة وأكرم الوحدة.

سلوانس ملأ وعاءه زيتاً، وهو الآن ينير.

كُنا نود أن يبقى معنا، ولكنه مع المسيح أفضل.

الأب متى المسكين

كانت شهوة نفسي أن ينتهي بناء مبنى الضيافة ويديره الأب سلوانس.

أرجو أن يُسمَّى مبنى الضيافة هكذا:

'دار ضيافة الأب سلوانس'

"كان الأب سلوانس قد تنيح بعد ظهر الأربعاء ٢٤ نوفمبر ١٩٩٣م- ١٥ هاتور ١٧١٠ ش"

الرسالة {٦٤}

رسالة بعد انتقال الأب بطرس

كان من الأعضاء البارزين والمباركين في مجمع دير القديس أنبا مقار.

في التقليد الرهباني كان يُقال لتزكية حياة الراهب إنه صب ماءً على أيدى القديسين، فإن كانت التزكية كبيرة قيل إنه غسل أرجل القديسين.

ولكن بطرس قبَّل أرجلهم. ففي لحظة من لحظات إشراق النور الإلهي في القلب أكمل وصية الرب، فخطف الإكليل وعبر، وترك لنا مثالاً على مثال المعلم والسيد، وهو الآن ينعم بتزكية مَنْ أحبه.

الأب متى المسكين

"كان الأب بطرس قد تنيح مساء الأربعاء٢٢ مارس ١٩٩٥م – ١٣ برمهات ١٧١١ ش"

الرسالة {٦٥}

من أجل رهبنة منطلقة

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

الأب العزيز المكرم كيرلس

كل عام وأنتم في ملء النعمة.

جاءتني ورقة مكتوبة من آباء كثيرين لا داعى لذكر أسْمائهم يطلبون بإلحاح إعطاءهم فرصة صلاة جُمعة الآلام وحدهم دون حضور زائرين حتى يتمتعوا بروح الانطلاق بعيداً عن عيون الناس.

لذلك إذ أصاب هذا هوى في نفسي شديداً، لأنه يُحسسني أنه يُوجد رهبنة منطلقة صادقة ورُهبان عُباد بالروح، لذلك أرجوك الاتصال بكل منْ دعوته للحضور أنت والأب يوحنا، والاعتذار لهم عن تشريفهم للدير بناءً عن رغبة الآباء الرهبان، وإذ يصعب عدم قبول رغبة الرهبان، لذلك نكتفي بالدعاء لكم جميعاً من القلب في هذا الأسبوع المقدس.

ونرجو الإسراع بإعطائهم هذا التنبيه قبل الميعاد، والرب يعطيكم عزاءه السماوي ويُشرِك ملائكته القديسين وأرواح الآباء في صلاة مجمعكم المبارك.

متى المسكين جُمعة ختام الصوم المقدس عام ١٩٩٥م

تُصور وتُعلق في المضيفة لتكون قراراً نهائياً للعبادة المنطلقة.

الرسالة {٦٦}

رسالة بعد نياحة الأب مرقس

الآباء الأعزاء المحبوبين من الله والقديسين

علمتُ ظهر اليوم أن أخانا المحبوب مرقس مات، ولكن الملاك لا يموت. عرفتُه ملائكي القلب والصورة وديعاً مُحباً مبتسماً.

كانت صناعته إعداد الحَمَل، فاكتسب من صناعته وداعته ولطفه وهدوءه العجيب. تألم قليلاً كضريبة الانتقال، ولكنه وصل إلى مكان الراحة والفرح والعزاء الذي يُعوِّض النفس عما قاست.

كان واحداً من جسم مجمعنا بل من جسم المسيح، لذلك سيبقى كما كان يحتل جزءاً من حبنا وصلاتنا، وإن كان هو الآن أفضل جداً عما كان، لأنه مع المسيح مُشرقاً بنوره وعلى رأسه هالة القديسين، يتبع المسيح أينما سار. ولأن خدمته كانت إعداد الحَمَل، فسوف يُمنح الأفضلية للقُربى منه هناك.

هي أيام الراهب هكذا معدودة تجري من تحتنا لا نشعر بها، ولكن نملأها صلاةً وتسبيحاً وبُخوراً، يُذخر لنا فوق لنأخذ حظاً ونصيباً مع خورس المسبِّحين، مُقدِّمين المجد والعزة والبركة والسجود الدائم لصاحب العرش. مريم اختارت النصيب الصالح الذي لن يُنْزع منها، فورثناه عن آبائنا مُعطراً بالنعمة والروح القدس.

مرقس مات، ولكنه حي عند المسيح وفي قلوبنا.

شيعناه بالدموع، ولكنه هناك مُسحت دموعه، وألبسوه إكليل البهجة والخلاص، لأنه غلب.

اقبلوا محبتي، وليحفظكم المسيح منتصرين بنعمته.

الأب متى المسكين

"كان الأب مرقس قد تنيح مساء السبت ٢٥ نوفمبر ١٩٩٥م"

الرسالة {٦٧}

رسالة لأبينا يعقوب وجهاد السنين

الأب العزيز المبارك أبونا يعقوب

نعمة وبركة وسلام لشخصكم الحبيب ودعاء من القلب ليشدد الله روحكم ويعطيكم الصحة والعافية والنعمة وطول العمر.

وصلني خطابك وأشكرك جداً على مشاعرك الرقيقة الوديعة المُحبة، وأنا لا أنسى محبتكم وتواضعكم وخدماتكم التي قدمتها بكل صبرٍ واحتمال دون تذمرٍ ولا قلق سنيناً طويلة قضيناها معاً تحت نير العمل لبناء الدير وتكميله من الخارج والداخل، غرفة غرفة؛ وقلاية قلاية؛ وبلاطة بلاطة، صنعناها على أيدينا، وسهرنا الليالي على ضوء الكلُوبّ (مصباح قديم يُشعل بالغاز)، ورممنا الحصن وحزمناه بحزام خرسانة داير داير، ورممنا شروخه الآيلة للسقوط من أسفل إلى أعلى؛ شيء أذهل رجال هيئة الآثار وأشاد به رئيسها ومَنْ بعْده دقة وأمانة وفنّاً وعلماً وتصرفاً ذكياً، ورممنا قبابه من الداخل وصنعنا فيه المستحيل، وها هوذا وقف يناطح الزمن. وبعده الكنائس كنيسة كنيسة، وكلها كانت في حُكْم الفناء، وها هي صارت في جدة أيامها الأولى تحمل ذكريات منْ كانوا قبلنا وذكرى عرق محبتكم وإخلاصكم تُهديه للأجيال الآتية في صمت. كُنا فدائيين حُباً وكرامة لمنْ فدانا ودعانا لتقديم حياتنا على مذبحه المقدس صلاةً ومحبةً وجهداً وبذلاً بكل الحياة. سنين طويلة على رِتْم واحد من الصباح الباكر حتى الليل المتأخر في عمل متواصل واهتمام متواصل وأمل ورجاء يتجدد كل صباح مع عافية وروح جديدة وقوة ونعمة لبذل جديد.

شيء لم يعرفه قط إلا الآباء الأول الذين تركوا لنا أعمالهم تشهد على ذات البذل وذات الفداء.

وأجْمل ما قبلناه في الحياة هو ربط عمل الأولين بعمل آخر الزمان بنفس الروح والنعمة والبذل.

وكأنما عشنا أيامهم وتمثّلنا بدعوتهم وأكملنا كل ما كانوا يتمنونه أن يكون.

إنها وحدة العصور ووحدة القلوب والأرواح تشهد على وحدة الإيمان والحب والحياة والمصير.

لقد بنينا إيماننا بالحجر والأسْمنت والحديد ليقف شاهداً للعصور القادمة أنه هنا كان يوجد مسيحيون يعيشون الإنجيل والحب والفداء، فكان عمل أيدينا يرتفع كل يوم طوبة طوبة ليسجل لنا يومياتنا في السماء ويُحسب لنا بمقدار ما قدمنا من إيمان ومحبة.

كانت سنوات ملتحمة بالقرن الأول المسيحي حينما كانت الكنيسة تُبنى من الداخل والخارج، وكان الرب يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون، صورة واحدة عبْر الأزمان والدهور.

اقبل عظيم محبتي ودعائي بالبركة.

الأب متى المسكين ١٣ ديسمبر ١٩٩٦م ليلاً.

"تنيح الأب الراهب يعقوب المقاري في ١٣ أغسطس سنة ٢٠٠٢م"

الرسالة {٦٨}

رسالة بعد نياحة الأب زينون

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

الآباء الرهبان المباركون مجمع دير القديس أنبا مقار

انتقال الأب المبارك العزيز زينون خطف قلبي، لأني كنتُ أحبه وأُوقره وأُعزه جداً، لأنه كان راهباً خاضعاً وديعاً ومتواضع القلب، أكمل جهاده بالشكر والرضى دون تململ، فكان مثال الراهب غير الطموح الذي اكتفى بنصيبه على الأرض فتضاعف له في السماء.

سنذكره بالصلاة دائماً متوسلين أن يكمل الله جهادنا لنعبُر بسلام.

ولربنا المجد دائماً أبدياً، آمين.

متى المسكين

١٩٩٧/٩/٨م

"كان الأب الراهب زينون قد تنيح يوم الأحد المبارك ١٩٩٧/٩/٧م."

الرسالة {٦٩}

المعنى الحقيقي للزمن

٥ يناير ١٩٩٨م

الآباء الأعزاء

أشكركم على معايدتكم، وأطلب من الله لكم ولي عاماً مستعداً لقبول توجيهات الله وتعليمه ومحبته.

في الحقيقة أجدها فرصة أن أُعبِّر عن إحساسي بالزمن بسنينه، فالحياة الروحية لا علاقة لها بالزمن، وعُمْر الإنسان الروحي أو المسيحي يُقاس بمدى التغييرات التي جازها في اختبار الله واختبار الله له. وبها يُدرك الإنسان مدى كمال عُمره من نقصه، ومدى نُموه من عدمه. فبنظرة واحدة للوراء يجد الإنسان أن الزمن غير موجود والسنين قد مرت وكأنها خيال أو ريح تمُر، تارةً حارَّة وتارةً باردة، ولكن الروح ومدى علاقتها بالمسيح تنمو وتزداد كشجرة من الأشجار التي لا تتأثر بالريح، ترتفع برغم عواصف الجو وتغيراته، أو قُلْ إن تغيرات الجو وعواصفه تُزيدها رسوخاً ونُمواً وارتفاعاً، وعمرها لا يُمكن أن تعرفه من طولها ولكن قد تعرفه من مقطع ساقها حيث حلقات تجدُّد الخشب داخلها يترك أثراً يُمكن عدُّه على عدد السنين.

والزمن بالنسبة للإنسان الروحاني المسيحي إن استطاع الإنسان أن يُخضعه للصلاة وتثبيت المعرفة الروحية، إن قراءة أو كتابة أو تعليماً قلبياً له وللآخرين، أخذ من الزمن قوته وقيمته ومعناه. فإذا أهْمل الإنسان الزمن: ساعة أو يوماً أو سنةً أو عدداً من السنين، و لم يُسجل منه شيئاً

لحساب الله، مات الزمن واندثرت قوته وقيمته ومعناه وكأنه لم تُشـــرق فيه شمس اليوم، وتُحسب السنين فيه كجنين أخفق أن يجد طريقـــه إلى الوجود والحياة.

والزمن يتجلى بقوة في حضرة الرب، في وقفة الصلاة، فيصبح وسيطاً للدخول في الخلود، وتتحول دقات الساعة فيه مع دقـــات القلـــب في حضرة الله إلى وعي جديد وحياة تتجاوز في قيمتها آلاف السنين ويزيد. فإذا غابت حضرة الله دخل الزمان في المُحاق وفقد النور الذي فيه، فلا يُمكن أن تُحسب له أيام.

إذن، أرأيتم أن السنين والزمن عامةً توجد بحضرة الله؟

وفي غياب الله عن الإنسان فلا زمن ولا حياة ولا نور؛

بل طبيعة تدور حول نفسها تُسبِّح الله من جهتها في صمت الدهور.

الأب متى المسكين ٥ يناير ١٩٩٨م

الرسالة {٧٠}

بمناسبة رسامة رهبان جدد

في ٢٠٠٢/٨/٢٥م

إلى الرهبان الأعزاء:

لابسي الإسكيم المقدس الصغير (الشكل الرهباني)، متياس وبطرس ونحميا وكليمندس، أبناء أنبا مقار حبيب المسيح.

أهديكم محبة المسيح ونعمته وسلامه.

الآن قد صرتم مدعوي المسيح لحمل صليب الإيمان وتاج الخلاص.

ونصيحتي لكم أن تُمجِّدوا المسيح الذي اختاركم لتكونوا أبناءً للكنيسة قديسين مع أهل بيت الله، تُمجِّدوه بحياة وسيرة تليق بقداسة الذي دعاكم. وكما قال القديس بولس إلى تيموثاوس ابنه (إذ كان أسقفاً لمدينة أفسس): «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت» (اتي ٦: ١٢)، أقول لكم أمسكوا بالحياة الأبدية التي إليها دُعيتم. والحياة الأبدية التي نمسك بها هي الصلاة بالروح والقلب في الخفاء للمسيح إلى أن تتكون علاقة حية تربط الفكر والقلب والضمير والعمل بالمسيح، فيصبح (هو) حياتنا وملء شوقنا واكتفاءنا بل وفرحنا وتهليل روحنا بالليل والنهار. هذا هو معنى ''أمسك بالحياة الأبدية التي دُعينا إليها'' في هذه النعمة التي نعيشها في هذا الدير السعيد.

الرب يُبارك عليكم ويملأكم من نعمته.

الأب متى المسكين

ملخص حديث مع الأب عمانوئيل لان من دير شيفتوني ببلجيكا

٢٤ / ١١ / ١٩٧٦م

+ تسليم الحياة الروحية من الأب إلى أبنائه:

+ دخل الرهبنة كإنسان بسيط يريد أن يحيا حياة بسيطة أصيلة مع المسيح، وجدها في الإنجيل وبعض أقوال الآباء الكبار.

+ تسليم الآخرين يعتمد أساساً على الروح وليس القانون والنظام. الروح يتمشى دائماً مع الحرية، وبدون حرية لا ينشط بل يظل مكتوماً.

+ الالتجاء للقانون أو النظام يلزم للشخص الذي يخرج عن الطريق الروحي السليم.

+ انعكست النظرة على الرهبان، المبتديء ينبغي أن يعيش بالروح.

+ المجمع تسوده الآن المحبة والروحانية التي تدفعه للأمام أفضل من أي قانون رهباني دقيق.

+ المعجزة الحاصلة الآن هي أن المجمع قد تأصل في المنهج الروحي وصار واعياً لكل شخص يُحاول أن يخرج بالحرية خارج الحدود الروحية، فيردعه المجمع ويوقفه عند حده بدون تدخل الأب.

+ توجد قلة – لامفرَّ منها – صارت مثلاً للإخفاق.

تسليم الحياة الروحية:

+ إن كان جلوس الأب مع الجماعة مهماً، فالأهم هو الجلوس الشخصي مع كل واحد.

+ الكلام أمام الجماعة لا يُقبل من الجميع بنفس الدرجة بسبب اختلاف القدرة الشخصية على التأثر بالكلام: اختلاف الحاجة من شخصٍ لآخر، اختلاف الطباع والصفات النفسية. الكلام العام لا يُنشيء وحدة في الجماعة بل تبايناً.

+ الكلام الشخصي يُعطَى للفرد حسب ما يتناسب معه وما يُعالج نقائصه، الأب يرفع النواحي السلبية التي تُنشيء فوارق واختلافات، "**لأن الذي يُفرقنا هو الجزء السلبي الموجود فينا**". فالتوجيه الفردي يُوصل الجماعة إلى الوحدة الروحية.

التوجيه الشخصي لكل فرد:

+ طباع وصفات متباينة لكل شخص جسدياً ونفسياً، ولكني أُعطيت من الله أن أحترم جداً كل نفس مهما كانت عيوبُها، ولا أيأس أبداً من أي نفس.

+ الجسد السليم قاعدة جيدة للنفس السليمة، والنفس السليمة قاعدة جيدة للروح المنطلقة النامية. فالعلاج يبدأ أولاً من الجسد والنفس.

+ علاج الجسد بالأكل والشرب ومقدار التعرض للشمس والهواء والعمل والراحة، **وأخيراً بالأدوية.**

+ علاج النفس هو العبء الأكبر، والنجاح فيها يعتمد على الفكر الإنجيلي كما استلمه وعاشه، فليس هناك منهج فكري تعليمي بل

حديث عادي بسيط مرة فردياً ومرة جماعياً، مرة بالملاطفة ومرة بالتوبيخ.

+ العمل هو أفضل وسيلة لتقويم النفس وكشف عيوبها. وكلما ازداد العمل مشقة كلما انكشفت النفس وظهرت عيوبُها.

+ متى انكشفت عيوب النفس وتخلصت منها تنطلق الروح بالصلاة المستمرة وتتأجج نفسه بالحب الإلهي دون **عائق من العمل** الذي كان يشكو منه الراهب أولاً.

+ حقيقة مهمة: هي أن المبتديء جاء الدير مدفوعاً بطاقة روحية عالية، ناسك من الدرجة الأولى، وقلبه مُمتلىء بالحب الإلهي. ولكن في العمل يصطدم مع واقع نفسه وثقل جسده. عليه أن يجتاز أياماً شاقة من التأديب والتوبيخ تستغرق من ١٠ إلى ١٥ سنة حتى تتقوم النفس وتتحرر الروح، وما كان يرجوه ويتأمله يُصبح حقيقة وواقعاً ومسيرةً.

+ **الوصول إلى هذه الحرارة الروحية هو غاية الحياة الرهبانية.**

+ توجد استثناءات لهذا المنهج العام، لأن الروح قد يختزل السنين إلى أشهر وأيام قليلة.

+ الحب الإلهي يُسهل مهمة الأب الروحي، لذلك لابد من تنشيطها في قلب المبتديء حتى إذا دخل في الصدام الداخلي مع النفس يجد سنداً من هذا الحب الذي أتى به إلى الدير.

+ **الخدمة الكنسية** هي أخطر معوِّق ضد الحياة الرهبانية، لأنها تدع الشخص يتقمص شخصية أعلى من قامته، فتبعده عن البساطة الرهبانية وتواضعه وحبه للمتكأ الأخير.

العالم صار يشمئز من هذه العظمة الكاذبة التي تبدو في التيجان

الذهبية وتضخيم الصوت، وقد ثار ضدها وحطم كل نماذجها من ملوكية، وقتل الملوك والأمراء. كم بالحري بالنسبة للرهبان!!

+ المسيح كان وديعاً ومتواضع القلب، لا يصيح ولا يسمع أحدٌ في الشوارع صوته. كم يليق بالراهب ألا يحسب نفسه إلا تراباً ورماداً!!

+ القصد من ذلك هو التحرر الداخلي من العظمة، ولو استطاع الرهبان والأديرة أن تتخلص منها فلابد أن تتغير الأشكال الخارجية من تلقاء ذاتها دون ثورة على الطقس أو مُحاولة تغييره.

+ **التربية الفكرية والتربية الروحية:** لا خطر إطلاقاً على الحياة الروحية إن كان الراهب قد بدأ أولاً يتعمق الحياة الروحية. فالأب الروحي قد تعمق في الروح، فلما درس اللاهوت والفلسفة وكافة العلوم استوعبها بسهولة واستطاع تمييز الحق تلقائياً وأين يوجد.

+ **السؤال هو هل نبدأ بالدراسة العلمية ثُم نتعمق الحياة الروحية أم العكس؟**

+ **بخصوص التمسك بالشكليات:** مبدأ أساسي في حياتي الروحية هو أن الحياة الروحية ينبغي أن تكون أصيلة original, authentique. أنا لستُ صورة لأي واحد من القديسين مهما كان عظيماً، أنا ألتقط منهم ما ينفع حياتي حتى تبقى صورتي الجميلة التي خلقني بها الله في ذهنه كما هي. إذا تقمصت أية شخصية، فأنا خرجت عن قصد الله فيَّ. الشيء الوحيد هو أن تكون العلاقة مع المسيح صادقة حقيقية.

الرسالة {٧١}

رسالة إلى القمص بيشوى كامل أثناء مرضه

عام ١٩٧٧م

عزيزي بالرب القمص بيشوى كامل

سلام ومحبة ربنا يسوع مع روحك.

الشكر والتسبيح والسجود والمجد الدائم للرب الذي صنع بك العظائم. نفوسنا وقلوبنا ظلت معلقة لا ترتاح ولا تجد مستقراً في الأرض حتى أتت الأخبار من بعيد بما يريحنا.

لم أشأ أن أكتب أو أتكلم، أو أسأل إنساناً عنك سوى ربي يسوع، طالباً رداً عملياً يُطمئنني عن استجابة الحب الإلهي، لدموع وصلوات المحبة.

أما الألم فهو صكُّ العبور وتاج الظفر على هذا العالم، ولكن لمسات القوة في وسط الضعف إنما هي إشارة مسرة الملك لأمين سره. والصحة والشفاء عند يأس الأطباء علامات تُنبئ بتبنِّى السماء لمشاكل الجسد لحساب الإيمان ولتمجيد الشهادة.

وعندما تعزُّ الشهادة بالكلمة وتضعف الآذان والقلوب عن قبول الخدمة بالصحة والعقل والمنطق، يعود الله ليستخدم ضعفات الإنسان بل ضعفات الجسد للشهادة وتثبيت الكلمة وإعلاء شأن الخدمة المكتومة.

إن مرض الخادم الأمين عندما يظل قلبه مرتفعاً بالإيمان والحب، يتكلم أفضل من ربوات من الأقوياء. أما تقبُّل الألم الشديد بابتسامة الحب الإلهي، فهى المعجزة القادرة أن ترفع إيمان أضعف الضعفاء في هذا

الشعب الأمين الوفي.

فهنيئاً لك آلامك، وهنيئاً لك حبك لإلهك. ومبارك هـــذا الشـــعب الذي أحب الله فيك.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٧٢}

رسالة ثانية للقمص بيشوي كامل

١٩٧٧/٤/٨م

حبيبنا العزيز في الرب أبونا بيشوى كامل

في سلام ومحبة المسيح أبعث إليك برسائلي المعبأة بكل مشاعر المسيح في أسبوع آلامه، أكتبها بحبْر وقلم وأنا واثق أن قلب يسوع قادر أن ينقلها إليك مشروحة ومُصوَّرة كما شرحها وصوَّرها قلبي. إنها رموز محمَّلة بنبضات قلب يستمد من أسبوع الآلام كل نسماتها التي كان يستنشقها المسيح عابرةً عليه من الجلجثة تفيح برائحة الذبيحة التي سبق ذبْحها في مشورة العلي منذ تأسيس العالم (رؤ١٣: ٨).

ما أمْجدها آلاماً تلك التى كتب بها إنجيله! فصار رسالة غفران وفداء وحب وعهد وسلام أبوي للناس. لقد بلغت شهوة الفداء في قلب الحبيب ذروتها في هذا الأسبوع، فرأى الصليب وكأنه يوم عرسه. لقد كان حب أبيه يُحرك قلبه ولسانه ويقود قدميه إلى الجلجثة. لقد ذهب خلسةً من وراء تلاميذه وعاين رابية الجلجثة دون أن يراه أحد، فسُرَّ بها جداً واستحسن المكان وكأنه الفردوس الجديد. وكتب اسْمه هناك على الجمجمة للتذكار: 'أنا يسوع حضرتُ وعاينتُ المكان، إنه أشهى بقعة وجدتُها على الأرض العتيقة لأزرع فيها حبي! لقد صعدتُ إلى المرتفع فرأيتُ مشورة قلب أبي من وراء الأرض والزمان فوجدتُها تماماً حسب قلبي'.

إن ذبيحة نفسي صارت موضوع سروري أمامي. من هنا سأُعلن للعالم كله عن أعظم هدية حملتُها من عند أبي لبني الإنسان: آلامي التي

هي سر الصعود إلى المجد. نعم سأجعل صليبي في متناول كل إنسان، حتى إذا انفتحت عيناه على سر آلامي ورأى وعاين وصدَّق وشاركني في ذبيحة حبي ولو بألم يسير يدخل إلى مجدي، عيد صليبي، عيد جسدي المكسور، ليعاين سرِّي وسر أبي؛ سر الحب الذي يجمع المتفرقين إلى واحد. لقد غرستُ أمْجادي في آلامي وأخفيتُها فيها جداً بكل حكمة وفطنة، حتى لا يستطيع أحد أن يُفرِّق أبداً بينهما، فلا يأخذ الواحدة ويترك الأخرى! لقد صممتُ أن أَهَبَ آلامي لكل ذي جسد حتى لا يُحرم أحد قط من مجدي، كل منْ ذاق ألماً باسْمي!!

المجد الذي أُعطيه هو صليبي؛ عاري مع خزيي، مُرِّي مع خَلِّي، جسدي مع دمي. وآلامي الظاهرة مُخفَى فيها مجدي الذي لا يُنطق به! كل مَنْ يتشجع ويذوقه يتحول تحت لسانه إلى بذرة حية، بذرة تسبيح وتمجيد لا يهدأ، لا يسكنها خوف ولا ألم ولا وجع ولا موت، تظل تعطي المجد لله أي مع السُّبح والكرامة والسجود إلى أبد الآبدين.

هذه البذرة أنا الذي وضعتُها في الكنيسة تحت لسانها، فألَّفت ألحانها فأجادت جداً، حتى أن كل مَنْ يسمعها بالروح يدخل في صورة المجد ويراني أنا الحمل المذبوح منذ تأسيس العالم، ويشترك في خورس المُسبِّحين وكأن لحن الجلجثة لحنه الخارج من لحمه وعظامه!

أنا يسوع، أعطيتُ آلامي لتكون لحن الخليقة الجديدة، سأضع هذه البذرة في كل لسان يتحدث باسْمي ويشهد لآلامي.

يا يسوع، لقد أحببت صليبك جداً، وكلنا نُحبك، نُحبك كثيراً يا يسوع من أجل صليبك. لقد أَسَرَتْنا جُلجثتك جداً، وسنذهب جميعاً وسنمضي كلنا كل واحد باسْمه وكل واحدة باسْمها تحت إمضائك.

لقد عشقنا صليبك بشهوة وأحببنا موتك، فكلاهُما قد صارا لنا ينبوعاً من الدموع أحلى وأشهى لنا من كل أمْجاد الدنيا. سوف نحيا في الجلجثة، سنصنع فيها خيْمتنا، سننتظرك هناك حتى تأتي حسب الوعد.

لقد بكيتُ بلا وعي، بكيتُ حتى لم تعُد في داخلي قوة على البكاء.

أُسْكُتْ لا تبكِ كثيراً، هكذا سمعتُ صوتاً من داخل أعماقي. هوذا المسيح قادم من وراء القبْر الفارغ، هو سيمسح دموعك. ولكنني ظللتُ أبكي وجريتُ نحوه. هل رأيتني يا ربي وأنت على الصليب؟ لقد كنتُ أنظر آلامك فتسحَّ الدموع من عينيَّ بلا كيل، كنتُ أستمد دموعي من محبتك وليس من يأسي؛ ليس من يأسي أبداً يا رب.

أنا أحب صليبك يا رب، لأنى أرى كل آلامي منقوشة عليه ومعها اسْمي - الذى تعرفه أنت يا رب، الذى قد غيَّرته لى حين وجدتني تائهاً في دروب العالم - محفوراً على الخشبة ومطبوعاً على يدك! الدم رَسَمه رسْماً على كفِّك كختم. فكيف إذاً لا يُمكنني أن أحب صليبك يا رب؟ إنه صليبى ويحمل اسْمي.

آه، يا ويْحي من وجهك الشاحب الذي لمحتُه حين أنْزلوك من على الخشبة! عندما سكنت خفقات آلامك لما توقف قلبك. لقد خفق الحزن داخلي وسَرَتْ فيَّ غُصة ربطتني بموتك إلى الأبد. فأقسمتُ بحبك ألا أحب أي وجه غير وجهك، وأحسستُ أن خفقات آلامي داخلي تشدُّني إليك وقد تحولت إلى خفقات الحياة! آه! لقد تحول موتك إلى حياتي يا ربي. أنا أحب موتك جداً، أحسه في داخلي حياةً، وعبيقه أشهى من رائحة لبنان.

جلستُ إلى جانب القبْر الفارغ أتفرس بعينيَّ إلى الجلجثة أمامي، فإذا

بي أرى السماوات مفتوحة، وسُلماً هائلاً يربط بين السمائيين، الجبل والصليب، رأيتُ عليه آلافاً آلافاً وربوات ربوات يتسلقون بخفة وفرح وهليل كأنهم يطيرون، وكل واحد يحمل آلامه مع جروحه وأحزانه ملفوفة، كلها ملطخة بدم جهاده، وكلهم يُهللون والفرح يطفح من وجوههم مترنمين: 'جلجثة إمِّيتهِبريئوس' [1].

سلامي مع محبتي ومع العواطف الأخوية الروحية التي لا يستطيع أن يُفسرها إلا صليب المسيح.

القمص متى المسكين

(١) غولغوثا إمِّيتهِبريئوس (الجلجثة بالعبرانية — وهو لحن يُقال في ختام خدمة جمعة الصلبوت).

الجزء الثاني

رسائل أرسلت للمدرّسين

الرسالة {٧٣}

لماذا تضنون بأبنائكم؟!

(أُرسلت لوالدَيِّ شاب طالب للرهبنة أعاقاه عن رغبته)

نُشرت في مارس ١٩٥٩م

عزيزي (...)

نعمة وبركة وسلام من الله. أتعشم أن تكونوا مع بقية الأسرة في مسرة الروح متعزين نامين في كل عمل صالح.

وصلني خطابكم بخصوص ابنكم المبارك، وما سبَّبه هذا الابن لكم ولوالدته وإخوته وأخواته جميعاً من الحزن والتعب والمرض بسبب عرضه فكرة الرهبنة عليكم.

والأمر طبيعي، لأنكم تعوِّلون على ابنكم منذ زمن طويل؛ في إشغال مركز أو وظيفة سامية تتناسب ومركزه العلمي؛ وما يتبع ذلك من وجوده في وسطكم للتكفُّل براحته والتمتع بشخصه.

أما بخصوص موقفي الشخصي تجاه هذه الفكرة، فيمكنكم تكليف خاطركم بالسؤال عني، فمبادئي معروفة. ولكن لكي أُطمئن حضرتكم أُخبركم أني لا أتحمل قط مسئولية شاب قادم للرهبنة إلا إذا كان ناضج الفكر يحس بمسئولية نفسه، يشعر أنه مدعو ولائق لهذا الطريق، ويكون في قلبه عزم وثقة وإيمان يكفيه للسيْر مدى الحياة في هذا الطقس.

ويهمني جداً أن يكون متفاهماً مع أسرته، لأن اختلاس الطريق عنوةً وعدم أخذ مشورة الوالدين واحتقار مشاعرهم، لا يليق بوداعة نفس تريد أن تحيا في مسوح الاتضاع مدى العمر، وكل الذين اقتحموا الطريق

واستخدموا وسائل العنف فقدوا سلامهم الداخلي زماناً، بالرغم من شتى وسائل التعزية، إلى أن أزالوا عوائق المحبة والسلام من قلوب ذويهم. بل إني رأيتُ أيضاً أنهم كانوا متعوقين في نُموهم الروحي بسبب الأفكار القديمة؛ أي الشد والجذب الذي عانوه عند خروجهم من العالم.

ولكن لا يُمكن أن نتطلب من الأب والأم والإخوة والأخوات موافقة صريحة، لخروج مَنْ يريد أن يتكرس للتعبد والرهبنة والانقطاع عن العالم، لثلاثة أسباب:

أما **السبب الأول**: فمعروفٌ وواضح، فالإنسان الخارج للرهبنة هو في الواقع قادم على قطع صلاته بأسرته، المادية منها والعاطفية، أي يكون حكمه في قلوب باقي الأسرة كمَنْ هو قادم على الموت، أو على الأقل طالبٌ قطع الصلة بهم مدى الحياة. فليس من المعقول أبداً حسب ما تُمليه مشاعر الأسرة وما تتطلبه رابطة الدم أن توافق على خروجه، لأنها تكون محكومة بعواطف جسدية جارفة ويتحكم في سلوك أفرادها الفزع من فكرة الموت الذى سيجوزه هذا المكرس.

ولكن ليس سلوك جميع الأسرات واحداً تجاه هذا الوضع، فهناك بعض أسرات قد سَمَتْ روحياتُها فوق مطالب الجسد وإلحاح العواطف الطبيعية، تستطيع أن تُقدِّر موقفاً مثل هذا، وتحترم شعور ذلك الإنسان الذي وضع في نفسه بعزم القلب أن يحيا كله فيما لله منقطعاً عن أحبائه.

ولكن لا نتطلب حتى من مثل هذه الأسرات المباركة التي سمت روحياتُها وارتفعت مشاعرها وقدَّرت كلمة التكريس والخدمة والرهبنة والملكوت، أن تُصرِّح لابنها أن يخرج خروجاً سهلاً بلا تعويق أو إلحاح، إذ لابد وأن تطغى عواطف الأبوة ويظهر حنان الأمومة ومحبة الإخوة في

صورة بكاء أو رجاء، لأن هذا أمر طبيعي نحو ابن متغـــرب وحـــده في طريق الملكوت الشاق. ولكن ليس إلى الحد المُخجل الذي رأينا فيه المنع يبلغ إلى استعمال القوة والعنف واستخدام الكهنة للحـــلِّ والـــربط أو التهديد بالصوم أو انتحار الأم إلى آخره من الوسائل التي فضلاً عن أنها تسئ إلى العلاقات نحو ذلك الابن غاية الإساءة، فإنها لا ترفـــع وجـــه الأسرة أمام الله، بل تلصق عاراً لا يُمحى بين الناس برفضها الرب نصيباً لها وميراثاً!!

وسيذكر التاريخ يوماً أخاً لنا وحيد أبويْه، بذلت الأسرة في راحتـــه وتعليمه الشيء الكثير وتحملت بسببه أثقالاً فوق الطاقة، وكانت تأمـــل خيْراً أن يرفع رأسها في منصب لائق بكرامة الأسرة وبمركزه العلمي، وإذ به بعد التخرج مباشرةً يفاتحهم في أمر التكريس. كان يوماً مشـــهوداً في الأسرة ناءت تحت قسوته مشاعرهم الطبيعية، بكت الأم، وصمت الأب عن الكلام. ولكن كان سلوكهم بعد ذلك أعجب ما رأته عيناي وسمعته أذناي، إذ بعد أيام قليلة تسلم الابن رسالة زرقاء لن أنسى لونها كما لن أنسى قولها، مُمضاة من أبيه يقول فيها: [يا ابني، أنا أب وأعلم يقيناً أن سعادة الأب في سعادة ابنه، فإن كان طريق الله يُسعد نفسك ففيه يجب أن تكون سعادتي أنا أيضاً، ولن أقف يوماً عثْرةً في طريق خدمتك لله التي تكون فيها سعادتك].

إذاً، فنحن لا نتطلب قط من الآبـــاء أو الأمهـــات أو الإخـــوة أو الأخوات أن يتساهلوا في التصريح للابن أو الأخ الخـــارج في طريـــق التكريس أو يُسهلوا له هذا الخروج للدرجة التي تصل إلى حد التفريط في مشاعر الإنسان نحو أخيه، لأن ذلك فوق حدود الطبيعة.

غير أن هناك بعض الأباء قديماً وحديثاً ضربوا بسهم وافر في اختيارهم

الرب فوق كل شعور وعاطفة، ولكن هؤلاء كانوا مُلهَمين، واعتبروا أن مثل هذا الخروج شرفاً يتسابقون إليه ويُحرضون أولادهم عليه! بل يسألون الله من كل قلبهم أن يقبل واحداً من نسلهم ليحظى بشرف خدمته.

وسيذكر التاريخ أيضاً أُماً طلبت مقابلتي يوماً، وكان السبب يكاد يكون معروفاً لديَّ، إذ كان ابنها الشاب الصغير قد حدثني سابقاً عن رغبته في الرهبنة، وكنتُ أزجره لصغر سنه وعدم استكمال ثقافته، فقابلتُها وأنا مثقل النفس لأني قاسيتُ سابقاً من آباء ومن أمهات، ولكني صليتُ إلى الله أن يفتح قلبها أو يفتح قلبي حتى لا يُساء إليَّ أكثر مما أحتمل.

وإذ بهذه الأم تتقدم باتضاع عظيم نحوي، جعلتني أخجل من نفسي ولا أحس بوجودي إذ شعرت بحضرة الرب، ثُم بادرتني باستعطاف وتوسُّل أن أقبل ابنها في الرهبنة وأعوله وأربيه ليكون ابناً لله لائقاً بذلك الطريق المقدس. وذهلتُ وانحبس الكلام في فمي، ولم أستطع أن أزيد على كلامها شيئاً، إذ رأيتُ غير ما توقعتُ وسمعتُ كلاماً لا يمُتُّ إلى جيلنا في شيء، إذ كنتُ كمَنْ يسمع قصة في مخطوط من القرون الأولى.

وهكذا نرى أن السبب الأول في تمنُّع الأسرة عاطفي محض، رأيتُ فيه أنه لا لوم إطلاقاً على أفراد الأسرة جميعاً أن يُظهروا تمنُّعهم ويُلحوا في منعهم، ولكن بما يتناسب وسبب المنع؛ أى الدافع على رفض الأسرة لطلب المُتكرس؛ وهو شعور الإنسان نحو ابنه أو أخيه بعاطفة المحبة وإحساسات الألفة وعدم احتمال تصور هذه الفرقة التي ستطول إلى مدى الحياة.

ولكن في اللحظة التي تتطور فيها وسائل المنع عن حدود الرجاء الرزين أو الإلحاح الهادئ أو حتى البكاء في حالة التأثر أو الاحتجاج على مثل هذا الطلب احتجاجاً ممزوجاً بالتقدير لهيْبة طريق التكريس وخدمة الله، وتبدأ الأسرة في استخدام وسائل العنف والقسوة والتهديد، حينئذ لا تصبح العاطفة أو الحنان أو المحبة أو الإحساسات الرقيقة هي الدافع للمنع أو سبب الرفض، إنما يكون له سبب آخر.

السبب الثاني: حينما تلجأ الأسرة إلى وسائل العنف والقسوة، يكون هذا السلوك بمثابة تشخيص نتعرف به على الدوافع النفسية التي جعلت الأسرة تتخطى وسائل المحبة والحنان والعطف في التعبير عن رفضها، وتستخدم هذا الطريق الخشن الذي لا ينم إلا عن العجز والجهل معاً. أما العجز فهو عجز أفراد الأسرة عن بلوغ هذا المستوى الروحي الجديد الذى قام يطالب به فرد من أفرادها، لا مُجرد المستوى الفكري، فربما يكون الأب أو الإخوة أحياناً أكثر معرفةً وتفهماً لحقائق التكريس والحياة الروحية، ولكنه عجز عن بلوغ هذا المستوى عملياً لأسباب في طوقهم أو خارجة عن طوقهم. إذاً، فسلوكهم الخشن واستخدامهم طريق القسوة في التعبير عن رفضهم لا يرجع إلى علاقتهم بهذا الابن في شيء، وإنما يعود جُملةً وتفصيلاً إلى سبب نفساني في داخل كل فرد منهم.

فحينما يتقدم الابن بطلب إعفائه من بعض المهام الملقاة عليه ليتفرغ لحمْل نير المسيح وتكريس الحياة جُملةً لله، يحدث أن تنتبه الأسرة انتباهاً روحياً شديداً للغاية، إذ يكون طلبه هذا بمثابة هزة عنيفة تشمل حياة كل فرد في الأسرة، وتجعل كل فرد يقيس نفسه على هذا المقياس الجديد الذي وضع أمامهم حقائق عملية عن تفاهة هذا العالم الذي يستهويهم

ويستعبدهم تارةً بملذاته وشهواته وأطماعه وآماله التي لا تنتهي، وتارةً بهمومه وآلامه وضيقاته وأمراضه ومصائبه التي لا تنتهى أيضاً.

ثُم إن هذه الحياة الروحية التي كانت عندهم كقصة أو كخبر أو كخرافة تصبح في لحظة حقاً عملياً يساوي الحياة كلها وأفضل!!

يُحاول كل فرد أن يتفهم هذا المستوى الجديد، ولكن هيهات، فيعود إلى نفسه متضايقاً غاية الضيق، ثُم ينعكس هذا الضيق على تصرفات الأسرة تجاه هذا الابن وكأنه أذنب، إذ اختصه الروح بهذه الدفعات القوية وهذه الحرارة الروحية التي استطاعت أن ترفعه فوق كل مستويات العالم وما فيه، فلم يعُد العالم في نظره إلا حفنة تراب يشتاق أن يلقيها من يديه مُحاولاً أن يمحو حتى آثاره من كفّيه.

ولكن يا لعمى القلوب ويا لقساوة المشاعر! فبدل أن نُكرم هذه الشعلة الملتهبة في صدر ذلك الابن ونزكيها بكلمات التشجيع، فنعفيه من المهام الترابية التافهة التي ستمتص حياته وحرارته واستنارته، ونطلق هذا السهم المشتعل بحرارة الروح لينير على آلاف وملايين وأجيال من شعب الله، نُحاول العكس؛ نُحاول أن نطفئه ونُحطمه.

وهكذا يتحقق أمامنا ما قلناه، أن استخدام وسائل العنف والقسوة لا ينم إلا عن عجز وجهل معاً!! عجز عن بلوغ هذا المستوى النادر ومُجاراة هذه الروح المشتعلة، وجهل بقيمة هذه القوة الروحية المعبأة في هذا الابن.

وغالباً ما تُحس الأسرة في هذه اللحظات الخطيرة أنها مُخطئة في سلوكها، ولكنها تندفع تنتحل المعاذير لنفسها، وغالباً ما يكون الإخوة أكثر تعسفاً من الآباء والأمهات، لأن الأب على أي حال يشتهى أن

يكون ابنه أفضل منه روحياً ومادياً في كل شيء، أما الأخ وعلى الأخص الأكبر سناً فهو الذى لا يطيق أن يرى أخاه الأصغر يأتيه يوماً أباً ورئيساً. وها هى قصة يوسف وإخوته تنطق بهذه الحقيقة نطقاً.

ولكن لا نستطيع قط أن نعفي الآباء من اللوم في الانسياق وراء تيارات الإخوة والأخوات والأمهات، وكلها تيارات خاطئة، تتآمر على أقدس الرسالات التى يستودعها الله قلوباً قليلة نادرة في حالات قليلة نادرة.

أليست هذه هي الأسرات المنقسمة المتآمرة، الإخوة على بعضهم والآباء على أبنائهم من أجل اسم المسيح؟ ألا يكون مثل هؤلاء هم الذين وضعهم السيد المسيح تحت ذلك الحكم المُحزن أن «أعداء الإنسان أهل بيته» (مت ١٠: ٣٦)؟

ألا تكون جثة ذلك الأب المنكود الذي أشار السيد المسيح على ابنه أن يتركها لميت مثلها يدفنها ويذهب هو يبشر بملكوت الله أفضل (مت ٨: ٢٢)، كانت لأب جاهل أحبَّ الظلمة أكثر من النور، وفضَّل التراب عن الروح، وخدمة العالم على خدمة الملكوت؟!

جاءنى يوماً أبٌ يتساند على أكتاف جماعة من أقربائه وأصدقائه وهو في شدة عظيمة، وقد هالنى منظره إذ ضاعت هيبته واستبد به اليأس حتى كاد يفقد صوابه، وأخذ يقص علىَّ قصته، وقد اختلطت كلماته ببكائه وهو يكاد يسقط من فرط تأثره: له ابنة وحيدة على غالب ظني، درست أخبار القديسين فيما درست، فأصابت أخبارهم وحياتُهم وكلماتُهم ونسكياتُهم هوى شديداً في نفس الفتاة، ومال قلبها لهذه الحياة المنبسطة أشد ما يكون الميل، فبدأ سلوكها ينسجم مع أفكارها، وبدأ يلمح منها

أبوها محبة العزلة والصلاة والعزوف عن مظاهر اللهو والتسلية التي اعتادت الأسرة عليها بل وكل الأسرات تقريباً.

وجاء اليوم المشهود، تقدمت إلى أبيها وأفصحت عما يدور في قلبها أو على الأصح ما يدور قلبها عليه، إذ أنها قد استهوتْها البتولية إلى حد يفوق الوصف كما يشهد بذلك أبوها، وقد رسخت في قلبها، وعزمت أن تصير راهبة مهما كلفها الأمر، وكانت فَرِحَة مستبشرة يحدوها كل الأمل أنه بعد تفاهم يسير ستنال أمنيتها، إذ كانت تعتقد أن محبة أبيها ستسهل لها الطريق وتذلل أمامها الصعاب.

ولكن لشدة ما كانت دهشتها حينما بادرها أبوها الحنون المُحب الذى لم يقف لها عند طلب قط ولا حتى لمجرد الاستفسار أو التفاهم على حد تعبيره، بل كانت الدنيا كلها طائعة لها وكل الحوادث تجري أمامها كما تريد، وبادرها بالرفض والتوبيخ والانتهار في ثورة جامحة في غير رويَّة وفي غير حكمة وفي غير تفهمٍ للدوافع الكامنة التي حملت الفتاة على سلوك هذا المسلك الصعب واختيار هذا اللون الفريد من ألوان الحياة، لم يفحص أسبابه و لم يتعرف على أغواره. وبالاختصار لم ينظر لفتاته قط ولا لما يجول في نفسها ولا ما ستؤول إليه حياتُها سواء سلكت هذا الطريق أو لم تسلكه، ولا ما سيترتب على هذا العنف وهذه الشدة الفائقة لحدود العقل!! ولكنه كان ينظر إلى نفسه وما يجول في قلبه وما ستقوله الناس عنه. كان لا يزال يعتقد أنه كما حملها على كتفه في طفولتها وهي راضية مطمئنة، فهى ستظل ترضى وتطمئن إليه أينما وجَّهها وحيثما سار بها، أو كان لا يزال يراها في طفولتها حتى بعد أن بلغت رشدها، لأنه صعب على الآباء أو بعض الآباء على الأصح أن تنسلخ نظرتُهم لأولادهم كلما انسلخوا من طور إلى طور، بل تبقى

صورة الطفولة مسيطرة لا على نظرهم إليهم فحسب بل وعلى معاملتهم لهم أيضاً، مما كان ولا يزال له أسوأ الأثر في نفوس الأبناء.

ولكن هكذا كانت نظرة هذا الأب، وهكذا تَشكَّل سلوكه نحوها قسوة وجفاء! وكأنما عزَّ عليه أسلوبه الأول نحوها في الحب والتدليل، وقال في نفسه: فلنبدأ الآن من جديد بأسلوب يُخضعها ويضبطها! ولكن هيهات! فأنت تستطيع أن تشكل طفلك حتى سن الخامسة كما تريد، وحتى التاسعة يُمكن أن تُقوِّمه تقويماً، فإذا بلغ السادسة عشرة امتنعت عليك جميع الوسائل؛ الليِّن منها والعنيف، أما بعد سن البلوغ فلا يُصلح الفتى أو الفتاة إلا الله أو القبْر! فالأبوة بعد سن البلوغ لا تحمل من التبعات نحو البنوة إلا ما يتفق وسعادتُها، أي ما يُسعد الابن أو الابنة هو ما يجب أن يُسعد الأب والأم، وليس العكس كما يتصور كثير من الآباء.

ولم يعلم هذا الأب أنه إذا انجذب الفتى أو الفتاة من كل قلبه نحو الله، فهيهات أن يُخيفه أو يُخيفها قسوة أو شدة أو عقاب، أو كما يقول بولس الرسول باختصار: «لا موت ولا حياة» (رو ٨: ٣٨)، ولكنه تمادى وأصر في رفضه وبالغ في شدته غير مُقدِّر ماذا سيؤول إليه هذا الإصرار وهذا الرفض وهذه الشدة البالغة.

لا بأس، أخفت الفتاة حبها الإلهي في قلبها، وتظاهرت أنها أصبحت كباقي الناس أو مثل أبيها، لا تُحب الله كثيراً، وإنما يكفيه ركن صغير في القلب إن تَبقَّى هذا الركن، وتشاغلت أو تظاهرت أنها متشاغلة بدرسها أو بيتها، وأبقت ساعة أو بعض الساعة تصلي فيها إن أمكن. فسُرُّوا بها غاية السرور وكرموها كالأول وأكثر وأعادوا لها الحب والحنان، وكأن الحب والحنان قطعة من الحلوى يُمكن أن نأخذها ويُمكن أن نعطيها،

وما على تلك الدمية إلا أن ترضى بأخذه أو ترضى بردِّه!

ولكن هيهات، فقد ختمت على قلبها أن لا يمسه إنسان بعد ذلك قط، وعزمت على ذلك عزماً.

كان يدرك هذا كل من رآها واقفة تجاه أبيها وأمام النائب العام، تدلي بأقوالها وتثبت حقها الشرعي في تصرفاتها، قبل إبْحارها لروما لتصير راهبة في إيطاليا بعد أن عسر عليها أو بالحري عزَّ على أبيها أن تصير راهبة في مصر. بكى أمامها أبوها ما شاء له البكاء، ولكن لم تستطع دموعه كما لم تستطع قسوته فيما سبق أن تمحو صورة سيدها الذي أحبته من كل قلبها! تَذلَّل لها ولكن لم يقوَ تذلُّله كما لم يقو تهديده فيما سبق أن يفك ختوم القلب الذي أغلق على المحبة والولاء لله بإحكام.

ألم أقل أن استخدام القسوة والعنف في هذه الأحوال لا ينم إلا عن عجز وعن جهل معاً. ولن يؤول هذا المسلك الخشن إلا لأشد ما تؤول إليه الأمور من الخيبة واليأس والتعقيد.

قد رأينا في السبب الأول أن منع الأسرة للمتكرس تدور أسبابه حول النواحي العاطفية. وفي السبب الثاني رأينا أن المنع أخذ أسلوب القسوة والشدة، لأن أسبابه تدور حول أخطاء نفسية.

ونتقدم إلى السبب الثالث الذي فيه تدور أسباب المنع حول أمور مادية:

السبب الثالث: إن ما يطمع إليه الآباء من مساعدة أولادهم يُعتبر أهم عائق في سبيل التكريس. ونحن لا نستطيع أن نعلق على مدى أهمية هذه المساعدات أكثر من أن نقول إن أغلب هذه المساعدات تضيع كمصاريف كمالية في المنزل وخارج المنزل لمحاولة الظهور بمظهر

أرقى للأسرة، سواء بشراء أثاث جديد أو الالتفات إلى وسائل الترف، أو مُجاراة الأسر الأخرى في سلوكها. إنها سلسلة لا تنتهي من الأطماع والطموح نحو المجد الباطل والمظاهر الكاذبة.

ولكن لا نريد أن نسأل: ما هو فضل البيوت الراقية والعائلات الغنية على البيوت المتواضعة والعائلات الفقيرة في المسيح؟! وما هو امتياز الموظف الذي دخله خمسون جنيهاً عن الموظف الذي يتقاضى عشرة جنيهات في المسيح؟! وما هو امتياز الأخت التي تتزوج بشاب عنده شهادة عليا على أخت تتزوج بعامل بسيط في المسيح؟! ولكن أقول: إن كان لنا قوت وكسوة ونكتفي بهما فقد صرنا أغنياء في أنفسنا وأغنياء في المسيح، واسمه يكفينا. أمَّا إذا كان لنا كل فخر العالم وغناه وليس لنا اكتفاء، فنحن سنظل أشقى جميع الناس وأفقرهم في المسيح.

ماذا نقول عن شهوة العالم والترقِّي في وظائفه أكثر مما قاله يعقوب الرسول: «فمَنْ أراد أن يكون مُحباً للعالم فقد صار عدواً لله» (يع٤: ٤).

ونحن لو وازنَّا بين احتياج أسرة إلى مساعدة الفائض من مرتب ابنها لتتمكن من القيام بأعباء الحياة في شيء من الراحة، وبين احتياجات الكنيسة إلى روحيات هذا الابن الذي اختاره الرب وملأه بروحه من وسط آلاف الشباب للقيام بخدمته وخدمة الشعب في أية ناحية من نواحي التكريس، لحكمنا بالحق أن الكنيسة أهم.

ونحن لن نوازن بين نتائج خدمة الابن في ميدان الأسرة وخدمته في ميدان الروح في الكنيسة، ولكن يكفي أن نحترم ونُقدِّر هذا الروح المنفعل في صدره وهذا الصوت الإلهي الذى يُلح عليه بالدعوة.

ونحن مُحتاجون جداً أن نفحص هذه الموازنة، ونتعقل فيها جداً، لأن الكنيسة ليست في حالة عادية، فهى تمُر في أخطر دور من أدوار انتقالها الذى إما يكون نحو الله وإما يكون نحو العالم، ولن يكون هناك طريق متوسط بعد ذلك. وهذا يعتمد كل الاعتماد على نوع المكرسين: هل هُم لله أم للعالم؟؟

وبالحق نتكلم أيُها الآباء، ويشهد على ضمائرنا الروح القدس، أنه لا توجد حالة واحدة من حالات التكريس الذى تم في أيامنا وعلى أيدينا، حسب مشورة الله والروح القدس، نعم ولا حالة واحدة تخلى الله فيها عن أسرة المتكرس، بل سكب عليهم جميعاً عوض فائض مرتبات أولادهم فائض رحمته الخاصة وعنايته، حتى رأوا بعيونهم كيف يُتمم الله مواعيده، وشهدوا بذلك، ونحن نشهد أيضاً.

مع أنه توجد حالات كان فيها المتكرس ابناً وحيداً لأرملة فقيرة، نعم فقيرة في مال هذا العالم، ولكنها غنية بإيمانها الجبار الذى استطاعت به أن تُشيِّع ابنها إلى الدير وجلست وحيدة تترجى وجه الله.

ماذا بعد ذلك؟ إننا نلومكم أيُها الآباء والإخوة والأخوات أشد اللوم، إذا كنتم تجعلون بعد ذلك عواطفكم أو أنانيتكم أو أطماعكم في الحياة عقبة في سبيل تكريس أولادكم. احذروا ذلك لئلا تورِّثوا الكنيسة عُقماً في أولادها.

ماذا نقول؟ ألعل ناموس العهد القديم أفضل؟ حينما أمر الرب أمراً بحجز سبط كامل من اثنى عشر سبطاً ليُخصصه لخدمة الكهنوت والشماسية والحياة الروحية عموماً.

لقد أثبتُّم أيُها الآباء والإخوة والأخوات الذين رفضتم تكريس

أولادكم وإخوتكم أنكم لا تعيشون في عصر نعمة الروح العامل بالاختيار حسب ناموس الحرية، وازدريتم بالروح القدس برفضكم عمل الرب، واحتقرتُم اسم المسيح بتفضيلكم خدمة العالم لأولادكم عن خدمة ذلك الاسم العظيم.

ألا تعلمون أنكم بحجزكم أولادكم الذين يختارهم الروح لخدمة بيته واسْمه وشعبه، إنما تقاومون الروح القدس، فيأتي غضب الله عليكم كما أنتم الآن، فيسلِّمكم الله لأَيد قاسية؟

وإن كنتم تحجزون المُختارين، ألا تضعف الكنيسة ولا تجد أمامها إلا الخدام الكذبة الذين من أجل الأجرة يتَّجرون بكم وبالخدمة، ويُهملون الرعية لأنهم أُجراء، فتتبدد الخراف ويصير دمها مطلوباً منكم؟

وإن كنتم تقدِّمون أولادكم للجيش والحرب طائعين خوفاً من العقاب، أفكثيرٌ عليكم أن تقدموهم للرب مُختارين حباً في ثواب؟!

أما هو سهل عليكم أن يترك الابن أباه وأمه ويلتصق بامرأته، فلماذا يصعب عليكم أن يترككم ليلتصق بالرب؟

هوذا صوت الرب إليكم: «منْ أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني» (مت ١٠: ٣٧).

القمص متى المسكين

الرسالة {٧٤}

رسالة لأعضاء بيت التكريس عام ١٩٦٠م

إلى الإخوة المحبوبين الأعزاء بالرب أعضاء بيت التكريس

لكم سلام من الرب، ولتحل عليكم نعمته ولترافقكم رحْمته أينما كنتم وإلى مدى الأيام، حتى تكمِّلوا سعيكم معنا لنُوجد جميعاً في وحدة الصليب وفي عزاء شركة آلامه إلى أن نبلغ إلى قياس القيامة الذي به نُؤهَّل للعبور.

ليس مخفياً عنكم ما نجوزه من الآلام والضيقات، لأنها وإذ أصبحت شديدة صارت جديرة أن نفتخر بها بسبب العزاء المتكاثر جداً الذي حصلنا عليه والفرح الثابت الذى نبع من أعماق المرارة فجأةً، الذي جعلنا وكأننا في حفلة عرس عشاء الخروف، واختفى الحزن من قلوبنا والتنهد ليحل مكانهما سلام واطمئنان، وتعرَّفنا على الآية القائلة: «ولا ينْزع أحدٌ فرحكم منكم» (يو ١٦: ٢٢).

لقد اندهش يسوع لما رأى القادمين للقبض عليه رافعين سيوفاً مع عصيٍّ!! «كأنه على لصٍّ خرجتم بسيوف وعصيٍّ» (مت ٢٦: ٥٥). لقد استدرجوا يسوع لمعركة بسيوف وعصيٍّ بعد أن عجزوا نهائياً أن يستدرجوه بالمُحاجاة واصطياد الكلام! ولكن الرب لا يُحارب الناس!!

الدنيا تستدرجنا أن ندخل المعركة على نفس القياس، ولكن نحن لا نحارب الدنيا. نحن في معركة الدنيا في صميمها، ولكننا لا نحارب أحداً. لقد بلغنا نهاية ما تريده الدنيا فينا، لقد متنا! ووضعنا في أنفسنا حُكم الموت نهائياً!!

السيوف أسلحة جُعلت للهاربين من الموت أو من الحق أو للذين يشتهون الدنيا أو يخافون منها، أما المائتون فالسيف فيهم لا يعمل ولا يجوز!! والذين يعيشون للحق تتكسر عليهم سيوف الدنيا وتنقضم سنانُها وتتلف مقابضها وتَنْهد السواعد التى تُحركها، والذين هم للحق هم كما هم، لأن الحق الذى وجدوه لا ينثني ولا ينكسر، وقوة الإيمان تُذيب سلطان الإنسان.

ولكن مع كل ذلك نحن لا نشعر قط أننا نحارب أحداً ولا أحد يحاربنا، لأننا نحن صرنا نحيا مائتين عن الدنيا، وبالتالي عن سلطان الناس!! والذى يعيش تحت سلطان الحق لا ينظر أعمال الناس ولا يدينها، فهو يشفق على حاملي السيوف وحاملي العصي، ويرى أنهم يتلفون بها قلوبهم ويلوثون بها أيديهم، لأنه تأتي ساعة يعرف فيها حامل السيف والضارب به أنه أتلف لا نفسه فقط بل والكنيسة أيضاً. ويا للحسرة ويا لألم الضمير المحض حينما يكتشف الإنسان أنه بسلاح الحق نفسه اضطهد القديسين وأذلَّ أولاد الله، وبكفِّ القانون المُحترم كان يلطم وجه الرب مراراً، دفاعاً عن كرامته أو كرامة آخر، كما حدث في مُحاكمة الرب!!

ولكن مع ذلك، وإذ نشعر أننا قائمون في صميم معركة الدنيا، لا نشاء قط أن نخرج منها، لأننا نعلم يقيناً أنها لابد أن تسير ولابد أن تبلغ الغاية، ونحن جزء لا يتجزأ من الطريق ومن الغاية، ولنا فيهما حياة!

نحن لا نُخفي وجوهنا من اللهيب ولا نفزع، لقد جعلنا وجهنا كالصوان وعرضناه للبصاق واللطم، لا لأننا شُجعان فالشجاعة قساوة على صورة ما، ولكن لأننا لم نعُد بعد نعيش على صعيد الناس. لقد جمدت عيوننا في مآقيها فلم تعُد تتحرك بالبكاء على ما يبكون ولا ترى

رُعباً فيما يرون، لقد شخصت أبصارنا إلى المذبوح على الصليب، فثبَّتنا وجهنا إليه ولا نريد أن ننحصر حتى نبلغه.

كل ما كُنا نبكي عليه أو منه صار لنا وسيلة لبلوغ أمانينا، ونحن لا نريد أن نرتد عن الدنيا حتى نغلبها بحبنا ولا نشتهي منها إلا أن تصلبنا.

كُنا نتضايق جداً فيما سبق من الضيقات، ولم نكن ندري أن النعمة كانت هي التي تدفعنا إلى ذلك، فكُنا نرى — خطأ — أن مُهاجمات بعض الناس لنا تُتلف أنفسنا أو تُتلف سَعْينا أو تعوِّق سيْرنا، فكُنا نخرج عن صوابنا وكُنا ننظرهم أعداءً لنا مُمعنين في العداوة، فكانت الضربات تتخذ في بدايتها عنفاً وشدة يطيحان بالتفكير الرزين المتزن، فنقعد زمناً في حالة غير مُثمرة روحياً، جانحين إلى الشك المُخيف من الناس ومن أنفسنا ومن هول الطريق، وكان هذا غاية ما يتمناه عدونا المنظور وغير المنظور. ولكن كانت النعمة ساهرة علينا كما يسهر الطبيب على مريض برَّح به الميكروب العنيد، وكان العلاج الذى قدمه لنا الله آخر ما قدم لنا هو أن دفعنا إلى ضيقة أشد!! فتركنا نتضايق إلى أقصى ما يُمكن أن تكون الضيقة إلى الحد الذى بعده لا تُسمَّى ضيقة بل موتاً!! إلى أن انكشف الوعي الإلهي فينا أخيراً، وفي لمحة الروح اكتشفنا خطة العدو التى كانت كامنة في أعماقنا والتى من أجلها تَرَكَنا الرب نتضايق كثيراً، إذ اكتشفنا على ضوء التجربة العظمى وبمعونة نور الله ما كان مدفوناً فينا من بغضة وغضب وحقد وعداوة، وتحققنا على نور عدل الله أن هذه البلوى متعادلة تماماً مع ما فينا، ككمِّيتيْن متعادلتيْن، وكلا الكميَّتيْن يتساوى مع الموت الأبدي وهلاك الروح، فكانت لحظة الاكتشاف لحظة الرعب إذ تحققنا أننا ضائعون ورأينا الموت والهاوية، وفي رُعبنا استيقظ الإيمان فجأة، فصرخنا من كل كياننا، فكان لطف الله وكان العبور.

وكان عبورنا شاقاً مريراً، إذ في لحظة ما اكتشفنا ما في أنفسنا صرنا غير راضين عن أنفسنا، ولكن كُنا في حالة أكثر بكثير من عدم الرضا على أنفسنا، كُنا لائمين لها بل كُنا مؤنِّبين ومُوبخين بشدة عظيمة، صرنا في عداوة مُرة ونزاع مع أنفسنا، جحدناها جحداً وأنكرناها إنكاراً وتبرأنا منها أمام الله!! إذ بدت لنا وكأنها خَدَعَتنا، وذُهلنا لما وجدناها تتمرغ في الحقد وتتنمر للانتقام وتستريح على تصورات الشر وإفساد الناس، فعلمنا يقيناً أن العدو الشرير أصاب منها مقتلاً، بل أحسسنا أننا مقتولون، ورأينا بعيْن النفس أبواب الهاوية مفتوحة والشيطان يستعد لابتلاعنا.

لقد تيقظ الوعي الروحي فجأةً في هذه اللحظة المُرعبة، ورأينا أنفسنا في شبكة الموت، وأدركنا في حسرة وشبه يأس مهارة عدونا الخفي كيف أحكم الأقفال منذ زمن بعيد، فوقفنا لحظة في حيْرة مُرة هي حيْرة الموت. وكالفأر الذى ضُبط في مصيدة قاسية يخبط رأسه في كل قضيب، هكذا كُنا حتى أصابنا الدوار، وعبثاً حاولنا الإفلات لأننا كُنا نريد أن نفلت بأنفسنا لا منها!! ومصيدة الدنيا مصيدة قاسية تطبق على النفس ولا تتركها، هى مُحكَمة لا تُكسر قط ولا يُفتح بابُها، وكل النفوس التى تقع فيها كُتب عليها الضياع إلى الأبد. لقد نسجت قضبانها حولنا في سنين كثيرة، هى عُمرنا كله، وقضبانُها من الإنسان ذاته وفي جسده مغروسة، فكيف الإفلات؟

ولكن بالإيمان صرخنا، والإيمان يفوق الدنيا ويفوق الجسد، لقد عبرنا المصيدة لما جحدنا النفس وعبرنا فوق أحاسيس الجسد وشهوات الدنيا.

ولكن لم يكن عبورنا سهلاً، بل كان تمزيقاً لأنفسنا، لقد حطمنا المصيدة لما حطمنا النفس وصلبنا الجسد، وخرجنا بأرواحنا أحراراً فوق

مصائد الدنيا وفخاخها إلى عالم الله والروح. وكان ذلك العبور في لحظة قصيرة يكاد الزمن لا يحصرها، فأقوى التجارب الروحية لا تستغرق إلا أقل الزمن، والعبور من الموت إلى الحياة لا يُمكن قياسه زمنياً.

لقد تلاشت من أرواحنا مناظر الناس الذين ضايقونا وأسْماؤهم بل وكل العلل التي كانت سبباً للضيقات، فلم يبقَ أمامنا في لحظة العبور ولا ما بعدها إلا ما اكتشفناه في أنفسنا من وجود أسباب الموت والهلاك كائنة في صميم كياننا.

لقد عبرنا، ولكن لا تزال لحظة العبور ماثلة في أعماقنا الباطنية تعمل فينا عملاً مستمراً، لتلغي من ذهننا كل ما هو خارج عن حقيقة الموت الذي كان قائماً فينا بالخطية وحقيقة الحياة التي صارت لنا برحْمة إلهنا، حتى تبقى فينا فقط صورة واقعية ملموسة لعمل الخطية وفضل الضيقة ورحْمة الله، فستظل هذه الصورة المثلثة بمثابة الظهير أو السند أو نقطة انطلاق لنا مستمر نحو الله.

أما الراحة والسلام والفرح وهدوء النفس الذي صار داخلنا فهو شيء لا يُمكن التعبير عنه، هو عميق، أعمق من الألم الذي أصابنا، ومتسع الأثر في كياننا أكثر من انتشار تأثير الألم في نواحي الجسد كلها والنفس، ولكن فوق ذلك كله ثابت الأثر، يكاد لا تصيبه بعد هزات الذكرى الأليمة للحادثات التي صدمتنا، ولا تنقص منه قسوة الوجوه التي تسببت في هذه المحن المتوالية، وهو في تعبيرنا النفسي يشبه الانتقال، ولو أننا لم ننتقل ولم نعرف بعد ما هو الانتقال.

ولكن هذا الشيء، الذى كله راحة وسلام وفرح وهدوء نفس، ليس هو السبب الذى جعلنا ننسى الضيقة والمضايقين لنا، فالراحة وما يتبعها

من سلام أرخص من أن تكون سبباً لنسيان الضيقات ووسيلة أضعف من أن تمحو من الذاكرة والوعي والقلب والضمير صورة المضايقين لنا ومنظر قسوتهم.

نحن نسينا الضيقات لما فهمنا القصد منها وعرفنا مصدرها الإلهي الحكيم ولمسنا غايتها الخيِّرة الصالحة المفيدة.

ونحن لا نقول إننا نسيناها بمعنى عدم الاكتراث أو الإهْمال، بل هو نسيان بمعنى التحرر الكلي من ربقة الوقوع في قلقها وخباطها وبلبلتها، هو تسامي العقل الباطن من تأثيراتها الضارة وإثاراتها المفسدة للنفس، وكل ذلك بعمل النعمة الفائق الحد.

كذلك نحن نسينا أشخاص جميع مضايقينا، وانْمحت من المُخيلة نهائياً ودفعةً واحدة الصورة القاسية التي كانت تلازم وجوههم وكلماتهم وحركاتهم وتبدلت بصورة ذات معنى إلهي، وامتزجت كلماتُهم وحركاتُهم وأفعالُهم بصورة وجه الرب الذي حركهم سابقاً بما لا يشاءوا هم ليعملوا فينا أو لنا أو ضدنا ما لا يريدون لتكميل خلاصنا وانعتاقنا من الهلاك الأكيد الراصد لنا في داخلنا.

ونحن لا نقول إننا نسيناهم بمعنى التجاهل أو عدم الاعتبار، وإنما بمعنى نسيان صورة العداوة التي التصقت في مُخيلتنا وضمائرنا عنهم خطأ، بسبب ماضينا من خطية وعيْب ذميم، وذلك حينما أدركنا الدور الخطير الذي أدوه نحونا مسوقين بالنعمة، وتأكدنا من الرسالة الإلهية التي أكملوها فينا لحياتنا، وإن كانوا لا يدرون.

إن النتيجة التي بلغنا إليها على أيديهم من خلال اضطهادهم لنا والتشهير بنا والتعريض بسمعتنا والكيد لنا خفاءً وعلناً، هى نتيجة فوق

ما كُنا نحلم به أو نرجوه، مما يجعلنا نُقبِّل هذه الأيدي بدموع ونبارك اليوم الذي وُشي بنا لرئيسنا كذباً وطُردنا بلا رحْمة ظُلماً وخرجت أسْماؤنا في الجرائد بفضيحة، لأن في ذلك كله كُتب لنا النجاة من الموت والهلاك الذي كان يترصدنا في داخلنا الذي مدَّ فينا جذوراً عتيقة وكان يُغذي أنفسنا باسم الحقد والغضب والعداوة، والبغضة سيدة الخطايا.

لم تنفعنا سابقاً الضيقات الخفيفة التي كانت تصيبنا لما كُنا بين الناس متسترين بسمعتنا الطيبة، لأننا كُنا مهرة في الخروج من المآزق والضيقات دون أن نواجهها، دون أن ندرك أنها لنفعنا، دون أن نكتشف أنه كان لنا فيها حياة وخلاص، فكانت تعبُر الضيقات أو نعبُر نحن عنها دون أن نستخلص منها قصدها، إلى أن سمحت محبة الله الحانية واستُعلنت لنا رحْمة القدير في صورة ضيقات وآلام خصوصية بعد أن فرزنا الرب وحدنا حتى لا يكون مناص من مواجهتها، وأثقل التجربة وصعَّب الضيقة وأضرم النار ونفخ فيها وحاصرنا حتى لا يكون إفلات، فكانت المعجزة، معجزة حياتنا التي نحملها في كياننا شهادة لرحْمة الله.

الآن أدركنا معنى «لا ينْزع أحدٌ فرحكم منكم»، لأننا أخذنا الفرح من عمق الضيقة، من عمق الألم، من وسط جفاوة الموت خرج فرح الحياة، فمنْ ذا يستطيع أن ينْزع فرحنا منا؟ هل بضيقات أكثر؟ هل باضطهادات أوفر؟ هل بالألم الشديد الذي يبلغ حد الموت؟ هذه كلها جُزناها، ومنها بذاتها ينبع لنا الآن فرحنا.

ربما الذي ينْزع منا فرحنا هو المديح والإكرام، ربما الراحة والصحة وكثْرة السلام، ربما السلطة والرئاسة والمال، لأنها تلهينا عن أنفسنا، أما الآلام والضيقات فلم تعُد تستطيع!!

ربما أصدقاؤنا وأهلنا والعاطفون علينا ينْزعون منا فرحنا، لأننا ربما نُخطئ فنتكل عليهم أكثر من نعمة الله فتفارقنا رحْمة الله. أما المعاندون لنا، أما الراصدون لحركاتنا المتصيِّدون لأخطائنا المُخترعون علينا شروراً، فلا يستطيعون لأنهم صاروا لنا مصدراً إلهياً بسياق النعمة نستمد منهم تنقية ضمائرنا وكشف هزات قلوبنا وقياس أعماق حبنا أولاً بأول.

لقد تكشفت لنا حقيقة الإنجيل «أحبوا أعداءكم»!! لا يُمكن أن يُحب الإنسان إنساناً آخر إلا إذا تحقق منه منفعة ما، وأما نحن فقد رأينا ونشهد أنه لا منفعة تُرجى من إنسان قط إلا إذا تسبب لنا في كسب الحياة الأبدية، في كسب الله، في كسب الحق وإعلانه والتمسك به. أعداؤنا هم الوحيدون الذين يُهيئون لنا ذلك، إذ يجعلوننا نكتشف باستمرار عيْب ما فينا، نكتشفه لا بالمعرفة أو بالنصيحة أو بالإرشاد، بل بالخبْرة الحية بالمواجهة!! لأن تضييقهم علينا وتعييرهم ومذمتهم واتهامهم وتجنِّيهم هي بمثابة المثيرات الحقيقية التي تكشف كوامن نفسنا ومبلغ ما فيها من الحياة أو الموت!

أعداؤنا هم الوحيدون الذين يجعلوننا نواجه طبيعة الخطية الرابضة في القلب، هم في الواقع لا يفضحوننا بل يفضحون لنا عيوبنا، هم لا يعرقلون سيْرنا إلى الملكوت بل يكشفون عيْب مسيرتنا، هم ليسوا عثرةً لنا في سعينا نحو الحياة الأبدية بل هم بسعايتهم لنا يسعون من حيث لا يدرون لتنبيهنا إلى العثرات التي تعترض طريقنا. فكيف ندعوهم أعداء؟! وحتى لو تصوروا هم أنفسهم كذلك بالنسبة لنا، فنحن لا نعتبرهم في حقيقة صلتهم بنا إلا أحباء!

هم آخر من يودعنا في الطريق الضيق، إنهم يطاردوننا بلا هوادة حتى لا نضرب خيمتنا على الطريق أو ندق أوتادنا في أرض الشقاء.

مَنْ من أصدقائنا يستطيع أن يفعل هذا أو بالحرى يحتمل أن يُفعل فينا هكذا؟ إن قساوتهم قد حصلت لنا جُزئياً لنربح بهم العبور، إن الحنان واللين ضد خلاص الإنسان، والرفق والإشفاق بالنفس عدو لها ومُميت.

مَنْ من الأصدقاء أو الناصحين أو من الآباء الروحيين والمرشدين يستطيع أن يضيق علينا بالاضطهاد والإذلال والتشهير والفضيحة حتى نكتشف عيوبنا تماماً أو بالحري نكتشف موتنا وهلاكنا؟

إذن، فلو وُجد عدو لنا فهذه منَّة، وبقدر ما اشتد بأسه بقدر ما انفضحت لنا عيوبنا، فيتحقق لنا العبور!

أما إن صار عدونا صاحب كل البأس وكل السلطان وكل القساوة، وصرنا نحن عدماً ولا حوْل لنا، فهذه فرصة الغلبة الأكيدة على العالم وكل ما فيه «كمائتين وها نحن نحيا» (٢كو ٦: ٩).

والغالب يعطف دائماً على الذى تسبب له في الغلبة «أحبوا أعداءكم»!!

يا إخوة، لقد تحولت الآلام والضيقات كلها إلى معانى إلهية، نحن تضايقنا للغاية حتى نستطيع أن نعزيكم معنا، لذلك كتبتُ إليكم لتشتركوا في أفراحنا. اقبلوا الآلام، واجهوا الضيقات، اكتشفوا حياتكم فيها حتى تستطيعوا أن تعزُّوا الآخرين.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

أخوكم في الضيقات القمص متى المسكين ١٩٦٠م

الرسالة {٧٥}

عيد الميلاد هو عيد الغربة

عزيزي الحبيب

في تلاقي الرحْمة مع الحق وتلاثُم البر مع السلام، في شخص الرب يسوع الذي أشرق علينا من الأرض، وهو نفسه النازل إلينا من السماء، يحلو لروحي أن تتلاقى مع روحك أيُها الحبيب لتنشد في سهولة ويُسر ما أَنشَدَه الملائكة بفرح عظيم في ذلك اليوم المجيد، مُبشرين الأرض كلها بما حلَّ على الأرض من سلام ومسرة لا يُنطق بهما ولا يُمكن للسان بشري أن يُعبِّر عنهما.

اشتقتُ أن أكتب إليك في هذا العيد كمتغرب على الأرض قد ذاق طعم الغربة، فصار أقرب من الكثيرين إلى معناها السري الذي يحيا به الروحيون كغرباء ونُزلاء يطلبون وطناً أفضل سماوياً، خاصةً وأن عيد الميلاد هو عيد الغربة والمتغربين!!

فالرب يسوع عانى أول ما عانى على الأرض من الغربة، إن صح أن نعتبر الغربة معاناة! وهي بلا شك كذلك على وجه من الوجوه، فهو «جاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله» (يو ١: ١١).

فالرب يسوع وُلد غريباً، حتى عن أُمه وخطيب أُمه، لأنهما كانا منذهلَيْن من كل ما قيل فيه. كان ميلاده عجيباً، وكل ما أحاط بميلاده كان عجيباً. ولما وُلد كان والداه على سفر، فوُلد في أرض غربة، وإن كانت هي أرض أجداده، إلا أنهما لم يكن لهما موضع في المنْزل، فأضجعته أُمه في مذود البقر، فنزل ضيفاً غريباً أيضاً على عالم الحيوان.

ولا شك أن هذه الأمور لم تحدث صدفةً أو عبثاً، ولكن لابد أن وراءها أسراراً وحكمة وتعليماً إلهياً يجب أن ننتبه إليه.

فالخالق المبدع للكون وُلد غريباً على الأرض! لماذا؟ لأن الغربة هي سلوك عابر السبيل، والغريب يستعد دائماً للرحيل، وقلبه متعلق أبداً بوطنه الأصيل، ووجهه مُثبَّت في كل وقت نحو هدفه الجليل، لا يُمكن أن يثنيه عنه عدو أو صديق، خصوصاً إذا كان على علم يقين بوطنه وبالأمْجاد التي تنتظره هناك.

والرب يسوع كان على علم يقين بوطنه بلا شك، لذلك قال لتلاميذه: «لو كنتم تُحبونني لكنتم تفرحون بأني أمضي إلى الآب، لأن أبي أعظم مني»، وكأنه يريد أن يقول لهم: 'افرحوا معي لأني سأعود إلى حضن الآب الذي منه خرجتُ، لأتمجد بالمجد الذي لي عند الآب من قبل إنشاء العالم'.

لولا غربة الرب يسوع على الأرض لضاعت رسالته الخلاصية من أجلنا نحن البشر، إن جاز لنا أن نفترض هذا الفرض، فغربته هي التي جعلته يرفض أن يقيم له مُلكاً أرضياً مع أنه كان في استطاعته ذلك بكل تأكيد. وغُربته هي التي جعلته لا يطلب مجداً من الناس، ولا يبحث عن موضع يسند فيه رأسه، ولا يتوقع أن يفهمه أو يقبله الجميع، «فليس الجميع يقبلون هذا الكلام، بل الذين أُعطي لهم» (مت ١٩: ١١).

فالغريب لابد أن تختلف أساليبه عن أساليب الآخرين الذين ليسوا من وطنه، وبسبب هذا التمايز والاختلاف لابد أن يحدث نفور، وقد يصل إلى حد العداء. لذلك يقول الرب لنا: «لو كنتم من العالم لكان العالم يُحبكم، ولكن لأنكم لستم من العالم لذلك يبغضكم العالم» (يو ١٥:

١٩). ويحذرنا قائلاً: «ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً». لماذا؟ لأن ذلك معناه أننا لم نعُد غرباء في أساليبنا عن أساليب العالم، واستطعنا أن نتكيف مع جوِّهم ونُفكر بأفكارهم ونسلك سُبُلَهم ونهدف إلى أهدافهم. إذاً، فقد ضاع هدفنا، وصرنا في خطرٍ من أن نفقد وطننا الأصيل.

لاشك أن الإنسان مُعرَّض لهذه الخطورة، كما يتعرض المتغرب عن وطنه الأرضي لخطورة التجاهل للأماني الوطنية التي تجيش في صدور مواطنيه، إذا وجد في أرض غربته الراحة التي ينشدها والمبادئ التي يستريح إليها وبحبوحة العيش التي يرجوها.

لذلك يقتضي الأمر للمتغرب عن وطنه السمائي أن يسهر دائماً على قلبه ليحفظه في اشتياقه الذي لا ينطفئ لهيبه نحو بلده الأصلي، ولا يهدأ أبداً عن إضرام نار هذا الاشتياق، ولا يسكت إلا إذا رآها أصبحت نوراً لا يُمكن أن يُخفى تحت مكيال، يسلك هو فيه ويسير خلفه الكثيرون على هداه، ولكنه مع ذلك غريب لم تنتهِ غربته، فهو سائح مسافر إلى موطنه، ولابد أن تنتهي غربته ويعود إلى موطنه.

هذه هي رسالة الرب يسوع: «جاء ليلقى ناراً على الأرض ولا يريد إلا اضطرامها» (أنظر لو ١٢: ٤٩).

جاء ليُفرق الابن ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنَّة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته! وهذه هي الغربة.

فكل ما فعله الرب يسوع هو أنه أسس ملكوتاً للسماوات على الأرض، وشتان بين السماوات والأرض. ومن هنا نشأت غربة الذين يعيشون على الأرض كمواطنين في ملكوت السماوات، فالأرض ليست

لهم والسماء هي غايتهم، وأبوهم الحقيقي هو في السماء. والذي دعاهم إلى هناك قد جاء إليهم من السماء، «ورأوا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً» (يو ١: ١٤)، فسلب قلوبهم وبهر عيونهم وأخذ بمجامع كيانهم كله، ولما ارتفع عنهم جذبهم معه إلى فوق، فلم يعُد لهم قدرة على أن يصبروا على فراقه، فصاروا عنده بقلوبهم يطلبون ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الآب، أما نفوسهم على الأرض فتئنُّ حنيناً من أجل الخروج من هذا الجسد لكي يستوطنوا عند الرب.

إذاً، فما أعظم رسالة الغربة التي أسسها الرب بميلاده على الأرض، ليتنا نستوعبها جيداً لكي نكرز بالغربة في حياتنا وفي مماتنا؛ في قيامنا وفي رحيلنا، لأن علامات الغربة عن هذا العالم إذا ظهرت علينا هي أعظم دليل فينا وأقوى كرازة بواسطتنا على أننا لسنا من هذا العالم وأننا بنو الملكوت.

والآن كشريك لك في الغربة على هذه الأرض، أدعوك لنفرح معاً بإلهنا الذي تغرب من أجلنا لكي يدعونا إلى أرض الميعاد، وهو الذي سيقودنا كل الطريق إليها، ويجوز بنا بحر الخطايا وبرية العالم ويهزم عنا قوة الأعداء معاندينا، ويُورثنا أبواب مضايقينا، ويُملِّكنا أرضاً لم نتعب في زرعها، لنأكل من ثمر كرومٍ لم نغرسها، ونسكن بيوتاً لم نُشيدها، ونعيش في مدينة أسوارها حقٌ وأبوابُها برٌّ، وشمسها المسيح وأفراحها لا تنتهي.

فمبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفات وإله كل تعزية، له المجد في الكنيسة إلى الأبد.

القمص متى المسكين

الرسالة {٧٦}

قدسوا صوماً

مارس ١٩٦٢م

عزيزي (...)

حينما نجاهد للسير في الطريق الضيق، ليت ظل الصليب لا يفارق شعورنا حتى لا نفقد الصبر أبداً مهما بلغ بنا الضيق. أما العامل الأساسي لبلوغنا الصبر فهو في ألا نفقد معنى الحب فيما نقدِّمة من فدية.

ولتعليم يا أخي العزيز أن المجاهدة في الطريق الضيق تحتمل الوقوع إما في اليأس كضربة شمال وإما في الإحساس بالبطولة وإتقان الفضيلة كضربة يمين. ولا يمكن أن نبلغ إلى الحب الصحيح إلا إذا تجنبنا هذين الخطرين اللذين يتهدَّدان سيرنا في الطريق الضيق، وهذا يتم إذا عرفنا كيف نغلب أنفسنا لنحقِّق حبنا، فلا نشفق عليها حتى لا نسقط في اليأس، ولا نمتدحها حتى لا نسقط في الإحساس بالبطولة الذي يسميه القديسون "السُبح الباطل".

ولو تعمقنا جوهر المحبة الإلهية - وهي نموذج المحبة التي نريد أن نسير بمقتضاها - نجدها لا تتم إلا بإنكار الذات إنكاراً يبلغ إلى التفريط فيها حتى إلى الهلاك[٢]، كما تعلمناها في المسيح على الصليب وما قبل الصليب. لذلك لكي نساير المحبة يلزمنا أن نمارس شعور البغضة[٣]

---

(٢) إهلاك الذات يتم بإلغاء مشيئتها. وقبول الموت هو صورة نفصح عن مدى إلغاء المشيئة الذاتية.

(٣) بغضة الذات محاولة باطنية لتحرير الشخصية من أسر الذات حتى يتمكن الإنسان أن يتحد بآخر (سواء الله أو إنسان) بواسطة المحبة.

لأنفسنا إلى الدرجة التي لا نعود نشفق فيها على ذواتنا ولا على كل ما حسبناه ربحاً من هذا العالم.

والصوم تجربة تنبري فيه الشخصية ضد الذات، وتدريب تُعاني فيه الذات هجراناً وصدوداً من جانب الإنسان. لذلك يُعتبر الصوم فعل محبة بالدرجة الأُولى وجزءاً لا يتجزَّأ من اختبار الصليب، ومدخلاً حسيًّا إليه.

الروح القدس ينتعش فينا إذا سرنا بقيادته إلى برية الصوم لمواجهة هلاك الذات جزئياً، على مثال الخروف الذي يُساق إلى الذبح، حيث يكون سر انتعاش الروح فينا أساسه نجاح الإنسان في تكوين صورة للمحبة المذبوحة كتجربة أُولى للسير في طريق الصليب حتى النهاية.

وأنت تدرك أن جهد الصوم يقع أولاً على الجسد، والجسد هو المكان المحسوس الذي تنحصر فيه الذات وتعلن عن طبعها ورغباتها. لذلك حينما نمارس الصوم ونُجهِد الجسد، فنحن بصورة غير مباشرة، نرهق الذات[٤] فإذا بلغنا إلى إرهاق الذات بتذليل الجسد، نكون قد اقتربنا في الواقع من هلاك الذات ولو "جزئياً".

وهكذا بالصوم نكمِّل، بصورة ما، وصية الرب: «مَنْ يهلك نفسه من أجلي فهذا يخلِّصها» (لو ٩: ٢٥). ولكن أعود أصحِّح الكلمة "جزئياً"، لأنه لابد أن نبلغ إلى حالة قبول هلاك الذات كلياً، وهذا لا يتم إلا بالنية. أي أنه حينما نبدأ بأي تدريب (كالصوم مثلاً) الذي يضعنا في حالة هلاك جزئي للذات، يلزم أن نكمِّل هذا الإحساس (أو الارتياح لقبول الهلاك الجزئي) بقبول الهلاك الكلي للذات، وذلك بتصور

(٤) إرهاق الذات أن نمارس عملاً لا ترتاح إليه ولا تريده. وهذا يأتي عرضاً في الصوم (لأن دافع الصوم الأساسي هو المحبة).

قبول الموت نفسه والارتضاء به بغير انزعاج أو مانع: «كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا.» (٢كو ١: ٩)

إبراهيم أبونا لما قدم ابنه إسحق، قدمه جزئياً بيديه وقدمه كلياً بالنية، ولما أوضح إبراهيم تقدمته لابنه وحيده اسحق تقديماً كلياً بالنية لم يدعه الله يمارس ذبحه، بل اكتفى الله بالتقدمة الجزئية على المستوى الحسي، فاعتبر الله أن إبراهيم ذبح ابنه فعلاً، لذلك ولذلك فقط فداه الله، فداه بخروف، رمزاً للمسيح الذي سيفدي النفوس التي تعلن إهلاك ذواتها جزئياً بالعمل وكلياً بالنية.

إبراهيم لما قدم إسحق ابنه، استُبدل اسحق - بمقتضى التدبير الإلهي - بخروف كتعبير عن هلاك الجسد فداء للنفس، ونحن في تجربة الصوم أو أي إنكار للذات يقوم على البذل والفدية، نُطالَب ألاَّ نُشفق على أنفسنا، ونُطالَب أن يكون تقديمنا لذواتنا وأجسادنا كاملاً بالنية، أي أن نكون راضين حتى حكم الموت، واضعينه في أنفسنا كأساس للحياة في أي لحظة.

ولكن الله يقف حارساً يمنع الهلاك من أن يتسرَّب إلى النفس. الله يفدي النفس «حيٌّ هو الرب الذي فَدَى نفسي» (٢صم ٤: ٩) ... المسيح تبارك اسمه فَدَى نفوسنا، فلا خوف البتة ولا انزعاج حينما نواجه تجربة هلاك الذات، كأن نبحث عن خروف عوضاً عن أنفسنا، لأن ذلك يعني أن تقديمنا غير كامل، والنية عاجزة متقهقرة. وفي اللحظة التي تصل فيها النية إلى حد التفريط الكلي في الذات والارتضاء الكلي بإهلاكها، حينئذ نرى الخروف الوديع الذي رُبط بالشجرة وسُمِّر في الخشبة، يقدِّمه أبونا الحنون في الوقت المناسب حتى لا يهلك كل مَنْ أحبه وآمن به ...

وهذا تفسيره أنه إذا قدمنا شيئاً آخر عوض أنفسنا لا يُقبَل. إذا تلفّتنا لنبحث عن خروف نقدِّمه عوض الذات، يضيع منا الوعد بإسحق إلى الأبد، بل يضيع منا المسيح. فكل مَنْ عجز عن تقديم حياته كلياً وانزعج من البذل، وبالتالي من الموت، وتقهقرت فيه النية، ورفض الموت، وراوغ وتحايل وقدَّم تضحية شكلية كخدمة أو عطاء مالي أو حيلة أخرى للانفلات من تقديم النفس، فحينئذ يضيع منه حقه في المسيح كفادي، لأن المسيح يفدي من الموت الذين قبلوا الموت.

إذاً يلزمنا أن تكون تجربة هلاك ذاتنا ليس فيها إشفاق ولا ضعف إيمان، ولا تكون ناقصة ولا ينفع أن نعوض عنها لا بالمال ولا بأي شيء في الدنيا، ولا بالعالم كله، فالنفس أثمن من الجميع. وعوض النفس لا يوجد شيء البتة إلا المسيح تبارك اسمه. فهو الوحيد الذي ثمَّن نفسه الإلهية بالنفس البشرية تنازلاً واتضاعاً من قِبَل المحبة الخالقة.

ونعود لنكرر أن المسيح - تقدَّس اسمه - لا يمكن أن يصير فدية للنفس البشرية، إلا إذا قدمها الإنسان على مذبح المحبة موتاً عن العالم تقديماً كاملاً من أعماق نيته، وفرَّط فيها علناً تفريطاً نهائياً، ورفع السكين بيده بتصميم ونية صادقة أنه قبل الموت.

وكل تجربة وكل جهاد ضد الذات، وكل صوم لا يبلغ فيه الإنسان حد التفريط في الذات إلى هذا المستوى، أي مستوى السكين المرفوعة بيد إبراهيم على رقبة إسحق ابنه وحيده، أو مستوى تفريط الله في ابنه حبيبه مسمَّراً على عود الصليب، فإنه لا يبلغ إلى حد استحقاق الفدية (المسيح) التي أعدها الله عوض النفس المبذولة هكذا ... بل ولا يعود الجهاد جهاداً، ولا الصوم صوماً على مستوى هلاك الذات كالوصية، وإنما يكون مداعبة للنفس وتثبيتاً لسلطانها.

الرب صام على مستوى عال لأنه كان يحقّق في الجسد وبالجسد ما كان قد أكمله قبل التجسُّد: «أخلى نفسه» (في ٢: ٧). وهو أكمل الإخلاء بصور شتَّى. ولكن كان الصوم أروع مشهد من مشاهد الإخلاء، إذ فيه بذلك جسده فعلاً على مستوى سرِّي، لأن تجربة الصوم الذي أكمله بالجوع والعطش الشديد أربعين يوماً تضمَّنت نية واضحة صادقة للبذل الكلّي.

إذاً فالرب قد بذل جسده فعلاً قبل الصليب. وهو حينما قدم جسده لتلاميذه في عشاء الخميس، قدمه كمصلوب بالإرادة قبل أن يُصلب بأيدي الأثمة، وكمبذول بالنية قبل أن يبذله الحكام. أي أنه لم يقل: «خذوا كلوا جسدي الذي يُبذل ... وخذوا اشربوا دمي الذي يُسفَك» إلا بناءً على حالة باطنية فيها انتهى المسيح من قضية نفسه، مكمِّلاً البذل ومكمِّلاً السفك بإرادته ونيته، وكان الصوم لها شهادة إثبات، لأنه لم يكن سهلاً أن يقول الرب وهو جالس بين تلاميذه يأكل معهم ويشرب: «هذا جسدي الذي يُبذل وهذا دمي الذي يُسفَك» (لو ٢٢: ١٩ و٢٠)، إن لم يكن قد باشر فعلاً هذا البذل وهذا السفك وإن كان بصورة سرية كما في الصوم.

الرب قد صَلَبَ ذاته للعالم قبل أن يصلبه العالم.

الرب باشر تقديم جسده - أي ذاته - ذبيحة عن العالم بعد أن اعتمد مباشرة عندما اقتاده الروح، فأطاع بسرور ليواجه تجربة الصوم التي هي المظهر الإرادي الذي يشرح الصليب.

لذلك اعتنى الرب جداً أن يرسم ويباشر طقس الإفخارستيا قبل الصليب لا بعد القيامة ... حتى يوضِّح فعل حرية الذبيحة والبذل.

إن الجسد السري الذي قُدِّم في عشاء الخميس على هيئة خبز وخمر، أعمق معنى عرفه الإنسان عن رؤية غير المنظور في المنظور وتحقيق المستقبل في الحاضر ... وإن كانت النبوَّة في العهد القديم تنحصر في رسم صورة عقلية في ذهن الناس للحوادث المتضمنة في المستقبل الغامض، فالنبوة كما قدمها المسيح في العهد الجديد بشارة تحقيق المستقبل في الحاضر، وقبول حسي لغير المنظور وغير المحسوس هكذا: «خذوا كلوا ... خذوا اشربوا ... هذا جسدي ... هذا دمي». وأرجو أن تلاحظ يا أخي أنه كان يتبقى على الصليب يوماً كاملاً حينما قال هذا. ولكنه رأى الحوادث الآتية أنها وفق مشيئته تماماً، رأى الصليب قائماً وعليه الجسد يُذبح والدم يُسفَك، ورأى نفسه راضياً بكل هذا ... فأخذ خبزاً وحمَّله سر الجسد المكسور، وخمراً وحمَّله سر الدم المسفوك، وأطعم تلاميذه، فأكلوا من يديه سر مشيئته وشربوا سر حبه، سر آلامه، سر الخلاص.

لذلك حينما نشترك سرًّا في الجسد والدم في القداس، فنحن لا نشترك في الصليب فقط، بل وفي حياة سرية مبذولة وجسد تمرَّس بالصوم الشديد والحرمان والعوز والألم.

فإذا عبرنا على واحد من تلك المآسي التي تواجهنا كل يوم حينما نشهد للحق، نعتبر أنفسنا شركاء - أي مشتركين - «مع الذي تُصُرِّف فيه هكذا» (راجع: عب ١٠: ٣٣)، فلا نخور في أنفسنا ... لأن شركة الجسد والدم تعبير ضمني لشركة كلية في حياة المسيح الحافلة بالتجارب والأصوام والآلام.

تقدمة الرب يسوع لجسده يوم الخميس، كمبذول بالإرادة المحققة سابقاً وقبل أن يصلب يوم الجمعة، كانت قدرة استمدها الرب من واقع

حياته. حتى أن الصليب بنفسه كان تعبيراً عن حقيقة كائنة وواقع، فيسوع صَلَبَ نفسه للعالم قبل أن يصلبه العالم ... الصليب حسب الظاهر جاء كآخر عمل عمله الرب، مع أنه كان موضوع حياته كلها وقد بدأ بتجربة الصوم، لما بذل جسده بالجوع ودمه بالعطش أربعين يوماً كاملاً.

موسى صام أربعين يوماً مثلها، ولكن في سبيل أخذ الشريعة والناموس أي كلمة الله المكتوبة.

إيليا صام أيضاً أربعين يوماً، ولكن ليستحق رؤية الله والتقابل معه، فصوم موسى وإيليا كان ربحاً لهما وللبشرية ... أما الرب يسوع فصام لا ليأخذ شيئاً، وإنما ليعطي نفسه عطاءً حرًّا بالإرادة كاستعلان سابق لبذل الصليب ...

ونحن نصوم، لا لنأخذ شيئاً ولا لنعطي شيئاً، لأننا أخذنا المسيح، وبالمسيح أخذنا كل شيء قبل أن نصوم بل قبل أن نولد.

كذلك نحن نصوم، لا لنعطي شيئاً، لأن عطاءنا مهما بلغ ولو إلى حد الموت فإنه لا ينفع أن يرفع حتى ولا خطية واحدة. ويستحيل أن يبلغ صومنا إلى قياس الفدية، كأن نبذل أجسادنا ودماءنا بالجوع والعطش لنفدي ولو أصغر نفس في البشرية بل ولا نفسنا أيضاً. لماذا؟ لأن الخطية التي فينا تعطِّل الفدية وتلغي قوَّة البذل.

إذاً فماذا يكون صومنا؟

نحن نصوم ونقدم أجسادنا كذبيحة، مظهرها تحمُّل التعب، وجوهرها قبول الموت بالنية، لنُحسب أهلاً أن نتحد سراً في جسد المسيح ودمه، وحينئذ نصير في ذبيحة المسيح ذبيحة طاهرة قادرة في مفعولها للشفاعة

والفدية.

لذلك يلزم أن ينتهي الصوم الذي هو البذل الناقص بسبب الخطيـــة، بالتناول أو بالشركة في الجسد والدم الطاهرين، ليصير بذلاً كاملاً قادراً على الصلاة والشفاعة. لذلك نجد أن كل تناول من الجسد والدم يسبقه صوم، وكل صوم يلزم أن ينتهي بالتناول. وفي مثل هذا التنـــاول تحـــل الشفاعة، إذ تكمل ذبيحتنا ويكمل بذلنا "صـــلوا مـــن أجـــل التنـــاول باستحقاق... اطلبوا عنا وعن كل المسيحيين." (القداس الإلهي)

نحن في صوم الأربعين نمهد أنفسنا لعشاء الخميس، لأننا نهيِّئ المثيـــل للمثيل، لأن الذي لم يبذل نفسه كيف يكون مستحقاً لشركة الذي بذل حياته؟ وإذا أكلنا جسداً مبذولاً ونحن لم نبذل أنفسنا، كيـــف نـــدَّعي الاتحاد؟

أما شركة عشاء الخميس السري - الذي هو قبول البذل بالنية - فهو تمهيد لقبول الآلام علناً إلى الموت.

وهكذا، كل مرَّة نأكل من الجسد ونشرب من الدم نحن نتهيَّأ ســـرًّا للبشارة بموت الرب والاعتراف بقيامته.

القمص متى المسكين

الرسالة {٧٧}

رسالة إلى إخوة بيت التكريس في عيد الميلاد

يناير ١٩٦٦م

إلى الإخوة القديسين المحسوبين أهل بيت الله المكرسين لاسْمه

نعمة لكم وسلام من الله، ودعاء خالص من قلب يئن بحبكم ويحمل النير معكم ويشارككم في كل ما أنتم فيه، وليس عن همة واقتدار، ولكن بتكليف وكأنه عن اضطرار.

أسأل المسيح رجاء حياتكم الذي على اسْمه ألقيتم شبكة حياتكم، أن يدخل معكم إلى العمق، حتى لا تقف حياتكم عند مسرات وتسليات ونكد الخدمة فقط، بل أن تتواجهوا مع صاحب الكرم كل يوم، لئلا يكون اجتهادكم صائراً على ذمة كرامتكم، ويسرق العدو ثمركم، ويتلف بالإعجاب والمديح في صورة شكر أو تلهف أو دعاية أو تضخم الأعداد والمسؤوليات.

العمق؛ العمق؛ حيث تتعرى الروح وتقف أمام خالقها لا تسأل ولا تعتذر، ولكن تكشف أسقامها وتستعرض معاملات الله معها، لعلها تعرف من أين تسقط وتتوب، لئلا تتزحزح منارتُها وتخرج من تفاريح الخدمة عادمةً كل عزاء ورجاء.

أتوسل إلى أرواحكم المقدسة بتقديس الروح ودم المسيح، أن لا تجعلوا الخدمة صناعة أو حرفة أو ملهاة تتلهو بها عن ركضكم السري في طريق الروح في القلب، بصلاة، بسجود، بدموع، بصوم طاهر، بتوبة ذات عمل وثمر، لأنك إن كنت غير راضٍ عن حياتك وصفاتك وأخلاقك،

فيستحيل أن تجعل المخدومين منك أفضل. «يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه» (مت ١٠: ٢٥). فمهما حاولت أن تُوصل رسالة أعلا من قامتك، فهى لا يُمكن أن تبلغ في حياة الآخرين إلا إلى قامتك، وكل الإضافات التى أضفتها احتياطاً وبحماسة وصدق ويقين، بإثبات وبراهين، فهى كلها تضمر وتضمر ولا يتبقى من رسالتك في حياة الآخرين إلا ما بلَغْتَه أنت بحياتك.

أنظر كم أنت في أشد الحاجة إلى اعتكاف وتوبة وتعديل للسلوك والأخلاق والصفات؟ لأنه بقدر ما تتطهر حياتك من أخطاء وخطايا بقدر ما تزداد رسالتك أثراً وفعلاً.

أتوسل إليكم أن تقبلوا الروح القدس مُصلِّياً فيكم عنكم. أُطلبوه لأنه مُرسَل لكم، وأَحِبوه لأنكم أنتم عمله ورسالته. بدون الروح القدس لن تنمو رسالتكم للتقديس، سواء فيكم أو في الآخرين. الصلاة مدخل مباشر لإقامة علاقة رسْمية مع الروح القدس لأنه يُدعى روح النعمة والتضرعات. مؤازرة الروح أسهل من مؤازرة رئيس كبير، وعمل الروح بسيط ذو أثر سريع فعال في اللحظة والتو، وإنما يحتاج الروح القدس إلى قلوب بسيطة تحتويه وتُخلص له.

الخادم البسيط القلب الذى عثر على هبة الروح القدس بالصلاة، واقتنى مؤازرته في الخدمة هو أقوى خادم، وثمره لا يُحصى ولا يتلف. الذى اعتزل هوى الأمْجاد والعظمة وضبط قلبه وهذَّبه وعفَّت نفسه عن شهوات الجسد، وعزم راسخاً أن يصلب حياته مع المسيح حباً في عشرته والاتحاد القلبي والعقلي به، لابد أن ينال بساطة القلب، لأن بساطة القلب بالمعنى الروحي هو توحُّده؛ أي عدم انقسامه بين الروحيات والزمنيات. القلب الذى توحَّد للروح، لابد أن يصير مسكناً للروح

القدس.

وهل يُمكن أن يكون الخادم غير ذلك؟ أو بمعنى آخر: هل يُمكن أن يكون قلب الخادم منقسماً نصفه للعالم ونصفه للروح؟!

إذا قبلتم أن تكونوا خداماً بالحق، صار من حقكم أن تأخذوا الروح القدس للخدمة، أو على الوجه الأصح صار من حق الروح القدس أن يقبلكم، لتكونوا رسله والعاملين باسْمه وقوته.

آه يا إخوتي، لو قبلتم الروح القدس كم تكون الخدمة زاهرة منيرة مثمرة! وكم تكونون أنتم زاهرين ومنيرين، وتزداد قداستكم وتزداد معرفتكم بأسرار الله!

وهل يُمكن أن يخدم الإنسان الله وهو لم يُستأمن على أسراره بالروح؟ وهل يُمكن أن يوصل الإنسان سر الله للآخرين وهو لم يتذوقه؟!

النور داخلكم، ولكن لابد أن تضرموا نار المسيح في قلوبكم بالحب أولاً، وحينئذ تنفتح عقولكم فتدرك سر النور وتتحد به وتنير، «فليضئ نوركم هكذا قدام الناس» (مت ٥: ١٦). نار المسيح تُزكّي بالأمانة والإخلاص له، بحركة النية والقلب، بمشاعر الحب الطاهر التي تختلج في القلب سراً، ثُم تندفع كعمل، كصلاة، كدموع، كسجود، كسهر، كبتولية عطرة، كحفظ جسد، كحفظ قلب، كاستجابة لكل توجيه بالروح لإعلان مشاعر الحب للمسيح.

إذا اضطرمت النار وتزكّت، أحرقت كثيراً من الخطايا دون أن يشعر الإنسان ودون أن يجتهد بشيء، وإذا تطهرت النفس استضاء العقل بنور الله وتكشفت أعماق أسرار المسيح، حيث يدركها العقل كرؤية، رؤية

الحق بالحق، التي هي أعظم من الفهم، لأن رؤية الحق هي تلقين الروح للذهن وتسليمه للحقيقة نفسها دون شبه.

الإنسان الذي يستقي من نبع المعرفة بتلقين الروح، ماؤه لا ينضب. هذا هو الذي قال عنه الرب إنه «تجري من بطنه أنْهار ماء حي» (يو ٧: ٣٨). الإنسان نفسه يصير ينبوعاً دائم الفيض. يا لمجد الله ويا لاتضاع الروح! كيف يرتضي أن يصير الإنسان مصدراً للحق وينبوعاً لماء الحياة؟!

أخاف يا إخوة، لئلا تبتلع الخدمة حياتكم، وتكتفوا بتجميل كتاب الحياة وزخرفته وتجليده بالذهب، وتتركوا الحياة التي فيه. أخاف لئلا تكون ساقيتكم تدور على بئر ليس فيها ماء، واجتهادكم الشديد لا يسقي ماء. أخاف لئلا يكون عملكم كعمل عسكري المراسلة في الجيش يوصل أخباراً ورسائل هامة من كتاب لكتاب ومن فم لفم، وحياته لا يصيبها أي تغيير (تحرك).

أحياناً تكون الخدمة مرضاً اضطرارياً، يحسه الإنسان ويتألم له، ولا يملك أن يفارقه، وإن فارقه تصير حياته في فراغ مُميت، فيعود لاهثاً لمرضه المحبوب، ويتعزى بعذابه ويتسلى بوجعه. وأحياناً تصير الخدمة مهرباً سرياً لتحاشي مواجهة النفس!

وأحياناً تصير الخدمة اعتذاراً (مُخادعاً) عن الصلاة! وأحياناً تصير ميداناً تستجيزه النفس لتستعرض فيه عضلاتها! وأحياناً تكون تعويضاً سهلاً عن فشل القيام بوظائف هامة في العالم! وأحياناً احترافاً صرفاً للتعليم كهوى للنفس يلذذها!

ولكن الخدمة بذل واحتراق نفس رأت النور والتهبت بحب الذي

رأته، والخدمة الناجحة كل يوم تزداد نوراً على نور، وحرارة على حرارة، وإخلاصاً على إخلاص، وتجديداً على تجديد.

الخدمة بحد ذاتها طريق لخلاص الخادم وطريق لخلاص المخدومين، والروح يسكب على هذا وعلى هؤلاء لمجد الله.

عيِّدوا للمسيح يا إخوة، عيد السلام القلبي ومسرة الروح، السلام الذي صار بين النفس وخالقها، ومسرة الروح التي جعلت الإنسان يرتفع فوق أحزان الأرض كلها.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٧٨}

تعريف الحق

١٩٦٦/٢/٩م

الإخوة الأعزاء أعضاء بيت التكريس

سلام لجميعكم ونعمة وبركة وقوة من الله لأرواحكم.

نتعشم أن تكونوا مُمتلئين من بركات الخدمة واستنارة الإنجيل وعزاء المحبة الروحية.

يا أحبائي، الله طوَّب المساكين بالروح، وطوَّب الودعاء، وطوَّب صانعى السلام، وطوَّب المطرودين من أجل البر، وطوَّب الجياع والعطاش إلى البر، والحزانى، وأخيراً نبه التلاميذ أن يضئ نورهم هكذا.

لو رفعتم قلوبكم بالروح، لاكتشفتم وراء هذا التعليم أسلوباً ومنطقاً فريداً في التعليم، هو أسلوب المسيح الفريد في التعليم.

اُنظروا كيف يعلِّم المسيح: لا يأمر، ولا يُلزم، ولا يثير، ولا يُقنع، ولا يُدافع، ولا يُحاجج، إنه يشهد! ويشير! ويُقرر ويكشف، بمنتهى الهدوء وبمنتهى الرفق.

حينما تسأل: ما هو الحق؟ يكون سؤالك خطأ، ينم عن ابتعاد ملحوظ عن المعرفة المسيحية، لأنه لا يُوجد **ما** هو حق، ولكن يُوجد **مَنْ** هو حق، الذي هو المسيح وحده، الذي قدم نفسه لنا: «أنا هو الحق».

الحق في المسيحية يا إخوة، ليس موضوعاً نفكر فيه ونبحثه، ولكنه شخص يُصادَق ويُحَب!! هو شخص المسيح له المجد، لذلك فلا وجود للحق بدون المسيح أو بدون المحبة!

ولكي أضع لكم نموذجاً حرجاً لتعريف الحق في المسيحية على المستوى العملي، أقول لكم إن الحق المسيحى هو: 'إني أحب الإنسان الذي لا يُحب الحق ولا يشهد للحق ولا يعمل بالحق'!!

فإن وصلتُ لهذا المستوى في السلوك، أكون قد وصلت إلى المسيح وإلى المحبة وإلى الحق الذى ذُبح على الصليب.

الحق لا يعمل الخطأ؛ ولا يشهد للخطأ؛ ولا يُوافق على الخطأ؛ ولا يُمالئ الخطأ؛ ولا يسكت على الخطأ؛ ولكنه يُحب الخاطئ، وضمْناً يُحب مَنْ لا يعمل الحق بل ومَنْ يعمل ضده. إذاً فالحق المسيحى لا يعرف التحزب ولا التكتل ولا التشيُّع. الحق بدون المسيح، أي بدون المحبة، يُفرِّق ويقسم ويُقاوم ويُدافع بالقوة ويثور ويُندِّد ويُهدِّد ويُبغض! أما الحق، الذي هو المسيح، وهو المحبة أيضاً، فإنه يجمع ويُوحد ويستُر ويبارك ويحتمل ويُصدق، ولا يُمكن أن يسقط أو يعثُر أبداً!!

كذلك المسيحية يا إخوة، وكل ما في المسيحية، ليس التزاماً.

كلمة التزام يُمكن تجاوزاً أن تأتي في معرض الحديث عن سلوك ما، كتعبير مُبالَغ فيه، ولكن يستحيل قبول كلمة "التزام" كصفة للمسيحية أو كأساس لأي سر من أسرار المسيح! هذا هو ما دفعني أن أنعت المسيحية بصفة عكس ما هو التزام، فقلتُ: إن المسيحية التهاب، وهي بهذه الصفة النار التي جاء المسيح ليلقيها على أرضنا.

الالتزام تعبير يُوافق الماديات أو النفسانيات، فهو يُفصح عن صراع وقهر وتغصب ومسؤولية وخضوع اضطراري، لذلك فهو لفظ موافق لشرائع الحكومات أو الفلسفات الفكرية النفسانية أو العاطفية أو الأديان الاستبدادية.

المسيحية يا إخوة روح. «والله طالب الساجدين له بالروح والحق» (يو ٤: ٢٣)، «مددتُ يدي إلى شعب معاند» (رو ١٠: ٢١)!!

الله يستجدي قداسة الإنسان، الله تنازل إلينا ليُوصِّل إلينا الدعوة للعُرس الأبدي، وسلَّم إلينا فعلاً هذه الدعوة بيده شخصياً، مدموغة بالدم.

الله لا يُلزم بشيء، ولا يلتزم بشيء. المسيح لم يلتزم بخلاصنا، لأنه ليس مسؤولاً عن أخطائنا، لكنه أحبنا ونحن خطاة، أي قَبلَ أن يُخلصنا، فمحبته لنا سابقة على خلاصنا ومنفصلة عنه. هو أراد أن يُخلصنا لنستمتع بحبه، وليس ليُحبنا أكثر، لأن حبه شديد ولا يحتاج إلى مزيد ولا نستطيع أن نستزيده.

نحن نقترب إلى المسيح بالحب وليس بالالتزام، وننمو في القرب إليه بنمونا في حبنا له؛ ليس عن اضطرار، والذي يُحاول أن يقول إن الحب التزام، سواء منا لله أو من الله لنا، فإنه دون أن يدري يلغى معنى الحب، ويجعله كشيء يُشترى ويُباع.

الحب أصلاً طبيعة إلهية. الحب الإلهي ليس جسدانياً ولا نفسانياً، فالحب روح هو، فهو الحرية في صميم تشخيصها، لذلك لا يلتزم بشيء وإلا يفقد نفسه. وإذا التزم الإنسان بمحبة الله، فقد هذا الإنسان قوة حبه وأفقد المحبوب الإلهي حرية قبول حبه.

الروح لا يلتزم بشيء بتاتاً، لأن طبيعة الروح بسيطة منسجمة مع ذاتها ومع كل مَنْ يتحد معها، تنساب فيه بسهولة وبدون صراع أو تغصب.

المرجو يا أحبائي، أن تنتبهوا جداً إلى اتجاه التعليم المسيحي الذى

تُعلّمون به، وتنتبهوا إلى الدوافع الشخصية التي تسيطر على جوّكم في التفكير والتعبير، وإلى ضغط كل الظروف المُحيطة التي تتسرب إلى اللاشعور، فتُكوِّن مناهج للتعليم، بل وتخترع له مواضيع تصلح أن تكون متنفساً للاشعور وحسب!

اُذكروا أن الإحساس بالاضطهاد يدفع الإنسان لا شعورياً للتوقف عند الحق، فيفصله عن كل دائرة الروح ويستهوي العقل للالتزام به.

كذلك فإن الإخفاق، بأية صورة، يدفع الإنسان لاشعورياً أيضاً للتحزب والنقمة والدينونة، كلونٍ من ألوان الإصلاح.

كذلك فإن التهاون والانحلال الداخلي في حياة الإنسان الخاصة يدفعه لاشعورياً إلى الاستهتار بالقيم الروحية العامة، وبالأخص القواعد المتبعة، والتحرر من كل الواجبات، وذم كل فضيلة.

كذلك أرجو أن تبتدئوا في تصفية قراءاتكم وتُركزوها في الكتب الروحية الأصيلة، ولا تستهينوا بالأثر الكبير الذي تتركه الكتب البروتستانتية في اتجاه تفكيركم وأسلوبكم في التعليم، بل وفي أسس إيمانكم أيضاً، ولا أقصد الكتب عامة، ولكن ذات الاتجاهات الهوجاء الكثيرة التحمس والإثارة لاكتساب المواهب والروحيات دون اعتبار للمناهج العملية.

علماً بأن كثيراً من الكتب الحديثة والمقالات، حتى الأرثوذكسية، تُعتبر خارجة عن التعاليم الصحيحة المؤسسة على الفكر اللاهوتي والآبائي والتسكي السليم، وهذا نتيجته الطبيعية اختلاف ومعارضة، بل وصراع بين التعاليم والمعلمين، مما له أسوأ الأثر في تكوين المزاج المسيحي عند الشباب في الحاضر.

ولو رجع كلٌّ منكم إلى نفسه، لوجد أن كثيراً من القراءات البروتستانتية رسَّبت مبادئ كثيرة، تُعتبر مُخالفة تماماً لما يعلمه في نفسه عن حقيقة العقيدة الكنسية. والنتيجة إما أن يقبل هذا الانقسام الداخلي، ويكون هذا عين النفاق، وإما يرفضه، ولكنه إذ لا يزال يُمارس هذه القراءات يُعتبر هذا منتهى جرأة الجهالة.

كذلك رجائي أن تتمسكوا في وعظكم وكتابتكم بالاتجاه الإنجيلي، حسب نص الآية كما توحيه حياة المسيح نفسه، فلا يكون هناك مجال للشطط والتخريج الشخصي السقيم. كذلك تجنبوا في وعظكم الوعظ والكتابة في الأمور اللاهوتية أو الطقسية، إلا بروح وأسلوب منهجي آبائي، دون الخروج عن المألوف. فهذه المواضيع هي تسليم أكثر منه اجتهاداً أو "فهلوة".

أما بخصوص الكتب والمجلات ومقالات الجرائد التي تعالج مواضيع اجتماعية أو فلسفية أو سياسية ثورية، فأرجو أن تكون قراءتُها بوعي وعمق لما تحتويه من تيارات خطيرة عميقة محبوكة مطبَّقة على الواقع، زاهية مثيرة للفكر، تستأثر المنطق - فهذه التيارات تصطرع مع ركائز الإيمان اصطراعاً مُراً رهيباً — إنما تحت السطح، فلا يكاد الإنسان يلمح فتكها بالأساس!

هذه الفلسفات الاجتماعية والسياسية لها أثر بالغ على أسلوب تفكيركم، وهى لا تُشكل لغة جديدة للتخاطب الفعلي فحسب، بل وتهز كيان الإيمان نفسه، مُحاولةً — حسب قصد فلاسفتها العمالقة — أن تُكوِّن ركائز إيمانية جديدة للعالم عوض التى 'للمسيح'. ولا تستهينوا بما أقول، لأن جماعات مثقفة ومتدينة أكثر منكم طوتْها هذه التيارات الحديثة.

لستُ أقول بمقاطعة الحياة الاجتماعية والإعراض عنها وعن السياسة والتثقف بالكتب، فالحياة الاجتماعية والوجدان السياسي ضرورة حتمية لإنسان يود أن يعيش إنسانيته، وإنما أقول إن الذي يُمارس هذه الحياة ويتثقف بثقافتها، عليه لكي يحتفظ بوعيه الديني سليماً وبإيمانه الحر بالله وحبه للمسيح – التي هي أعلى من الإنسانية بلا شك – عليه أن يضع المسيح الرب في أعلى نقطة من أفق تقديره وتفكيره، مع تكريمه فوق كل المستويات والمبادئ والفلسفات والنظريات والشخصيات، ذلك المسيح بشخصيته القاهرة بذاتها، جاعلاً من الإنجيل القول الفَصْل لكل سؤال، وصفات المسيح وسلوكه مثالاً.

واعلموا، يا إخوة، أن الإنسان الذى يحمل الإيمان الحي له مع العالم صراع حتمي، لابد أن ينتهى بخسارة كل مواقف الإنسان الأدبية والاجتماعية والسياسية، فهو حتماً سيُحمَّل اتهاماً واتهامات، وسيُمعن العالم في إيذائه في كل النواحي التى يميل إليها ويُكرمها، والقصد كل القصد أن يخسر الإنسان حياته، لذلك فغلبة الإنسان المسيحي على العالم هي هي استبقاؤه إيمانه وسلامه رغم ما يعصف به.

والحقيقة أن العالم لا يملك على الإطلاق أن ينفذ إلى داخلنا، لذلك فإن الذي يتزعزع إيمانه بسبب حوادث الدنيا المُحيطة وخساراتها وأتعابها هو الذي يُخطئ فيربط داخله بخارجه، مُحاولاً أن يمزج السلام الداخلي بالسلام الخارجي، والمسرات الداخلية بالمسرات والراحة الخارجية، والعزاء الداخلي بالعزاء الخارجي. هذا أمر مستحيل، وهو حتماً سيخلُّ بالداخل ويزعزع الإيمان والسلام الداخلي القلبي!

المعاملة مع العالم، حتى ومع أقرب الناس، هي احتكاك مباشر بذخيرة الإنسان الإيمانية، فإن أخفق في حفظ الوديعة بمعزل كُلّي عن الأخذ

والعطاء وعن الطموح في مزيد من الراحة أو العظمة أو الكرامة أو حتى السلام، فإنه سيخسر ويتبدد إيمانه إزاء الحوادث، إذ هو بنفسه الذي يتولى كشف داخله للعالم والناس ليعبث الكل بذخيرة إيمانه وحياته.

إني في الواقع أنبه ذهنكم وروحكم إلى شرعية التعب والصراع الذى تعانونه الآن، فهو ضرورة طالما أنكم لستم تحملون صورة العالم والولاء لتفاهته وحتمياته الوهْمية، ويستحيل، بل وما من قوة روحية تستطيع أن يصالحكم بالعالم على أن تظلوا أمناءً للمسيح بالحب الحقيقي وطهارة القلب وبساطة الإيمان.

حينما تُحاولون أن تُؤثِّروا بكل جهدكم في الجو — جو الدنيا — المُحيط بكم لتؤمِّنوا لحياتكم شيئاً من التكيف الطاهر **(pure)** أو فرصاً للألفة والسلام مع الآخرين تُخطئون أشد الخطأ، لأنكم تُحاولون عبثاً ومن غير وجه حق أن تستعبدوا الدنيا - أو مَنْ فيها - لراحتكم وتأمين سلامكم. هيهات، هذا مُحال ووهْم. الدنيا ضدكم، وستظل ضدكم وضد كل مَنْ يشذ عن تفاهتها، وعلينا أن نحيا أطهاراً في وسط مجالها السيئ.

هل هذا يدخل في معنى الإساءة لمعنى الخدمة؟ لا، لأني أقصد بذلك أنكم تُخطئون عندما تُحاولون أن تخدموا راحتكم وسلامكم بواسطة الناس بالتحايل أو باسم الوعظ أو الخدمة. أما الخدمة فهي حرة من هذا الاتجاه، فالخدمة مُحاولة عزل كل نفس عن الدنيا لتحيا لعالم آخر هو عالم المسيح، كما تودون لأنفسكم أيضاً.

وهذا يعني أنكم لما رحَّبتم بخدمة الناس والقيام بمسؤوليات في العالم، رحَّبتم ضمناً بصراع حتمي مع قوى العالم، وهي كفيلة كما قلتُ لكم

أن تُحطم فيكم كل شيء إلا 'إيمانكم'. لذلك لن يوجد إنسان في العالم يستطيع أن يعيش في العالم ويغلب العالم إلا بإيمانه، حيث يخرج منه فاقداً كل شيء إلا إيمانه!

والإنسان إذا بدأ يتزعزع إيمانه بسبب احتكاكه بالعالم ومنْ فيه، فإن هذا يكون علامة خطر أنه بدأ يحس بالخسارة ويُقدِّرها. فالمطلوب منكم أن تقتنوا عدم حساسية للخسارة وعدم تقدير لكميتها أو نوعها حتى ولو بلغت أقصى ما يُمكن من النيْل بشرف الإنسان وكل ما هو عزيز عنده طالما هي لم تمس الإيمان.

كذلك خطر أن ترصدوا آمالاً في شيء، لا في خدمة ولا في أشخاص ولا في نظام ولا في نجاح ولا في حصول على أي شيء لكم، لأنكم بهذا تضعون أمام العالم ورئيسه الهدف والمدخل الذي يدخل إليكم منه ويُصيِّركم فيه ويزعزع إيمانكم.

يلزم أن يكون هدفكم الوحيد هو **حياتكم الداخلية** مع المسيح، لأن هذا هو جوهر تعليم المسيح، أن نترك كل شيء ونتبعه. فالترك خارجي، والتبعية داخلية.

والذي يحيا مع المسيح حياة داخلية يستحيل على العالم أن ينفذ إليه ولا حوادث العالم، وبمعنى أوضح: موتوا عن العالم! موتوا عن كل منْ في العالم! موتوا عن أهلكم وبيوتكم وأصدقائكم وكل منْ لكم. ليس هذا جُحوداً بأحد ولا يحمل معنى الهجران والقساوة، بل هو الدخول إلى داخل.

كونوا لطفاء مع الجميع، مُحبين، مشفقين، ضاحكين مع الضاحكين، باكين مع الباكين، حاملين مع كل واحد همَّ حِمْله، مشاركين بكل نوع

في كل عمل لراحة الناس، ولكن إياكم إياكم أن تنفتحوا داخلياً لتعيشوا بالناس، أي يكونون ذوي سلطان عليكم وعلى قلبكم وإيمانكم وحياتكم، سواء بخيْرهم أو بشرهم، بحبهم أو بكرههم، بهداياهم أو بإساءاتهم، بمديحهم أو بذمهم. فليضجوا حولكم بكل ما يضجون، وليأتوا بأسوأ ما عندهم أو أحسن ما عندهم. ذلك كله لا يجب أن ينفذ إلى داخلكم. هل أنتم لستم للعالم حقاً؟

لذلك حينما أسسنا بيت التكريس اشترطتُ أن تعيشوا أولاً **عيشة داخلية قلبية**، لتبنوا أولاً إيمانكم وحياتكم وسلامكم مع المسيح شخصياً، ويكون لكم عشرة وخبْرة وثقة بالرب. وبعد ذلك نترك للرب تعيين الخِدَم على نوع المواهب، ولكنكم استبدلتم النهاية بالبداية، وقبل أن تأخذوا سر الحياة الداخلية خرجتم فأفسدتم حياتكم بشهوة الوعظ والجولان في الأرض والدعايات والتحزبات، ورفضتم جميع الشروط التي وضعتُها لكم. وبالرغم من ذلك لا تزال كل الفرص أمامكم للملء، ولا زلتُ أعتبر نفسي مسؤولاً عنكم، أحْمل معكم همَّ حياتكم وأتعابكم، غير لائمٍ أحداً إلا نفسي، لأنه لولا أن صوتي كان ضعيفاً ميتاً لكنتم أطعتموني.

هل يُمكن أن تزيدوا من حياتكم الداخلية؟

هل يُمكن أن تتجنبوا كل الأحاديث والصراعات في كل ميادين الكنيسة؟

هل يُمكن أن تُوقفوا شهوة الوعظ والتسلط على أرواح الناس؟

هل يُمكن أن تئنوا وتخوروا بسبب أتعاب قليلة وخسائر قليلة؟

هل يُمكن أن تعلموا أنكم في بيت التكريس، الله يؤمِّن لكم طريقاً

للخلاص عجيباً وسط العالم الهالك وفي وسط جحيم شهواته وأهوائه وعثرات لا حصر لها.

فالتفتوا لتنتفعوا بهذه الهبة لحياتكم أنتم، لئلا تُؤخذ منكم!

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٧٩}

البشارة المفرحة

٧ يناير ١٩٦٧م

الإخوة الأعزاء أعضاء بيت التكريس

سلام من الله لأرواحكم ودعاء خالص لدى المسيح الرب، ليؤازركم بنعمته في حياتكم ويُكمل جهادكم وصبْركم وإيمانكم.

في ذكرى الميلاد، أقدم لكم كلمة أستمدها من سر المسيح الذي يدفعني معكم لحياة التكريس والفقر بمعناه الكلي، بقوة مُتجددة فوق ما يدركه أو يتصوره العقل.

وكل ما نستخلصه من حياتنا حتى الآن هو أن الدعوة للسيْر وراء المسيح تتطلب يقظة في المسير لمتابعة صوت الراعي، لأن الارتقاء في الطريق يحدث فجأةً، فالذي لا ينتبه يرتطم في صخرة الصعود فيسقط عوض أن يرتقي، إذ لما يواجه الإنسان تجربة توضيعه الموضوعة لارتقائه، وهو لاه عن اتِّباع الرب باتِّباع أهوية نفسه وجسده، تصبح له سبب عثرة وتذمر وهروب ونكوص.

إني أتنسم من وراء هذه الجبال والسنين رائحة محبتكم التي وُلدت في وسط المحن، وأنضَجَتْها التجارب لتكون عينة للمحبة الروحانية غير العاطفية، وشهادة جديدة من نوعها لنوع الرباط والأُلفة الكنسية، الذي ينبغي أن يعيشه المُكرسون لله.

حينما أقدم لكم الميلاد في هذه الكلمات، أقدمه لكم سراً من أسرار المسيح والسماء والعذراء والملائكة، لا يُمكن أن يُنقل للآخرين قبل أن

يُعاش.

السماء ابتهجت بالميلاد، هذا كان أوضح انطباعات الميلاد، فـــلأول مرة في عُمر الخليقة كلها تصبح حوادث الأرض بهجة للسمائيين. ولعظم السبب ولعموميته خرج الملائكة عن صمتهم الأبـــدي وأشـــركونا في فرحهم وكشْف هذه البُشرَى العجيبة «فها أنا أبشِّركم بفـــرحٍ عظـــيم يكون لجميع الشعب» (لو ٢: ١٠).

ولقوة تأثير هذه البشارة وعُمقها اشتق الإنجيل منها اسْـــمه ومعنـــاه 'البشارة المفرحة'. وصار كل منْ ينقل هذه البشارة عينها، بشارة الميلاد بالخلاص، هو 'كملاك' الله، أي 'أنجيلوس' أو 'إنجيلي' سيان. «أُكتب إلى ملاك كنيسة (...)».

من هنا يا إخوة، نصل إلى صميم الرسالة التي دعـــاكم الله إليهـــا، كمكرسين للإنجيل أو كملائكة الله المُبشرين ببشرى الخلاص والفـــرح. فاعلموا أن الحزين لا يستطيع أن ينقل الآخرين إلى الفرح، والذي ليس له أسباب الفرح الحقيقي لا يستطيع أن ينقل بعواطفه البُشْرَى المُخلصة، فالإنجيل قوة فرح تسمو فوق الخوف وعلى العواطف جميعها «لا تخافوا، فها أنا أُبشِّركم...» (لو ٢: ١٠).

الميلاد قوة فرح، وعيد الفرحين بالإنجيل، فهو بذلك نقطة حرجة في حياة المكرسين، لأنه يتطلب فرحاً سمائياً يخرج بالإنسان عن صمته وعن رزانته، بل وعن عواطفه، كما خرج بالملائكة، فيصير بشيراً للسرور.

لذلك، فكل ذكرى للميلاد تضـــعكم في ســـؤال: مـــاذا صـــنعتم بالذكرى؟ وكيف انفعلتم بخبرها؟

حقاً إن الميلاد ليس ذكرى، إذ لا يُمكن أن يحصر الفرحَ الإلهيَّ يـــومٌ

من أيام الإنسان!! ولا الكلام يستطيع أن يُكمل البُشرى.

فحقيقة الميلاد تعيش في القلب الملائكي، أي الإنجيلي أو المُبشر، كنبع أبدي للفرح والبهجة، كلما نأخذ منها تزداد، وكلما نعطي نمتلئ.

فالإنسان الذي يعيش في مواجهة الإنجيل والمسيح يعيش يوم الميلاد، فيوم الميلاد وإن كان قد تسجل في الزمن بيوم محدود، فهو في إنجيل الفرح والخلاص لا يُحد، لأنه يوم الله على كل حال وليس يوم بشرٍ، الذي يفوق في عُمق قوته ومعناه ألفاً من السنين ويزيد. وكأنما فرح يوم الميلاد يساوي فرح ألف سنة من أفراح الإنسان لو أمكن جمعها معاً خُلواً من حزن!!

الإنسان المُكرَّس لله يتكرس للميلاد أول ما يتكرس، بل وآخر ما يتكرس، لأن المسيح وإن كان قد وُلد ليموت، فالمسيحي ينبغي أن يموت ليُولد!!

فالميلاد للمُكرسين نهاية وبدء حياة معاً، بمعنى أن الذي يريد أن يُولد روحانياً يلزمه أن يبلغ أولاً الإماتة الكلية. أليس في ميلاد المسيح تنازلاً وإخلاءً عالياً مسبقاً يبلغ في تصورنا الإماتة الكلية!!؟

هنا مصدر الفرح الكامل! ألم يبلغنا هذا الخلاص المُبهج من خلال هذا الفقر الكلي والإخلاء الذي باشره الرب؟

هنا نبع السرور الأبدي الفائض الذي أذهل الملائكة وأمرهم بقوة البشارة المفرحة! «ها أنا أُبشِّركم بفرح عظيم». إذاً، ففي بلوغ الفقر الكلي والإماتة والتنازل عن كل مجد، بلوغ لسر الفرح الأبدي الذي لا يُمكن أن يُنْزع منا!! فكل فرح يقوم على عطايا ومجد هذا الزمان يُنْزع من الإنسان، أما فرح التنازل عن كل عطايا ومجد هذا الزمان، فماذا ينْزعه؟ حينما يبلغ الإنسان حد الفرح الكامل الذى لا يُنْزع منه يكون

قد بلغ البشارة بالميلاد أو يكون قد صار كملائكة الله المسرورين، حينئذ يعطي ويفيض ولا يكون لفيضه نهاية.

هذا هو سر البشارة المُفرحة، وهذه هي قوة الميلاد النابعة أصلاً من سر الإخلاء وقوة التنازل.

ومنْ هو المولود؟

هذا هو المولود: الغَنيُّ الذي افتقر لكي نستغني نحن بفقره. هذه هي طبيعة المسيح الفائقة في مجدها؛ الفائقة في اتضاعها، الفائضة فرحاً وبهجة وسروراً.

حينما يدرك الإنسان قوة الفقر الكلي والإماتة، حينئذ يدرك مجد طبيعة المسيح واتضاعها، ويرتوي من الفرح النابع من فقرها، ويسقي جميع الناس بالبشرى!!

هذا هو سر الفرح الملائكي المُعطَى للناس يوم الميلاد، وهو عينه نقطة الحرج العظمى في حياة المُكرسين، لأن سر الفرح الكامل لا ينبع إلا من سر الفقر الكامل، فلهذا يُوضع المكرسون في اختبار لا يُطاق إن هم تنحوا عن سر الفقر، بمعنى أن يكونوا في تطلع نحو مجد بشري أو تأمين لمستقبل أو راحة جسد.

لقد أدركت العذراء عُمق هذا الاختبار حينما قبلت بوادر سر الميلاد في أحشائها، فقالت: «تُعظم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مُخلِّصي، لأنه نظر إلى اتضاع أمته» (لو ١: ٤٦ - ٤٨). انظروا كيف ربطت هذه القديسة الحاذقة بين القدرة على تعظيم الله بابتهاج وبين الاتضاع!! أما سر هذه الرؤية الجديدة الإنجيلية في الصميم فلأنها امتلأت اتضاعاً حقيقياً أَهَّلها بالفعل للامتلاء بالمسيح!!

فسر التسبيح لله ببهجة القلب والروح لا يؤتى للإنسان إلا من اتضاع

يختم عليه الله بنفسه!!

ثُم اسْمعها تقول: «أنْزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين، أشبع الجياع خيْرات وصرف الأغنياء فارغين» (لو ١: ٥٢-٥٣). هنا تعود مريم **'الحاملة لمجد الله واتضاعه معاً'** فتعلن عن سر الاتضاع وسر الشبع اللذيْن صارا لها، وانحصار مَعْنيْهما في قبولها المسيح شخصياً، بمعنى أن حضور المسيح في الإنسان هو سر الارتفاع وسر الشبع!! والذي ليس له المسيح ينْزل عن كرسيه ويُصرف فارغاً!!

هنا تشير مريم العذراء إلى البتولية بلمْحة خفية كحالة جوع مُكرَّس لله لا يلهيه شَبَع جسدي بأي نوع، ولا يصدُّه ألم حتى ينال شبعه من الله رأساً!! فالبتولية جوع حقيقي دائم نحو الله لا يُشبعه إلا حضور الله!!

لهذا أحست القديسة مريم البتول في حلول المسيح في أحشائها بشبع خيْرات وجلوس حقيقى في السماويات!! فمريم كملكة ارتفعت بفقرها تُعيِّر الذين اعتزوا بكراسيهم وتعالوا بغناهم!

هنا إشارة إلى أن ميلاد المسيح سرٌّ لا يقبله إلا المنسحقون، أما العيون المتطلعة إلى المناصب والكراسي فتُهلل للميلاد، ولكن لا تتهلل به.

فالفقير الحقيقي هو فقط مَنْ يفرح للفقر الحقيقي ويُبشر به. مَنْ سمع قط أن الغني يفرح بالفقر؟ أو يُبشر به؟ فالذين يعظون ويُبشرون ويخدمون الميلاد باجتهاد وهم يتطلعون في قلوبهم نحو شُهْرة تُؤهلهم للكراسي والرآسات والكرامات والأمْجاد الدنيوية هم يتاجرون بالميلاد كمنْ يكتب رسالة عن الفقراء لينال بها الدكتوراه وعلاوة مالية!!

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٨٠}

كيف أخلُص؟

مارس ١٩٦٧م

ورد لأبينا القمص متى المسكين هذا السؤال في خطاب، فقام بالرد عليه. ويلاحظ القارئ أن ما ورد فيه يُمكن أن يُحسب قانوناً للخلاص غايةً في الاختصار والوضوح.

ولكى نُبرز أمام القارئ خلاصة المبادئ الواردة فيه نُوجه الذهن إلى هذه الأسئلة:

هل أقرأ كتب البُروتستانت؟

وما هى خطورة كتب البُروتستانت؟

هل الخلاص يعتمد على مُجرد الإيمان والشعور والحماسة والذكاء؟

هل يُمكن أن يتم الخلاص في يوم وليلة؟

هل دعوة الخدمة يُمكن أن نأخذها في وعظة؟

هل الكنيسة القبطية عاجزة عن تخليص أولادها؟

هل الوعظ يُمكن أن يُخلِّص إنساناً؟

ما هو سر الكنيسة القبطية؟ وما هو سر أسرارها؟

عزيزي الأخ (...)

سلام الله مع روحك أيُها الأخ المبارك

قرأتُ خطابك وشكرتُ الله أنه لا يزال يُوجد وسط الشباب في هذه الأيام روح نعمة وإفراز، يستطيعون أن يُميزوا به الكلام من العمل،

والفلسفة اللفظية من صدق الروح، والعواطف الطيَّاري من رزانة المسير والبناء، والوعظ على دق الطبول من كلمات سر المسيح التي تقال في هدوء وتُزرع في سلام.

إنني، أيُها الأخ الفاضل، وأنا منعزل هنا في هذه البرية، حزين الروح على الخدمة والخدام، لأنني حاولتُ سابقاً بكافة الوسائل أن أمنع انزلاق الخدام والقادة عن طريق الوعظ النظري واستخدام وسائل البُروتستانت في البشارة والكرازة، أي تحويل الإنجيل إلى كلامٍ مُؤثر وعواطف عقلية ومُحاولة جعل الإيمان شيئاً "يُحَسُّ فكرياً"، ولكنْ للأسف فلت الزمام، فالقادة وحتى المكرسون للخدمة من أمناء مدارس الأحد ذهبوا في هذا الطريق إلى أبعد حدوده، حتى أنهم لا يستخدمون فقط طرق البُروتستانت، ولكن يُدرِّسون ويعظون ويُروِّجون لكتبهم.

وصعب أن أشرح لك في هذه الورقة الفرق الشتان بين الكرازة في الكنيسة القبطية والكرازة البُروتستانتية السارية الآن في كنيستنا، ولكن يكفي أن أقول لك إن أساس الخدمة والوعظ والكرازة الذي عاشت به كنيستنا سابقاً يقوم على **تسليم كيفية** خلاص النفس وليس **الحديث عن خلاص النفس**، كما أن المنهج يسير خطوة خطوة ولا تُعطى خطوة قبل خطوة ولا خطوة مع خطوة، بل بقدر ما تستجيب النفس تأخذ المزيد وبقدر ما تنجح يُعطَى لها، وفي اللحظة التي تطمح النفس في خطوة أعلى من احتمالها وقامتها وتجترئ فتُمارسها تُحرم من إمكانية النمو الصحيح نهائياً، وتتعقد بما يُسمونه بالكبْرياء والادعاء والمُراءاة والظهور بما ليس لها وبما ليس فيها.

وألزم ما يلزم للنفس حسب منهج الأقباط الأرثوذكس أن تعتكف في بدء حياتها حتى تستوعب البناء الداخلي والتغيير والتجديد وحتى

تنجح في التطبيق، ثُم قليلاً قليلاً تُمارس اختبار كفاءتها الروحية وسط الناس في المعاملات حتى ينكشف لها مقدار قبولها للوصايا الإنجيلية، ومقدار تدقيقها في تنفيذ مشيئة المسيح، ومقدار أمانتها لله، حتى إذا تبين عدم تدقيقها أو عدم أمانتها تعود لانعكافها لتشديد الرقابة على الضمير وضبط النفس وإخضاعها لله بكافة أنواع التدبير الروحي المُعدِّ لهذا الغرض من قِبَل الآباء المُختبرين الذين خلصوا وكملوا في الإيمان الأرثوذكسي.

أما إذا استهانت النفس بهذه الخطوة واكتفت بتحصيلها القليل وحرارتها القليلة ومعرفتها القليلة، واقتحمت الميدان بالظهور بمظهر الدين أو الاجتراء على الخدمة والوعظ والقيادة، فالحاصل أنها ستفقد سريعاً القليل الذي حصَّلته من الله ومن افتقاد نعمته لها في درجة توبتها الأولى، ولكي تبقى وتدوم بمظهرها الأول أمام الناس تضطر أن تعتمد على كتب الآخرين وخبْرة الآخرين (كما تقول في خطابك).

والطريق للخلاص حسب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية عملي محض، لا يعتمد على ذكاء الإنسان ولا على مهارته ولا على قوة جسده، ولكن يعتمد على ثلاثة عوامل في مقدور كل إنسان:

أولاً: أمانته الشخصية في المسيح، وثقته في مواعيده.

ثانياً: طاعته الشديدة في تنفيذ وصاياه مهما كلفه من تعب وحرمان، والوصية نفسها ستُجزيه.

ثالثاً: حبه للكنيسة وتتميم فرائضها وصلواتها وأسرارها بإخلاص وشغف.

من هذا أيُها الأخ المبارك تستطيع أن ترى بساطة الخلاص وسهولته

وعموميته حسب كنيستنا، وهو لا يحتاج إلى وعظ كثير أو ربما لا يحتاج إلى وعظ بالمرة، طالما أن الإنسان يُؤمن بهذه المبادئ ويبدأ بتنفيذها.

أما إذا كان هناك ضرورة للوعظ فتكون 'للموعوظين' فقط، الذين لم يكتمل إيمانُهم بشخص المسيح وحبه وقدرته، ولم يكتمل اقتناعهم بأهمية تنفيذ الوصايا بدقة للخلاص، ولم ينفتح قلبهم بعد لقبول عظم الأسرار وقوة فعلها في النفس، على أن يتركز الوعظ في هذه الأمور حتى يصير الإنسان مؤمناً بها ويبدأ بالتنفيذ.

أما الذي يُؤمِّن الخلاص للإنسان السائر بهذه المبادئ فهو المسيح نفسه الذي وعد بذلك، لذلك يلزم أن تكون علاقة القلب بالمسيح قوية، وهذا لا يحتاج إلى جهد كثير من قِبَل الإنسان، فالمسيح نفسه يُحب الإنسان وبالأكثر الخطاة، فقط يكفي أن يطلبه الإنسان يومياً في كل صباحٍ وكل مساء بالصلاة، وإن أمكن في فترات النهار طوله وفي الليل أيضاً، وإنَّ قُرْب المسيح من قلب الإنسان يُسعد الإنسان ويُعزيه ويُشجعه جداً على كل صعاب الحياة.

كذلك فمجد الكنيسة الأرثوذكسية وقوَّتها وقدرتُها على تخليص النفس يكمن وراء حقيقة مجيدة جداً، وهى أن المسيح يسكن في الكنيسة ويُحبها، وسر وجود المسيح في الكنيسة هو الذي يعطي أسرارها سلطان الخلاص والحلول والاستحالة. لذلك ينبغي جداً جداً حُب الكنيسة وتوقيرها وتقديسها «ببيتك تليق القداسة يا رب» (مز ٩٣: ٥).

السجود في الكنيسة هو بمثابة السجود أمام عرش الله في السماء.

الصلاة والتسبيح في الكنيسة هو بمثابة شركة مع الملائكة وأرواح الأبرار في خورس المُرنمين أمام الله.

الاشتراك في سر التناول هو قبول المسيح داخل هيكل النفس والجسد.

الاعتراف وأخذ الحلّ في سر التوبة هو اغتسال في النهر البلوري الخارج من عرش الله والخروف.

هذا هو الخلاص، وما هو خلاف ذلك هو صناعة عقلية وتزييف للكرازة وتتويه للنفس وراء أوهام بشرية من صنع الذات التي تختلس مجد الله وتُحاول من خلال خدمة الكرازة أن تريح نفسها وتتكرم بكرامة الله.

ختاماً أستودعك لنعمة الله القادرة أن تقود سفينة حياتك وسط هذه التيارات لترسو بك على شاطئ السلام في النهاية.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٨١}

مقالة كُتبت للمكرَّسين

التكريس

لقد دعاني السيد القدوس أول ما دعاني لا برؤيـــة ولا بصـــوت ولا بعلامة ما، ولا أنا طلبت شيئاً من هذا.

ولكني كنت أحمل بين ضلوعي منذ فجر شبابي قلباً حساساً يستطيع أن يميز حركات الروح ويتنبه بسرعة لمسارات النعمة وتيارات الأعماق!

ولم أكن معانداً قط، بل كنت أترك قلبي تجرفه تيارات النعمة كيفما شاءت في هوادة وخضوع لذيذ، ولم تكن أهم مشاغل الحياة قـــادرة أن تصدَّني عن ذلك، فتَعرَّفت شيئاً فشيئاً على أغوار المشيئة المقدسة الـــتي يشتاق إليها كثيرون ولا يأخذها إلا الذي يرتمي في تيارها بلا مانع.

وفي خضوعي كنت تواقاً دائماً أن أدخل إلى الأعماق، ولست أدري أهي أعماقي أم أعماق الروح، ولكن هناك تطلَّعت خلسةً على منـــابع الإرادة العليا، ووعيتها أحياناً، وأحياناً أخرى ما وعيتُ منها شيئاً بـــل كنت أرتد سريعاً حينما أنتبه إلى نفسي أو تنتبـــه إرادتي فيَّ، فأواصـــل مسيري في عالم الناس كواحد من هذه الملايين الذين تغمرهم اهتمامات هذا الدهر، وصرت - كما صارت الناس جميعاً — أشتري من بضاعات العالم الكثيرة، الخسيس منها والشريف غير مميز بينها كثيراً، وتقلَّبت أيضاً على درجات الوضاعة والكرامة وتلوثت منها جميعاً.

ولكن كانت تعاودني من حين لآخر موجة من أحاسيس الـــروح لا أعرف من أين كانت تأتي، ولا علمت أبداً كيف أو لماذا كانت تذهب،

غير إني كنت أتلقاها بلهفة شديدة وحنين كثير، وألقى بنفسي في أعماقها فأستريح وأنسى هذا العالم ببضاعاته الشريفة والخسيسة، ودرجاته الكريمة والوضيعة.

ولكن كان جذب العالم لي شديداً، فهذا دأبه دائماً تجاه الذين يحاولون الارتداد عنه. وكان جذبه لي يزداد في كل مرة عن سابقتها بقدر ما كانت تزداد تيارات النعمة تدافعاً في قلبي، أو على الأصح كلما ازددتُ أنا قبولاً لها وخضوعاً.

وكنت أتعجب ولا زلت أتعجب من الذين يطلبون لتكريسهم رؤيا واضحة، أو صوتاً من السماء، حتى يتأكدوا من النعمة التي تتحرك في قلوبهم، مع أن الروح فينا لا يحتاج إلى شاهد، وعمل النعمة في القلب أثبت من هيئة هذا العالم الزائل.

ويا ليت قارئي يعلم أن الخضوع للروح هو الطريق الذي يوصِّل إلى معرفة المشيئة الإلهية. وتسليم القلب لانفعال النعمة بلا مانع لابد يوصلنا إلى التأكد إن برؤيا أو بغيرها.

ويا ليت قارئي يعلم أيضاً أن الخضوع للروح وتسليم القلب للنعمة هما العلامة الحقيقية لقبول دعوة التكريس.

ويتهيأ للكثيرين أن قبول دعوة التكريس يحتاج إلى فحص وتعقُّل ورزانة، وكأنما أعمال الروح توزن كما توزن مشاريع المهندسين، ولكنني ما وجدت للتكريس ميزاناً إلا الإيمان الذي يستند على الثقة بما يُرجى والإيقان بالأمور التي لا تُرى.

وخرج إبراهيم وهو لا يعلم إلى أين يذهب.

الخروج:

خرج إبراهيم من "أور" وخرج إسرائيل من مصر، ولكن يوجد فرق بين خروج وخروج. فإبراهيم أطاع دعوة كان لها في قلبه أصول متعمقة سابقة كانت تزيدها الأيام وضوحاً واشتياقاً.

كان يشتاق إلى التحرر من أرض العبادات الشريرة، والانعزال عن عشيرته التي انغمست مع غيرها في هذه العبادات عينها، كان يئن وينتظر يوم الخلاص. فلما تأكد من إيمانه تأكد من دعوته، ولما خضع للروح ناداه الروح، ولما استأثر كل فكره لطاعة الله سمع صوت الله! لذلك خرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب، لأنه لم يكن يطلب عِشْرة أخرى ولا وطناً آخر بل كان يرجو المجازاة.

لم يكن صعباً على إبراهيم أن يسير في القفار أياماً كثيرة وهو لا يعلم أين يذهب لأنه سبق وخرج بكل قلبه من أرضه ومن وطنه ومن عشيرته. نعم أخرجهم جميعاً من قلبه فلم يكن ينظر إلى الوراء بل إلى فوق، طالباً وطناً أفضل!

يا للخروج الحق! لا يستطيع أحد أن يتعمق المعنى إلا إذا ذاقه أو أكمله. نعم سأذكر هذه الليلة ما حييت، حينما تسللت من المدينة بعد منتصف الليل، ووجهتي دير مجهول لم أره قبلاً. في هذه الليلة أحسست حقاً بالخروج.

لم يكن أمري سهلاً، لقد كلفني أن أخسر كل شيء، وأحسب كل شيء خسارة، وأبغض كل شيء، وأحسب نفسي كذلك. وولّيتُ ظهري للعالم، العالم الذي كنت أحبه، والذي كان فيَّ بمثابة غرور الغنى ومجد الأباطيل، كرامة الشهرة والصيت الحسن، وحب المدحة والراحة

ومسرَّات هذا الدهر.

ولكني حزمت أمري، وجمعت أشتات قلبي، ونفضت عني أشياء هذا العالم جميعاً، وتقوَّيت بالإيمان، وألقيت بنفسي في تيار النعمة، وسرت ولا أعلم أين أذهب، غير إني كنت عالماً بيقين أن محبة هذا العالم عداوة لله، ووثقت بالذي وعد سابقاً أنه يعطي حياة أبدية للذين يتركون أشياء هذا الدهر.

ولكني متعجب أشد العجب من الذين يعتبرون أنفسهم أنهم خرجوا من العالم ولا زالوا يشتهون شهوته، هؤلاء هم في العالم حتى ولو سكنوا أعماق البراري، هم دنياويون ولو تزيوا بزي أهل الجبال.

وأود لو أنأى بقارئي عن خروج مريض كخروج إسرائيل من مصر، لأنهم لم يقبلوا دعوة لها صدى في قلوبهم بل قبلوا أمراً لا يحتمل العصيان بعد أن طلبوا له علامة وبرهاناً، واهتموا غاية الاهتمام بالتأكد من صدق الدعوة والداعي، وتطور مطلبهم من التأكد بالبرهان إلى التأكد بالمعجزات، وقد أكمل الرب لهم كل ما طلبوا حتى لم يعُد لديهم أي شك أو ريبة في الدعوة، غير أنهم لم يخرجوا خروجاً "**صحيحاً**" بل تركوا قلوبهم في مصر، وشهواتهم في قدور اللحم. فتثقلت عليهم الدعوة في الطريق، واشتدت وطأة عدم الاحتمال فتذمروا على الدعوة والداعي، وجدَّفوا على صاحب الصوت وصانع المعجزات.

أود لو أنبه القارئ لخطورة السير بالعيان، وعدم نفع الرؤيا والعلامة والبرهان، لأنه لن يسند المدعو في خروجه ومسيره إلا إيمانه. وها أمامنا عبرة في ستمائة ألف خرجوا بمعجزة وغلبوا بمعجزة، وأكلوا بمعجزة وشربوا بمعجزة، ثم سقطوا جميعاً في القفر بسبب تذمُّرهم، ولم يدخلوا

أرض الراحة بسبب عدم إيمانهم.

أيها الجالسون بقلوبهم بجوار قدور اللحم في أرض الخطية، المفضِّلون خبز الشبع على جوع البر، المتلذذون ببصل مصر وكرَّاته على أتعاب برية الخلاص، ليس لكم في كنعان نصيب ولا قرعة في أورشليم.

أيها السائرون في برية الخلاص يكفيكم الآلام طعاماً والدموع شراباً لأن حزنكم سوف يتحول إلى فرح، ورئيس إيماننا أكمل الآلام أولاً ثم دخل إلى راحته.

ناموس الدعوة وناموس الاختيار:

لقد خسر الكثيرون الجعالة إذ حسبوا أنفسهم غير مدعوين، مع أن الروح يقول إن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بُعد.

وظن البعض ظناً خاطئاً أن الدعوة هي حالة احتياج الله لنا، فقالوا في أنفسهم وقالوا لله إن كنت محتاجاً إلينا فادْعُنا. تمنيت لو علم الجميع أن الدعوة عكس هذا، فهي حالة احتياج منا لله، وكلما اشتدت وطأة الحاجة الإلهية في قلوبنا كلما ازدادت الدعوة وضوحاً، وكلما أفصحنا عن حبنا لله كلما سمعنا كلماته كالرعد في آذاننا.

إنها لمسات روحية متدفقة في القلب تحمل صاحبها حملاً لتلقيه على عتبة بيت الله هناك على قمة جبل التجلي، لتُحدره مرة أخرى نحو السفح في وسط الأسواق. إنها نخسات واضحة يصعب رفسها، ولُجُم عنيفة تمنعنا من الجموح وتصدُّنا عن التقهقر لو أطعناها.

ولكن هذه اللمسات وهذه التيارات القلبية ليست شيئاً في ذاتها، ولكنها تعمل وتُفصح عن إمكانيات المسيح التي وُهبت لنا. إذن، فهي ليست علامة على الدعوة فحسب بل هي إمكانية تهيئ للدعوة وتعمل

لحسابها.

وغاية النعمة التي تتحرك في قلوبنا هي أن تجعل الرب يسوع حقيقة حية فاعلة فينا تدفعنا بقوة غير محصورة لخدمة المسيح لو أطعناها في القلب.

إذاً فالروح الذي يعمل فينا لا يعمل لحسابه الخاص ولا لحساب أنفسنا، ولكن لكي يشهد للمسيح لنكون نحن له شهوداً بين الناس كما يشهد الروح فينا له.

يا للحقيقة التي صارت غير ملموسة بسبب عدم طاعتنا لروح الله: أن من يأخذ الروح لابد أن يشهد للمسيح!!

ومن آمن يتكلم، ومن أجل جسد الرب ودمه يبشر بموته ويعترف بقيامته، ومن يسمع فليقُل تعالْ!!!

ومن يحبس كلمة الرب في نفسه تحرق عظامه.

الهبة والاختيار والدعوة، لابد لها من القبول حتى تتحقق:

نخطئ كثيراً في فهم معنى الهبة والاختيار حينما نقرنها بناموس الدعوة، إذ نظن أن الهبة متوقفة على ناموس الدعوة، كأن الله لا يعطي إلا لمن يختاره. ولكن أود لو نصحح الفكرة، فإن الهبة تعتمد على مَنْ يتقدم ويطلب، فكل من يطلب يأخذ، وكل من يسأل يجد، وكل من يقرع يُفتح له. أي أنَّ مَنْ يطلب ويسأل ويقرع يصير مختاراً ويوهب نعمة وعطية، فالهبة لا تحدِّد استحقاق السائل، بل السائل هو الذي يحدِّد استحقاقه الهبة. «طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم» (رو ١٠: ٢١)، «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨).

كذلك فالاختيار لا يحدد الموهوب، بل الموهوب هو الذي يحدد الاختيار، لأن «ملكوت السموات يُغصب والغاصبون يختطفونه» (مت ١١: ١٢).

فنحن نؤمن، فنسأل، فنأخذ، فيتحدد اختيارنا.

وهذا التدرج هو بالنسبة لنا، أما بالنسبة لله فإيماننا وسؤالنا وأَخْذُنا واختيارنا كله عملية واحدة معروفة لدى الله قبل تأسيس العالم نحققها الآن بإرادتنا، ونكملها بإمكانيات المسيح الموهوبة لنا بالروح القدس جميعاً بلا محاباة.

فناموس الاختيار يحدِّده قبول ناموس الدعوة، وناموس الدعوة يحدده مقدار أَخْذنا للمسيح فينا، والمسيح هو للجميع بلا محاباة، كلٌّ من يؤمن وكل «من يُقبِل إليَّ لا أُخرجه خارجاً» (يو ٦: ٣٧)، ولكن لكل واحد قياس خاص حتى تتنوع الخدمة لتكميل احتياج الإيمان.

وليتنا نعلم أن الكفاءات البشرية غير معتبرة لدى الروح القدس، فالرب يدعو أولاً، وكل من يقبل يملأه مهما كان فارغاً، ويقويه مهما كان ضعيفاً، ويطهِّره مهما كان دنساً، ثم يرسله!!!

****

كان موقفاً حرجاً للغاية لا أستطيع أن أنساه يوم دعاني بعض أئمة الخدام قبل ذهابي للدير مباشرة ليسألوني لماذا أنا ذاهب للدير. ارتبكت وتحيَّرت ولم أجد جواباً أردُّ به، لأني إلى تلك اللحظة لم أكن أعلم لماذا أنا ذاهب للدير، ولكني كنت واثقاً فقط أني ذاهب إليه.

ثم سألوني بأكثر وضوح، ماذا ستعمل بعد الرهبنة؟ فارتبكت أكثر من الأول ولم أجد جواباً أيضاً لأني لم أكن فكَّرت فيما سأعمله بعد الرهبنة، ولكني كنت واثقاً فقط أني سأصير راهباً.

لقد تعجبت جداً من الخدام الذين يريدون أن يتجندوا على نفقة أنفسهم ويرسموا خطة نزولهم قبل خروجهم، ويحددوا خدمتهم قبل امتلائهم!

هؤلاء خلطوا بين الدعوة والإرسالية.

الدعوة والإرسالية:

«أقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلبَسوا قوة من الأعالي» (لو ٢٤: ٤٩).

معلوم أن التلاميذ كانوا مدعوِّين، إذ قبلوا الدعوة وعاشوا فيها مع المسيح ثلاث سنوات كأخصاء، بل وعاشوا فيها بعد قيامته مدة أربعين يوماً. ولكنه منعهم من الخدمة وقت صعوده إلى أن يُلبَسوا قوة خاصة للخدمة.

وهكذا يتضح وجه الاختلاف الشديد بين الدعوة والإرسالية. فالدعوة لا تلتزم بكفاءات ذاتية، ولا تُبنى على مقدرة شخصية، لأنه يختار الجهلاء والضعفاء لدى الناس، والخطاة والعشارون يركضون في طريق الملكوت ويسبقون.

أما الإرسالية فيتحتم فيها القوة الروحية والامتلاء، لأن الكتاب يقول إن الذين دعاهم فهؤلاء برَّرهم لكي يرسلهم. لذلك محبوبة هي جرأة القدوم إلى الله للتكريس، أما اقتحام طريق الخدمة والكرازة فخطر، لأنه كيف يكرزون إن لم يُرسَلُوا، وللرسالة علامة يُطالب بها الراسل، ويطالَب بها المُرسَل إليهم.

وقد رأيت أن كل إرسالية لم يسبقها تكريس تؤول غالباً إلى الفشل مهما بدت قوية جريئة ناجحة، ورأيت أيضاً أن كل تكريس حقيقي

يؤول حتماً إلى رسالة مهما بدا ضعيفاً منعكفاً.

يا صاحب الحقل، حصيدك قد نضج وحان وقت القطاف.

عبيدك في السوق واقفون ينتظرون، أرسل بيد مَـــنْ ترســـل، وادعُ المستعدين.

يا راعي الرعاة، لقد تبدَّدت غنماتك ولا من راعٍ إلا الأجير.

يا صيادنا الماهر، أين نلقي شبكتنا، لقد أنهكَتْنا العواصف وكـــادت تُغرقنا اللجة.

١٩٥٨م

****
******
***
*

الرسالة {٨٢}

توجيه لأحد الإخوة المكرَّسين

عزيزي (ك..) لأحد الإخوة في بيت التكريس.

تحيات قلبي، في الرب، لمحبتك.

أرجو أن تكون متقدماً في السيرة الداخلية أمام الرب حافظاً نفسك من الأمور التي يشتكي منها ضميرك حتى يكون لك دالة تدخل بها إلى حضرة الرب فتجد السلام الذي يسند قلبك وسط العالم ومجاذباته.

كما أتعشم من جهة السلوك أن تكون نفسك غير محسوبة من جهة التدبير أو في النتائج، بل أن يسود التعقل القائم على المحبة، والسخاء يكون لأجل تمجيد المسيح.

وإذا علمت أن ليس شيءٌ يبقى على حاله والأمور تجري ليس حسب تقدير إنسان ولا بِهَوَى نفس، يلزم أن تكون أعمالنا كلها معمولة حسب إيماننا بالحق الذي لا يتغير وليس لإرضاء الناس أو انتهاز الوقت فالحياة كلها بكل أيامها وشهورها وسنيها، بكل فخرها وحوادثها، لا تساوي وصية صغيرة من وصايا الرب يتممها الإنسان في ثقة ورجاء بغير المنظور.

والإنسان في حد ذاته غير كفيل بأية كرامة أو محبة أو خدمة لولا صورة القدير التي تختفي وراء جحوده وجشعه، هذه الصورة هي التي توحي إلينا دون أن نعي – ولكن الأجمل أن نعي – أن نعطي الإنسان أي إنسان لا كرامة وحباً وخدمة فقط بل أنفسنا لأننا نعطيها في الواقع لله، وما أقله عطاءً.

كنت أود أن أكتب أكثر لولا أني أثق أنك تستطيع أن تدرك من هذا القليل الذي كتبتُ، كثيراً، لو تشاء.

كن معافى.

القمص متى المسكين

بخصوص تدبير المنزل أرجو أن تحصر نشاطك في الروح وليس في الكماليات والشكليات لأن رسالتك الأولى والأخيرة الشهادة للمسيح بسيرتك.

(سنة ١٩٦٠م)

الجزء الثالث

رسائل أرسلت إلى مؤمنين
يعيشون في العالم

الرسالة {٨٣}

المسيحية مجازفة إيمانية

عام ١٩٦٦م

عزيزي (...) دام

سلام الله لروحك أيها الأخ المُجاهد المُخلص الأمين.

أتعشم في وجه يسوع المسيح أن تكون في ملء عزاء الروح القدس مُتقبِّلاً من لدن الرب قوة لتكميل رسالتك كمقدار العطية التى أعطاك، حتى توجد كاملاً أمامه غير ملوم في شيء من جهة الضمير، بسبب روح العصر الذى سبق وأنبأ عنه الرسول بأوصاف واضحة، حتى ينتبه المُختارون لئلا يشتركوا فيه فيتزيف الإنجيل (قوة البشارة) ويتعطل صليب المسيح.

فكل مَنْ يخدم الرب وارتأى أن يحمل الصليب علناً، عليه أن يتيقن دائماً من صوت الله العامل في قلوب خدامه "يعطي كلمة للمبشرين"، وعليه أن يتطلع إلى صليب المسيح بروحه في ضميره، حتى يطمئن أن الصليب الذي يحمله وينادى من عليه هو هو. لأن حكمة العالم وطرق التحايل البشري استطاعت أن تُزيف صليباً مشابهاً.

إني أذكر خدمتكم وتعبكم وجهادكم أمام الله ليُزيد لكم من نور الضمير، حتى تتبعوا الروح وتخضعوا لتدبيره، لأن «المنقادين بروح الله هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤)، ولا يستطيع أحد من الناس قط أن يتقبَّل مواهب الروح وينتبه لإرشاده إلا الذى يصلي بقلبه وله قدرة أن يفتش داخله على الدوام.

لذلك أتوسل إلى الروح القدس أن يهبك حياة داخلية مُسرة،

للاهتمام بقلبك بكل ما يدخله وكل ما يخرج منه، حتى توجد مستعداً لعطائه السري «مستعدٌ قلبي يا الله مستعدٌ قلبي» (مز ٥٧: ٧ "سبع"). والذى يأخذ الروح القدس يأخذ المسيحية، ويستطيع أن يعطيها ويُعلِّم بها، ولكن لا يُعلِّم عنها.

إن البساطة التي في المسيح وخدمته تتعارض بشدة مع فكر الإنسان الطبيعي، لأن فكر الإنسان مائل إلى الفحص والجري وراء الدوافع والنتائج، أما فكر المسيح حينما ينصبُّ في قلوب مُحبيه فهو يهُبُّ حيث يشاء، لا تستطيع أن تتبَّعه إلى مَصدرهِ ولا إلى غايته وبالجهد تتحرك معه. وهكذا أيضاً حياة المدعوين والمُختارين تسير معه يوماً بيوم.

ومن هنا يظهر مقدار الخطورة في أن يحيا الإنسان بروح المسيح وفكره في هذه الأيام التي تُلح على الإنسان أن يأخذ بالمشورة القديمة: "يهدم مخازنه الصغيرة ويبني مخازن أكبر تستره سنيناً أكثر".

والحقيقة، يلزم الإنسان لكي يحيا حسب وصية المسيح في هذا العصر، بل وفي أصعب من هذا العصر، بل حتى في حرج الموت وتهديده، أن يكون فيه المسيح، «أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في» (غل ٢: ٢٠). وغير ذلك مُحال أن يتمشَّى الإنسان — مهما أُوتي من العزيمة — مع وصية المسيح: «الذي يُحبني (هو وحده) يحفظ وصاياي». فالذي فيه المسيح أو الذى أحب المسيح، سيان، لا يجعل مع المسيح هدفاً آخر لحياته، ولا ينظر إلى أى خطر مهما كان إلا خطر الانفصال عن المسيح.

ربما تقول أنت راهب، لذلك لا يهمك نفسك، فأنت شُجاع على هذا القياس، أما الذي له أولاد يقف أمام هذا التعليم جَزِعاً ولا مفرَّ من هدم المخازن الصغيرة وبناء المخازن الكبيرة لحساب السنين الكثيرة، هل

نترك العيال يموتون؟ أم نجعلهم يشحتون؟ ولكن إبراهيم كان غنياً ولم يُمانع أن يموت ابنه الوحيد طاعةً لوصية الله، فعاش ابنه وعاشت البشرية كلها على هذا الإيمان، إيمان إبراهيم، وصار كل مَنْ استطاع أن يقبل مثل هذا الإيمان عينه يُدعى ابناً لإبراهيم. 'من أراد (الذي يهتم) أن يُخلص نفسه يهلكها'.

قلتُ لك: ما أشق أن يعيش الإنسان بدون المسيح وروح المسيح في هذا العصر، ويُحاول أن يُطبق الوصايا أو يخدم الإنجيل أو يُعلم بالكلمة. حتماً حتماً سيخرج خارج الإنجيل ويجعل للوصية مخرجاً يتناسب والعقل الطبيعي الجزع، فتموت الوصية وينتهي الإنجيل.

المسيحية إيمان بالقيامة من الموت، فهي تتضمن بالضرورة إيماناً بقبول الموت، والذي يقبل الموت من أجل المسيح هو هو الذي سيقبل الحياة في المسيح.

المسيحية دائماً أبداً مُجازَفة إيمانية، وعلى قدر الانطراح في الخطر على قدر النجاة والخلاص والمجد.

المسيحية لا تقبل الانشقاق الداخلي في القلب، والعالم يُهدد دائماً بالموت، والمسيح يَعدُ دائماً بالحياة، فأي خوف من الموت (بأية صورة من صوره سواء كان فقراً أو عوزاً أو مرضاً أو نقصاً في أي شيء) يستعبد العقل للعالم وحِيَله ووسائله وطرقه، فيقف الإنسان متشككاً من الوصية، حيث انْهيار الإيمان الأقدس، وبدء المُحاولة لبناء إيمان آخر لتأمين الحياة ضد الإيمان!

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {٨٤}

توجيهات تجاه أزمنة الضيق والانقسام

عام ١٩٥٤م

عزيزي الأرخن المبجل (...) دام

نعمة وسلام من إلهنا الصالح إلى شخصك العزيز المُحب ولكل إخوتك أعضاء الرابطة المرقسية الأبرار.

أطلب أن تكونوا جميعاً نامين في معرفة القدوس، متقدمين في كل فكر وعمل صالح وفي ملء نعمة الروح القدس، القادر أن يحفظكم من العالم الشرير، لتُوجدوا بلا لوم أمام ربنا يسوع المسيح. كما أطلب أن تحل عليكم بركة الإنجيل المقدس العامل في خدامه بقوة الكلمة الحية الفعالة لإنارة العقل إلى فهم الحق الكامل، لتُوجدوا مستحقين جميعاً لنوال يمين الشركة المقدسة التي لمُختاري الله، راكضين جميعاً في ميدان الحق والعمل به، غير غاشين كلمة الله كالباقين، بل بضمير غير لائم ولا مَلوم تُنَمُّوا سعيكم باجتهاد، مستهينين بأتعاب الجسد أو بضيق الاضطهاد، حافظين الإيمان ومُجاهدين في سبيله كآبائكم حتى اليوم لتلبسوا جميعاً أكاليل النصرة.

ولكن أدعوكم إلى فضيلة هامة تناسب هذا الزمان، التي إن بلغتم إلى تتميمها تنالون أجراً سماوياً، وهى الصبر، فلا تقلقكم زمجرة العدو ولا تهديداته كأنه قد ابتلع شيئاً وهو لن يبتلع، بل سيبتلعه سيف الرب ذو الحدَّيْن الذى وعد الرسول أنه سيبيده الرب بنفخة فيه. اصبُروا، لأنه زمان غربلة الحنطة، وعن قريب يمتلئ الجرن بأكوام الحنطة المنقاة بمذراة المُجرِّب، حنطة نقية لا غُبن فيها، خالية من الزوان الذي أعد له الرب

حريقاً للإبادة.

ولا تفزعوا كأن هذا الانقسام للشر أو الضعف، بل هو سيف الرب المُلقى على الكنيسة للتفريق بين أولاد الظلمة وأولاد النور، ولإعلان الحق ونصرة الداعين إليه بإيمان غير متزعزع. لذلك أقول تشددوا، فالانقسام قد سبق وتنبأ به المُخلِّص أنه لازم حتى في البيت الواحد، لأنه قال إذا كان خمسة في بيت واحد ينقسم فيه ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة، لأنه طالما يُوجد حق وباطل ونور وظلمة وصدق ورياء فلابد من الانقسام.

أما بخصوص أن الرب أطال فترة الضيق أو الاختبار أو الغربة، فلأن كأس الأشرار لم يمتلئ بعد. أما الذين حفظوا الإيمان والحق بالصبْر، فهؤلاء لا يرتاعون من الضيق، فالضيق لهم طريق، والاضطهاد لهم فخر، والألم إكليل، والموت نصرة. لذلك نحن جميعاً نتوقع خلاص الرب بالصبْر، عالمين أن طول أناة الرب في ذلك إنما هو محسوب لنا لا علينا، وإن ازدادت الأتعاب جداً فلابد أن من وراء ذلك يُعدُّ لنا الرب ثقل مجد أبدياً، وسيُسعد قلوبنا في حينه الحسن حينما نسمع كلمة واحدة من فمه أو يمسح بيده دموع آلامنا.

ولكن أرجو أن تتأنوا وتترفقوا بالضعفاء ولا تحكموا على الناس قبل الأوان، لأن الذى سيحكم علينا جميعاً هو السيد القدوس، حينما نقف أمامه عريانين جميعاً، فلا تتسرعوا وتحكموا أنتم، لأنه لم يعطنا أن ندين أحداً بل ندين أنفسنا فقط. أما إذا ظُلمنا فعلينا أن نعطى الحكم للحاكم العادل، لا لكي يُهلك أو يُسيء إلى منْ أساءوا إلينا، بل لنأخذ نحن تزكية صبْرنا وأجر ضيقتنا، أما هم فلا يُهلك منهم أحداً بل يُخلِّص منهم على كل حال قوماً. لأن الرب أقسم بذاته أنه لا يشاء موت

الخاطيء أو المنافق أو الشرير، بل أن يكفَّ عن طريقه ويعود إلى حظيرة طاعته فيحيا.

من أجل ذلك لا أفتُر من السؤال والطلبة من أجل الذين أغواهم العالم الحاضر وأزاغ أبصارهم عن الحق، لكي يعودوا نادمين فيقبلهم الرب، لنصير رعية واحدة لراعٍ واحد. كما أطلب بإلحاح من أجل آبائي المطارنة لكي يرد قلوبهم على أولادهم، ويرد قلوب الأولاد عليهم، لأني أخاف إذا لم يعودوا ويرتدوا عن سلوكهم أن تتم آخر نبوة لملاخي النبي فينا، لأنه بسبب فُرقة الآباء والأبناء هدَّد الرب أن يأتي ويضرب الأرض بلعْن. لذلك أسألكم في مذلة وانكسار أن لا تعطوا في قلوبكم مكاناً لإبليس، كأن تغضبوا على آبائكم، بل اُتركوا قلوبكم مفتوحة للجميع واقبلوا كل عضو في جسد المسيح الحي، حتى تعطوا فرصة للبعيد أن يقترب، والمتكبر أن ينظر إلى انسحاقنا فيتضع، والحاقد أن ينظر إلى بساطة قلوبنا في عدم شر فيرضى ويتآخى معنا.

نعم، أقول لكم وسِّعوا قلوبكم، ولا تَدْعوا إنساناً ما أنه نجس أو دنس، بل اقبلوا الجميع في الرب لأنه حقاً بالحقيقة قادر أن يُطهر الجميع ويجعل الكل يخلصون. والذي مات عنا لم يمُت عن جزء من الناس فقط بل مات عن الجميع حتى لا يُغلق الباب في وجه إنسان ما، بل الكل مدعوون بدم المسيح للخلاص. لذلك هيئوا قلوبكم ليوم صلحٍ عظيم فيه يجمعكم الرب معاً تحت يمينه المباركة، اليوم الذي لن يُدعى فيه إنسان منكم أنه شرير أو معاند، بل يعطيكم الرب الإله روح وداعة وتواضع روح تطهير وتنقية، روح صلح وسلام، ليكون الجميع جسداً واحداً وروحاً واحداً حسب رجاء بولس الرسول فينا ولنا، وحسب طلبة السيد المسيح من الآب بقوله أن يكون الجميع واحداً كوحدته بأبيه وحدة

واحدة. هذا الأمر الذى طلبه الأنبياء فلم ينالوه، وتطلعت إليه الملائكة ولم ينالوه، ولكن أُعطي لنا نحن أن نعيش ونحيا فيه بلا مانع، أي الشركة في طبيعة الله. وما شركتنا في الطبيعة الإلهية إلا عن طريق المحبة والرحمة والسلام والتواضع، لأنه إن كان الله هو محبة، فكل مَنْ أحب أخاه فهو من الله، وكل مَنْ تحنن ورحم أخاه فقد تشارك مع الله في طبيعته. وهكذا أيُها الإخوة المحبوبون نأخذ موهبة الاتحاد بالله عن طريق وحدتنا وتآلفنا وعدم تكبرنا، متخذين من جسد الرب ودمه واسطة للثبوت بالروح فيه وطريقة حية لاتحادنا في الجسد الواحد، عاملين معاً لهدف واحد هو تمجيد الرأس أي المسيح.

والآن أطلب إليكم برأفة ربنا يسوع المسيح أن تُهيئوا أذهانكم لقبول كل ما يعمله الرب فينا أو معنا ككنيسة عن رضى وشكر واحتمال، حتى ولو كان على غير ما نُحب أو نبتغي أو حتى لو كان ضد ما هو مناسب أو حق، لأن للرب مخارجَ مَنْ يعرفها، واستطاعة مشهود لها من الكتاب المقدس أن يُخرج من الجافي حلاوة. والإنسان دائماً يعمل شراً والرب يريد خيْراً، وإن ساد الشر أياماً أو سنيناً فلابد أن تكون النصرة الأخيرة للحق أن يصرع الباطل، لأن الحق أبديٌّ خالد، أما الباطل فهو من ابن الهلاك وإلى يوم الهلاك منتهاه.

ترجَّوا وجه الله القدير، أُعكفوا على الصلاة بهدوء، لا تطلبوا الكمال على الأرض ولا تنتظروا الحق الكامل من أولاد المائتين، ولكن ترجَّوا الكمال هناك وترجَّوا الحق في بلد السلام مدينة النور والحق والحياة التى أساسها خلاص، وأبوابُها فرح، وملكها رئيس السلام يُدعَى، ومدعووها أبرار مُكمَّلون؛ وسكانُها ليس فيهم مَنْ يعرف الشر ولا شبه الشر بل ليس بينهم غاشٌّ ولا مُخادع، بل كلهم صف واحد يُسبِّحون من فم

واحد بقلب يستمد نبضاته من ينبوع الحياة بلا مانع، لهم ترنيمة واحدة ولهم قرار يقولونه بغير فتور: «قدوس قدوس قدوس لك وحدك المجد والكرامة والعظمة والسلطان أيُها الخروف المذبوح عنا، يا منْ غلبت بدمك وخرجت غالباً ولكى تغلب» (أنظر رؤ ٤: ٨، ١١، ٦: ٢)، ولترنيمهم سرٌّ لا يعرفه إلا مَنْ حفظ نفسه من عيب النساء، يُسبِّحون بلا فتور إذ ليس في تسبيحهم سِلاه.

طوبى للمدعو إلى عشاء عرس الخروف، حيث يبقى هناك إلى الأبد يُعيِّد بأصوات التهليل مع المُختارين والملائكة في عيد الأبدية الذي لا ينتهي.

نعم، هذا هو رجاؤنا الحي الذى نركض ولا نتعب لننال جعالتنا التي نشتهيها هناك، أما هنا فيكفينا تعزيات الحبيب حينما يكتنفنا الضيق من كل مكان! ولأنه وَعَدَ أن الملكوت للباكين، لذلك لن نكف عن البكاء ولن نتذمر من أشواك الطريق، لأننا ننظر إلى المدينة الباقية ونرجو ما لسنا ننظره ونتوقعه بصبْر كثير عالمين بل واثقين أن إكليلنا محفوظ عنده وسوف يلبسه كل منْ يكمل سعيه الحسن ويحفظ الإيمان.

ختاماً، أقول لكم جاهدوا كُلاًّ فيما لنفسه، واسهروا كل واحد عن ذاته، وافحصوا أنفسكم دائماً: هل أنتم في الطريق؟ حتى لا يكون جهادكم عبثاً وتعبكم باطلاً، بل لتُوجدوا أهلاً لتزكية الناس والله معاً، مشهودٌ لكم من سحابة شهود كثيرين، مُحيطة بكم. نعم، جاهدوا لتخلصوا وتعبُروا كما عبر آباؤكم بتعب كثير.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٨٥}

رسالة أبوية من مرشد روحاني

نُشرت في يناير ١٩٥٩م

عن التزام وصايا المسيح وسط العالم

عزيزي (...)

نعمة وبركة وسلام من الله.

أتعشم في وجه ربي وإلهي يسوع المسيح أن تكون في سلام الله، وفي نُمو روحى مع كل أفراد عائلتك المباركة، مصلياً من أجلكم أن يقبل الله حياتكم ويُهيئها لتكون له، ويضع يده وعينه على أسرتك، مرشداً خطواتكم بروحه القدوس، ومُشجعاً قلوبكم حتى تصير هيكلاً مقدساً لكل فكر صالح وكل شهوة روحية مُقدسة وكل عمل ديني جليل.

ولكن أرجو أن أضع أمام عيونكم صورة حقيقية لأبوة الله وعمل ابنه نحونا، حتى تنكشف حقائق الحياة الروحية، ويظهر مقدار إمكانية التمسك بأجْمل وأعلى درجاتها دون أن تتعارض قط ولا في شيء صغير مع واجبات الحياة العملية ومهام رب الأسرة، حتى إذا كانت مضايقات العمل تُحتم على رب الأسرة أن يمضي معظم ساعات النهار والمساء في خدمة مِهَنية، فالذى قال: «يا ابني أعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقي» (أم ٢٣: ٢٦)، هو هو الذى قال: «بعرق وجهك تأكل خبْزك» (تك ٣: ١٩)!

والذى قال: «يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً

واحداً» (تك ٢: ٢٤)، هو الذى قال: «أعداء الإنسان أهل بيته» (مت ١٠: ٣٦)، «وإذا لم يبغض الإنسان أباه وأمه وكل إنسان آخر مهما كان قريباً أو عزيزاً حتى نفسه، فلا يستطيع أن يصير لي تلميذاً» (أنظر لو ١٤: ٢٦)!

ويصل التعارض أخيراً إلى درجة مُحيرة في موضوع المال والمقتنيات، إذ يقطع السيد المسيح بالأمر واضعاً الأغنياء وذوي الأموال في وضع يستحيل عليهم أن يترجَّوا خلاصاً أو ملكوتاً عنده، واضعاً المال موضعاً مُخيفاً مُرعباً، فهو في اعتباره رب وسيد، كل مَنْ ابتغاه فقد في الحال ولاءه للرب والسيد الحقيقى وضلَّ عن الإيمان، ولا رجاء لمثل هذا إلا في أن يبيع كل ماله ويتخلى عن جميع مُمتلكاته.

ولكن هل في أحكام الله ووصايا ابنه تعارض؟ أو هل يُمكن أن تكون وصاياه مستحيلة التنفيذ؟ حاشا جداً.

أما الحادث فعلاً فهو أنه يوجد تعارض، ويستحيل على الكثيرين لا تنفيذ الوصية فحسب، بل وحتى فهمها أيضاً. فما السبب؟ السبب هو أن الناس يريدون أن يحملوا نيريْن: نير ربنا يسوع المسيح، ونير العالم. لذلك فالنتيجة الحتمية هى الإخفاق في حمل الاثنيْن، لأن هناك تعارضاً شديداً وتفاوتاً لا حد له بين وصايا العالم ووصايا الله.

فالعالم يوصي أولاده قائلاً:

- القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود.
- وسعيد هو الغني، لأنه يأكل مايشتهى ويلبس ما يريد.
- وعليك أن تمسك العصا من طرفيها لتضمن على كل حال نصيباً.

- وسعيد هو منْ يضحك! فاضحك تضحك لك الدنيا.

- واحترم نفسك يحترمك الناس.

- ولا تجعل ضميرك شديد الحساسية، لتحيا بلا همٍّ وتنجح في مشاريعك.

- والجسم السليم يُوفر لك عقلاً سليماً، فكُلْ واشرب لتصير حكيماً.

- ومُطوَّب هو الإنسان الذي يُحبه جميع الناس ويقولون فيه حسناً.

- لأن الصيت أفضل من الغنى.

- إن أردت أن تنجح دائماً فلا تنفرد برأيك وسرْ مع التيار وكُن مع الأغلبية، حتى إن كنت في بلد يعبد العجل فاقطع له برسيماً معهم وأعطه ليأكل.

وللعالم وصايا أخرى كثيرة، لحُسن حظي أنني لم أعرفها، ولكن ما أبأسها وصايا! صاغتها حكمة غاشة كاذبة، ولفقتها عقول مظلمة خالية من نور الحق. ومُجرد تسليط شعاع صغير من حق الله على هذه الأقوال يبدد في الحال هيئتها وتركيبها، كما تتبدد الظلمة عند إشعال مصباح صغير.

فاليوم الأسود لن ينفعه مال حتى ولو كان مكدساً بالآلاف والملايين، ولن يسند الإنسان في هذا اليوم إلا إيمانه بالله.

والسعادة لن يشعر بها الإنسان في أكلٍ وشرب مهما لذ وطاب ما يُؤكل وما يُشرب، ولكن طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يأخذون ويشبعون ويسعدون!

ولن يضمن الإنسان نصيباً لنفسه قط حتى ولو أمسك العصا من كل أجزائها، بل الحق هو أن لا نحمل العصا بالمرة، والله يفتح ولا أحد يُغلق ويُغلق ولا أحد يفتح، «منْ تجند قط على نفقة نفسه» (١كو ٩: ٧)، فالذي تجندنا له يُخرج حقنا مثل الشمس في الظهيرة!

والخيْر لن يكون في الوسط، بل إن الرب يقول: «ليتك حاراً أو بارداً ولكن لأنك فاتر فإني أكاد أن أتقيأك من فمي» (أنظر رؤ ٣: ١٥، ١٦). لأن الإنسان الحار قد وضع مبدأه وكشف تفكيره وميْله وكذلك البارد، فالأول يحيا مع الله تماماً والثاني يحيا بعيداً ويحس ويشعر بذلك، لهذا فإن فرصة الله ومجيئه إليه قائمة. أما الفاتر المكتفي بالوسط، فهو لن يكون حاراً يوماً من الأيام، لذلك فالبارد أفضل منه.

وليس في الضحك الآن سعادة دائمة، لأن السعادة الحقيقية هي أن يظل الإنسان ضاحكاً ومسروراً، وهذا لن يكون في هذا العالم، فهو يضحك يوماً ويبكى سنيناً. لذلك فطوبى للباكين الآن في هذا الدهر من أجل حبهم واشتياقهم لربهم وحبيبهم، لأنهم سيضحكون إلى الأبد هناك مع المسيح في مسرة أبدية، ولا أحد يستطيع أن ينزع فرحهم منهم قط. وويلٌ للضاحكين الآن لأنهم سيبكون ولا يتعزون إلى الأبد.

واحترام الناس لك لن يزيدك إلا كبرياءً وتصلفاً، أما احترامك لنفسك فهو غش وكذب، لأنه لا يعرف الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه، وكل واحد يعرف أن أي إنسان خاطئ هو غير مستحق إلا التوبيخ والمذمة. والحقيقة هي أن كل مَنْ اتضع في عيني نفسه واحتقر ذاته رفعه الناس وكرموه وأحبه الجميع والله، لأنه يسلك بالحق كما يحسه في نفسه، والحق مُكرَّم أينما وُجد!

والضمير الميت لن يُوصل إلى نجاح حقيقي، بل مآله الاحتقار من الجميع واللعنة من المظلومين وصراخ مثل هؤلاء مسموع جداً لدى الله، وليس رحمة لمنْ لا يصنع رحمة. أما الضمير الحساس الذي يفتش دائماً عن أية خطية أو تَعدٍّ ليصلحه في حينه، فهو ضمير منير يزوره الله ويباركه وينميه في الحق، «وجدتُ قلب داود عبدي حسب قلبي» (أنظر أع ١٣: ٢٢).

والذى أغلق ضميره معناه أنه كتب على نفسه حرماناً أبدياً من نعمة الله، لأنه في الضمير يُمكن أن يحل الله بروحه!

والأكل والشرب لن يزيد الإنسان حكمة بل تُخمة، والتُخمة تظلم العقل، أما أساس ورأس الحكمة فهو مخافة الله، والبطن الملآنة دائماً لا تجد لذة المعرفة أو اشتياق الحكمة.

والإنسان الذي يقول فيه جميع الناس قولاً حسناً هو إنسان مرائي، لأن ليس جميع الناس فضلاء حتى يمدحه الجميع، وإلا فكيف يمدح الشرير إنساناً فاضلاً، وما أكثر الأشرار في كل جيل! لذلك يقول الحق: «الويل لكم إن قال فيكم جميع الناس حسناً» (أنظر لو ٦: ٢٦)، «وطوبى لكم إذا طردوكم وشتموكم وقالوا فيكم كل قول شرير كاذبين» (أنظر مت ٥: ١١).

أما الذى يسير مع التيار فهو عبد لمشيئات الناس، ميت الشخصية ليس فيه صوتٌ للحق ينطق به، ومثل هذا الإنسان لا يتكلم الحق في قلبه ولا يُعلن له مشيئة خاصة، مثل هذا الإنسان يُولد ويعيش ويموت ولا يحس به الناس، وهو أشبه بعبد مسلوب الحرية والإرادة والمشيئة فاقد لمعنى الحياة تقوده مُجاراته للناس إلى التورط في الخطأ والبعد عن الله!

ولكن الذى يحس في ذاته بالحق لا يستطيع إلا أن يُعلنه ولو مات، ومثل هذا يكون ربْحُه في إعلان الحق ولو خسر كل ما له، وحياته في التمسك بالحق ولو مات من أجله. هذا يقول عنه السيد المسيح إنه قد كسب الحياة الأبدية ولابد سيحيا.

وهكذا يتضح كذب وصايا العالم وعدم نفعها لا في الحياة الروحية فحسب بل وفي الحياة المادية أيضاً. إذن فإن كان هناك تعارض بين وصايا الله ووصايا العالم حسب الظاهر، فهو في الحقيقة ليس تعارضاً بالمرة بل إنه خديعة وكذب، فليس هناك وصايا إلا لله وهي نافعة ولائقة ومفيدة لكل شيء في هذا الدهر وفي الدهر الآتي.

فإذا نشأ أي تعارض أو التباس في أثناء تتميمنا لوصايا المسيح، فمن الضروري أن هذا التعارض نشأ من انجذابنا نوعاً ما إلى مباديء وأركان العالم الكاذبة.

ووصايا المسيح في حد ذاتها سهلة، وهذا تصريح واضح منه حين قال: «إن نيري هين وحملي خفيف» (مت ١١: ٣٠). ولكن إذا حاولنا الجمع بين وصايا المسيح وبعض المبادئ أو الوصايا أو الاحتياطات العالمية، فإن نير المسيح سيبدو ثقيلاً جداً ولا يُطاق حمْله. فمن العبث أن نحمل نيريْن أو أن نخدم سيديْن أو أن نُرضي اثنيْن الجسد والروح.

ولكن هل وصايا المسيح كفيلة بأن تجعلني سعيداً في العالم الحاضر؟!

هذا هو السؤال الذى ينبغي أن نسأله ولا نكف عن ترديده حتى نتلقى الجواب، وليس من الممكن في هذا الأمر أن نعتمد على أقوال الناس مهما كانوا أمناء، ولا أن نتكل على خبرات الآخرين مهما كانوا قديسيين، بل يلزمنا أن نُجرب الأمر بأنفسنا ونحيا عملياً مطيعين وصايا

الرب يسوع في حياتنا الخاصة الداخلية والخارجية.

وإن للحياة المسيحية الصحيحة التي تسير وفق الوصايا حسب مشيئة الله بعض التوجيهات القليلة، أتمنى أن يوفقني الروح القدس في تقديمها الآن، مع أني واثق أن هذه التوجيهات هي من حقوق كل متقدم للحياة المسيحية الحقة يأخذها من الله كاملة مفصلة مشروحة حسب قامته الروحية وعلى قدر درجته في المعرفة والاختبار، ولكن هي بالاختصار تتلخص في الأسس الآتية:

أولاً: إذا تقدم الإنسان ليحيا حسب المسيح طبقاً لوصاياه ومُكملاً مشيئته المباركة، فعليه أن يُقدم ثقته كلها في شخص المسيح، من جهة الاتكال عليه في كل الأمور الصغيرة والكبيرة.

ثانياً: غير مطلوب منك بعد أن تلقي ثقتك كلها على المسيح أن تستعمل طرق التحايل البشرى أو تستخدم السياسة والمكر، بل يُكتفي بأن يُؤدى الإنسان ما في استطاعته حسب مستلزمات الحاجة الحاضرة الواضحة دون أن يعمل الإنسان حساباً للمستقبل الغامض، لأنه في اختصاص الله الذى سوف يُرتبه لك أفضل بكثير مما تعرف أنت، وهذا هو عمل الإيمان.

ثالثاً: في الوصية قوة كامنة قادرة أن تدافع عن الحق الذي فيها وتساعد كل متمسك بها، فمهما كانت الوصية صعبة حسب الظاهر، ومستحيلة حسب عُرف الناس، وغير عملية بالنسبة لحالة الشر المتفشية على الأرض، إلا أنها سهلة بالقوة الكامنة التي فيها، ونجاحها أكبر لكل مَنْ اعتمد عليها وتجرأ في استخدامها. فكل منْ تمسك بالوصية فهو قادر أن يغلب جيشاً من الشياطين ويهزم العالم كله، لو أنه ظل ثابتاً لا

يتزعزع.

رابعاً: مَنْ يحفظ الوصية عملياً تحفظه الوصية عملياً أيضاً. وهذا يشير إلى أن كل مَنْ تقدم في حفظ الوصايا يزداد إيمانه وثقته بالله حسب تقدمه، أما منْ يدَّعي أو يتصور أن له إيماناً وثقة بالله وهو لم يتقدم بعد في الحياة المسيحية و لم ينفذ وصايا الرب، فهذا الإيمان كاذب وهذه الثقة واهية لا تنفع. ومثل هذا الإنسان تتخلى عنه النعمة ولا يجد معونة وقت الضيق.

خامساً: كل إخفاق أو فشل للإنسان السائر حسب وصايا المسيح هو إخفاق وفشل مؤقت يعقبه النجاح حتماً. وهذا الفشل المؤقت مُقدَّم للإنسان بحكمة عظيمة وبقدر مناسب وحسب غايات مباركة وصالحة: إما لتقدمه في المعرفة أو لتوطيد إيمانه وثقته أو لتدريبه في دراية التعزية للآخرين وإرشادهم، أو لازدياد حساسيته من جهة الخطايا الصغيرة بنوع التربية والتأديب. وهذه كلها نافعة جداً وبدونها لا يُمكن للإنسان أن ينمو روحياً. لذلك يجب أن يتقبلها الإنسان بالشكر والرضى مع أُذُن مفتوحة وقلب فهيم ليدرك القصد منها.

سادساً: إذا أخطأ الإنسان السائر في طريق الله، فليقُمْ حالاً ولينتبه جداً، لأن أخطر مرحلة يمر فيها الإنسان ليست هي مرحلة الخطية بل مرحلة ما بعد الخطية، إذ يجد عدونا فرصة لافتراس النفس وتقييدها برباط الخطية الشديد أو اليأس أو التمادي في الانحلال والبعد عن الله. إذن، فيلزم أن نعرف أن الله يكون في هذه المرحلة أقرب لنا من أية فترة أخرى، وهو مستعد أن يقبلك كما أنت، ويتقبلك بفرح عظيم وحرارة ومحبة، أما الخطية التي سقطتَ فيها فهو مستعد أن ينساها بل ويغسلك أيضاً منها ويغسل فمك وعينيك وحواسك وجسدك كله ونفسك أيضاً

بجُنو عظيم أكثر من أُم لها ابن ساقط في الوحل، وفي هذه الحالة أُذكر الذين سقطوا وتابوا وقَبِلَهم الرب بفرح عظيم.

سابعاً: للخطايا قدرة على عزل قلوبنا عن الله، فلو شعرنا بانحجاب النعمة عنا أو توقُّف التعزية أو عدم إحساسنا بالوجود في حضرة الله، فارجع حالاً إلى نفسك لأن هناك خطية أو شهوة منحرفة رابضة بالقلب قد حجبت نور الله وقطعت عنا تيار السلام الداخلي. اجلس مع نفسك كل يوم وفتش قلبك وحياتك ونقِّ حقل حياتك من أشواك الخطية، وبقدر جهادك في التعرف على خطاياك بقدر عودة السلام والفرح والتعزية وشعورك بالقرب من قلب الله وعنايته.

ثامناً: إن كانت الخطايا هى شوكة حياتنا المُرة التى تحجبنا عن الله، وإن كانت شديدة التأثير على حياتنا وأخلاقنا وسلوكنا، وقد تسلطت على طبيعتنا جداً، فلنا تعزية عظيمة لا تُحد، لأن المسيح جمعها كلها على هيئة إكليل من شوك ولبسها فوق رأسه وشرب كأس سُمِّها حتى آخر نقطة وتقبَّل قوة فعلها في جسده فمات، ولكنه لم يخضع لموتها بل قام بقوة لاهوته ناقضاً كل سلطانها وكل تأثيرها وكل فعلها.

وبعد أن كانت حجاب موت أبدي يفصلنا عن الله إلى الأبد، صار لنا بواسطة قدرة المسيح القيام منها ونقض سلطانها والرجوع إلى الله حالاً. لذلك قد صار لنا بدم المسيح غفران سريع وعودة في الحال لله الآب، وكل مرة نُخطئ فنصرخ في طلب دم المسيح نُنقل في الحال ونتقدم بجُرأة إلى الله الآب فنُقبَل!

فإن كُنا نتألم من جراء خطايانا وأدناسنا التي هي أشد مرارة من ألم الأشواك السامة، فلنا أن نتعزى جداً إذ لنا كأس دم المسيح.

تاسعاً: لا تعتمد على مشاعرك وعواطفك في تقدير حالة إيمانك وثقتك بالله، لأن هذا الإيمان يجب أن يكون قدس أقداس القلب بعيداً عن الانفعالات السريعة المؤقتة التي نصادفها في حياتنا العملية، فليس من اللائق أن يزداد حبنا لله أو إيماننا بالله لنجاح مادي مؤقت أو بسبب خبر مفرح أو عواطف تشجيع الآخرين ومحبتهم، لأن هذا معناه ضياع ذلك الحب وهذا الإيمان عند حلول الفشل أو المصائب أو الأخبار المُحزنة أو اضطهاد الناس وتعييرهم!

نعم كل شيء يجب أن يُعرض على الله ونُقدمه له في صلواتنا، سواء كان نجاحاً أو فشلاً أو فرحاً أو حُزناً، ولكن لا ندعْ هذه الأمور والمشاعر تصيب علاقتنا بالله وتؤثر في تقديرنا من نحو الله ذاته، لأن هذه خطية عظيمة.

عاشراً: إن حقك الروحي قد صار بواسطة المسيح لا حدود له ولا سدود أمامه، فبقدر ما تطلب تأخذ، وبقدر ما تُجاهد تصل إلى كل ملء الله.

هذه بعض توجيهات قليلة قد تصلح للبدء في المسير حسب وصايا الرب، ولكن لكل تقدم يُحرزه الإنسان توجيهات جديدة أدق، وهذه يقدمها الروح القدس للإنسان المستنير بنعمة الله.

فليجعل الله هذه الكلمات في حياتك مثمرة نافعة لمجد اسْمه.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٨٦}

الخليقة كلها تمجد الله

نُشرت في فبراير ١٩٥٩م

عزيزي (...)

نعمة وبركة وسلام لك أيُها الأخ المحبوب في الرب.

أتعشم أن تكون متقدماً في اختباراتك الروحية، ولك سلام في القلب لا يفارقك، فهذا هو عطية الرب القدوس لنا في الحياة الحاضرة، وهي عطية فائقة القدر نظراً لمتاعب الحياة الكثيرة.

وقد وعدتُك أيُها الحبيب في خطابي السابق أن أُقدم لك بعض كلمات نافعة، لأنير أمامك الطريق للسلوك حسب وصايا الرب، وكنتُ قد سبقتُ فأخبرتُك في خطابي الأول عن التعارض الشديد بين وصايا العالم الحاضر التي يقدمها لأبنائه العائشين حسب الجسد ووصايا المسيح لأولاده المولودين من الماء والروح المُختارين حسب مشيئة الله المقدسة لميراث الحياة الأبدية.

كما أخبرتُك أيضاً عن استحالة حمْل نير ربنا يسوع المسيح مع نير العالم، وكيف أن أي انحراف حسب أصول هذا الدهر أو استخدام وسائل سياسته القائمة على المكر والدهاء والكذب، كفيلة بأن تجعل نير يسوع ثقيلاً غير مُحتمل.

وها أنا أعرض على محبتك شيئاً من أعماق وصية الرب ونفعها الجزيل، مع أن الوصية مضيئة بالحق الذى فيها، تنير العينيْن حتى للذين على بُعد، ومع أنها سهلة يتفهمها الأطفال، إلا أن تلوُّث عقولنا بمبادئ

وأركان العالم الخاطئة وتشبُّعنا بروح العالم، كل ذلك جعلنا نحتاج إلى توضيح لها أو شرح.

ولكن لا زلتُ أومن أن الوصية ذاتها لا تحتاج إلى توضيح أو شرح، فحاشا للحق أن يكون غامضاً، وحاشا لله أن يفتقر إلى تعريف. إنها الحاجة كل الحاجة إلى كشف خداع وغش المبادئ التي غرسها العالم فينا وجعلنا نرتكن عليها منذ الصغر كأسس للحياة السعيدة الكاذبة كما سبقتُ وأخبرتُك عنها، كما أن الحاجة أيضاً هي إلى تفهُّم روح العالم تفهماً حكيماً متزناً لندرك مقدار الهُوة التي نسير إليها في اتِّباعنا لها. أما الحق والوصية، فهي حينئذ ستنير وحدها حينما نكتشف كل ما هو ليس حقاً، وهكذا لن ندرك النور إلا إذا عرفنا أولاً أننا في ظلمة، ولن نُحب النور إلا إذا أبغضنا الظلام!

ولقد عرَّف الوحي الإلهي العالم بتعريف عملي مُحكم، فهو شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة، وهذه الثلاثة دمغها السيد الرب بالزوال والفناء، وقطع أنها ليست من الله. ولكن ليس معنى هذا أن نسير في هذا الدهر غرباء عن الخيْر الذي فيه، أو كأن الخيْرات العديدة الموجودة في هذه الحياة لم تُخلَق لنا، كلا، فالله معروف بأنه صانع الخيْرات ومسرته في أن نستعمل الخيْر في الغرض الذى خُلق له. وإن كان قد أُشكل على الكثيرين معرفة الشر أو تعريفه، فهذا مرجعه أنه لا يوجد شر في هذا العالم على الإطلاق(*). وإن كان هذا الكلام يبدو غريباً على

(*) يقول القديس أثناسيوس الرسولى في رسالته إلى الوثنيين: [في البدء لم يكن الشر موجوداً، بل إنه ليس له وجود الآن في الذين تقدسوا، كما أنه ليس له علاقة بطبيعتهم بأي حال من الأحوال. إن الشر لم يكن من البدء مع الله أو في الله، كما أنه ليس له وجود جوهري، بل إن البشر لقصورهم عن رؤية الخيْر بدأوا يخترعون ويتوهمون لأنفسهم ما لم يكن، منساقين وراء شهواتهم] (الباب الأول، الفصل الثانى رقم ١، ←

مسامعك، لكنه هو الحقيقة. فالله الكامل القدوس الحكيم القادر على كل شيء حاشاه أن يصنع شراً أو يخلق شراً، وإنما الشر هو الانحراف بالخيْر في غير ما وُضع له. فليس ثمة وجود إيجابي للشر، بل إن كل عمل أو فكر أو تصور وكل خليقة مما في السماء وعلى الأرض هي في حد ذاتها خيِّرة وأُعطيت أن تعمل الخيْر، وكل استعمال للخيْر في الغرض الذي جُعل له هو الخيْر. الخيْر إذن حالة أو عمل أو شيء إيجابي موجود ومخلوق لتأدية رسالة، أما الشر فهو افتئات على الخيْر وأخذه بالحيلة والخداع والكذب واستعماله في غير قصده. إذن، فلا وجود للشر على الإطلاق في هذا العالم (*).

وعلى كل حال نستطيع أن نقول عن كل عمل من الأعمال التي تحت الشمس وكل خليقة خُلقت في السماء وعلى الأرض أنها جميعاً خيِّرة خيْراً محضاً لغرض يُحيطه الخيْر من كل جوانبه، كما أن في تفهُّم الإنسان لوصايا الرب كفاية كاملة لاجتلاء كل أسرار الخيرات ومعرفة واضحة نيِّرة لكيفية استخدامها فيما وُضعت له. كذلك فإن في اتِّباعها تماماً فرصة نادرة لاجتناب خداع الشهوات والانجذاب إليها. هذا مع تكراري القول بأن في الوصية حقاً ونوراً يدفعان السائر عليها للتعمق فيها وحُبها والتمسك بها.

الفصل السابع رقم ٣ عن الترجمة العربية التي قام بها القس مرقس داود ص ٢١،٢٣)

(*) يقول القديس أثناسيوس: إن البشر [إن كانوا بحضور وتعطف الكلمة قد دعوا إلى الوجود من الحالة الطبيعية الأولى وهي عدم الوجود، فإنهم متى تجردوا من معرفة الله عادوا إلى العدم (لأن كل ما هو شر فهو عدم وكل ما هو خيْر فهو كائن وموجود)، يجب أن تكون النتيجة بطبيعة الحال الحرمان إلى الأبد من الوجود طالما كانوا يستمدون وجودهم من الله الموجود] (تجسد الكلمة: الفصل الرابع، الترجمة العربية للقس مرقس داود ص ١٨).

ولقد مرَّت الخيرات الزمنية في أطوار متدرجة في اعتبارات الوصية أي بالنسبة للحياة الروحية للإنسان. ففي وصايا الله في العهد القديم كان للخيرات الزمنية اعتبار هام من جهة التمتع بها واستخدامها، وكانت هى جزاء الطاعة لله ولوصاياه: «فإن أطَعْتُم تأكلون دسم الأرض، وترثون أرض أعدائكم؛ أرضاً تفيض لبناً وعسلاً وكروماً وزيتوناً وتيناً ومياهاً حية؛ آبار لم تتعبوا فيها، وتشبعون من دسم الحنطة وتبتهجون بوفرة غلاتكم وزيتكم، وأنتهر لكم السوس والجراد، وأبارك غلات عامكم السادس ضعفاً، وتجلسون آمنين كلٌّ تحت زيتونته وتحت تينته، ويُسمع في شوارعكم وبيوتكم أصوات الفرح وأعراس البهجة، وأُزيد من أجرتكم ثمرة البطن أولاداً وحتى بهائمكم لا يخيب لها نسل» (أنظر تث ٢٨)!!

هذه هى اعتبارات الخيرات الزمنية في نظر الشريعة الأولى للإنسان، وهى قريبة إلى روح معاملات الأب لأولاده وهم في دور الطفولة!

«ولكن حينما كنتُ طفلاً كطفلٍ كنت أتكلم، ولكن لما صرتُ رجلاً أبطلتُ ما للطفل» (أنظر ١كو ١٣: ١١). هذه هى روح شريعة الوصية في العهد الجديد!

نعم فقد كشفت وصية المسيح عن حقائق جديدة في حياة الإنسان أعظم بما لا تقاس من الخيرات الزمنية من وجهة نظر السعادة والفرح والغبطة، فشتان بين المسرة الناشئة عن الأكل والشرب وبين المسرَّة المتولدة من المعرفة الروحية وعِشْرة الرب واستعلان حقائق الأبدية والخلود؛ وتأكُّدنا من كتابة أسْمائنا في سفر الحياة.

وإنه وإن كان يوجد فارق شاسع بين المسرة الأولى والمسرة الثانية، بين لذة الجسدانيات وغبطة الروحانيات، إلا أننا لا نستطيع أن ندرك

الثانية إلا إذا عبرنا بالأولى، أو على الأقل أدركناها بعض الإدراك، وهذا هو سر تباطؤ مجيء الرب يسوع لإعلان المسرة الروحية في العهد الجديد حتى يكون الإنسان قد تذوق الخيْرات الزمنية وتدرب على الطاعة للوصية في سبيل الحصول عليها والتمتع بها كجزاء سريع مباشر.

ولكن بعد أن جاءت الوصية الجديدة، وبعد أن كشف الرب القدوس عن السرِّ المُعلَن الذي لم يُعرَّف به بنو البشر في العصور السالفة، ثم عرَّف الإنسان سر الثالوث الأقدس، فأدرك محبة الآب وافتداء الابن وبركات الروح القدس، وتذوَّق المسرة الروحية وثمار الحب الإلهي، وتأكدت الخيْرات الأبدية والميراث الروحي السعيد الذى لا يفنى ولا يتغير الذي دُعينا لنناله مجاناً بإيماننا بالفداء الذي أكمله المسيح بدمه عن ثقة وحب؛ أقول أنه بعد إدراكنا هذا كله كمصدر للسعادة واللذة الروحية، أصبح عاراً علينا أن ننتكس ونبحث وراء لذة جسدية زائلة أو شهوة خير ترابية أو تعظم معيشة مائتة، نحن أولاد الله، وورثة السماء.

ولكن ما هي نظرة المسيحية نحو الخيْرات الزمنية من حيث غايتها؟

لقد شرحتُ لك أيُها الحبيب نظرة المسيحية نحو الخيرات الزمنية من حيث التلذذ بها واستخدامها، ولكن ليس هو كل الخير الذى انبعثت من أجله الخيرات وخُلقت، بل أكاد أقول إن اللذة الحسية في امتلاك الخيرات الزمنية هى طلاء خارجي خادع يُخفي وراءه حقائق غايةً في الروعة، كلها روحي وكلها حقٌّ وعُمق، كفيلة بأن تَبلُغَ بالإنسان إلى أَوَج الرفعة الروحية لو استطاع أن يَلِجَ إلى أعماقها دون أن تُلهيه مظاهرها الحسية.

فالجمال يملأ الخليقة كلها، ففي كل ركن من أركان العالم تنبعث منه لمسة من لمسات الجمال المبدع، وكل شيء مخلوق أو مصنوع بيد

الإنسان يحمل حُسناً ورونقاً، وهذه كلها تدعونا لكي نتلاقى معها في نواحي جمالها، بالجمال الذي فينا أيضاً. لأنه لولا لمسة الجمال الذي فينا ما أدركنا جمالاً ولا كمالاً في شيء، فإن كُنا نتذوق جمال الكون والمخلوقات وبدائع الحياة الزاخرة بشتى نواحي الجمال وصُوَره، فذلك لأننا وُهبنا روحاً من الله، وما هذا الجمال في كل صُوَره: إن كان في الزهرة ذات الألوان والتصانيف المدهشة، أو في مناظر الطبيعة الغنية بعديد صنوفها، إلا لمسات روح الله الخالق الذي جبل خليقته حسنة وجميلة ناطقة ومُتحدثة في القلوب الجميلة التي صارت هيكلاً لروح الله.

وهكذا نجد أن الخيرات الزمنية مصدر إسعاد ولذة روحانية ووسيلة للإعلان عن الله في قلب الإنسان المنفتح للحق، وموضوع تأمل لا نهاية له في أعمال الله وحكمته، بل إنني قد اتخذتُ من جمال الحياة حولي مجالاً أتلامس به دائماً مع الله، وها أنا أحيا فيه مشاركاً كل خليقة في الوجود، سواء رأيتُها أو سمعتُ عنها سمع الأذن متحدثاً بلسانها، مُمجِّداً الخالق الذى صنعنى وإياها [٥]. وأتمنى لو تشاركني إحساسي أنت أيضاً على هذا النمط حتى نستطيع أن نمتص الخير الحقيقى في كل ما هو خير ونبلغ إلى

---

(٥) يقول القديس بولس الرسول: «لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدرَكة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته» (رو١: ٢٠). ويقول القديس أثناسيوس الرسولى إن [الله إذ يعرف ضعف البشر أعد علاجاً شافياً لإهمالهم، حتى إذا كانوا لا يُعنَوْن بمعرفة الله من تلقاء أنفسهم استطاعوا بواسطة المخلوقات أن يتجنبوا الجهل بالخالق. وهكذا كان في استطاعتهم إذا ما تطلعوا إلى السماء وأدركوا جمال وتناسق الخليقة أن يعرفوا مُدبرها؛ كلمة الآب؛ الذي يعلن الآب للجميع بسلطانه على كل الأشياء، والذي يُحرك كل الأشياء لهذا السبب عينه، حتى يستطيع الجميع أن يعرفوا الله فيه وبه]. ويقول هذا القديس أيضاً: [إن الكلمة بعد تجسده مع حلوله في جسد بشرى وواهباً إياه الحياة، فقد كان يمنح الحياة للكون في نفس الوقت بلا تناقض، وكان حاضراً في كل عمل من أعمال الطبيعة وهو خارج الكل. ومع أنه كان معروفاً من أعماله التي عملها في الجسد، فإنه كان في نفس الوقت ظاهراً أيضاً في أعمال الكون] (تجسد الكلمة، فصل ١٢، وفصل ١٧، الترجمة العربية ص ٣٤، ٤٥).

الغاية التي خُلق كل شيء وخُلقنا نحن من أجلها.

ولكي أُقرِّب هذا الإحساس إلى قلبك، أذكر أن جسدك الذي لك هو في الحقيقة مذبح قُدمت وتُقدَّم عليه كل يوم ذبائح وقرابين نباتية وحيوانية. وهذا النبات أيضاً هو مزيج ناتج من تربة ذاتية ومياه منسكبة من السُحب المتجمعة من مُحيطات العالم الواسعة وشمس وهواء.

فلو تأملت إلى الحصيلة الجسدية التي تجمعت لديك لوجدتها مزيجاً من كل ركن من أركان العالم وعناصر الطبيعة وكل مواردها ومفاعيلها، بل إن كل خليقة قد اشتركت معاً في تكوين جسدك هذا.

إذن، فالإنسان هو في الحقيقة عقل المخلوقات جميعاً، ولسانُها المتكلم الناطق الذي يُقدِّم التسبيح للخالق، وهو لو كفَّ عن أن يُمجِّد الله مُسبِّحاً بلسان هذه المخلوقات الجامدة الصامتة والمُتحركة، لاعتُبر سفيراً غير جدير بسفارته، أو في الحقيقة يُصبح غير مستأهل لهذا الجسد الذي جمعه وابتزَّه لنفسه من كل خليقة ثُم نجَّس حقها في تقديم التسبيح لله عنها!!

ولا تظن أيُها الحبيب أنني أُحدثك حديث الفلسفة، بل أنا في الواقع أدور حول الوصية وما زلتُ أسير بك في مُحيطها الخارجي، أتأمل معك في أهدافها من بعيد. ولسوف تجد أننا في اللحظة التي أستطيع أن ألج معك إلى أعماقها، سيكفُّ قلمي ويعجز عقلي عن أن يمتد فيها خطوة واحدة.

أما عن حديث الجمال والخير والتأمل فيهما والحق الذي صُنعا من أجله، فهو طرف من توجيهات المسيح الذى ما كان يكف عن إظهار صفات الله وقدرته ولاهوته فيها، فتارةً يقول: "تأملوا زنابق الحقل

وجمالها وحسنها"، فالملك سليمان بكل جماله وزينته الملوكية لا يُجاريها في إبداعها، ثُم يحمل سامعيه إلى الثقة بمَنْ ألبسها هذا الحُسن، موضحاً أنه مهما اعتنينا بأنفسنا ودقّقنا جداً في احتياجاتنا، فلن نبلغ اعتناء الله بزهرة صغيرة، فكم يعتني بنا نحن المخلوقين على صورته الخالدة ومثاله؟!

هذه هي نظرة المسيحية نحو الجمال والخير، يتأمل في الزهرة ويُحبها وتنفرج أساريره بمنظرها، ويشمُّها فتبتهج نفسه بأريجها، ولكنه يتطلع إلى فوق ثُم إلى نفسه ويدرك من الزهرة علاقة جديدة بإلهه ويستكشف في جمالها عناية خفية بحياته!! ثُم يترك الزهرة في مكانها ولكنها تظل في قلبه. أما الجاهل الذى لا يرى الخير إلا في امتلاكه؛ ولا يجد في الجمال إلا متعة يُلذذ بها إحساسه، فإنه إذا وقع بصره على زهرة فإنه لا يهدأ حتى يمتلكها! ولكن هيهات أن يمتلك الجمال، فالجمال هو الله، وهيهات أن نقترب إلى الله بأحاسيسنا أو نتحسسه بحواسنا، فكلما اقتربنا من الله بحواسنا ازداد هو بعداً عنا.

وهكذا لن يجد طالب الجمال لذة إلا سراباً وخديعة، وهو حالاً سيلقي الزهرة من يده، وربما داسها غير عابيء، وعلى فمه سؤال وتهكم: أين الجمال؟

وتارةً أخرى نجد السيد يتكلم عن طيور السماء، وكيف تحيا بلا همٍّ لزرع أو لحصاد ولا تعرف أن تجمع لنفسها قوت الغد، ثُم يسمو بسامعيه إلى إمكانية الحياة بلا همٍّ، فالذى يقيت الطيور يقيتنا، والخالق لا يُضيِّع ما خلق.

هذه نظرة المسيحي: يرى الخير ويدركه حتى في تأمله في طيور السماء، ويستشعر أن هذه الدنيا كلها له، فلماذا يُضيِّق على نفسه في

حدود وقيود يشتريها لذاته، والذى أعانه يعين ولده، وحينما يأتي الغد يحمل همه، أما اليوم فيكفي جهاده وتعبه وشره.

أما صاحب المخازن وذو الأموال المكدسة، سواء في جدران مخازنه أو أرقام أمواله، يحيا في أوزان وأرقام، يرتفع بارتفاعها، ويهبط بهبوطها، وينظر نفسه من خلالها ويُقدِّر مستقبل بيته وولده بقدرها، هي حياته وهي سعادته وهناك يضع قلبه، كما يقول السيد المسيح عنه.

وهكذا نستخلص حقيقة مسيحية جديرة بالاحترام والتقدير، فالخيرات الزمنية مِلْكٌ لمنْ لا يمتلكها. إنسان بلا قِنْية سعيد بالدنيا بأسرها، حُر يضعَ قلبه أينما شاء أو بالحرى حيثَ يشاء الله، أما الذي يقتنيها فإنها تملك عليه فتأسر قلبه وتستعبده.

فهي في وضعها الإلهى شواهد لمجده، مُعبِّرات عن وجوده وإحساسه، وهي في وضعها البشري قنطرة عبور لا يهم منها إلا ما تُوصِّلنا إليه.

ولنا في التقرير الختامي الذي قدمه السيد المسيح عن حياته البشرية قول نافع، له معانيه: «ثقوا أنا قد غلبتُ العالم» (يو ١٦: ٣٣).

ربما يظن الكثيرون أنه يقتصر في غلبته على الخطية والشر، ولكن ليس هذا بأمر ذي بال لربٍّ وإله، وإنما غلبته الجديرة بالإعجاب هي على خيرات هذا العالم وجماله وترحيبه وتمجيده.

نعم، قد غلب حقاً مجد الناس، وأعلن قائلاً: «مجداً من الناس لستُ أقبل» (يو ٥: ٤١)، وغلب ترحيب الرؤساء وتكريمهم وموائدهم الفاخرة، لا برفضها بل بقبولها ثُم توبيخهم عليها.

رفض استقبال الجماهير المتدفقة المتحمسة لتنصيبه ملكاً.

رفض مُجاملة بطرس في عدم لياقة الصلب لابن الله الحي!

رفض مُجاملة هيرودس وبيلاطس الملكَيْن اللذيْن ظنا أن في سلطانهما إطلاقه والعفو عنه.

وهكذا أكمل مسيرته دون أدنى تعويق، ولم يستطع الخير ومجد العالم بكل صنوفه أن يسلبه وجهة نظره، إذ كان قد ثبَّت وجهه نحو الهدف الذى جاء إليه منذ اللحظة التي صرح فيها أنه «ينبغي أن أكون فيما لأبي» (لو ٢: ٤٩).

وبذلك أكون قد كشفتُ لمحبتك وجهة نظر مسيحية نحو الخيرات الزمنية من حيث الأخذ بأسبابها حسِّياً، ومن حيث الانتفاع بغاياتها روحياً.

ولكن كما سبق وأعلنت لك أن الوصية في العهد الجديد قادرة أن تُسلط نور الحق الذى فيها ليكشف أكثر زَيْف المبادئ والعلائق التي نبني عليها حياتنا الجسدية، والذي يتمسك بها (أى بالوصية) تمسك به وتُعرِّفه سر الحق والحياة.

وها أنا أتقدم في ضوء الوصية لأتفهم معك، أيُها الحبيب، أهم مشكلات العصر واحدة فواحدة، عسى أن أبلغ إلى ما تصبو إليه نفسي في تمجيد إلهي بإعلان الحق أينما سرتُ وكلما سُئلتُ. أرى أني أطلتُ الحديث عليك، فلأختم خطابي راجياً لك نُمواً في حياتك الداخلية وتجديداً مستمراً في علاقتك بخالقك.

كُن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٨٧}

كيف يسلك المؤمن في العالم بوصايا المسيح؟

عام ١٩٥٩م

عزيزي (...)

بركة وسلام لروحك أيُها الحبيب ونعمة إلهنا الصالح ترافق نفسك العزيزة لاجتياز طريق الحياة بثبات. أطلب من سيدي الرب أن يرفع عن نفسك كل ضيقة ويُمتعك بثمار محبته المملوءة تعزية ورضى.

أكتب إليك لكي تتشدد بقوة الروح القدس الموهوب لنا لحفظ الإيمان والرجاء واستقبال تعزيات الله الخفية في أوقات الضيقات واختبارات الحياة المختلفة. وليست الآلام بكل أنواعها إلا تصادماً ظاهراً بين إمكانياتنا المحدودة وآمالنا المتسعة سواء كانت روحية أو جسدية، لذلك يلزمك أيُها الحبيب أن تُعدِّل منهج حياتك فتقبل الأوضاع البسيطة ولا تُحاول أن تتسع في شيء، لأن ذلك يكون حتماً عبئاً جديداً وتحميلاً إضافياً على طاقتك العصبية، كثيراً ما يعجز الجسد وتعجز قوى النفس على القيام بها فتظهر أعراض الهبوط العصبي الذى يُعانيه آلاف الناس في هذه الأيام حتى الأقوياء والنشطاء، بل ربما يُعاني مثل هؤلاء الأقوياء النشطاء أكثر مما يعانيه الضعفاء.

ومعلومٌ، أيُها الحبيب، أن الحياة في هذه الأيام صراع في كل ميدان بين الموجود وبين ما يُرتجى، فإذا كان ما يُرتجى أعلى من إمكانيات الناس فلن يكُف الجهد والصراع، بل سيمتدا كلاهُما أكثر كلما نلنا من الإمكانيات أكثر. لذلك أود لو ألفت نظر محبتك أن تخرج من دائرة صراع العالم، وتُعدِّل موازين حياتك على صورة مبسطة جداً خالية من

كل اهتمام زائد أكثر من مطالب واحتياج اليوم، مُحاولاً بقدر إمكانك إلغاء كل تفكير في المستقبل المجهول، سواء أكان بالنسبة لك أو لأسرتك، خصوصاً وأن السيد الرب أخذ ذلك الاهتمام على عاتقه وقال بصريح القول: «لا تهتموا للغد، يكفي اليوم شره» (مت ٦: ٣٤).

ولا تُحاول أن تقتني شيئاً ثابتاً من حطام هذه الدنيا، سواء أكان عقاراً أو أطياناً، لأن الحقيقة المُرة هي أننا لا نقتني هذه الأشياء في الواقع، بل هى التى تقتنينا، فنُربط بها (كثقل يشدنا إلى أسفل) ويتركز فيها أغلب اهتمامنا وتفكيرنا ونشاطنا، وكأنما نحن بامتلاكنا لحطام الدنيا نفقد حريتنا ونُستعبد للدنيا، وبعد أن تكون كل الأشياء لنا نصير نحن مُشترين ومبيعين لبعضها (أو كلها)، ولا نملك حريتنا الأولى المتسعة.

فالذى يمتلك رصيداً في البنك يمتلكه حسب الظاهر والأرقام والدفاتر، ولكن في الواقع أن الرصيد هو الذى يمتلكنا ويحتجز عنده بين الجدران آمالنا وأفكارنا وهمومنا، وبذلك تحتجز البنوك بين جدرانها آلاف القلوب والعقول وأشلاء أعصاب ملايين من الأغنياء والفقراء: الأغنياء في أموالهم المحبوسة، والفقراء في ذواتهم المحبوسة تحت الأرصدة تعلو بعُلوِّها وتهبط بهبوطها، وهى في هذه وفي تلك مسلوبة الحرية. والمسيح تبارك اسْمه سبق وأعلن صراحةً أن «حيث يكون كنزك فهناك يكون قلبك» (مت ٦: ٢١)، ويُمكن أيضاً أن تقول بلا حرج أن حيث يكون كنزك محبوساً يكون قلبك أيضاً. ولا شيء يهدُّ كيان الأعصاب قدر الهموم، ولا شيء يزيد الهموم إلا التفكير في المجهول.

فليتك تحيا ليومك وتسعد بنصيبك، وتُعدِّل منهج حياتك من جديد على أساس البساطة والاتكال على الله، إله المجهول الذى وعد بأنه سيهتم بنا وسيهيئ لنا الغد حسب مسرة مشيئته لنا (كأبناء له). فاخضع لمشيئة

الله وسلِّمه قيادتك وثقتك وإيمانك كله دفعةً واحدة، وعشْ سعيداً ليومك راضياً بإمكانياتك مهما كانت سواء المالية أو الصحية، لأن الرضا بالموجود هو غاية السعادة وغاية العبادة المقبولة، على أننا نسعى ونهتم فقط لكي نكون مرضيين ومقبولين عند الله أكثر.

على أنني أكتب إليك أيضاً لكي تُعدِّل من نظرتك نحو الآلام والأمراض والحوادث التي تصيب خيمتنا الجسدية، لأن قياسنا لها كعقاب أو تخلية من الله قياس خاطئ يزيد من ثقلها ويُعرقل طريق الانتفاع بها!

فحاشا لله وهو مُحب البشر ومعطى الخيْرات أن يُجازى بالشرور، وإلا فكيف نُقرُّ آلام المسيح المُرة التي تحمَّلها إيفاءً للعقاب الذي أنشأته الخطية فينا؟! فالمسيح تبارك اسْمه وفىَّ جميع ديون الخطية وعقوبتها بآلامه، واغتسالنا بدمه طهرنا من كل خطية، فلم يعُد بموت المسيح عنا مكانٌ للعقوبة أو القصاص. ولو كان الله سيعاقبنا على خطايانا فجميع أنواع الأمراض والآلام لو أتت علينا لا تكفي لإيفاء العقاب المستحق، حتى لو تعذبنا بها كل حياتنا، حتى ولو طالت حياتنا إلى ما لا نهاية.

لذلك أوجه نظر محبتك لكي تُلغي فكرة العقاب من دائرة الشعور بالتعب أو الألم مهما كان الإنسان مُحمَّلاً بالخطايا، لأن دم المسيح كفيل بأن يُوفي كل ديونها. غير أننا نستطيع أن نستخلص من الألم فكرة توجيهية توجهنا إلى الخير وإلى الشفاء، فكما أن ألم الإنسان يُوجه المريض إلى الطبيب ويُوجه الطبيب إلى العلاج وإلى الشفاء، كذلك أمراض النفس والآلام الخفية (أى الأهواء والشهوات) هي توجُّه خفيٌّ إلى الطبيب الخفي (يسوع) لنوال علاج مناسب.

لذلك أرجو أن تكون أتعابك الخفية تذكيراً دائماً لرفع القلب بالصلاة

والشكر مع الرضى، وهذه كفيلة بنعمة الله أن تُخفف من حدة الألم، بل ربما تستطيع يوماً من الأيام أن تُحول الألم إلى لذة إذا انفتح قلبنا بالحب نحو الله، لأنه معروفٌ أن الحبيب يستعذب دائماً الألم من أجل محبوبه، بل إن الألم هو المحكُّ الوحيد لاختبار صدْق الحبيب لو قَبله مبتسماً من أجل حبيبه. والآلام كلها تظل أموراً لا معنى لها بالنسبة للمتألم وسؤالاً يفتقر إلى جواب أو حل إلى أن يتقبلها الإنسان ويُرحب بها أولاً.

هكذا فعل المسيح، فهو لم يفحص مقدار استحقاقه للألم ولم يسأل لماذا أتألم عن أشياء لم أعملها، بل على العكس قَبِلَها بغير فحص وانحنى تحتها ولم يتذمر أنه لم يعملها، ولم يُفكر في مقدار استحقاقه لها!! بل إنه أكثر من ذلك كله قَبِل في نفسه أن يموت بها كختام لتكميلها! والذي وضع في نفسه احتمال الموت هو كيف يجزع من الألم مهما كان شديداً؟! لذلك كان ولا يزال قبول فكرة الموت جماع فلسفة الحياة، هذه التي عبَّر عنها المسيح تبارك اسْمه قائلاً: «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا» (يو ١١: ٢٥)! «مَنْ طلب أن يُخلِّص نفسه يُهلكُها ومن أهلكها يُحييهَا» (لو ١٧: ٣٣)!

فإن كُنا سنموت وحتماً نحن سنموت، فليتنا نموت حُباً في السيد القدوس لنحيا معه إلى الأبد. وإن كُنا سنموت لنحيا، فلماذا نجزع من الآلام التي كلما زادت كلما قرُبنا من الحياة والخلود؟

والمسيح الرب باحتماله الآلام دون أن يكون مستحقاً لها استطاع أن يُقدم لنا الحل لأعقد مشكلة وأصعب سؤال يسأله المتألم: لماذا أتألم؟ فإن كنتَ لا زلت مُصمماً على السؤال لماذا أتألم، فاسأل الرب لماذا تألم هو؟! فهو تألم ولم يكن قط مستحقاً للألم ولا كان ضعيفاً ليُظلم رغماً عنه، بل بمحض حريته ومشيئته ومسرته تألم وظُلم! وبذلك رفع قيمة

الألم من صورة العقاب إلى درجة رائعة من درجات بذل المحبة التي إذا ملأت قلوبنا لحولت الألم إلى لذة.

وبذلك يكون المسيح تبارك اسْمه قد وضع نموذجاً واضحاً لحياة سعيدة ومنتصرة بالرغم من الآلام المُحيطة بها من كل جانب، فظلُّ الصليب لم يفارقه لحظة من يوم أن وصل هيرودسَ خبرُ ولادته إلى اليوم الذى وافق فيه هيرودس آخَر على صلبه!

ولكنه أرانا حياة سعيدة تدب على الأرض بأقدام دامية ويَدَيْن لم تكفَّا عن عمل الرحمة بالرغم من الثقوب التي وضع تصميمها عليه منذ نعومة أظفاره، ووجهه مبتسم ولكن مُخضب بالدماء، ورأسه مرتفع بالشكر والرضى وهو مُكلَّل بالشوك.

لذلك لم يعُد الألم في طريق حياتنا مشكلة، بل صار علامة انتصار واختبار محبة، وليس في كل ما وُهب لنا على الأرض هبة أكثر تقديراً في نظر الله من أن نتألم راضين «لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا من أجله» (في ١: ٢٩).

ويدَّعي بعض النفسانيين من الأطباء أن الانتصار على الألم يكون بتجاهله أو الانشغال عنه بنوع ما من التسلية اللذيذة، ولكن ليس هذا حقاً لأن للألم أسباباً عميقة في النفس لا يُمكن التغلب عليها إلا بإزالة مسبباتها وإلا فستظل تعمل وتهدُّ في كياننا العصبى مهما تجاهلناها أو تشاغلنا عنها بتسلية ما. لأن طبيعة الألم تختلف عن طبيعة اللذة، وكل ما هنالك أن التسلية والأسفار والنُزهة وتغيير المناظر (حتى السُكْر والإدمان على المُخدر) تُعطى هُدْنة قصيرة للفكر لينشغل عن الآلام بشيء آخر، غير أن أسبابها لا تزال تعمل في هذا وفي تلك لتظهر بأكثر شدة عند

انقضاء الهُدْنة.

إذاً، فالألم حقيقة لا يُمكن تجاهلها وضرورة بشرية فرضت كيانها على طبيعتنا، فإن وُجدتْ نصرة ما على الألم بأية صورة من صورها الصادقة، فهى لابد وأن تتضمن أولاً وقبل كل شيء قبول الألم بشكله وموضوعه والرضوخ له ولآثاره مهما بلغت من الخطورة حسب الظاهر وتقدير الناس والأحباء، ثُم من تحت ثقله ومن وسط تياراته نبدأ نتعرف على طبيعته ونُواجه آثاره مواجهةً واقعية. وبذلك نكتشف أننا كُنا مُخطئين في تقديراتنا التخيلية، وأنه (أي الألم) لا يزيد عن أية صعوبة من صعوبات الحياة الكثيرة التي واجهتنا يوماً وتغلَّبنا عليها وصارت في طيِّ النسيان وعدم التقدير.

وحينئذ سنؤمن حقاً أن الألم جزء هام نافع من طبيعتنا يعوزنا التعرف عليه أكثر. ولكن أرجو أن تثق أن للألم حدوداً لا يتعداها، مضبوطة في دائرة احتمالنا وطاقتنا، وإلهُنا أعلن صراحةً حتى نطمئن (على فم بولس رسوله) أنه لا يُجربنا أكثر من احتمالنا، وأنه يُعطي دائماً مع التجربة تعزيةً ومنفذاً حتى لا يختل إيماننا بل يثبت ويزداد.

لذلك هدئ نفسك على الصليب، لأن اليد التى ترفعك عليه يد حكيمة رحيمة. وحينما يشتد الألم والضيق وتغمرك لُجَّته كالبحر العميق، حينئذ اُذكُر أن معك حارساً لا يفوته شيء، ومن الأعماق ارفع صلاتك صارخاً إليه: «فلتكن مشيئتك يا الله». وحينئذ سيأتي إليك في الهزيع الأخير من ليل الألم وتسمع صوته سائداً على لُجَّة الضيق وسائراً على بحره العميق قائلاً: ''أنا هو، لا تخف''، ''تشجع، أنا معك''.

القمص متى المسكين عام ١٩٥٩م

الرسالة {٨٨}

معنى الموت في المسيحية

كُتبت لأحد الأحباء عن معنى 'الموت في المسيحية'، ونشرها بيت التكريس في حلوان في شهر ديسمبر ١٩٥٩م.

عزيزي وأخي في الرب

نعمة وبركة وسلام لشخصك المحبوب.

أتعشم في وجه ربنا يسوع المسيح أن تكون في ملء تعزية الروح القادر أن يسكب في قلبك من فيض مراحمه هبة السلام لتظل في تعزية دائمة؟

لقد تأخرتُ في الكتابة إليك، وكأنما قد ادخر الله كل مشاعري نحوك لأُقدِّمها في الوقت المُعين، إن كان خطابي هذا ربما يكون آخر ما وصلك من تعزيات. كما أظن أني قد أضعتُ فرصة حسب منطق الناس، إذ أعتقد أن انتقال ابنتنا المحبوبة (...) ليس بحادثة تُنسى أو يتقادم عليها العهد بمضيِّ الزمن، غير أني أقصد في تعزيتي شيئاً أسْمى مما يتعارف عليه الناس الذين يعتبرون التعزية اشتراكاً في حزن أو دعوة إلى نسيان الحزن ذاته، بل أرجو بنعمة الرب ومعونة الروح القدس أن أكشف لمحبتك شيئاً أسْمى عن حقيقة ذلك الانتقال الذى حازته ابنتنا المحبوبة.

فإن كان يُخطئ الكثيرون بجعل الموت واقعة من وقائع الحياة، إلا أننا نعتبره حياةً واقعة نحياها في هذا الدهر، فنحن نحيا الآن حياةً قوامها الموت يتخللها في كل مرحلة من مراحلها ويعمل في كل عضو من أعضائنا في كل لحظة إلى أن يتم عمله فينا وتكمل حدوده، وحينئذ نعبُر

هذه الحياة المائتة لنحيا حياة الأبد غير المائتة. فالموت إذن كائن معنا في صميم كياننا وفي داخل كل عضو من أعضائنا يعمل فينا بشدة بالرغم من تجاهلنا.

ونحن لو توخينا الحقيقة وتأملنا ملياً في موضوع الموت، لوجدناه أهم وأعظم موضوع في هذه الحياة الحاضرة. بَيْد أني أريد أن أقول إنه ليس أعظم من كل موضوع فحسب، بل هو أسْمى من أن يُدعى موضوعاً، إذ هو في حقيقته عملية تجريد كامل لكل موضوع وكل اهتمام في هذه الحياة. فالموت يُجرد الإنسان تجريداً من كل شيء حتى ذاته التي يعزها ويُحبها، ولا يبقى للإنسان إلا روح الحياة ذاتها وما ينسجم مع الخلود. فكأن الموت والحياة هُما خلاصة حقيقة الإنسان، وحتى الحياة مدينة في تكميلها ودوامها إلى الموت، ولذلك نجد أن كل نفس تشتهي حياة الخلود لا تجزع من الموت لأنه بابُها والطريق إليها.

وحينما تسمو روح الإنسان وتتكشف أمامه هذه الحقائق الثابتة ويعرف أن الموت كائن فيه ومُمكن أن يتم فيه في أى لحظة، فإنه يشعر بما تتصف به الحياة من بطلان، فلا يعود ينطوي تحت مغرياتها ولذاتها، ولا تعود الأشياء التي في هذا العالم تستأثر بتفكيره واهتمامه أكثر من تفكيره واهتمامه بالحياة الخالدة واعتباره بأهمية الموت وحقيقته. ويستطيع الإنسان الواعي لوجوده أن يدرك بسهولة أنه موجود ليموت وأنه يموت ليحيا.

ومهما حاولنا أن نُخفي هذه الحقيقة الجوهرية عن أنفسنا، أي أننا موجودون للموت؛ فهي لابد وأن تستظهر على جميع معارفنا وإدراكاتنا يوماً. ويُخطئ الكثيرون إذ يعتبرون الموت حادثاً اضطرارياً فيمثلونه بالجبار الطاغي الذى يخطف الناس ويبتلع البشر، مع أن الموت كما قلتُ

لمحبتك ليس بعامل خارجي عنا، بل هو فينا يكمِّل وجودنا ويسوقنا إلى حياة أفضل.

لذلك لا نستطيع أن نقول إنه قاسٍ أو طاغٍ أو ظالم، فهذه أوصاف جاهلة لعدو غير موجود أصلاً. وإن شئت الحق فقُلْ إن الموت يعمل بهمة ونشاط من اليوم الأول الذى نُولد فيه، ونحن نتركه يعمل فينا بحريتنا إذ نتقبل وجودنا وحياتنا بمسرة وبمنتهى الحرية، فنحن نتقبل الموت أيضاً كذلك لأنه جزء لا يتجزأ من وجودنا، إذ لا يُمكن أن نفصل الموت عن الوجود بأي حال من الأحوال. والذي لا يريد أن يقبل الموت فهو ينكر وجوده، وهذا منتهى الجهالة بالحق، فالوجود هو الله.

وعلى هذه الحقيقة العظمى 'الوجود هو الله'، نقرأ قول السيد إن: «مَنْ أهلك ذاته من أجلي يجدها». وهذه دعوة عجيبة لتحقيق الوجود في الخلود على أساس إماتة الذات! ولكي يؤكد السيد المسيح هذه الحقيقة العظمى عاد فعكس الوضع ليُظهر منتهى الخسارة التي تعود على مَنْ يتجاهل أهمية الموت قائلاً: «وكل مَنْ وجد ذاته يُضيعها» (مت ١٠: ٣٩). وهذا أيضاً تحذير عجيب من ضياع الوجود والخلود بسبب الإبقاء على الذات. هذا هو الموت الذى يريد بعض الناس أن يتجاهله ويخشاه البعض الآخر، ويعتبره الجميع عدواً، مُعطين إياه ركناً مظلماً في مشاعرهم، جاعلين إياه خاتمة حزينة للحياة، مع أن الموت كما شرحتُ لمحبتك هو نسيج الحياة: سُدَته الأيام ولُحْمته الآلام، فاليوم فرسخ من فراسخ الموت، والألم موت لم يتكامل بعد.

فإن كان يستطيع أحد من الناس أن يتجاهل الأيام أو يتجاهل الآلام، صحَّ له أن يتجاهل الموت، وهل يُمكن؟!

إذاً، فليس في الوجود حقيقة أظهر من الموت ولا أهم منه إلا الحياة ذاتها، والموت طريقها. ولكن هل يُمكن أن نتقبل الموت في أحبائنا دون أن نتألم؟ إن منْ يقول ذلك فهو يتجاهل الحقيقة أو يجهلها، وكل مَنْ يدعو إلى ذلك فهو إنما يُحاول أن يُجرِّد الإنسان من عواطفه ومشاعره. وها أنا بكتابتي إليك، أنزع إلى توضيح قيمة الموت وتعظيمه، لأن في ذلك تلامساً شديداً مع الحق. كذلك فإني لا أريد أن أستصغر قيمة الألم، بل على النقيض أود لو أستظهره وأستوضحه لأن في ذلك تلامساً أشد مع الحق، إذ أن الألم لازمة من لوازم العنصر الإنساني، بل إنه كلما ارتقت مشاعر الإنسان وازداد نُبْله ازدادت قابليته واستشعاره لنواحي الألم العديدة. وها هو السيد المسيح يدخله كعنصر أساسي في برنامج الخلاص الأبدي ويضع ذاته تحت كل مطالبه، ولم يتجاهل الموت المتحصَّل منه (من الألم)، بل كان يرى ظل الصليب ينعكس على كل خطوة ويمتد أمامه في الأفق البعيد فتقبَّله بل وارتقبه. وهو لما تحمل الآلام تحملها دون أن يكون مستحقاً لها، فاستطاع أن يُقدم لنا حلاً وجواباً عملياً مقنعاً لأعقد مشكلة واجهت البشرية، وهى 'لماذا أتألم؟' فهو تألم مع كونه غير خاطئ وبالتالى غير مستحق للألم ولا للموت، ولكنه قَبِلَ أن يتألم بإرادته ومسرته ليرفع قيمة الألم أمامنا من مُجرد عقاب على خطية إلى صورة رائعة من صور المحبة! المحبة من نحو أبيه ومن نحونا، هذه المحبة التى حوَّلت — في اعتباره — الألم إلى لذة، وبذلك لم يعُد الألم في طريق حياتنا عقاباً على خطية، لأن المسيح بآلامه وفىَّ جميع ديوننا، بل صار الألم طريقاً عملياً لإظهار الإيمان بقبول الألم بمسرة كمشاركة فعلية في يوم الصليب.

ونحن لم يُوهب لنا في عالمنا الحاضر فرصة أو وسيلة يُمكننا أن نُعبِّر بها

عن حبنا للمسيح أعظم من أن نتألم فرحين، على حد قول بولس الرسول مكمِّلين آلام المسيح في أجسادنا وحاسبين أنفسنا أهلاً أن نتألم معه على نمط تألمه؛ أى عن حب لا عن اضطرار.

وإن كان يدَّعي بعض العلماء والأطباء أن الانتصار على الألم يكون بتجاهله أو الانشغال عنه بنوع من أنواع التسلية اللذيذة، إلا أن هذا ليس بالنصح الرشيد، فلن يُمكن الانتصار على الألم بتجاهله أو بالانشغال عنه، لأنه بذلك لن يكف عن أن يهدَّ في كياننا العصبي والنفسي، ولن يتم الانتصار على الألم إلا بتقبُّله قبولاً حُراً متعرفين على أسبابه وأهدافه، إذ أن قبول الألم والارتضاء به فيه نصرة أكيدة وعجيبة، خصوصاً إذا كان قبولنا له على أساس حبنا للمسيح ومشاركتنا حياته، كما تقبَّله المسيح حباً لأبيه ولنا. ويقول الرسول عن ذلك معبراً تعبيراً عميقاً: «لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا من أجله» (في ١: ٢٩). وفي هذا أيضاً يفتتح يعقوب الرسول رسالته قائلاً: «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة» (يع ١: ٢).

هوذا يا أخي نحن نُوْدع هياكل أجسادنا التراب لتَبلَى وتعود إلى التراب الذى نمت وتربت فيه، أما هياكل أرواحنا فهي أعظم من التراب وأعظم من الكاتدرائيات العظمى التى نظن أنها تُقدِّس أرواحنا، لأن روح الإنسان من الله. لهذا فهي لها كرامة أفضل بقدر فضل باني البيت عن البيت نفسه، فإن كانت علائق حبنا ورُبُط أُلفتنا جسدية فقط، فما أضعفها علائقَ وما أهونها رُبُطاً، لأنها تكون وشيكة الضياع سريعة الزوال، والزمن الحقير في سنين يسيرة قادر أن يُضعفها ويمحوها!

أما إذا كانت أُلفتنا روحية وحبنا ووحدتنا قائمتين على أساس عمل

المسيح في توحيد المؤمنين به، فهذه تكون أُلفة الأبد ومحبة الخلود التي لا يقوى الزمن مهما طالت به السنون أن يُضعف من شدتها. فهل نرفع علائقنا بأحبائنا سواء الذين سبقوا فرحلوا أم الذين أُعطِي لهم زمانٌ قليلٌ بعد فنكمِّل معهم وحدة الخلود الأبدية في شخص المسيح؟ فلا تعود العواطف الجسدية والحنين إلى صور الوجوه فقط يستأثر روحنا، بل نسمو بأرواح أحبائنا وصورهم لنراها حية خالدة مطبوعة على قلب المسيح يربطنا بها روح المسيح الحي فينا.

نعم، ليتنا نسمو في تقديرات حوادث هذا الدهر عالمين أن كل ترتيبات البشر الزمنية ستؤول حتماً إلى الانحلال ثُم إلى الزوال، ولن يبقى من هذه الضجة الكبرى التي نحن في موكبها، من الطفولة إلى الانتقال، إلا ما ينسجم مع قانون الخلود.

وسيان ما تُبْطنه الحوادث وما تُظهره، أكان جميلاً مُسراً أم أليماً مُحزناً. نعم، سيان ما تبطنه الحوادث، فكل الحوادث التي نعبُر بها أو تعبُر بنا سوف تتصفى جميعها وتغتسل في نهر الحق الأبدي، ولن يبقى من كل ما عملت أيدينا وما اشتهت قلوبنا إلا ما هو جليل وحق.

وما أعظم الحياة التي تتلامس نسماتُها التي تنبعث من قلوبنا مع الحق ومع الله! فحياة مثل هذه تخطُّ في كياننا الروحي صورة ملموسة عن الخلود الذى نحسه ونُحبه، ولو انكشف الحق في قلوبنا، لأدركنا أننا نجاهد يومنا وعمرنا لحساب هذا الخلود الذي سنحياه، ولصار بذلك أمر الموت مبهجاً عندنا كالحياة.

لذلك أكتب إليك أيُها الأخ العزيز إلى نفسي وإلى قلبي، يا مَنْ استودعت ابنتك لدى أذرع يسوع التي هى أحسن وأحنُّ وأحبُّ من

ذراعيك، لكي تتعزى تعزيةً حقيقية دائماً، لا بتناسي الموت بل بتذكُّره، عالماً أن (...) قد انتقلت لتكون أكثر قُرْباً إلينا، إن كُنا نحيا في حقيقة الحياة لا في صورتها الزائفة.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٨٩}

خلود الروح

إلى زميل له أيام الدراسة
أُرسلت عام ١٩٦٠م

عزيزي المحبوب في الرب (...)

نعمة وبركة وسلام من الله لشخصكم العزيز.

وصلتني رسالتكم وكأني كنتُ أتوقعها بالصبر، فلما قرأتُ إمضاءك نلتُ ثمرة صبري واشتياقي سبع عشرة سنة!! تقول سائلاً إن كنتُ أتذكرك أو أذكرك، ولكن اعلم أيُها العزيز المحبوب أنك تحتل مكاناً في قلبي لم تفارقه قط هذه السنين الطويلة جداً، فليس اسْمك الذى أذكره أو صورتك التى أتذكرها بل حديثك ومحبتك وهدوءك وإخلاصك وودك، بل أقول سخاءك ولطفك لى ولأخي أيام دراستي!! كم مرة رأيتُك في رؤياي، كم مرة حدثتُك في أحلامي، وكان ذلك ولا زال تعبيراً عن شدة الاتصال الروحي والألفة النفسية التى ضمت شخصَيْنا أيام الدراسة.

والأيام، أيُها الحبيب إلى نفسي، لا تستطيع أن تُهوِّن وصال الروح، بل الحق إنها تزيدها حرارة والتهاباً.

ثُم أعود في وقار المسيح ألتقط من نوع هذه الصلات الشديدة فكرة عن الخلود الذي سيضمنا يوماً خلواً من الجسد والجسديات وعارياً من الزمن والزمنيات، فيجعل من أشخاصنا ونفوسنا وحدة منسجمة في وداعة المسيح ورحمته وحنانه لنبقى إلى الأبد وحدات حية في مجال حب

المسيح أمام الله الآب.

وحينما أقول خُلواً من الجسد والجسديات، أعود إلى علاقة الروح التي ربطت شخصينا، فأجدها هي كما هي منذ يوم أن تآلفت معاً وانسجمت انسجاماً، تهيأ لنا أن مسرات وأُلفة الجسد كانت عاملاً فيها، ولكن على العكس فالتعارف تم خفياً بين الروح والروح، والألفة (الروحية) أكملت مطاليبها سراً بعيداً عن كل ما هو جسدي أو يمتُّ إلى الجسد بشيء، لذلك حينما نتعرى من هذا الجسد في الأبدية ونتخلف عن المشاعر الجسدية سوف تتجلى صلات الروح وتتضح لنا ألفة النفوس معاً أقوى مما عرفناها على الأرض!!

وحينما أقول خلواً من الزمن والزمنيات، أعود إلى هذه السبع عشرة سنة فأجدها قليلة. بل الحق إني لا أجدها بالمرة حينما أتطلع إلى محبتنا وألفتنا الروحية، فهذه السنين الطويلة عدداً بل ومهما زادت أرقامها وأعدادها وأصفارها لا تُحسب شيئاً تجاه الروح، هي تخط في أجسادنا فقط خطوط المشيب المبكر والمؤخر وتُذوي من نشاطنا وحركتنا وسعينا، وتُقعد من قيامنا ومسيرنا، ولكنها لا تجرؤ قط أن تتسرب إلى أرواحنا، فأرواحنا لا تمتُّ إلى الزمن لأنها خالدة!! أليست هي نفخة القدير؟!

فكل ما فينا وكل ما لنا وكل ما هو حولنا يتغير ويتحول ويتطور، وكل ما يتغير يعاني بالضرورة وطأة الانحلال ثُم يؤول حتماً إلى زوال!! إلا هذه الروح التي فينا فهي بعيدة كل البعد عن عوامل الزمن، فهي بمنأى عن التغيير، لذلك فهي بمعزلٍ عن الانحلال، وكل ما في العالم يزول إلا هذه الروح!! ونحن نعاني ناموس التغيير بشدة لأننا نواجه الزمان بأجساد زمنية، فالسنين تتكفل ببناء أجسادنا وهي هي التي تهتم مرة

أخرى (وتعرف) كيف تقرض هذه الأجساد بأسنانها وتبْريها برْياً ببردها وحرِّها وشَحِّها وحرمانها!! فلو قابلنا السنين الأولى بالسنين الأخيرة من حياتنا لما غرَّتنا فتوة الشباب ولا ضللتنا حكمة الرجولة، فالعجز والقعود والضعف والعطل ينتظرنا في نهاية مسعانا، كما استلمنا يوماً من بطون أمهاتنا.

ونحن لو قِسْنا سعادة أشخاصنا أو قَيَّمنا حياتنا بالقياس الجسدي والقيم الزمنية لانحسرت قلوبنا وخيَّم اليأس على حركتنا، فالحياة بهذا الوضع تكون عبئاً رذيلاً وعملاً لا يُغطى مصاريفه!! لأنه إن كُنا نبدأ الحياة عاجزين وننتهي منها عاجزين، فبئس حياة مثل هذه الحياة. ولكن شكراً لله الذى أودع فينا وديعة ليست من هذا الزمان: نفسنا الخالدة التى نتطلع خلال أحاسيسها المبهمة نحو الأبدية، نحو سعادة قادمة لا يشوبُها تغيير ولا يُهددها انحلال، سعادة خالدة أي قائمة في نُمو مطرد، نُمو في المعرفة الروحية المؤسسة على إدراك النفس للحق أي الله!!

لذلك مهما تأزمت الأوضاع حولنا بسبب اضطرار الجسد للخضوع تحت تأثير عوامل الزمان وما يتبعه من تغيير ونقص واضمحلال أو ما يُوحى به من عجزٍ وعطلٍ وقعود، يشير إليها (الزمن) إشارةً في الأمراض المتواترة التي يسوقها علينا أو أنواع الحرمان التي يدفعها نحونا من حين لآخر، أقول مهما تأزمت هذه الأحوال، فلنا في النفس نوافذ مفتوحة نُطل منها من خلف ستارة من الحزن والمرارة والتنهد في نور قداسة الله ومعرفة الحق التى لا يشوبُها نقص أو حرمان.

ونحن لنا من إحساس النفس فينا شاهدٌ لا يهدأ على صحة الحياة القادمة وما ينتظرنا بعد جهاد هذا العمر القصير تحت وطأة هذا الزمان، ولنا أيضاً من خبْرات أرواحنا صورة عن الحق والله، كلٌّ بقدر ما وُهب

وبقدر ما يقبل.

والآن ما يعوزنا شاهد آخر، فالنور (أى نور الإيمان) الذى أودعه الله فينا كفيل بأن يُهدي خطانا نحو مصدره لو أطعنا هاتف البر والقداسة والتقوى في حينه.

وكما بدأتُ خطابي إلى محبتك، أختمه. وإني لا أزال أحفظ الود نحو نفسك الوديعة وأرى في محبتى العميقة نحوك تكأة أتطلع منها نحو حب آخر يربطه الروح القدس، ليبقى إلى الأبد موصولاً بعمل محبة المسيح الذي استطاع أن يُوحد القلوب فيه ليجمع من البشرية كنيسة هي عروس له، ثيابُها المحبة التى تستُر أعضاءها في وحدة الروح.

وختاماً أستودعك حباً أستمده من قلب ربي يسوع الذي فاض عليَّ مجاناً واجتذبنى إليه بشدة واختارني لهذا الطريق الأضيق.

كُن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٩٠}

عن التفاعل مع الوطن

عام ١٩٦١م

رسالة إلى (...)

ليس الأمر مخفياً عنك يا أخي بخصوص الخطة المرسومة من قبل رجال الدولة لجعل الحكم اشتراكياً تعاونياً، وها هى جادة بسرعة مدهشة وناجحة في بلورة السياسة لتدور حول هذا المحور الواحد، واستطاعت بتوفيق نادر أن تضم أشتات الفكر الاقتصادي والصناعي والسياسي معاً، ليصُب في هذا المجرى، فأية مُحاولة عكسية ستضر القائمين بها، وأقصد بالمُحاولة حتى مُجرد الاحتجاج النظري.

وفي الواقع ينبغي التمشى مع هذا التيار، لأنه ذو نفع عام، لا عن اضطرار لئلا تصبح الحياة ثقلاً مريعاً لا يُحتمل، ولكن بالتمشي الحُر بتفهم الوجهات العامة، وفحْص المنفعة المترتبة على هذه الوجهة الرسْمية، حتى يصير كل مُنتِج وكلِ منتفع خطاً منسجماً في مجال الفكر الوطني، لأنه بذلك يُخصب إخصاباً مزدوجاً فيما له وفيما للعامة.

ونحن لو وازنا بين هذا التمشِّى الحر الذى عن سرور، وبين الجمود والانتقاد ورفض الواقع، نجد أنه ليس ثمة ربْح ما في الوضع الأخير، بل هو خسارة ذات أوجه عديدة من جهة انفصال الفرد عن كيان الدولة، مما يجعله يحس أنه مضطهد في شخصه، فيعيش في حالة توتر عصبى شديد ربما لا يحتمله فيعلنه في حديثه أو في سلوكه فيتم الانفصال عملياً، وهذا يؤدى إلى أضرار جسيمة في سُمعة الشخص والحكم على ميوله كأنها ضد الدولة. وحاشا أن يحيا المسيحي ضد الدولة، لأن الدولة جزء من

كيانه الإيماني وحقل عمل لإظهار مُثُله العليا في الاحتمال والمحبة والدعاء بالشكر.

أما ما يلوح في أفق المستقبل اعتماداً على واقع الحاضر من تقهقرٍ في حصيلة الربْح الفردي، فهذا أمرٌ يجب أن يُحسب له حسابه، لأنه واقعٌ لا محالة. فلا يجب أن نكتفي بالتطلع إليه في قلق وحسرة، فينعكس هذا الشعور على الحاضر فيزيده قلقاً وبلبلة، وإنما يجب أن يُحسب حسابه من جهة قبوله كأمر واقع والعمل على تلاشي أضراره بكافة الجهد والسعي.

أما من جهة الفكر، فيجب أن يكون مستعداً في ليونة **elastic** لتقبُّل كل الواقع في ابتسام وسرور، لأن هذا هو عين الإيمان.

أما من جهة المستقبل، فيجب التطلع إليه في رجاء أفضل من الواقع لا أقل منه، مهما كانت القياسات الفكرية والرياضية تثبت العكس، لأننا بالرجاء نحيا، والرجاء حالة إيمان ناجح أو هو الإيمان بالأفضل.

والإنسان المسيحي بحُكْم تحدُّره من بُعد إلى قُربٍ نحو الملكوت، كلما انحدرت به الأيام، وبحُكْم تجدده المستمر بمضيِّ الزمن، لابد أن يكون مستقبله دائماً أفضل من حاضره، مهما تأزمت حوله الظروف، بل بالحرى كلما تأزمت حوله الظروف، لأن رفعة الإيمان وتقدُّمه لا تُقاس إلا في الأحوال المعاكسة.

كذلك لا أخفي عليك الأمر، أن الوضع الحاضر في سياسة الدولة يتمشى غاية التمشي مع الأوضاع المسيحية السليمة.

فناموس المسيحية يرصد فائض دخل الأفراد لحساب المحرومين من حقوق الحياة الأولية، فإن كانت الحكومة تعمل على هذا المستوى الحالي، فهي رشيدة، طالما لا تدخل كمنتفع بين الاثنين.

أما الظلم فهو واقع لا محالة على أولئك الذين يجتهدون من أنفسهم لتقديم فائض ربحهم بأحشاء رحْمة وتعاطف على الآخرين، مما سيدفعهم عن اضطرار للكفِّ عن تقديم فائضهم، وبالحري الكف عن استعمال مشاعر العطف والتآخي والمحبة، وذلك له أثر سيئ غاية الإساءة على مستوى الضمير الإنساني.

ولكننا نأمل أن لا تتورط الحكومة لبلوغ الحد الأدنى في ضبط دخل الأفراد كما هو حاصل في البلاد الشيوعية، حتى لا يُحرم الإنسان من إنسانيته، ويظل فائض دخله متناسباً مع فائض شعوره وعطفه وحبه وتآخيه، لئلا يفقد الإنسان ذاته.

ونجاح دولتنا في الانسحاب من الحدود الأخيرة للنفوذ الشيوعي سيجعلها قادرة أن تتخطى العيوب التى انْهبطت إليها حكوماتُها. وصداقتها الجديدة للدول الديموقراطية ستجعلها قادرة أن تستوعب بلا حرج حرية الفكر الديموقراطي.

وهذا وذاك يجعلها بنوع من التوفيق النادر دولة حُرَّة الحركة، أو كما يُسمونها ذات تكتيك حر. هذا بالإضافة إلى حساسيتها للانتقاد الدولي الذى يُهيئ لها عدم التورط في الاتجاهات العامة من أي نوع.

لذلك أود أن أطمئنك في شيء من الوثوق أن المستقبل لبلادنا خيْر كل الخيْر، حتى وإن أثبتت بعض التجارب إجحافاً بفئة خاصة، فسوف ينتبه ضمير الدولة سريعاً بحُكْم حريته وبحُكْم حساسيته التى أنشأتْها ظروف تكوينه، إلى تعديل التجربة حتى تحتفظ الدولة بحالة الرضى الداخلي التي تسعى إليها بكل جهدها، وتحتفظ أيضاً بتقدير الدول الناقدة بقدر إمكانها.

فشكراً لله يا أخي، وشكراً جزيلاً جداً لله، الذي جعل دولتنـــا ذات ضمير إنساني عالمي.

هل نسيت: يحيا النحاس باشا! وميزانية الدولة التي دُفعت مرة واحدة في كيس المعلمين الإلزاميين لضمان إعادة انتخاب النحاس باشا!

أم نسيت كيف تُغتصب الملكيات والحريات لحساب فاروق!

فشكراً لله يا أخي، شكراً لله جداً، لقد رحمنا كعظيم رحْمتـــه. وإن كُنا نئن قليلاً، فمن أجل الخيْر العام، لابد أن نُخرج أنيننا بالشكر مـــع الدعاء.

القمص متى المسكين

الرسالة {٩١}

كيف يعبر المؤمن حياته على الأرض؟

عزيزي الأخ (...)

نعمة وبركة وسلام من الله لروحك.

نسأل المسيح من أجل أن تكون حياتك ممسوكة بيمينه التي تدبر نفوس مُحبيه حسب اختيار النعمة واثقين أن الذي اختارك لتكون في صفوف الذين يشهدون له ويخدمون اسْمه هو القادر أن يُكمل خطة ملئك إلى الكمال المسيحي الذى يرضيه.

كما نطلب أيضاً أن يحفظ نفسك أمينة فيما أُوكل إليها من مواهب، حتى إذا سُئلتْ في كل لحظة تُوجد مُزكَّاة من جهة الضمير، وأظن إن كانت هناك كلمة يُمكن أن نقولها لك من الأماكن المقدسة التى نعيش فيها والتى منها انبثقت الشهادة الرهبانية للعالم كله، هي أن تحفظ نفسك فقيراً في وسط غِنَى هذا الدهر، لأن من هذا الباب السري دخل القديسون وورثوا ملكوتاً لا يفنى ولا يتغير. وأقصد الفقر الروحي أو المسكنة بالروح التي تتحدى كل شهوات النفس ومطالبها، ليست الدنيوية فقط بل وكل ما يؤول إلى تزكية الذات وتعظمها وافتخارها، حتى وإن كانت روحيات، بل وفي ظني أن الشهوات الدنيوية لا تُزيف النفس ولا تنفخها بالقدر الذي تُزيف به الشهوات الروحية والمواهب الطموحة.

لذلك نطلب من الروح القدس الذي حفظ الحق الإلهي حتى اليوم نقياً مشهوداً له في سيرة الآباء، أن يحفظ سيرتك نقية من كل غِنىً كاذب

وعظمة كاذبة وطموح زائد عن حاجة الروح. وما أجْمل أن تحس النفس أنها ليست في حاجة إلا لشخص يسوع، ولا تطلب أن تكون أكثر مما هي الآن بل أقل وأبسط، ولا تنتظر أن تزيد في كل شيء بل تنقص في كل شيء حتى تصير لا شيء، لتتقابل مع الرب الذى يُصبح لها كل شيء. «أنت الذى لي في السماء، ومعك لا أريد شيئاً على الأرض» (مز ٧٣: ٢٥). طوبى للنفس التى تُجاهد لكي تتخلص من ذاتها وتغتسل كل يوم مما يلصق بها من آمال إلى أن تعود إلى بساطة طفولتها في المسيح.

وبحسب ما تعلمنا من خبْرة الآباء والروح والتجارب التي محصت نفوسنا، نستطيع أن نقول لك بملء الثقة إن سر الحياة الأبدية محفوظ للنفوس التي استطاعت أن تخرج من هذا العالم بقلبها وفكرها وروحها، وذلك بإرادتها بل بمسرتها بل باشتياقها وسعيها وجُهدها، بحيث لا تجد في الموت إلا ختاماً لاشتياقها كآخر مرحلة من مراحل تحرُّكها نحو الأبدية السعيدة.

ولكن نعود ونقول إن كل ذلك يلزم أن يكون في الداخل ومن الداخل، لأن العالم الكاذب ليس هو العالم المادي الذى نراه ونعيش فيه، بل هو العالم الذى نشتهيه ونصوِّره لأنفسنا ونُحاول أن نمتلكه لذواتنا. والأشياء الضارة التي في العالم والتى نهاني الرسول من أن نُحبها «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى في العالم» (١يو ٢: ١٥)، ليست هي الأشياء المنظورة والمخلوقة لمنفعة الجسد، بل هي الأشياء التى نُحاول أن نحتكرها لأنفسنا ونقتنيها لملذاتنا وحدنا.

لذلك أصبح الخروج من العالم ليس هو حركة ظاهرة، لأنه مهما تحركنا سنظل في العالم، أما الخروج الحقيقي فهو حينما يُصلب العالم في

قلبي ويُصلب قلبي في العالم، فلا يعود العالم حياً في نفسي يجذبُها ويتلاعب بها، ولا تعود نفسي حية في العالم يستخدمها العالم كشهادة للظلمة.

الإنسان الذى تغرَّب عن العالم يلزم أن يكون مستوطناً في المسيح، لأن أية مُحاولة للتغرب عن العالم قبل أن يستوطن الإنسان في المسيح تجعله يحس بالفراغ والضياع، لذلك نطلب من أجل روحك أن ترتاح في فقر المسيح وصليبه ولا تشتهي إلا القيامة، القيامة الحقيقية التي نحصل عليها الآن بالالتصاق بالرب وبالسيْر في نوره الكاشف للحق، حتى تأخذ طريقها يوماً بعد يوم إلى أن تبلغ إلى الاكتفاء الكلي بنصيبها الذي بين يديْها!

وإن كُنا نتجرأ عليك أكثر، نستطيع أن ننبه ذهنك أن أي أمل في مستقبل أعظم للنفس يتصوره الإنسان لتزكية ذاته في العالم وبين الناس، سواء كان شعورياً أو لاشعورياً، فهو حتماً سيُخرجه عن قصد المسيح ومشيئته، فيبتدئ الإنسان يبني نفسه بيديه وليس بيد الله يُبنى، إلى أن يبلغ الإنسان إلى شيء آخر غير ما يطلبه الله له.

وليس ذلك فقط، بل إن مُجرد أن يضع الإنسان لنفسه نموذجاً حسناً لتزكية ذاته سواء كان شعورياً أو لاشعورياً فإنه يبتدئ يكتسب لنفسه أخلاقاً مزيفة تتناسب مع شخصيته المزعومة حتى أن كل أقواله وحركاته وعواطفه تصبح ريائية وكاذبة مهما كان فيها من تواضع ولُطف وشفقة ورِقّة ومُجاملة. بحيث أنه لو تمكن الإنسان برحمة الله أن يتخلص من آماله في نفسه ويُمزق الصورة الكبيرة المُكبَّرة التى علقها في خلفية قلبه وشعوره، ويعود إلى حقيقة نفسه تماماً، فإنه سيستغني عن ٩٠٪ من أخلاقياته، إذ لا تعود نفسه في حاجة إلى كثير من نشاطاته النفسانية.

لذلك ما أسعد الإنسان الحق الذى يعيش ويعبُد بالروح والحق، الذي لا يعود يطلب ما لنفسه ولا يعيش من أجل ذاته ليزيدها ضخامة واتساعاً وهيبة ووقاراً، بل يعيش من أجل الذي مات من أجله وقام؛ المسيح الذي تعرى على الصليب ليُلبس الذين تعروا معه مجداً أبدياً.

وهكذا أيُها الحبيب تجد معنا أن الفقر والتجرد والمسكنة بالروح هي في الحقيقة عقاقير مطهرة للنفس لا غنى عنها إطلاقاً للسائرين في طريق الحياة الأبدية، وهي كفيلة لو استخدمناها بالحق وبالإخلاص الروحي الكافي أن تعيد لنفسنا طبيعتها الأصيلة بعد أن تخلع عنها الأغطية المزركشة الكاذبة والألعاب والدرجات والأسْماء المُضللة.

وأنت لو فحصت أقوال الرب في الإنجيل تجدها تتركز بشدة حول النفس، التى على صورة الله خُلقت، لكى لا تتشكل بصورة العالم. الإنجيل كله يُحاول أن يعود بالنفس إلى صورتها الأصيلة. ولكى يكون أمامها نموذجها الأصيل الكامل تجسد ابن الله وحل بيننا لنتشبه به ونتعلم منه ونسير وراءه ونتغير إلى صورته ونثبت فيه ونحيا به ونتحد به.

المسيح هو مثلنا الأعلى الوحيد، وهو نموذج طبيعتنا الأولى قبل أن تفسد. نموذج البنوية الصادقة المُخلصة لله، نموذج الحب الطائع والباذل حتى الموت، نموذج التواضع الذى بلغ إلى الذلة والانسحاق والحضيض، ليرتفع بالروح إلى الصفاء والنقاء الإلهي، نموذج الوداعة المذعنة الراضية بالظلم والإهانة والخيانة والحقد والحسد، حتى تبلغ بالنفس إلى منتهى التجرد من الذات، نموذج الإخلاء الكلي الذي فيه يحل كل ملء الحق والحب.

وهكذا نرى أن ابن الله سار كسابق من أجلنا في طريق الموت

الحقيقي قبل أن يدخل ظلمة القبر، لقد قام المسيح قبل أن يموت، فقال بحق: «أنا هو القيامة». قام بطبيعتنا، لأنه غلب بها كل عوامل الموت النفسي وكل فساد العالم الذي بالشهوة. لذلك صار المسيح لنا، ليس فقط نموذجاً نحتذيه، بل منبعاً نستمد منه طبيعة جديدة لبشريتنا، أخلاقاً جديدة لذواتنا، آمالاً جديدة لنفوسنا.

المسيح الآن صخرة حياتنا التي تتبعنا، نشرب منها في برية وقفر العبور، خبْز الحياة الذي نأخذ منه كفافنا يوماً بيوم، السحابة المنيرة التي تكشف لنا فخاخ العدو، والتي طالما نحن فيها وهي تظللنا فهيهات للعالم أن يعرف طريقنا.

وكمسافرين في طريق الأبدية بقيادة رئيس خلاصنا لا يجوز أن نهتم بعد بماذا نأكل أو نشرب، بل نهتم فقط بهدف مسيرنا والغاية التي من أجلها نسير.

فلو كان هدفنا أرضياً لحقَّ لنا أن نهتم بالقوت والكسوة، ولو كانت نهاية طريقنا على الأرض، لحقَّ لنا أن نحمل كيساً ومزوداً وعُصيّاً.

ولكن لأن هدفنا هو المسيح لم يعُد لنا أن نهتم إلا كيف نلتصق به، وهو كرئيس الخيرات العتيدة مسؤول أن يُوفِّر لنا ما هو للعبور. تبارك اسْمه من الآن وإلى الأبد.

القمص متى المسكين

الرسالة {٩٢}

رسالة تشجيع لأحد المؤمنين

يناير ١٩٦٥م

عزيزي (...)

سلام الله يملأ قلبك أيُها الحبيب

الله الذى دعانا للحياة الأبدية يُسرُّ جداً، حينما نُسلِّم له كل تدبيرنا، لا بمعنى أننا لا نُدبر شيئاً للزمن، ولكن لا نضع فيه رجاءنا أو ننتظر كما ننتظر موعد الإيمان.

الأمور الجسدية نهتم بها، ولكن لا نرجو من ورائها شيئاً لحياتنا، سيان إن درسنا العلم أو لم ندرسه، لأنه مُتمم مشيئته بمسرةٍ نحونا، وهو لا يَدَعْ أمور هذا الزمان تحرمنا من عشرته وحبه.

لا تخف، الله سيقود خطواتك دائماً للقرب نحوه، ولن تخسر شيئاً زمنياً إلا ليكون فيه كل النفع وكل الربْح لحساب حياتك الأبدية.

إن الثقة التي لنا في الرب تكفينا جداً عوض كل قلق العالم، وإخلاصنا له يُعوضنا عن كل عجز يعترضنا في خدمتنا للعالم والناس. أما حبه لنا فيساوي أكثر من خيانة الدنيا كلها وتخلية كل البشر. «أنت الذي لي في السماء، ومعك لا أريد شيئاً على الأرض»، أيا ربِّي. أنت حلو لي. أنت شهوة أماتت كل شهوة. أنت الحياة التي حولت فيَّ كل تفاهة إلى تعقُّل، وكل عدم إلى وجود وإحساس.

الله طريق، وما أجْمله طريقاً! هو وحده يكفي أن يكون كل شيء، والاهتمام به غاية مُنى النفس التي استُؤمنت على سر حبه، وحينما يدعو

لا يكون هناك إلا تلبية الدعوة، فلا خوفَ البتة من أن يفوتنا إدراكـــه، لأن الرب تكلم فاصمتي أمامه يا كل الأرض.

نحن في ملء العرس، فلا يفوتك شيء. افغرْ فاك واشربْ النور وسِرَّ الروح، لأن الموكب في ارتحال ولن يتوقف.

كُن معافى أيُها الحبيب، وتقوَّى بالرب.

القمص متى المسكين

الرسالة {٩٣}

المحبة وقوتها

يناير ١٩٦٥م

عزيزي (...)

سلام الله يملأ قلبك أيُها الحبيب.

المحبة التي سكبها الله في قلبنا صارت لنا بالحقيقة قوة حافظة ومُنعشة، نستطيع أن نغالب بها كل الظروف التي يسوقها العالم ضد إيماننا ورجائنا.

إن المحبة التي سكنت قلوبنا على مدى السنين السالفة ظهرت أنها هبة مناسبة لوقتها، وتبرهنت في الشدة أنها ليست من العالم أو الجسد. هي محبة ذات اتجاه إلى فوق شديد، يجذبنا جميعاً إلى حق واحد بروح واحد، وذات اتجاه إلى الآخرين يتعمق أكثر فأكثر على مدى الخبْرة بالنفوس ومقدار تقبُّلها للحق الخالق، وأمانة الضمير، وعدم الهوى.

إن محبتنا بعضنا لبعض نار مُمحِّصة، مُعلم صاحٍ، مؤدب لا يُشفق، إلْهام كشاف يفضح المستور ويُؤنب في الخفاء. ما وجدتُ في حياتي قوة ردَّتني عن جهالتي أعظم من المحبة، وما عرفتُ مؤنباً لا يرحم تفاهتي ولا يستجيز قُبحي ولا يتهاون برذالتي سوى المحبة. المحبة عندي لها جرأة أشد سطوةً على ضميري من جهنم، وأخاف وأرتعب من إصبعها حينما يُشير إلى نتن في العلاقة أو إسفاف غير معقول بالآخرين، مهما كان قُبح موقفهم. وكأنما المحبة لا تريدنا إلا أن نظهر كأولاد ملكٍ لا يعملون ولا يُفكرون إلا بطقس أبيهم وسلالة بيتهم.

المحبة تستطيع أن تُغيِّر ما أعزم عليه وأحسم فيه حسماً لا يشوبه شك أو قلقلة، مهما ظهر أنه مطابق لكل عدل وكل حق وكل أصول، عندما تقف المحبة تطلب ما هو أفضل.

المحبة حينما تتأصل في الحق تكون أشد صرامةً من ناموس موسى، وتجعل الإنسان قادراً أن يُبغض بغضاً شديداً أشد من الموت، لأبيه وأمه وإخوته حتى نفسه، حينما يُفترى عليها ويُستغل اسْمُها ويُستهزأ بها ويُزيَّف حقها.

المحبة كنار المُمحِّص تنقِّي الإيمان من عَوَز المنفعة، وتصفِّي الرجاء من انتظار عائد الجهد، وتُغربل الصداقات من تفاهة العاطفة، وتراجع الصلات على نور القصد، وتعيد الفكر إلى مصدر مأمون، وتنتقد العمل حتى يستريح على قالب الحق. المحبة جعلتني، بالرغم عني، قادراً أن أترك حقي، وأترك وأكفَّ عن عملي، وأنسى ألمي، وأصفح عن زَلة غيري، دون أن أشعر أنِّي أجاهد ضد نفسي، لأن المحبة سلبتني حقي مع نفسي.

المحبة عندها درس لي كل يوم، وكل يوم دَرْسُها جديد. وحينما أكتفي بدرس الماضي أجده لا يصلُح لمطالبها الجديدة، فالمحبة تطلب أشياء في الحاضر لا تخطر على بال الماضي، فهي كالنور يمتد ويسير، وسرعتُه لا يلاحقها الفكر.

المحبة تريد لو تطير على قمم الجبال (جبال الرؤى) لتكشف غاية الأمد، فنرى أعماق كمالها ومشيئتها، وهي لا تريد أن نكتفي بما نُمارسه أبداً، لأن جهد الإنسان مربوط بالزمن وهي أُمُّ الخلود. لذلك فالمحبة كثيراً ما تطير سراً بقلب الإنسان لتكشف له ما لا يُمكن أن يخطر له في حادثة الزمان.

المحبة حينما تتصارع مع الواقع الزمني تنحصر، لأن ليس لها مكان مناسب في العقل الذى تبهره الحوادث وتستغله الظروف وتطغي عليه الخطط، ولكن إذا كُرِّمت المحبة بطُل تسلُّط الواقع بتشاؤمه وتفاؤله، وانْحصر نشاطه وخططه، فيسود الروح القدس ويملك السلام ويزدهر العمل الروحي، ويعيش الإنسان ويتذوق الله.

المحبة تزيد، وكَيْلُها ذو معيار إلهي، والذي يذوقها لا يصبح من هذا العالم.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٩٤}

سلطان القيامة في حياتنا اليومية

مايو ١٩٦٥م

عزيزي الأخ (...)

سلام من الله لروحك أيُها الأخ المحبوب.

أتعشم في وجه يسوع المسيح أن تكون في ملء عزاء الروح، مُستقبِلاً بالإيمان القيامة الحقيقية التي أكملها الرب لنا لنحيا في نورها وبهجتها، رافعين على الدوام عيون قلوبنا إلى حيث الرب الآن جالس عن يمين القوة، وله كل سلطان ما في السماء وعلى الأرض، ليسوس ويُدبِّر حياة مُختاريه بقدرته الفائقة، غافراً لهم كل خطيئة وتَعَدٍّ بالصليب، الذي أكمل عليه كل ذبائح الإثم والخطيئة لدى الآب، الذى اشتمَّ رائحة طاعته في موته وقت المساء، فَرضِيَ عن الجُبلَة التى انشقت عنه سابقاً وأطاعت عساكر الملائكة الساقطين.

والآن ونحن أقرباء ومحبوبون، ليتنا نعيش في شكر دائم وتسبيح، عالمين أن أخطاءنا العفوية غير قادرة أن تقودنا إلى الموت، وبالتالي لا يلزم أن تكون موضع يأس، فنجعلها حاجزاً غير شرعي بيننا وبين الله، فنعطيها سلطاناً ليس هو لها، لأن سلطان الخطيئة مكسور بالصليب، وكشوكة في الجسد الآدمي قام الرب بكسرها، «أين شوكتكَ يا موت؟ أين غلبتكِ يا هاوية؟» (١كو ١٥: ٥٥)، «وشوكة الموت هي الخطيئة» (١كو ١٥: ٥٦). إذاً، فقد اضمحل سلطان الخطايا إلى الأبد، واندحر الشيطان ولم يعُد له قوة أن يُحدِر إلى الهاوية كل الذين يتمسكون بالدم الإلهي.

لذلك فنحن الآن نحيا في سلطان القيامة، سلطان الرب يسوع الغالب الخطيئة والموت والهاوية. فكما أن الموت نجوزه الآن وليس له سلطان علينا حالياً بالروح ومستقبلاً بالجسد؛ كذلك الخطيئة التي كانت سابقاً سبباً للموت الأبدي، إذ بعد أن انحل سلطان الموت انحل سلطان الخطيئة بالتبعية، أو العكس هو الأصح. ولكن أريد أن أقول إنه كما انحلَّ سلطان الموت فأصبحنا نجوزه ونقوم منذ الآن بالروح، كذلك الخطيئة حينما نقدمها للدم الإلهي بالاعتراف، نجوزها ونقوم منها منتصرين، وإن كان أثرها يبقى حتماً في الجسد.

ولكن الأمر الواحد الذي أريد أن أغرسه في إيمانك: أن الخطيئة، ولو أنها فاقدة سلطان الموت وليس لها سلطان أن تقف حاجزاً تمنع اتصالنا بالله، إلا أنها مكروهة ومبغوضة جداً من الله ومن الأتقياء. فالذي يستهين بالخطيئة كأنما يستهين بإحزان قلب الرب، وكمَنْ يوافق على جرح قلبه وكسره على الصليب، كذلك فالذي يستهين بالخطيئة هو كمَنْ يصالح جسده للشيطان.

من أجل هذا ينبغي أن تكون الخطيئة مبغوضة جداً منا، فالعقل الذي يرتضي أن تسكن فيه أفكار الخطيئة وتصوراتُها، لا يستنير بنور الله، والقلب الذي يرتاح لحركة الإثم، إن كان حسداً أو حقداً أو عداوة أو نميمة أو كبرياء أو غضباً أو بغضاً أو تحايلاً ومكراً أو خداعاً وغشاً ودوراناً أو حب مال أو شهوة، فأية حركة داخلية من هذه الحركات تمنع سُكنَى الروح القدس. والجسد الذي يأخذ السيادة على الروح ويتقدم بالإنسان نحو التعدي ويجر الروح ويُحدرها إلى حمأة الطين، لا يصبح مناسباً كهيكل لحلول الله.

لذلك، الله نفسه يدعونا أن نسهر على عقلنا وقلبنا وجسدنا، حتى

يتمكن أن يحلَّ فينا ويهبنا حياةً أبدية، وقد وعدنا بمؤازرة دائمة، فلا يُمكن أن يبتدئ أي إنسان، مهما كانت خطاياه، أن ينشط ويتوب ويقاوم عمل الخطيئة في العقل والقلب والجسد، إلا ويجد نعمة في حينها. معروف قطعاً لدى الله أن الإنسان غير كفء لأى عمل روحي، لذلك أعطانا الروح القدس ليكون مدبِّراً ومرشداً وهادياً، فالذي يتمسك بالروح القدس بكل قوته بالصلاة والتوسل واستقامة النية وإعداد القلب، فحتماً ينتصر ويغلب، لأن الروح سيكون له مُذكِّراً ومؤنِّباً ومُوبخاً ومُعيناً ومُشجعاً معاً، وطوبى لمنْ تَصَادق مع الروح القدس، فإنه سيدرك في الحال تفاهة أعماله وجهاده بجوار قدرة نعمة الروح ومؤازرته. ولكن الروح القدس لا يَهَب هباته إلا للقلب المتيقِّظ المُصلي على الدوام، الذي يفتش في عيوب نفسه أولاً بأول ولا يتجاوزها أو يستهين بها ويدوس عليها، بل بدموع يقدمها إلى الله.

القلب المستعلي لا ينال قوة من الله، بل يُترك لجهالة عقله، فيسير حسب هوى فكره ويُدبِّر نفسه بنفسه، وكل ما تشتهيه ذاته يكون مُهماً لديه ومقدساً، أما القلب المتضع فتسكنه قوة الله، ولا تعود مشيئة نفسه مقبولة أمامه، بل يكره كل ما يزيد كرامتها. لذلك فهو يطلب دائماً أن يكرم الآخرين ويكرم الله، وفي هذا تكون راحته، ولا يعود يفتش على عيوب الناس، بل تكون مسرَّته في تفتيش قلبه فقط، ومعرفة خطاياه وفحصها أشهى له من كل الأعمال والمواهب.

وإن كانت أعمال المستعلي القلب كثيرة جداً وعظيمة جداً وناجحة جداً، فهي لا تُحسب له براً. وإن كانت أعمال المتضع القلب قليلة جداً وضعيفة جداً ولا صيت لها ولا اسم، فهي تُحسب له بـرّاً، لأن الله لا ينظر إلى الأعمال، وإنما ينظر إلى النية التي عُمِلَت بها الأعمال.

وإن كانت حياة المستعلي القلب تظهر من الخارج أنها طاهرة بلا لوم حسب الناموس، فهي حسب عيْن الله حياة مرذولة. وإن كانت حياة المتواضع كلها ضعف وكلها خطيئة حسب الظاهر، فهي حسب عيْن الله حياة مطهَّرة ومقدسة برحْمة، كالعشار وغيره، مثال راحاب والسامرية ومريم المجدلية ومريم المصرية... الخ. وذلك لأن الله وحده هو الذي يُقدِّس حياة الإنسان، وهو وحده الذي يُطهر سلوكه وأعماله، والله لا يُقدس ولا يُطهر إلا المتضعين، لأنهم يجذبون الله إليهم بمسكنتهم ومذلتهم وفقرهم إليه.

لذلك يُمكنني الآن أن أقول لك: إنه ليس بالإرادة ولا بالأعمال نقترب إلى الله، وإنما بالاتضاع، الذى هو إحساس قلبي بالفقر والاحتياج الشديد إلى الله وحده. وإن الخطايا لا تلوث الحياة، وإنما الكبْرياء القلبي والاستعلاء الذاتي هو الذى يُنجس الحياة. لأن الاتضاع يُعطي فرصة دائمة وقوية ومستمرة لغفران الله وتطهير الدم الإلهي، «طوبى للإنسان الذي لا يحسب له الرب خطية» (مز ٣٢: ٢). فالخطية تُحسب على المتعظِّم ولا تُحسب على المنسحق! وواضح من الآية أن الغفران هبة إلهية، وهبات الله للمنسحقين وأذناه مصغيتان دائماً لصوت طلبتهم، «إلى هذا أنظر، إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي» (إش ٦٦: ٢).

+ + +

من جهة حفظ الأفكار وعدم تشتتها أثناء النهار وأثناء الصلاة، فهذا سهل لمنْ كان قلبه يُحب يسوع شخصياً، ومحبة يسوع سهلة لأنه محبوب من أبيه، فهو ابن محبة الآب، ومَنْ ذا الذي لا يُحب المحبوب؟ والمسيح يُحبنا كل واحد باسْمه، فكيف لا نُحبه؟ لا يمتنع عن محبة

المسيح إلا الذى أحب العالم، فكل مَنْ ترك العالم وراء ظهره و لم يعُد يشتهي شهواته ومسراته وتسلياته الكاذبة يستطيع أن يُحب المسيح. كذلك الذى يمنع الإنسان من محبة يسوع أن يكون الإنسان مُحباً لنفسه، مُحباً لذاته، مُحباً لكرامته، أما الذي ينوي أن يُحب المسيح، فعليه أن يبيع نفسه للمسيح، والمسيح مستعد أن يشترينا لحسابه ويتبنانا.

الذي يُحب يسوع، يكون قلبه حاراً ملتهباً بالإحساس بشخصه دائماً. هذا الإحساس يجعل العقل متيقظاً صاحياً، سهل عليه جداً أن يتكلم دائماً مع المسيح، ويُصلى بانتباه، وتكون دموعه سهلة. والدموع في الصلاة علامة على صدق المشاعر وصدق الصلاة.

الذى أحب الرب لا يعود يطيق أن يحجز هذا الحب في قلبه، فهو يكون ملتهباً دائماً برغبة محبة الآخرين، ومحبة الآخرين هى خدمتهم. لذلك فخدمة مدارس الأحد هى فيض من محبة المسيح، وهى تنفيس عن الحرارة الملتهبة في القلب، لا يستطيع الإنسان أن يحجزها. فطوبى للذى أحب المسيح وأحب خدمة أولاده، لأنه يكون قد تمم الوصية الأولى والعظمى، ولكن يلزم أن يكون الخادم في صلة مع الله ليتقبل منه الدعوة والمشورة.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٩٥}

الروح الخالدة وآلام الزمان الحاضر

فبراير ١٩٦٦م

عزيزي أخي الحبيب (...)

سلام الله الذي يفوق العقل يحل في قلبك ويملأ حياتك.

أتعشم في وجه يسوع المسيح أن تكون في ملء قوة وبركة وعزاء الروح القدس الفاعل في طبيعتنا الضعيفة، ليؤهلها شيئاً فشيئاً أن تكون مناسبة للشركة الكاملة والاتحاد السري بالرب يسوع، حيث يكف الإنسان أن يكون وحده وتكف الطبيعة الرهيفة أن تئن أو تحزن، بل يملك الله ملكوته على النفس المتصور فيها.

أسأل إلهي المملوء محبة وبساطة وودًا أن يزيدك شيئاً جديداً في هذه الأيام، أتوسل أن يكون كشف النور الأبدي نور الحياة والمعرفة والحق الساكن فينا، حتى من خلاله تُعلَن لك أسرار العالم الجديد، لأنها بهجة للإنسان تفوق كل مسرات الزمان الحاضر. عالماً أن قصد الله النهائي أن نُوجد في هذا النور الذي كله اكتفاء وراحة وسلام، كعربون الاتحاد الخالد الموعود به في شخص المسيح، حيث لا يعود الإنسان يشعر بأي نقص أو عوز مهما بلغ به النقص أو العوز، لأن الإحساس بوجود الله وتقبُّل قوته يجعل اكتفاء الإنسان فوق الوصف.

إن عظمة الله الحقة، إن سر الإيمان الثمين، إن قيمة العبادة والصلاة والحب والتسبيح، تُوجد ونحسُّها ونعيشها أخيراً، حينما يرتفع ميزان تقدير السلام والرضى والشكر الداخلي فوق زعازع الزمان وأهواله

الكاذبة وحوادثه السريعة التغير وحتمياته الوهْمية وأباطيله الكثيرة جداً.

ربما لو قارنا بين سلام الله وسلام العالم حينما تكون الأمور سائرة على ما يُرام، لا نستطيع أن نُفرق بينهما، بل ونُخطئ جداً جداً حينما نُحاول أن نمزج بينهما، متصورين أنه يُمكن أن يكون سلام الله مرافقاً وزميلاً أو تابعاً لسلام الدنيا وهدوئها، هذا مُحال.

سلام الله الحق تظهر عظمته وجبروته ويظهر جلال لاهوته حينما نحسه ونعيشه ونكرمه وسط أهوال الدنيا وتخاويفها، فيلغي من قلب الإنسان كل قيمة الأتعاب الحاضرة وكل خسارات القدر التي يلعب بها الشيطان في عقولنا مُحاولاً أن يزيد من قيمتها كذباً مع أنها بالحقيقة عديمة القيمة، والزمن نفسه يثبت تفاهة الخسارات مهما بدت في وقتها أنها شديدة وكثيرة. الزمان بحوادثه كفيل أن يلغي نفسه بنفسه، فكم وكم بالحري إذا أشرق في قلب الإنسان وفي فكره نور الأبدية وحق الله الخالد الذي لا يتغير ولا يتزعزع ولا يفنى ولا يتدنس!! إن مجرد قدرة القلب لرؤية المستقبل بالتأمل في حضرة الله وبمعونة النعمة يلغي الحاضر ويلغي سطوة الزمن وسطوة الجسد وسطوة الشيطان على الحاضر.

على أني أعود وأكرر: إن الزمن بحوادثه كلها كفيل أن يلغي نفسه بنفسه على المدى، فكم وكم بالحري لو تسلح الإنسان برؤية المستقبل منذ الآن في نور الله؟ نعم بالحقيقة لا يعود هَمٌّ ولا يعود قلق ولا يعود أي اعتبار للحوادث مهما تضافرت معاً مُحاولةً أن تجعل لنفسها سيادة على فكر الإنسان وضميره!!

وعْد الله في سفر الرؤيا أن يمسح كل دمعة من عيني الإنسان المتألم هو وعْد واقعي صادق نُمارسه منذ الآن قطعاً، وقد مارستُه أنا بنعمة الله،

لأني واجهتُ آلام الزمان الحاضر بكل عنف الشيطان وأعوانه من بني آدم، وبكيتُ ونزلت دموعي، وكانت دموع عتاب أمام الله، لأني كنتُ أميناً له وظننتُ أن دموعي غلبتُ الله، لأني أشهدتُ عليه دموعي بسبب آلام كثيرة عنيفة لا أستحقها، ولكن أخيراً أخيراً جداً أعلمني قيمة آلامي وكيف كانت سبباً لرجولتي الروحية وامتداد قامتي في المسيح، فسألتُ: طيب، وما موقف الله من دموعي الجارحة التي تركت نزيفاً في القلب وجرحاً لا يُنسى؟ وبينما أنا أسأل هذا وإذ بيد الله تمسح كل دمعة تساقطت وتلغي كل أثر تركته أحزان هذا الدهر في كياني الضعيف!! وكأنما حوادث الدنيا وهمها بعد أن خطت في كياني ووجهي خطوطها القاسية علامةً على انغلاب الإنسان بسطوة الألم، إذ بنور الله يُحيط بهذه الخطوط إحاطة خفية فيُحول خطوط الألم إلى أشعة نور وبهجة سرية لا يراها إلا القلب والعيْن المفتوحة، ومن خلال هذه الخطوط المضيئة يُرى مجد الله ورحْمته وجهاً لوجه.

إنها كذبة كبيرة مُلفقة ما يُسميه الناس آلام وأحزان وهُموم وحوادث، إنها انعكاسات وهْمية متشابكة أمام العيْن الغشيمة والقلب الساذج تتكون أمامه كتل من الضباب والعتمة، فيختفي وجه الحقيقة والله وعظمة الإنسان وعظمة مواهبه التي تكدست في كيانه، فيتركها مخفية في أعماقه وينشغل بهذه العتمة المُحيطة.

مزيد من الهدوء والشجاعة، مزيد من الإقدام بثقة الله وإيمانه، ويطأ الإنسانُ العتمة، حينما يرتفع فوق الحوادث ويطل عليها من فوق الزمن.

الإنسان روح خالدة وقد أُعطي الإيمان كعيْن تخترق بقدرتها أوهام الزمان وتمتد فترى الحقيقة بجمالها ونورها، حيث لا يعود أمام الإنسان أي عائق يعوقه عن التقدم والصعود. وحينما يتوقف الإنسان ويتعوق عن

المسير، يكون ذلك علامةً على تعكير الرؤيا في مجال الإيمان، وهذا سببه المباشر مُحاولة خلط الزمان بالخلود ومزج حوادث الزمن بحقائق الأبدية.

من أخطر الأسباب التي تعرقل الإنسان في نُموه الروحي وامتداده إلى الأمام هو مُحاولة إضافة السلام الخارجي إلى السلام الداخلي، هذا فوق أنه أمر مستحيل، فهو يسرق انتباه الإنسان ويجعله يُحاول جاهداً — دون جدوى — أن يُهيئ الجو الخارجي ليصير مناسباً لحياة سلام روحي أو عزاء داخلي! هيهات، فالحقيقة المدهشة هى أن العكس صحيح، فالسلام الداخلي لا ينشأ إلا على أعتاب عدم السلام الخارجي، فكل قلقلة وكل هم وكل انزعاج خارجي يتصفى أخيراً بعد معركة مع قوى الإيمان ويترسب في روح الإنسان كخبْرة سلام وعزاء نتيجة لانتصار قوى الإيمان والثقة في الله.

الإنسان لا تزداد روحه قوةً بكل صنوف التعزيات الخارجية، بل تزداد اتكالاً وهْمياً وراحةً كاذبة تسرق حرارة الداخل شيئاً فشيئاً، حتى إذا حدثت التجربة الخارجية تكون النفس في غير استعداد للنهوض والارتفاع فوق عواملها الزمنية، فتغرق النفس في أحزان التجربة.

أما روح الإنسان فإنها تزداد قوةً بقدر ما ترتفع فوق الحوادث وتغلبها.

كذلك من ضمن الأسباب الهامة التي تُعرقل سيْر الإنسان في الطريق الروحي هو عدم التفريق بين انفتاح القلب للآخرين كمشاركتهم في حياتهم وتعزيتهم أو مُجاملتهم وبين انفتاح القلب للتأثر بالآخرين وبأحوالهم.

قلب الإنسان هو كنْز الحياة والقوة، وهو بيت الله ومخزن السلام،

فيلزم أن ينفتح وينغلق بحكمة ودقة. يلزم أن نتحكم في انفتاح قلبنا، فلا ينفتح للناس رغماً عنا، ولا خلسةً دون أن نشعر، ولا بتهيجٍ عاطفي غير مُحكم، لأنه يلزم أن ينفتح للعطاء فقط بالنسبة للناس والأخذ بالنسبة لله. فإذا انفتح القلب خلسةً دون أن نشعر ودون أن يكون لنا قصد وتدبير في العطاء وكميته، فإن القلب يبتدئ يستقبل مشاعر خاطئة ويتأثر تأثرات خاطئة، وتتسرب منه أسرار وجواهر، هي ملْك لله وليست ملكاً له.

هذه كلمات قليلة، أكتبُها راجياً من الله أن يتحدث من خلالها لروحك، ويزيد عليها من غنى معرفتك واستحقاق محبتك.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٩٦}

الصليب وعظمة المجد الناتج عنه

أسبوع الآلام ١٩٦٦م

عزيزي (...) دام

سلام الله الذي يفوق العقل ليسكن في قلبك ويُهدئ نفسك "كالفطيم على صدر أمه"، الذي بصراخه يود أن ينبه حنانها، وحنانُها منتبه.

في هذه المدة الطويلة لم تفارق صورتك عقلي، ووجهك الحزين المبتسم منطبع على قلبي، وما أظن أكون شيئاً بالنسبة لما يتصور في عقل الله وقلبه من نحوك، ولكني أُوصِّل لك مشاعري بالكتابة، وهو يُهديك مشاعره خلال تحركات السنين وانقشاع ليل ومجئ ليل.

الإنسان وليد الزمن جسدياً، ولكنه وليد الله بالروح، لذلك كل مَنْ رضي بالزمن أباً له يعيش حياته بالأيام ويبني عقله بالحوادث وينمو بالخطأ والصواب ويقتات على الموت، فهو يتصور الله من خلال تحركات عقارب الساعة ويتهجى اسْمه من حادثة إلى حادثة! يصرخ نحوه كبعيد يسكن على مسافة لا يستطيع أن يُحددها، لأنه حينما يُحاول أن يُحددها بالسماء البعيدة أو الهياكل المنصوبة في أطراف المدن يبطل صراخه وتنحط عزيمته، لذلك هو يُغمض عقله ويصرخ أو يُخفي رأسه منبطحاً على الأرض ويدعوه، لعله يتنازل عن سُكنَى المسافات ويأتي إليه في ضيقته. مع أنه لو استطاع الإنسان أن يسكت سكوتاً داخلياً، لَسَمَع الله وهو يصرخ نحوه ويدعوه وذراعه ممدودة للنجاة، ولكن الإنسان عنيد لا يريد أن يسكت أبداً كالطفل كثير الصراخ. وإن

هو هدأ إلى لحظة ينتظر الله ويترقبه من خلال عقارب الساعة ومن وسط الحادثة يدعوه ليتجلى وينقذ! ولكن الله لا يتجلى في سكون اللحظات، وإنما في السكوت الذي يعبُر بالكيان العقلي والقلبي من دائرة الزمن والحركة إلى دائرة الحياة التي فوق الزمن والحركة، حيث تبطل الساعة وكل ما يسير عليها ويتعلق بها ويتأثر بحركتها، وحيث تبطل الحادثة بكل ما يدعو إليها وما ينتهي منها، هنا يتجلى الله، وهنا يتجلى إنقاذه وتُستعلن ذراعه، إذ يدخل الإنسان في أقل من طرفة عيْن إلى الحقيقة العظمى، فيرى الرد الخالد لكل سؤال مُحيِّر، ويرى الحقيقة نفسها التي ترد كل شيء إلى أصله، حيث يتضاءل العالم المادى في صوره الحزينة وحوادثه المؤلمة ومتناقضاته الصادمة لفكر الإنسان، وتتضاءل وتتضاءل إلى أن تبلغ إلى النواة الأولى التى انبعثت منها وتضخمت، فترى النواة الأولى وهى تحمل سر المتناقضات والمؤلمات وكل صلبان الأرض: كمعبر يُوصِّل الإنسان التافه من عالم تفاهاته الذي تضخم في عقله إلى عالم الحق والعزاء الأبدي.

طوبى للحزانى لأنهم يتعزَّون، طوبى للمصلوبين لأنهم يتجلَّون،

طوبى للمنسحقين لأنهم يملكون، طوبى للجياع لأنهم يُشبَعون،

حيث تُنسى هناك كل أوجاعهم وتُمسح دموعهم وينمو موضعها نور يشير إلى الأهوال التي اجتازوها وإلى سر المجد المتحصل منها، ويشرح عظم صبْر الإنسان وقوة مراحم الله، حيث تبدو النسبة بين مقدار الألم ومقدار المجد المتحصل منه نسبة غير معقولة ومُضحكة، فيرى الإنسان عياناً ويكتشف أن الآلام كانت فخاً مقدساً نصبه الله ليصطاد به الإنسان إلى مجده. **فاحتمال الألم أقوى من العبادة.**

ويقول أحد القديسين إنه رأى في رؤيا جماعة الشهداء بمناظر مُذهلة في مجد يفوق مجد الملائكة الذين كانوا معهم في نفس الرؤيا، ورأى حول أعناق الذين ماتوا منهم ذبْحاً بالسيف زهوراً حمراء كعقد موضع الذبْح تضيء وتتلألأ بمنظر يخطف الأبصار أشد لمعاناً من كل نورٍ آخر ظهر في الرؤيا!

إن سر الصليب بالنسبة للمسيح هو سر مجده! فالألم الساحق الذي عاناه الرب تحت وطأة التمزيق النفسي بسبب الظلم، والالتواء الذي شاهده أثناء المُحاكمة مع خيانة التلاميذ وتسليم يهوذا، وإحساسه أن حياته ثمّنها رؤساء الكهنة باتفاق مع أحد التلاميذ بثلاثين من الفضة!! هذه كلها كانت معبراً من عالم التفاهة المتناهية إلى مجد الآب. وعلى هذا المعبر عينه يلزم أن تمر أقدام الإنسان في كل زمان ومكان.

الصليب بآلامه الرهيبة لا يُمكن أن يساوي المجد الذي تحصَّل منه. الصليب لم يصادف الرب في طريق حياته، ولكنه وُلد له «لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧). الإنسان يُولد للألم، والألم مولود للإنسان. ولكن في نفس الوقت، الصليب لم يكن إلزاماً حتمياً على الرب، كما نشعر من كلامه، وكما نتأكد من جهة قداسته ولاهوته، ولكن هو نفسه جعله إلزاماً حتمياً على نفسه «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربُها؟» (يو ١٨: ١١) لكي يشاركنا في حتمية الألم، فبدا الله في شخص المسيح ابنه ظاهرياً أنه يتألم اضطراراً، حتى يجعل اضطرار الألم مساوياً لاختياره، حتى لا يُحرم أي إنسان في الوجود من رحْمة الله، ويمتد الصليب ليشمل كل مَنْ تألم ظلماً.

إن الألم بحد ذاته عثرة كُبْرى لعقل الإنسان، فالعقل لا يُجيز الألم كواسطة لأي خيْر، لأن في المعرفة خلوصاً من الألم، وهو يُجاهد في

ميدان الطب مثلاً وفي الميادين الأخرى أن يُلغى الألم ويريح الإنسان. ولو دققنا التأمل نجد أن مُحاولة التربية والتعليم بكل صنوفها من أول ما يُحاول الإنسان تعلم الألف باء إلى الصاروخ، هى مُحاولة أساسية لتُجنِّب الإنسان الألم والتعب والعَوَز.

لذلك فحتمية الألم لدى العقل أمر عسير وشاق جداً، بل ومُحال قبولُها، لأن الرضى بالألم هو بعينه إلغاء العقل وكل نشاطه. فالصليب عثرة فعلاً لدى اليونانيين كما يقول بولس الرسول، أي عثرة الفلسفة، لأن الفلسفة تُحاول جاهدةً الوصول إلى الله عن طريق التأمل الأفلاطوني الحر الخالي من التضحية أي الألم المؤدي إلى الموت. وهذا اللوْن من الاجتراء العقلي في مُحاولته البلوغ إلى الله دخل في فترة ما المسيحية عن طريق التصوُّف الوثني ولوَّثها، فأوريجانوس يقول بإمكانية الاتحاد بالله عن طريق التأمل جاعلاً الله في الوضع الاستاتيكي (الثابت) والعقل في الوضع الديناميكى (المتحرك)، أي ثبَّت الله في نقطة وجعل العقل هو الذي يسعى إليه. هذا اجتراء وثني ناتج عن عدم شعور الإنسان بأُبوَّة الله ونزول المسيح وتودُّد الروح القدس ودخوله قلب الإنسان. والحقيقة عكسية: فالإنسان دائماً أبداً في الوضع الاستاتيكي، والله هو الذي يتحرك نحوه "ليأت ملكوتك". منتهى تحرك الإنسان هو أن يكون يقظاً لتحرك الله مستعداً لمجيئه «مستعد قلبي يا الله، مستعدٌ قلبي» (مز ٥٧: ٧).

فلو أدركنا أن الصليب هو أعظم مظاهر تحرك الله على الصعيد العياني المنظور الذي فيه تجلى الله للإنسان (أكثر من تجلِّيه على جبل تابور)، والصليب هو الألم في صورته العظمى التعسفية الظالمة، حينئذ علينا أن نحس أن الصليب هو الدابة التي ركبها الله القدير وانحدر عليها من مكان

سُكناه هناك من موطن احتجابه الأزلي، وجاء إلينا وصافحنا يداً بيد.

الصليب هو قوة ديناميكية الله الفائقة التي أحدرت الله إلينا واستعلنته واضحاً، أي الألم. الألم هو بصورته المادية جُمود وانحصار وتوقُّف، ولكن بجوهره الروحي تحرُّك وأيَّ تحرُّك!

الإنسان يظل متوقفاً روحياً، وعاطلاً عن المسير، راجعاً مع المسيح إلى الله إلى أن يحمل صليبه.

الألم يُدخل الإنسان في سر الصليب، سر التحرك الإلهي، فلا يتوقف كميت، بل يسير مشدوداً إلى المسيح منقاداً ومنجذباً من ألمٍ إلى ألمٍ، إلى أن يبلغ الآب محمولاً على صليبه تابعاً المسيح.

الإنسان يستحيل أن يتحرك نحو الله عقلياً، فالعقل مهما بلغ بالتأمل، إنما يكتشف الله وحسب ويكتشف نوره وحبه ويسعد ويرتد. التحرك الحقيقى كائن بالمسيح، فهو ابن الله الآتي إلينا على الصليب، وعلى الصليب نتبعه إلى الآب.

هو يقول: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥: ٥). ليس هذا احتكاراً تعسفياً لإرادتنا، ولا هو بسبب قصورنا في المعرفة، لأنه عرَّفنا بكل شيء، ولكن لأنه الوحيد كابن، فهو يحمل قوة التحرك نحو الله الآب (*).

(*) المسيح هو الوحيد الذي له قوة التحرك نحو الآب، لأنه ابن الله الوحيد، إذ هو دائماً في حضن الآب ويتجه نحو الآب (كلمة προς اليونانية في يو١:١ تعطي هذا المعنى)، لأنه من جوهر الآب، هذه القوة طبيعية فيه قبل التجسد والصليب.

ولكن لكي يدخل بالإنسان الميت ويحمله إلى الآب كان لابد أن يجتاز الألم الفدائي، حتى يُمكن أن يحملنا ويدخل بنا إلى الآب، فيكون المسيح بذلك وهو في الجسد قد اكتسب بالصليب قوة لنا ومن أجلنا، أي قوة التحرك بالبشرية الخاطئة نحو الآب، «لأنه لاق بذاك الذي به الكل ومن أجله الكل وهو آتٍ بأبناء ←

والمسيح يحمل قوة حركتيْن: حركة من الله الآب نحونا، وحركة منا نحو الآب. الأولى طبيعية؛ وهي جوهرية كائنة في سر الحب نحو خليقته، والثانية مكتسبة(*) بالصليب؛ أي الألم الفدائي؛ الذي أهَّله أن يحمل الإنسان الميت ويصعد به!

والمسيح سكب فينا سر هاتيْن القوتيْن: قوة الحب وقوة الصليب (الألم). وبقبولنا هاتيْن القوتيْن يعمل المسيح فينا سراً لنتحرك به ومعه إلى أن نصل إلى الآب، ويتم بهما وفيه السر الأعظم؛ سر الاتحاد بالله.

ختاماً، أستودعك لتدبير عناية الله الفائقة التي تُسخِّر السنين والأزمنة والأوقات والحوادث وكل ما يصيب الإنسان وما يصيبه الإنسان، لتكميل خطة الفداء العامة لخلاص الإنسان.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام» (عب ٢: ١٠، ٥: ٨).

(*) نفس الحاشية السابقة.

الرسالة {٩٧}

الذين قبلوا صليب المسيح لا يخافون شيئاً

يونيو ١٩٦٦م

إلى عزيزَيَّ الأخويْن المقدسيْن في المسيح بالروح (...) و(...)

ليَهَبَكما المسيح كل نعمة ويُغْنيكم بسلامه الذي يفوق كل عقل، ويُعدكم للدعوة العليا بتكريس القلب والفكر لمحبته بكل شكر وفرح، متقبِّلين تدبيره الذي يصنعه معكم في الجسد والروح بكل وعي، عالمين أن كل ما يعمله يعمله بحكمة ليؤول كل شيء إلى خلاصكم، لتكونوا قريبين منه الآن وكل حين، وهناك تكونون معه إلى الأبد.

أرجو أن أنبه ذهنكم أن الله يُسخِّر السنين لخدمة أولاده، وبكل أناة يتابع الله حياة كل ابن له منذ البطن حتى آخر نسمة، ليجعل كل الظروف والحوادث تخضع معاً لبناء نفسه حسب مواصفات وَضْعها السمائي، والعامود في بيت الله السمائى يحمل ثقلاً أكثر من العتبة، والحجر المتراص يتفاوت في الوضع، فليس من حجرتيْن قط تأخذان نفس الأبعاد من حيث الوجود بالنسبة لله والآخرين، هكذا يبني الله هيكله منذ الآن وينحت من قلوبنا وعواطفنا وإخلاصنا له صورة تليق بمجده.

لذلك ليتنا ننتبه ليد الله التي تصيغ من الحوادث والظروف فرصاً لتجديد ذهننا، فكل يوم يحمل لنا دعوة للاقتراب من الرب، والليل يُذكِّرنا بنقص النهار أي بعجزنا في تلبية كل مطالب نعمته، والنهار يعرض أمامنا فرصاً جديدة لنتبعه بكل قلبنا، وتوالي الليل والنهار مع صوت الله كفيل أن يكمل توبتنا لو نحن قَبِلْنا تأنيب الضمير في الحين بعمل شجاع جرىء يرضي قلب الله.

الإنجيل كله معروض أمامنا بمئات من الوصايا النورانية، وكل وصية كفيلة بمفردها لو نفذها الإنسان بدقة وإخلاص أن يدخل بواسطتها في سر النعمة الإلهية التي تقوده وتفتح له باب قلب الله ليمتلئ بحبه بلا شبع، حيث لا شيء في الوجود يمنعه بعد ذلك من الوجود في حضرة الله وسلامه.

كل الذين دخلوا في مغامرة الإيمان ربحوا الحياة الأبدية بسخاء ومجد عظيمين، والإيمان لا يتزكّى إلا بالتجربة والاختبار والحرمان الإرادي. الإنجيل ليس فيه أي عزاء لإنسان يشتهي أن يحيا في تمتع الدنيا، والله نفسه يبدو للذين يعيشون حسب مطالب الجسد حسب قياس فكر الإنسان الطبيعي كأنه بلا لزوم أو يبدو لزومه متعلقاً فقط بأن يزيد من خيْرات الدنيا أو يُحافظ عليها.

الإنجيل مصدر عزاء مبدع فائق للعقل للذين دخلوا في مغامرة الإيمان وفضَّلوا حياة الروح على حياة الجسد، واشتهوا رضى الله فوق رضى الناس ورضى العالم ورضى العقل. الله يبدو جماله وجلاله فقط عند الذين فطموا نفوسهم من جمال الدنيا وجلال عطاياها، حيث يصبح الله ضرورة شديدة جداً في كل لحظة وفي كل شيء، لا يستطيع أن يرخي الإنسان عقله عنه لحظة، ولا يهدأ قلبه من اللهج بحبه حتى في نومه.

والذين دخلوا في عهد الله، أي الصليب، استهانوا بالحياة على الأرض جُملةً واحدة، وضمناً أو بالتالي استهانوا بالأكل والشرب واللبس والراحة والمال والكرامة والعزاء البشري ومطالب العاطفة والآمال المسنودة على السنين والرجاء المتوقف على ذراع البشر. وعوض ذلك يأخذون ما هو أعظم وما هو أهم جداً وما هو حق وليس فيه غش أو خداع أو زوال أو موت، يأخذون اسم الله الحي، الذي به يعيشون

ويتكرمون ويتعزون، وعليه يسندون إيمانهم، وبه يترجون وينالون حتماً كل ما يترجونه.

الذين قبلوا أن يكون صليب المسيح هو صليبهم لا يعودون يخافون شيئاً في هذا العالم، لا فقر ولا مرض ولا عداوة إنسان ولا ظلم بشر، ولا قلة أيام ولا موتاً مفاجئاً، ولا حوادث تبدو مزعجة أو أخباراً تبدو معاكسة، لأن كل شيء يذوب ذوباناً في صليب المسيح ويتحول إلى قيامة ومجد أبدي.

الذي ارتضى أن يُكمِّل وصية المسيح الأولى والعظمى، أي يحمل صليبه ويتبعه، عليه أن يفتش باهْتمام شديد في كل خطوة يخطوها، حتى لا يبتعد قط عن المسيح وإياه مصلوباً، لئلا يحمل الصليب عبثاً إن هو سار حسب مشيئته و لم يتبع المسيح تماماً.

ولكي نتبع المسيح تماماً يلزم أن يكون العالم خلفنا على الدوام وصورة الصليب لا تفارق قلبنا وشوك العالم يُكلل رأسنا.

دعوة المسيح سرية لا يلتقطها القلب المشغول بآخر، أما منتظرو الرب فيسمعون همْس صوته من بعيد ويفرحون، لأنه حينما يتكلم المسيح مع الإنسان تبتهج روحه، بل وحتى عظامه تفرح.

الإله القادر على كل شيء، الذي أحبنا بإخلاص وبشهادة الصليب، يملأ قلوبكم بمحبته، لتعرفوا دعوتكم واختياركم، وتفرزوا صوته من وسط أصوات كثيرة، فتتبعوه كل حسب قدرته.

كونوا معافين.

القمص متى المسكين

الرسالة {٩٨}

رسالة تعزية لأرخن كريم
في انتقال ابنة شقيقته الخادمة المكرَّسة

ديسمبر ١٩٦٦م

أخونا الكبير (...)

سلام الله يحل في قلبك، والروح القدس يُعزِّي نفسك.

أقدم لك تعزيتي أنا المسكين المقصِّر دائماً في كل واجب، لأنه ربما تكون تعزيتي هذه آخر كل التعزيات التي وصلتك، وكان الأجدر بي أن أحضر بنفسي لأكون بجانبك، ولكن إذ أشعر بعدمي وحقارة نفسي آثرتُ أن أتوسل إلى الله القدير أن يصنع رحْمةً مع ضعفي ويستجيب صلاتي، لكي لا تنْزعج روحك من انتقال أختنا (...) إلى مكان راحتها في السماء، عند يسوع الذى أحبته وأحبها.

وإني أيضاً متوسل إليك، متشفعاً بأم الخلاص والملاك ميخائيل، أن تكفَّ عن الحزن والبكاء، لأني سمعتُ أنك في غاية التأثر. فإن كان يعزُّ علينا جداً جداً أن تفارقنا أختنا (...) هكذا مبكراً جداً، مع أننا كنا نأمل أن تشاركنا في جهادنا الرهباني طويلاً، إذ كنا نعتبرها واحداً معنا، وكنا مزمعين أن نعطيها اسْماً من أسْماء القديسات، ونعرض عليها أن تراسلنا دائماً، لتكون في عزاء شركتنا، ولكن حزننا عليها وإن كان شديداً فقد انخطف قلبي لحظة طويلة لما سمعتُ الخبر من المهندس (...)، إلا أنني لا أخفي عليك أن روحها أقرب إليَّ الآن مما كانت وهي في القاهرة، وإن كانت وهي في الجسد ذات نفع لك ولنا، فهي الآن وهي

متكللة في مجد القديسين وفي نور يسوع أكثر نفعاً لك ولنا، فروحها الطاهر يؤازرك ويتشفع عنك وعنا.

أختنا (...) الآن ليست بنت أختك فقط، بل ملاكاً طاهراً يخدم أمام العرش الإلهي ويُقدم تسبحة الغلبة والخلاص، لأنها إذ حفظت نفسها من شهوة العالم وقدمت جسدها وروحها على مذبح العفة والمحبة الإلهية حُسبت أهلاً أن تغتسل بدم الخروف وتلبس الثياب البيضاء.

يا (...) بك، أيُها المُجاهد الغالب لمجد الدنيا، أيُها الإنسان الغني بالله، يا مَنْ قدَّستَ الغنَى الأرضي ليخدم دائماً فقر القديسين، أيُها الغَني الذي خلُص بمهارة صالحة إذ حسبت المال تجارة للتقوى وعُمْلة سهلة لشراء ملكوت الله، يا منْ فتحت مكتباً تحت اسم مستعار كأنه للمعاملات المالية لخدمة ربْح رأس المال وهو في الحقيقة وفي السر مكتب توزيع صدقات وتبديد رأس المال لخدمة أعواز فقراء الله. مكتبك صار شبه قلب قديس ينضح رحْمةً في كل لحظة، وكفَم إنسان طاهر ينطق بالبركات بغير سكوت. أيُها الوكيل الأمين على خيْرات الأرض، لتتعزى روحك بما أعدَّه الله لك، لأنك مُعين على الأمانة العليا لتخدم عشر مدن وتُستأمن على خيْراتٍ روحانية.

أختنا (...) كانت وكيلتك في مشروعات البر، ومشيرة حاذقة لسخاء العطاء، وشفيعة للطالبين المعونات. الآن حُسب لها هذا كله أجراً سماوياً، فلترتاح روحها وتهنأ في نور القديسين. أما أنت فلترافقك مراحم الله، وليتبعك السلام وعزاء الروح القدس أينما سرت.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {٩٩}

سرُّ الزواج متّسع لأعمال الروح

رسالة للأخ (...) بمناسبة زواجه

١٧ يناير ١٩٦٧م

عزيزي الأخ (...)

سلام الله لروحك أيُها العزيز وسلام لزوجتك.

أتعشم أن تجتهد لتحفظ الهبة التي منحها لك الله في الحياة الزوجية، هبة مشاركة الإنسان للإنسان في تحمُّل عبء الجسد والروح معاً وتقسيم المسرات والأحزان ومخاطر الحياة معاً، وركوب كل المصاعب الدنيوية لبلوغ الخلاص فوق كل اعتبار، مُزكِّين بعضكم بعضاً حتى لا يتصدع وفاق الروح بسبب اختلاف مزاج الجسد. ولتبقى وحدانية الروح مُكرَّمة ومُهابة وجليلة فوق كل تفاهات التصرفات الشخصية التي تستمد اختلافها من أصول سحيقة ومواريث يستحيل تجاهلها ويستحيل إلغاؤها إلا بالنعمة، نعمة الله المُخلِّصة.

ليس أمامك ما يستلزم التشاؤم أو اليأس أو حتى الندم، لأن طريق الخلاص جعله الله مفتوحاً أمام وجه كل إنسان على الأرض مهما بلغت ظروفه من المصاعب أو وصلت مسؤولياته من الضخامة. طريق الروح سيظل مستقلاً عن الجسد قائماً بمفرده شامخاً فوق مهازل الدنيا، فوق آمال الصبا وتخطيطات الأقوياء وشهوات الأغنياء وحرمان الفقراء والأذلاء. طريق الحياة الأبدية لا يتماس ولا في نقطة من نُقَطه مع نجاح الإنسان أو إخفاقه بالجسد. والروح القدس حينما يتقدم ليُرافق إنساناً يستصرخه المعونة لا يهمُّه ما هو اهتمام الجسد، ولكن يسأل ويُدقق ما

هو اهتمام الروح؟

والذي ينحاز إلى الله بروحه وبكل ضميره غير حاسب للجسد حسابه، ولا نفسه تكون ذات قيمة عنده، والدنيا لا يكون لها سلطان على قلبه، هذا، لن يحجزه عن الله حاجز: لا زواج ولا غنى ولا فقْر ولا حرمان ولا شبع ولا جوع ولا تهديد ولا ألم من أي نوع. وهذا الإنسان عتيد أن يبلغ حتماً التجرد الذي يتناسب والروح، والفقر الذي يتمشى مع الصليب، والإماتة التي تسبق القيامة.

النعمة تقود الإنسان لكل مطالب الخلاص، وتُخلِّصه من كل ورطات الجسد والعالم، على شرط واحد أن لا ينظر الإنسان إلى الوراء، أي لا يندم على شيء يتركه من أجل الله، أو يستخسر شيئاً مهما كان عزيزاً ليُقدمه على مذبح الفقر الإلهى بُخوراً أمام الصليب.

الحياة الزوجية حافلة بالأعاجيب في سِيَر الآباء، ولقد ضربتْ مثلاً في القداسة والتجرد والإماتة والفقر والصلاة والحب الإلهي، لا يُمكن أن يجعلها في مرتبة دَنِيَّة على طريق الخلاص. فالجهاد منصوب أمامك وأرقام النصرة قد بَلغْتهَا في شبابك المبكر على شهوات الطعام وأصنافه وبالصيام المتواصل والإماتات المتعددة. ولذة الحرمان تفوق لذة القنية ألف مرة، لأن عمل الله يُزكِّي نفسه في ضمير الإنسان ولكن ليس في عينيه، فأنت لا ترى الحرمان لائقاً قبل أن تحسَّه، ولن تحسه إلا بعد أن تختاره.

سر الزواج مضماره متسعٌ جداً لأعمال الروح، والركض فيه لذيذ عندما يكون حب الله منسكباً على القلبين. الروح قائد ماهر يسوق عربة الإنسان ذات الحصان الواحد بسهولة، وأما ذات الحصانيْن فربما يكون ركضها أوفر إذا تدرب الحصانان على طاعة القائد، وإذا عدَّلا

خطواتهما لتنطلق بانسجام الواقع المتناغم. لذلك فالزواج يحتاج إلى تدبير كثير في بداية الطريق حتى لا تجمح النفس في جهالة الملذات والقِنْيات والسعادات والوهْميات وتترك الطريق الملكي المؤدي إلى النهاية السعيدة.

النفس البشرية مضروبة بحنين التُراب، وهي سريعة التأثر بدفء العواطف لتُخرج جذورها بسرعة وتضربها في باطن الأرض حيث يتعمق بعيداً عن متنفَّس هواء الله وريح الروح القدس. فاحذر، لا تتعود الاستغراق في مشاعر اللحم والدم، ولا تتمادَ في التغذي بحنان الأقرباء، لأن النفس التي لا تفطم ذاتها من حنين الأرض لا تصلح لملكوت الله.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٠٠}

خسارة المال لا يجزع منها الإنسان الروحي

١٩٦٧/٣/١٩م

عزيزي (...)

سلام من الله لروحك وسلام لزوجتك وأولادك المباركين.

أهدى شخصك العزيز محبتي القلبية الصادقة في شخص يسوع المسيح الذى ربط بين أرواحنا رباطاً مقدساً عتيداً أن يُثمر بالبركات السمائية للحياة الأبدية.

وصلني خطابك المُسجل الأخير وعلمتُ بأمر القضية، فالقضية قضية الدنيا على وجه العموم، وهي متكررة على الدوام وبنفس الصورة، ولكن قليل مَنْ ينتفع بحيثيات حكمها، لأنها تُصور في ذهن كل إنسان أنها قضيته الخاصة التي ينبغي أن يهتم بها ويحمل همها ويسهر لها وينشغل بجلساتها ودعواتها، مع أن الأمر قديم، وهي هي نفسها التي تغزو بها سماء النفوس الصافية لتفسدها وتقلبها وتُعكر سلامها من جيل إلى جيل، وعن طريق هذه القضية الموهومة نجحت الدنيا أن تُضيِّع أوقات الناس وتسلبهم فرحهم وحبهم ومرحهم وشكرهم، بل وتُمرض نفوسهم وأجسادهم، وهكذا يعطي العالم باليمين ويسلب بالشمال.

لي إنسان قريب اسْمه (...)، ظل يكافح ٢٠ سنة حتى استطاع بدخله المحدود كمُدرس أن يبني بيتاً بالإسكندرية، وعلى مدى العشرين سنة كان يجمع ويفرح بالرصيد ويكافح بالدروس الخصوصية والأعمال الإضافية التجارية حتى أكمل بناء البيت، فأرسل له الشيطان إنساناً

شريراً غشاشاً فسكن عنده ضمن عشرات السكان، وكان هذا الإنسان مُحتالاً، ولكن صاحبنا كان حاراً لم يحتمل أن تُسلب أمواله التي جمعها قرشاً قرشاً بعرق الجبين وسهر الليالي، فرفع على الساكن قضية، فازداد الساكن في تمرده وألاعيبه، وألاعيب الشيطان ليس لها حدود ولا سدود، ولا أحد في العالم يستطيع أن يُقمعها أو يغلبها، فلم يحتمل صاحبنا الهزيمة، فأصيب بانفجار شريانى أودى بحياته في لحظة. وانتهت قصة عشرين سنة جمْع وسهر وآمال كاذبة كاذبة جداً.

فالآن يا صديق حياتي وزميل حجي المقدس، أتوسل إليك برحْمة إلهنا أن لا تستبعد الخسارة المالية في عقلك الباطن، لأن هذا هو بدء 'لعبة الدنيا الفاجرة'، لأن استبعادك لاحتمال الخسارة وفقدان المال يجعل الخسارة وفقدان المال ضربة مفاجئة لا يستطيع الإنسان أن يصمد لها ساعة وقوعها، مع أن فقدان المال شيء طبيعي وهو أسهل من جمْعه بل وأكثر معقولية من الربْح.

صحيح إن جمْع المال صعب والربْح أمر متعسر حدوثه بصورة مستمرة وخصوصاً في هذه الأيام، لذلك لا تحتمل النفس الخسارة والاختلاس أو السرقة، ولكن من حيث المنطق النفسي السوي أقول لمحبتك إن **مُجرد الجهاد** في جمْع المال والتجارة هو هو الربْح وليس الربْح المالي. يكفي الإنسان سعادة أن يعمل ويُجاهد ويكسب لقمة العيش اليومي، أما الفائض المتكاثر بعد الكفاف فهو في اعتقادي لا يُحسب ربْحاً، هو تجربة خطرة كفيلة أن تُضيع لذة الجهاد والعمل إذا وضع الإنسان قلبه على زيادتها ونمائها لمُجرد الزيادة والنماء بحجج كثيرة، ولكن كلها ادعاء ووهْم.

الإنسان في عُرْفي مدعو ليكون أسعد خليقة بالجهاد والعمل في حدود

الكفاف، فإن هو زاد عن حد الكفاف بسبب خدعة لذة الغنى وجمْع الأموال في البداية، فإنه وشيكاً ما يُصدم بالحقيقة المُدهشة أنه كُلما ابتعد عن حد الكفاف ابتعد عن حد السعادة الآمنة الهادئة مهما أَمَّن على سعادته بالمال. والإنسان دائماً أبداً يذكر أيام كفاحه الأول في فقره وبساطة معيشته كأسعد وألذ أيام الحياة.

ليس من المعقول أن يرضى إنسان روحي راجح التفكير مثلك أن يبيع حريته بالمال! لا سبيل لاحتفاظ الإنسان بحريته إلا إذا باع الإنسان ليس المال كله فحسب، بل والناس وأقرب المقربين حتى الأب والأم والابن والابنة، بل وحتى 'الذات' الترابية أيضاً ينبغي أن يجحد هواها ومسرتها الأرضية، وحينئذ يصير الإنسان أكثر إخلاصاً وصدقاً وأمانةً في علاقته بكافة الناس والمال والذات أيضاً.

إن برهان الإنسان الروحي هو أن لا يجزع من خسارة الناس أو خسارة المال أو خسارة الجسد، بل إن الإنسان الذي ارتبط بالمسيح يفرح بالخسارة، لأنها تزيده تجرداً وفقراً فتزيده قرباً من الحقيقة الأبدية الخالدة: «أنتم الذين قَبِلتم سَلْب أموالكم بفرح» (عب ١٠: ٣٤).

الإنسان الذي ألقى رجاءه على المسيح يلزمه أن يترجم الحوادث التي تحدث له ترجمة 'فوْرية' على ضوء أن كل الذي يُعمل يُعمل للخيْر للذين يُحبون الله.

الآن أطالبك أيُها الأخ المُخلص أن لا تنظر إلى حياتك بمنظار منطق الإنسان الطبيعي، أنت مدعو أن تلبس المسيح وتظهر في صفوف القديسين، فيلزمك أن تنحاز إلى المسيح بكل قلبك وفكرك.

ختاماً، أستودعك لفعل نعمة المسيح القادرة أن تغنيك بفقر المسيح

وتُقوى نفسك بالصليب وترفع روحك فوق معاثر هذا الدهر.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٠١}

صعوبة الطريق الرهباني

عام ١٩٦٧م

عزيزي (...)

سلام الله مع روحك. توسلاتي لدى القدير أن يحفظك في ملء النعمة وبركات الروح القدس، ويجعلك نوراً في كنيسته.

وصلتني رسالتك وتألمتُ كثيراً بسبب انزعاج نفسك بخصوص الأب (...). وفي الحقيقة وإن كُنا نصلي متوسلين لدى الله أن يرد له صحته وسلامه النفسي لمتابعة جهاده الروحي، إلا أننا ينبغي أن لا نظن أن في تخلى الله عن صحتنا أي مساس بخلاصنا، كما أن أي إخفاق في أشكالنا الرهبانية لا يُمكن أن نُؤوِّله إلى غضب الله علينا، لأن هيئة الجسد وصورة العبادة الظاهرية بأشكالها وأسْمائها وألقابها ستزول مع هيئة هذا العالم، وسوف نُعطَى كلنا ثياباً بيضاً عوض هذه السوداء.

وإخفاق الأب (...) في متابعة الحياة في الجبل بدأت منذ أول مجيئه منذ سنتين، وقد وضح لي أنه غير لائق للحياة في الجبل بسبب ضعف بنيانه النفساني وتعلقه بالأسرة، وكنتُ مهموماً ودائم التفكير في كيف أوفر له حياة تكريسية تتناسب مع حالته، وضماناً لجعل الباب مفتوحاً أمامي للتصرف طلبتُ منه أن لا يترك لحيته تنمو أو يلبس ثياباً رهبانية بتسرُّع، ولكني بعد أن عُدتُ إلى الجبل وبعد مجيئه هو إلى الجبل بشهرين تقريباً وجدتُه يلبس كالرهبان، فازداد همي، وذلك منذ سنتين.

وأنت تعلم أن أي إنسان يكون قلبه متعلقاً بشيء، أي شيء، خلاف

التجرد والموت عن الأهل والعالم، تصبح أعمال الرهبنة وتدبيرها ومشقاتُها عسيرة على النفس، ويبدأ الإنسان يدين الآخرين والأب الروحي والحياة كلها.

هذا بجوار أن حياتي أنا شخصياً وظروفي واقعة تحت اضطهاد مريع من بعض رجال الكنيسة، مما يعكس على نفسي عدم فرح بزيادة الرهبان، لأنه يكون زيادة همٍّ ومسؤولية، فالشخص الذي يكون قد علّق آماله عليَّ فقط حينما يترهبن معي يُصاب بخيبة أمل لأني في غالب أوقاتي لستُ للآخرين. فأنا في داخل نفسي **منسكب أمام الله** أجوز أتعابي ومحنتي في صمت، وإن كان هذا لا يظهر عليَّ بوضوح، ولكن لا أستطيع أن أتجاهله، لأن الله نفسه لم يتجاهله بعد، فأنا في عُرْف الكنيسة وقوانينها مُجرَّد من كهنوتي ورهبانيتي، وهذا كفيل بأن يهدَّ كل عزيمتي من حيث السعي لبناء الرهبانية التي أنا مسؤول عنها، وكفيل أيضاً أن يُعرقل روحي نحو الانطلاق بروح الكنيسة الذي في داخلي، مع أنه مطلوبٌ مني وخصوصاً عند أولادي أن أكون منطلقاً دائماً، وهذا عسير. أنا أتمزق بين الواقع والمطلوب!!

ثُم إن الحالمين من أبناء هذا الجيل يتطلبون مُثُلاً عليا في الخيال، كما قرأوها في كتب وسير السواح والمتوحدين: الذين عاشوا على الخبْز والملح ستين سنة، ووضعوا حجراً في فمهم لضبط الصمت ثلاث سنوات، وعاشوا يبكون كل أيامهم، ويسهرون الليل كله في الصلاة وقوفاً، ولم يتكلموا بكلمة واحدة من كلام العالم كل عمْرهم.

أما أنا فليس لي شيء من هذا، ولم أَدَّعه لنفسي يوماً من الأيام، فأنا إنسان خاطئ واقع تحت ناموس الجسد بكَلِّ انفعالاته، ولدتني أُمي بالخطيئة والكذب وحب النجاسة والغضب والعداوة والكبْرياء والافتخار

بالذات وتمجيدها وحب المديح وشهوة الرئاسة والراحة ودينونة الناس.

وفوق هذا كله لا أملك طبيعة الإخفاء، إخفاء العيوب، ولا أملك قدرةً على الظهور بعكس ما أنا فيه حتى أستُر عيوبي بالصمت أو أُخفي ضعفاتي بالهرب والوحدة، لأني مكشوف وحياتي مكشوفة وأكلي مكشوف ونومي مكشوف. لذلك فالذي يريد أن يعثُرَ فيَّ لا يجد أية صعوبة، والذى يريد أن يدينني لا يجد أي برهان على أني مُخطئ، فليس فيَّ أى شيء صالح أسند به ضعفي.

ولكن أنا لا أفتخر بعيوبي، ولكني أستحي منها، لأنها طبيعتي ونصيبي من أمي ومن العالم، ومقدار ما فيَّ من حق ليس منيِّ فهو من إصلاح الله القليل لضعفي.

غير أني لا أُلزم أحداً بأن يكرمني أو يمدحني أو يستُر عيوبي أو يعيش معي أو يؤمن بكلامي، كما لا أستطيع أن أدين إنساناً يدينني أو ألوم راهباً يعثُر في. وقطعاً أنا مسؤول عن إخفاق أي راهب يرتد عني، ولكن هذا لا يمنعه أن يطلب واحداً أفضل مني أو طريقاً أكثر مناسبة لنفسه.

وإن كنتُ أتألم دائماً أبداً بسبب أي إنسان يعثُر بسببي، ولكن لم أُغوِ أى إنسان أن يرتبط بي، وأود أن يتركني الجميع، وأشتهى بدموع أن أعيش وحدي، لأن الطريق الذي أسلكه ليس في مقدور أحد أن يسلكه إلا القليلون جداً.

يا ليت الكل يرتد عني، يا ليت الله يعفيني بطريقة تُرضيه هو.

أنا قدمتُ نفسي لخدمته، ولكن أنا كنتُ ظاناً في نفسي أكثر مما هو في مقدوري، فليسامحني الله.

أخيراً، تقبل مني كل محبة ودعاء لشخصك العزيز.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٠٢}

التشبُّث بالرب كل حين

عام ١٩٦٧م

عزيزي الأخ (...)

سلام الله لروحك أيُها المحبوب. الرب معك.

«ملكوت السماوات يُغصب، والغاصبون يختطفونه» (مت ١١: ١٢).

«الرب معكم ما كنتم معه... وإن تركتموه يتْرككم» (٢أي ١٥: ٢).

إن الاتحاد الذي تريده أو حلول 'العلية' أمرٌ صادقٌ وحق، ولكن لا يأتي بالانتظار ولكن يأتي بالجهاد والمتابعة.

الرب صادق فيما يقول إنه معنا كل الأيام إلى انقضاء الدهر، ولكن نحن غير صادقين في التصميم أن نكون معه ولو يوماً واحداً. وعندما قال إنه واقف على الباب يدق ليطلب الدخول، والأمر متعلق بفتح الباب له، فهذا حق كل الحق، ولكن نحن فهمنا أنه يُمكن أن نفتحه له مرة واحدة في العمر فنملكه إلى الأبد، غير أن الأمر يسير بخلاف ذلك، إذ أننا نتركه ونتشاغل عنه بسرعة، فيضطر هو أن يخرج خارجاً ويعود مرةً أخرى ويدق على الباب!

يظهر من كل هذا أن المطلوب هو التشبث بالرب دائماً، فأقل تراخٍ في العلاقة تُفقدنا الوجود معه، ويبدو من هذا أن الاتحاد الذي ترجوه والحلول الذي تنتظره مشروط بدوام واستمرار التشبث به. في لحظة واحدة يُمكنك أن تعيش معه، فما أسهل الاتحاد به، ولكن الصعوبة في الاستمرار!!

إذاً، الاتحاد بالرب عملية كبيرة، جزؤها الأكبر في المتابعة.

والحلول يُمكن أن يحدث بسرعة، ولكن الصعوبة في الاحتفاظ به.

إن المشورة التي أقدمها إليك تتلخص في **طلب روح الصلاة**، ثُم في **المداومة على الصلاة**، حتى يستقر الرب في القلب نهائياً.

سوف تحس أن الجهد كله مُركّز على العقل في بادئ الأمر، وهذه هي المرحلة الشاقة، ثُم بعد مدة قد لا تطول تحس أن الرب استقر في القلب في الأعماق، فمجرد أن تطلبه تجده في الداخل، فتلذ لك الحياة جداً إلى درجة تذهل العقل.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٠٣}

الدوام في رجاء الحياة الأبدية

٧ أغسطس ١٩٦٧م

عزيزي (...)

سلام من الله لروحك أيها الأخ المحبوب في الرب.

أتعشم في وجه ربي يسوع المسيح أن تكون حياتك مضيئة بنعمة الله، مستمتعاً بقرب المسيح، ولك شهادة حسنة في الضمير من جهة استرضاء وجه القدير بكل عمل وقول صالح.

كما أتوسل أيضاً دائماً من جهتك أن تظل تطلعاتك المقدسة هي لحياة كاملة في القداسة والتقوى، كما كانت أيام شبابك الأولى المباركة بل وتزيد كل يوم، لأننا نحن الذين عرفنا حب الرب وذُقنا عشْرته وصلاحه وتلذذنا بقوى الإيمان والطهارة وبركاتها يستحيل أن تُنقص الأيام من سعادتنا، بل تجئ السنون ونحن كما نحن، وتلف دورات الحياة ونتقابل في شيخوخة الزمن الفاني بقلوب فَتيَّة تقية وبإيمان الشباب الحار المتأجج وبمفهومات البراءة والطهر كأيام الطفولة وأعمق.

نحن عرفنا كيف نضحك على الأيام ونسخر من الزمن ولا نبالي باستراق السنين لألوان شعرنا أو بقدرة العتق من تشويه قسمات وجوهنا، لأن لنا إيماناً ساطعاً ينبع من شمس البر التي أشرقت برحْمة إلهنا في قلوبنا ولن تغيب، والسماء والأرض تزولان وروح الله الذي فينا الذي يُشددنا يخلق لنا كل يوم سماءً جديدة وأرضاً جديدة، حتى أن لكل إنسان في الوجود عمراً واحداً وعالماً واحداً، أما لنا نحن الذين نعيش

بالروح القدس وبإيمان يسوع فهي أعمار مُمتدة وعوالم لا تنتهي، سوف نزداد في إدراكها والامتداد فيها يوماً بعد يوم وحتى بعد انقضاء يوم الإنسان.

إن من وراء هُموم المهنة وواجبات الأسرة وأثقال المستقبل سيظل لديك رصيد لا يقلُّ ولا يتغير من الآمال المقدسة وأعمال المحبة الخالدة وفرحة النصرة على أوهام الناس الذين يغرقون فيها بإرادتهم ولا يستطيعون القيام منها بمشيئتهم، أما أنت يا مَنْ أدركتَ كلمة السر، فاهتف بمجد مَنْ علَّم يديك القتال وسلَّم روحك فن الخلاص.

تقوَّ، لأن الزمن زمن جهاد، والعريس على الباب.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٠٤}

تجديد أيام الشباب الروحي

١٠ أغسطس ١٩٦٧م

عزيزي الأخ (...)

سلام من الله لروحك أيُها الحبيب.

أتعشم أن تكون مثابراً على التمسك بمواعيد الله القادرة بالإيمان الحار الذي لك أن تملأ حياتك بحضرة الرب وبنور وجهه الذي يغنيك عن مسرات كثيرة ويمدُّك بذخيرة من الرجاء تجعلك قادراً أن تشق صخر الحياة بعصا إيمانك ماءً حياً يُروي عطشك المستمر.

إن الرؤيا أمامك، وإن تعتَّمت قليلاً فهذا من خداع البصر، لأن المسافة التي تربطك بالقدوس الأبدي لم تتبدل، وقدميّ البشارة اللتين انتعلتا [٦] خدمة البشارة بالإنجيل لم يُنقص من نشاطهما شيء، وسيور أحذيتهما في جدَّة لن تبلى أبداً نظير سيور أحذية التائهين في برية سيناء أربعين سنة، وأنت لا زلت دون الأربعين في الجهاد.

وقلبك أنا أعلم أنه مربوط بالعريس بما يفوق قدرتك في العبث به، بل ويزيد في المتانة والقوة عن أصابعك التي تُحركها بعض الشهوات الغريبة، لذلك أقول إنك لو أحسنت الرؤيا لوجدت الحبيب: كما هو دائماً بالنسبة لك، وأنت كما أنت دائماً بالنسبة له، هذا لو رفعت كل أوهام الفكر وحركات الزمن وضعفات الجسد!

---

(٦) أي لبستا في أقدامها الكرازة بالإنجيل «ما أجمل على الجبال قدميَّ المبشر... بالخلاص» (إشعياء ٥٢: ٧)

إن الطريق الذي دُعيت إليه وسرت فيه وتلذذت به لا تحدُّه علامات بشرية، ولا يرشد عليه أي زمن أو تاريخ من وضع القلم أو من وضع الذاكرة، ولا يتحكم فيه أي فضل بذَلْته أو عمل عملته، فهو كله من صُنع الرب، وعلاماته تفوق قدرة الإنسان من أن يُزيد عليها تحكُّماً فيه أو يُنقص منها تجاهلاً له.

وما عليك إلا أن تنفضَ نفسك من نفسك، فتجد نفسك سائراً فيه كأيام شباب حبك الأولى، وأنت تعلم تماماً أنه هو الذى قال ذلك وكان يعنيه: «أنا هو الطريق» (يو ١٤: ٦). فلماذا التلفُّت يميناً ويساراً؟ ولماذا الندم كأنك كنت من هذا الطريق ولم يعُد لنفسك هذا الجزء؟

أنت عابر سبيل ونزيل فيه مثل جميع آبائك، وهو آلَ على نفسه أن يحملك بترفقٍ كما يترفق الراعي الصالح على الحامل والوالدة وعلى الحمل الرضيع والغنم المُجهدة، بل وعلى المُعيى والفاقد القدرة، وكل قوي يسير على رجليه وكل ضعيف يحمله على منكبيه.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٠٥}

ما بين التديُّن والزواج

١٩٦٨/٢/٧م

عزيزي (...)

نعمة وبركة وسلام من الله.

أتعشم أن تكون في ملء التعزية، نامياً وكاملاً في كل صلاح وتقوى.

قرأتُ خطابك و لم أُسَرْ إطلاقاً بروحك المنقسمة والمتأثرة بالحوادث الجسدية، لأن رجل الله عليه دائماً أن يركب الصعاب. أما مسألة الزواج، فأردتُ أن أنبه ذهنك لبعض المبادئ الأساسية.

الحياة الزوجية ليست امتداداً لحياة العزوبية أو البتولية، بل هي حياة أخرى تماماً وبالأخص بالنسبة للرجل، فالبتول عليه أن لا يظن إطلاقاً أنه يُمكنه الاحتفاظ بمقومات حياة البتولية حينما يتزوج، وكأن الزواج إضافة إمكانيات جديدة على إمكانيات البتولية، بل عليه أن يكون مستعداً استعداداً كاملاً أن يُضحِّي بكافة النقط التي ربحها في حياة البتولية لكي يبدأ بنقط جديدة يكتسبها لحياة الزوجية، وهي نقط مشتركة بالطبع وليست فردية.

الزواج أمر هين وسهل بالنسبة للرجل العادي والطبيعي، ولكنه يبدو شاقاً وعسيراً بالنسبة للرجل صاحب المبادئ والمُثُل، ولكنه يبلغ من المشقة والإعسار مبلغاً كبيراً عند الرجل المتدين.

المرأة تخشى جداً رجل المبادئ، لأن أول منْ سيُصدم بهذه المبادئ هي بنفسها! فقد تكسب الرجل والرجل يكسبها في بدء الحياة الزوجية،

ولكن عندما تضعف العواطف ومشاعر الأُلفة والجنس بعد شهور قليلة تبدأ المبادئ لتقف كقوة ثالثة تجذب الرجل بعيداً عن المرأة وتصدَّ المرأة بعيداً عن قلب الرجل. فإذا أراد الزوجان أن يعيشا بعد ذلك تحتم عليهما معاً أن يتحملا مأساة العزلة الجزئية، أي العزلة النفسانية.

أما في حالة الرجل المتدين (تديُّناً غير سليم)، فهو يتهيأ له أن تديُّنه وتمسكه الشديد بالله وحبه الملتهب بل عشقه للروحيات سوف يؤازره كثيراً في توفير هناءة زوجية، وقد يتهيأ للمرأة (الفتاة) البسيطة الساذجة أن الرجل المتدين سيكون مكسباً لها؛ أما المرأة العميقة أو الفتاة الذكية فتخشى الرجل المتدين، لأنها تدرك تماماً مقدار العزلة الكبْرى التي ستقع فيها بمجرد الزواج. فالرجل العاشق لله يستحيل أن يعشق المرأة إلا إذا كان منافقاً أو مُمثلاً، فهو عليه إما أن يُضحي بعشقه لله فيبدو دائماً أبداً أمام ضميره متخاذلاً ويحس وكأنه فقد موقفاً هائلاً من مواقف نجاحه يعسر عليه أن يملأه بأي موقف آخر مهما كان، وإما يُمثل دور العاشق للمرأة ويبقى على مستواه الروحي لله، وهنا تصير حياته الزوجية حياة اصطناع عسير على المرأة أن ترضى بها.

ولكن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن: فهل كل حياة المتدينين المتزوجين نفاق وتمثيل؟ الجواب: ليس كلها. فالرجل المتدين تديُّناً سليماً، أقصد تديُّناً يقوم على البناء الشخصي الكامل أي بناء العقل بالحقيقة وبناء النفس بالخبْرة وضبط العواطف والجسديات بقوة أخلاقية سوية ناجحة، يستطيع بكل تأكيد أن يسمو بزوجته مهما كانت إلى مستواه الروحي قليلاً قليلاً، وتكون النتيجة أن تديُّن الرجل يزداد رسوخاً وقوةً وحياةً ونجاحاً بالزواج، كما تشعر المرأة أنها بزواجها قد كسبت الدنيا والدين، وكأن الزواج بالنسبة لها يُعتبر أعظم ربْح وكمدرسة عليا أو

عظمى تتلقى فيها مباهج الروح قبل الجسد.

أما الرجل المتدين تديناً عاطفياً وعشقه لله عشقاً مُبهماً ينبع من وجدان عميق لا يدرك مساره، فإنه يتوهم أن الزواج يستطيع أن يُنمي هذه العواطف أو على الأقل يحفظها ويُؤمِّنها ضد ثورات الجسد والمعاثر الشريرة، ولكن بمجرد أن يصطدم بأن المرأة ليست شيئاً يُضاف على الحياة، بل هى حياة بذاتها وحياة قادرة أن تمتص كل قوى الحياة الأخرى المتعارضة معها، إذا لم تكن أسْمى منها وأقوى منها وقادرة على استيعابها وتكميلها أيضاً؛ حينئذ يرتد الرجل العاشق لله بعواطفه ارتداداً مؤلماً حزيناً إلى نفسه يُحاول أن يتحصَّن فيها ضد الزواج نفسه عندما يشعر أنه يُهدد كيانه كله، ولا يكون أمامه سوى التفريط في روحه لكي يحفظ مستوى ميزان الزواج.

ثُم الحقيقة الأخرى التي أود أن أكشفها أمامك هي أن النفس البشرية في وضعها الطبيعي لابد أن تعبُر مرحلة العاطفة الجنسية نحو الجنس الآخر (الحب) لكي يكمل نضجها الطبيعى وإلا تظل النفس ناقصة غير ناضجة، لأن مرحلة النضوج الجنسي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من مراحل نُمو قامة الإنسان الطبيعى، فهو كما ينمو جسدياً وعقلياً، ينمو نفسانياً. ونُمُو النفس يبدأ بعطف الأمومة والأبوة ثُم بالرعاية الأبوية والمحبة الأبوية ثُم بالصداقة الشخصية مع الرفقاء ثُم بالتفتح نحو الجنس الآخر وتكوين علاقات صداقة وألفة ومحبة، تقوم أساساً على مشاعر الجنس وإن بدت كأنها صداقة عادية. هذه المرحلة الأخيرة من أهم مراحل نُمُو النفس البشرية ونضجها وإعدادها للحياة الزوجية.

ولكن النفس البشرية في وضعها الأصيل الخالد لا تكون مُستعبَدة للجنس، إذ أن النفس في أصولها البنائية أو الأيتيولوجية بالأساس مفردة،

لذلك في طاقة الإنسان المتسامي بنفسه أن يتجاوز مرحلة النضج الجنسي ويُهيئ النفس لبنائها ونضجها على أساسها الأول الأصيل وهو النضوج الفردي أو الانفرادي. ولكن هذا الأمر عسير نوعاً، ولا يتوفر الإحساس به أو الإيمان به، وبالتالى الإقدام عليه، إلا لذوي النفوس العميقة القادرة أن تتعمق ذاتها، فتدرك في ذاتها هذه الحقيقة الهائلة والعظمى أن النفس على صورة الله مفردة وقادرة أن تُحقق ذاتها بدون اللجوء إلى الجنس. هذا يُعتبر في حد ذاته نضوجاً أعلى من نضوج الجنس ويتجاوزه بلا قياس. إذاً فالنضوج النفسي إما يتم على مستوى الجنس لتتهيأ النفس لقبول مسؤوليات الحياة المادية فقط، وإما يتم على مستوى الروح لتتهيأ النفس لقبول إمكانيات الخلود أيضاً، وهذا ينطبق على كافة الروحيين حتى والذين يُهيئون أنفسهم للزواج.

ولكن لابد للنفس التي قبلت وآمنت بالنضوج الروحي أن تعانى من الإحساسات والنداءات الغريزية الطبيعية التى تبْرز في عروض حياتها الزوجية، بوصفها مرحلة طبيعية يختزلها الإنسان ويتجاوزها ويمر من فوقها، غير أن هذه الإحساسات والنداءات الغريزية الجنسية التى تعترض نضج النفس عند الروحيين لا تُعتبر كأنها تتعارض مع الروح أو كأنها إخفاق، بل تعتبر كمُذكِّر ومنبِّه دائم أن الإنسان إنما يعبُر فوق مراحل سفلى فيرى ويحس بالمناطق التي اختزلها من حياته الجسدية، كالمسافر في الجو من أوربا إلى أمريكا حينما يطل من النفاثة فيرى من تحته المُحيط الهائل الذي اختزل عبوره و لم تبتلْ قدماه.

كُنْ معافى.

القمص متى المسكين

وادى الريان في ١٩٦٨/٢/٧م

الرسالة {١٠٦}

عيد الميلاد والفرح الروحاني

١٩٦٩/١/٨م

«ها أنا أُبشركم بفرح عظيم... أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مُخلِّصٌ هو المسيح الرب» (لو ٢: ١٠، ١١).

الفرح عموماً صنفان: فرح مادي، وفرح روحاني.

الفرح المادي: هو الذى يحسه الإنسان الطبيعي عندما يحصل على شيءٍ مادي كان يشتهيه: طالب نجح في الامتحان فيفرح، جائع وجد له غذاءً شهياً يفرح، إنسان مُحتاج حصل على بدلة صوف مُمتاز فيفرح... إلخ. هذا الفرح المادي سرعان ما يزول بعد حصول الإنسان على شهوته، فأنت إذا اشتهيت أن تأكل صنفاً من الطعام وأكلته صباحاً وظهراً ومساءً، فستجد نفسك كرهته وزهدته ولا تجد الفرح الأول الذى كان يملأ قلبك في المرة الأولى. هذا الفرح غير ثابت وهو زائل، مُمكن أن يتكرر بعد فترات زمنية، ولكنه يزول أيضاً.

الفرح الروحاني: الذي لا يزول ولا ينقص. هذا هو الذي بشَّر به الملاك يوم ميلاد المُخلِّص، هو فرح عظيم حقيقي. هبْ أنك تسير في طريق الرب بأمانة وتُحاول أن تُتمم وصاياه بإخلاص، وحدث أنك أخطأت في شيء فأتى إنسان يسألك: هل أنت يا فلان فعلت هذا الأمر المهين؟ فتخاف من الفضيحة وتكذب عليه وتقول لم أفعل هذا الأمر. فيُصدقك في الحال، لأنه يعرف أنك إنسان مستقيم في حياتك، ثُم يتركك وترجع أنت إلى بيتك وإلى حجرتك وأنت مثقل الضمير، فيبتدئ يثور عليك ويحتج بشدة: كيف تكذب وأنت تعرف الله؟ أتخاف

من الناس ولا تخاف من الله؟ أنت الآن نجوْتَ من فضيحة الناس، ولكن كيف تنجو من دينونة الله العادلة والفضيحة العظيمة أمام الملائكة والقديسين؟ يستمر ضميرك يضغط عليك حتى تنفجر بالبكاء وتنطرح أمام الله صارخاً أن لا يحسب عليك هذه الخطية، مقدماً له من قلبك توبة حقيقية وتذللاً ودموعاً غزيرة قائلاً له: أخطأتُ إليك فاغفر لي، لستُ قادراً على الوقوف أمامك ولا أن أرفع وجهي، إغسلني من إثْمي، ودمك الذى سُفك على الصليب هو من أجلي أنا الخاطئ. وتتنهد أمام الله أنك لن ترجع مرةً أخرى إلى هذه الخطية، وتُهين نفسك جداً وتنتهرها لأنها أخطأت. ثُم تخرج من هدوئك بعد فترة الحزن الشديد الذى اجتزته (هذا هو الحزن المقدس كما يقول الكتاب يُنشيء توبة للخلاص) في هدوء وفرح عجيب وغريب تماماً عن الفرح الأول (المادي). فرح عميق في النفس، فرح لا يزول، ويستمر في النفس إلى سنين طويلة (لشعورها بالمغفرة والخلاص).

هذا هو الفرح الروحاني الذى بشر به الملاك الرعاة يوم ميلاد المُخلِّص.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٠٧}

التغلُّب على الملل في الصلاة

نُشرت في مجلة مرقس في يونيو ١٩٨٤م

الناحية الفريدة التي نتقابل فيها ونود أن تمتد هي الصلاة بالأجبية، وبعدها تكون المناجاة أو أثناءها.

في الحقيقة كل شيء سينتهي ويزول وكل الأعمال ربما لا يتبقى من أحسنها سوى الجزاء، أما الصلاة فهي نسيج الحياة الأبدية الذي نبدأ بتعلمه هنا لنستمتع به هناك؛ ويظهر صحة ذلك من العزاء الهائل الذي نحصل عليه من القليل الذي نقدمه.

في الصلاة، حينما نعبُر حاجز الملل نأخذ جراءة وثقة الإحساس بالوجود في حضرته، حضرة المسيح المُقام، الواهب الأزمنة للإنسان عبْر الموت والقيامة، أزمنة الخلاص التي هي في الحقيقة الربْح الأبدي الذي ربحه المسيح بآلامه وموته ودفنه لحساب الإنسان. لأننا كُنا قبل القيامة نعيش أزمنة الموت بانتظار العقاب عن قبائح أعمالنا التي ليس لها عذر ولا سبب ولا معنى. أما بعد القيامة فقد وُهب لنا أن ندخل تحت مظلة الأزمنة الجديدة التي لا يحكمها الليل والنهار ولا تؤرخها أعمال الإنسان مهما كانت عظيمة، بل هي مِلْك المسيح الذي أُعطى أن يملك فيها من عرشه السماوي، يملك علينا أيَ على الذين فداهم، بالتدبير. أي أن الآن الحاضر في أزمنة الخلاص هو تدبير المفديين لتكميل خلاصهم ليكونوا مُعدِّين لشركة المجد، إلى أن يأتي زمان استعلان المجد بمجيئه المهيب المفرح الذي نستعجله بلهفة «منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب» (٢بط٣:١٢)، كجزءٍ حيٍّ من تسبحة الرجاء التي نُقدمها له كل صباح ومساء.

وكل مَنْ يتذوق هذا، يرى بكل صدق أن انتماءنا لتاريخ المسيح سواء في أمْسه المكتظ بالنبوات أم في حاضره المليء بالرجاء أم في مستقبله المطلوب بإلحاح، هو أقرب إلينا من تاريخنا نحن الذين نكتبه حتى وبأعظم الأحداث التي فيه؛ إذ أننا في الحقيقة المخفية مُعتبَرون الآن من صميم حياة المسيح ومن الأشخاص الذين دُفعوا أو دفعوا أنفسهم ليدخلوا في مركز تاريخ المسيح الخاص بقبولنا الحي في شركة آلامه وقيامته، لدرجة أن الرسول بولس يقول إننا أصبحنا من لحمه وعظامه (أف٥: ٣٠). فأعظم حوادث حياتنا تتضاءل بل تضمحل إذا قورنت بيومٍ في حضرة الرب.

بل إذا وضعنا بإخلاص مقارنة أمينة بين تاريخ العالم الذي تُسجله البشرية جمعاء بما فيه تاريخ حياة كل واحد منا، وتاريخ المسيح، لوجدنا أن "**مسيح الأمس واليوم والأبد**" – كما تحققناه عبْر شركة ضعيفة بالصلاة والمعاناة – لوجدنا أن تاريخ المسيح هو التاريخ الحقيقي والأصيل والباقي، أما الآخر فهو قصة باهتة تفقد قيمتها بالتقادم.

وقد يبدو لأول وهلة أن الشركة مع المسيح في صليبه وقيامته أنها خيالية أو تعتمد على مُجرد الشهادة والتصديق. ولكن المسيح يدعونا بإلحاح أن تكون شركتنا معه على مستوى الفعل حينما يُكرر علينا ضرورة الصلاة وخصوصاً قوله: «ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُمَلّ» (لو١٨: ١).

ما معنى: **ولا يُمَل؟** هنا صلب الجسد!! لأن الجسد يكره الصلاة، وخصوصاً إذا كانت بتطويل ولجاجة. فإذا واجهنا الجسد بإصرار الروح نغلب كما غلب المسيح وندخل في إحساس النصرة على الجسد «فإن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو٨: ١٣).

كذلك شركة الصليب يُمكن تذوُّقها بوضوح حينما ندخل في ضيق أو معاناة أو ظلم أو اضطهاد أو مرض أو عوز ونحتمل بدون تململ مع قبول أية خسارة برضى، حينئذ نشعر أننا غلبنا، غلبنا العالم والجسد عبْر تمسُّكنا بإيماننا بالمسيح مع المسيح ومن أجله. وكل منْ يشترك في آلام المسيح يتهيأ تلقائياً لقبول شركة قيامته ومجده.

هذا باختصار أكتبه بمناسبة أننا نُعيِّد الآن لقيامة المسيح، وإن كنا لا نجد انسجاماً تاريخياً لحوادث القيامة في الأناجيل، فالإنجيليون معذورون لأن بقيامة المسيح بدأ الزمن الحقيقي الذي يستحيل توقيع حوادثه وتسجيلها كبقية الحوادث.

فالمسيح بالرغم من أنه قام حقاً وبالحقيقة بجسده تماماً، إلا أن أحداً لم يعرفه لأول وهلة. فمريم المجدلية وقف هو أمامها وتكلم معها، وبالرغم من ذلك لم تستطع عيناها أن تُسجل صورته بالأبعاد العادية الأولى، فظنته البستاني. وتلميذا عمواس سارا مع المسيح مسافة طويلة جداً يتحدثان ويتحاوران معه، ودخل معهما البيت وجلس للأكل، وفي كل ذلك لم تدرك كل حواسهما من بَصَر وسمع وكلام أنه هو المسيح إلا عندما أعلن هو ذاته عند كسر الخبْز وحينئذٍ اختفى!!

هذه هى القيامة، لا يُدركها أحد إلا بالاستعلان، أي حينما يكشف المسيح نفسه للقلب. لذلك لم يُؤرخ الإنجيليون من القيامة إلا ومضات خاطفة ولكنها تكفي جداً أن يؤمن بها الإنسان حينما يتتبعها بالروح، ولكن يُمكن أن يعيش فيها بالصلاة.

كن معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٠٨}

ناموس الطبيعة في الإنسان

١٩٨٥/٧/٧م

رسالة إلى شاب

هذه الرسالة إجابة على سؤال من شاب يدرس في الخارج يبدي حيرته من سماح الله بالكوارث التي عصفت بشعوب أفريقيا نتيجة الجفاف الذي حدث فيها.

ويبدى غيرته على عمل أي شيء لمدّ يد العون لهؤلاء المنكوبين.

ثُم يسأل عن كيفية اكتشافه لدعوة الله بالنسبة لطريق الحياة الذي يختاره.

عزيزي (...)

نعمة وبركة وسلام من الله لشخصك العزيز.

في الإنسان مواهب متعددة، ولكن توجد موهبة واحدة هامة جداً تضبط جميع هذه المواهب وترتبها لكى تعمل بانسجام. وكمثل الغُدَد في جسم الإنسان، يوجد عديد من الغدد كل منها ذات اختصاص، ولكن توجد غدة واحدة تُهيمن على هذه الغدد وترتبها لتعمل بانسجام. هذه الغُدة اسْمها الغدة النخامية Pituitary ، ويُسميها الأطباء بالمايسترو.

والموهبة التي تضبط المواهب اسْمها "التمييز Discernment"، فإذا صحَّت هذه الموهبة وعملت عملاً جيداً على أصول المعرفة والفهم والتلقين السليم، فإن الإنسان يرى نفسه أولاً منسجمة مع العالم والناس وأنه سعيد بالرغم من وجود مضادات ومقاومات كثيرة. كذلك فإنه يرى العالم أيضاً منسجماً ورتيباً وجميلاً جداً بالرغم مما فيه من أحزان وأوجاع وأمراض وأعواز وكوارث، إذ أن العبْرة في بروز كل العوامل

الجيدة واضحة جداً وهي كفيلة أن تعادل وتفوق ما فيه من نقص. وبالتالي، فالإنسان يرى الله أيضاً أنه بديع وجميل وغايةً في الحكمة والخيْرية والجود.

فإذا اختلت موهبة التمييز في الإنسان، فلا يعود شيء جيداً أمامه قط، حتى الله. فقد تجد إنساناً مظلوماً جائعاً عارياً في أواسط أفريقيا مستبشراً فرحاً وهو يقابل الموت شاكراً الله، لأنه يحس بالرضى بالواقع؛ وقد تجد رجلاً أوروبيا غنياً مترفاً عالماً يشنق نفسه تململاً من الحياة.

إذاً، فليس العالم ولا الله مصدر بؤس الإنسان، إنما الإنسان هو نفسه مصدر بؤس نفسه وغيره ومصدر عار على الله نفسه. وفي نظري أن أواسط أفريقيا وجنوبها أحسن حالاً من جهة رؤيا الواقع والتعامل مع النفس والله من أواسط أوربا وشمالها. والجوع إلى الخبْز ليس عاراً على الإنسان، ولكن الجوع إلى الطهارة والبر والقداسة ومخافة الله هو العار كل العار. وليست الكارثة أن يموت الناس في أفريقيا من الجفاف، ولكن الكارثة ستقع بأيدي علماء وعظماء وأغنياء شعوب المدنية حينما يُحطمون أنفسهم وبلادهم وخيْراتهم وميراثهم، في ساعات قليلة، بقنابلهم الرهيبة. أما موت شعوب أفريقيا وآسيا الجائعة فيتحمله الله، وهو قادر أن يُحوله إلى أفضل؛ بينما موت أوربا وأمريكا فسيتحمله جهل الإنسان وحقده وغباؤه وأنانيته وكُفره بالله.

وبحسب دراسات كثيرة، علمنا أن العالم مرَّ على عصور مطيرة وفيضانات هائلة وعصور جفاف وقحط كثيرة، وهذا يدخل داخل معادلة حفظ توازن العالم لحفظ الأجناس الأفضل ولخيْر الإنسان بالنهاية. ولكن بحسب تاريخ الإنسان، نعلم علم اليقين أن شذوذ الإنسان وانفلاته من نواميس الحق والفضيلة يستحيل أن يمر بدون عقاب شامل يدفع ثمنه

الجنس البشري بأكمله ويتحمل كوارثه، التي تزيد بيد الله أضعاف أضعاف ما تأتي به الطبيعة من كوارث، خصوصاً أنه ليس مُخفَى عن عيْن الله ما تعمله البلاد الغنية من تحويل أرصدتها إلى سلاح تدمير عوض أن تغيث به دولاً تموت بأكملها جوعاً.

فإذا وضعنا ذلك كله في الاعتبار، أصبح على الإنسان أن يفهم أنه خُلق لكي يعيش سعيداً ويحيا حياةً أفضل يضمنها له الله إن هو بارك الله وشكره ورضي بالواقع وشكر عليه مهما قلّ. حينئذ يُزاد له ويؤمَّن عليه، أي بمعنى آخر أنه إذا انسجم مع نفسه والعالم حوله باعتبار أن الله هو العامل فينا وهو المريد أيضاً، فلا الفقر ولا الجوع ولا المرض ولا الظلم قادر أن يُخرج الإنسان المطيع لله ولإرادته عن شعوره بالرضى والشكر والسعادة.

إذن، فالسعادة هي رد فعل الشكر على الواقع من يد الله.

ولكن سر السعادة يمتد ليتخطى واقع الإنسان في ذاته، فإذا وُفِّق الإنسان (وهذا في متناول يده) أن يُسعد إنساناً آخر ويُفرح قلبه ويُفرج عن كربه وهمِّه، هنا شعورٌ بسعادة أرقى وأعلى من شعور سعادة الإنسان بما ناله وحصَّله لنفسه. فإسعاد الآخرين هو أصلاً من عمل الله ذاته، فكَوْن الإنسان يقوم بعمل هو أصلاً من اختصاص الله، فهذا يضفي على الإنسان امتداداً خارج حدود الذات، وهذه هي أصل وبداية إمكانية اتحاد الإنسان بالآخرين والله.

أما بخصوص طريق الحياة الذي نختاره، فكل طريق نستطيع فيه أن نُسعد الآخرين ونُفرح الله، فهو الطريق الأفضل. ولكن ليس من فراغ نستطيع أن نعمل ونُسعد ونُكرم الله، ولكن بعمل الجهد والعرق والسهر

والسعي المتواصل بكل المواهب والإمكانيات العلمية والفلسفية والأدبية التي وهبنا الله إتقانها، فنحن نتقن هذه كلها لحساب الله والناس لنكون مصدر سعادة. هنا يبدو الإنسان أنه ليس حراً كثيراً في أن يختار، فهو عليه أن يختار شيئاً واحداً، وهو ما أعطاه الله له من إمكانيات مُميزة. وحتى لو كان عند الإنسان أكثر من إمكانية مُمتازة، فهو ليس حراً في أن يختار إلا أكثرها تَمَيُّزاً، ليكون وفقاً لمشيئة الله وطائعاً لإرادة عطيته المسبقة.

ولا يفوتني هنا أن أُنبه أن للإنسان قامات متعددة، لكل قامة حقها وواجبُها. فالطفولة حقها الرعاية وواجبها الطاعة، والشباب حقه المشاركة وواجبه التحصيل، والرجولة حقها الحرية وواجبها البذل. فإذا طالب الشاب بالحرية أضاع واجبه، وهو التحصيل، وأفلست رجولته. أقول هذا حتى لا ينشغل الشباب بمصير العالم ومصائر الشعوب، فيضيع عليه واجبه وهو التحصيل؛ فيكون الشباب، وهذا هو الواقع، السبب الأساسي في إفلاس الجيل، وبالتالى العالم! لأنه لم يَبنِ نفسه لمستقبل العالم الصعب بل انشغل بحرية الذات والملذات.

كذلك، إذا انتاب الشاب الشعور بالبذل وهو لا يزال تحت ضرورة التحصيل، أي الأخذ، فحتماً ينفلت منه زمام الوقت، فتضيع الساعات وتتسرب الأيام في التفكير في ما هو ليس بذي اختصاص، لأن البذل والعطاء والفداء هو واجب يبدأ حيث يكمل التحصيل علماً وأدباً ومالاً وفنّاً. وحتماً يأتي مثل هذا الشعور النبيل للشباب النبيل، أي الشعور الجارف بالعطاء والفداء والبذل بالدم. ولكن هذا الشعور يأتي سابقاً لأوانه، يكفينا أن نكرمه ونحترمه، ولكن علينا أن نُرجئه إلى زمانه الصحيح حينما أكون قادراً أن أقول وأفعل وأن أُفكر وأُنفذ، وإلا

أصبحت أوقاتي كلها أقوالاً وأفكاراً دون عمل أو تنفيذ.

ولقد استغلت الحكومات غيرة الشباب على البذل، فأخذوه دون أن يكمل تحصيله وألقوه في الحروب ليفدي غيره؛ فكانت كارثة أوربا العظمى، أي فقدان جيل الشباب المتحمس الواعي؛ ودخلت الحكومات فيما بعد الحرب في أزمة لن تستطيع أن تُعوضها ولا بعد مائة سنة، أزمة فقدان أهم وأعز قامة من قامات شعبها. وظلت أوربا، وألمانيا بالذات، وستظل تئن من كارثة ما بعد الحرب أكثر من أنينها من كارثة الحرب ذاتها.

هذا هو ناموس الطبيعة الدقيق الذي أودعه الله في طبيعة الإنسان ليرتقي العالم إلى أفضل، وهو الذي طالما حاولت الشعوب استغلاله استغلالاً خاطئاً، فدفعت البشرية كلها الثمن فادحاً.

ختاماً أهديك محبتي في المسيح.

الأب متى المسكين

الرسالة {١٠٩}

الانطلاق صوب الله يستلزم المعاناة

عزيزي (...)

سلام من رب السلام.

رحلة الحياة الأبدية رحلة مبدعة وسعيدة. ولكن نُخطئ إذ نحسب أن السعادة تكمن في الراحة والهدوء والتأمل الصافي بلا انزعاج من الناس أو الغرائز أو الطبيعة. السعادة الحقيقية لا تُذاق إلا من خلال المعاناة ثُم الرضى والصبْر بفرح وعناد على كل مقاومة.

إن أصعب ما لاقاه رجال العلم الخاص بالصواريخ المنطلقة للفضاء العالي هو الاحتكاك في منطقة الغلاف الأرضي الهوائي، ثُم بعد ذلك الاحتكاك الأيوني في الفراغ نفسه، وكان هذا أخطر من الاحتكاك الهوائي.

هذا شأن الصعود، شأن الانطلاق صوب الله، لابد من الاحتكاك، ولابد من التحصن ضد الاحتراق، لابد أن **نلبس الروح** لكى نتَّقي معاكسات (واحتكاكات) الأرض والناس الأرضيين من كل نوع.

أن **نلبس الروح** هذا عمل الله الذى تكفَّل به وهو مستعد جداً أن يمنحه بالصلاة، فأرجوك رجاءً حاراً مُخلصاً – كرفيق للطريق – أن تُصلِّي. صلِّ بأى شكل وبأية طريقة وفي كل وقت إن أمكن وهو مُمكن، صلِّ وتمسك جداً بعقلية الصلاة وبفكر الصلاة وبمبدأ الصلاة الدائمة من قلب مُخلص لله، وأنت سترى عجباً.

حينما تبدأ بالصلاة ستعرف كيف تستمر فيها، وحينما تستمر فيها

ستعرف مدى أهميتها، بل مدى خطورتها وعظمتـــها، فهـــي الســـلاح الوحيد لنا.

صلِّ وأنا سأُصلي لكى ينفتح عليك ينبوع الروح، روح الصلاة أمام الله.

وكُنْ معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {١١٠}

كلمة خلاص لأحيا بها

العزيز في الرب (...)

الله دعانا للخلاص بالمسيح، **لنفسه**.

حسب رسالة أفسس: لنقف أمامه قديسين وبلا لوم في **المحبة**، وهو سبق **وقبل تأسيس العالم**، عرفنا **وعيَّننا** لنكون أبناءً **لنفسه** في المسيح، **حسب مسرته**.

إذن، فنحن في الحقيقة وفي الأصل ومنذ البدء **خليقة روحانية**.

ولكن أعطانا الجسد ليختبر مدى **انحيازنا** لنفسه، من انحيازنا لذواتنا الجسدية.

وأعطانا الروح القدس باباً ندخل به وفيه إليه، بواسطة المسيح ابنه، هو يدعونا باستمرار. فإن قَبِلْنا ودخلنا ننفتح عليه، وحينئذ يعطينا أن نعرفه، ويُسلِّمنا أسراره **قليلاً قليلاً**، وأسراره كلها في الإنجيل مُختبئة في "**الكلمة**". فإذا توقفنا عند الكلمة للفهم **فقط** لا نبلغ سرَّه، ولكن كلمته "**روح وحياة**"، فإذا اخترقنا الكلمة 'بروحنا' المُعانة بالروح القدس تظهر الحياة التي في الكلمة وهي "**الحياة الأبدية**": سعادتنا المطلقة. وهذه هي العشرة مع الله أو الشركة القائمة على الحب المتبادل إلى ما لانهاية، لأن الحب إذا ابتدأ لا ينتهي أبداً، لأنه أقوى من الموت!

متى المسكين

الرسالة {١١١}

خطورة الانفصالية الفكرية

عزيزي (...)

نعمة لكم وبركة وسلام من الله.

أتعشم في وجه ربنا يسوع المسيح أن تكونوا في ملء بركة الإنجيل كاملين في معرفة ربنا يسوع المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم، قادرين أن تستأسروا كل فكرٍ لطاعة المسيح.

كما أنِّي أسأل أن تتآزر قلوبكم في المحبة في هذه الأيام التي اتسمت بالنزوع إلى الانفصالية الفكرية لتضارب مصادر المعرفة حتى صارت الوحدانية في خطرٍ مع أنها محور التعاليم المسيحية، والقصد الذي سعى إليه الرب بتقديم ذاته ذبيحة حب مشتركة لنوال وحدانية الجسد والروح.

كنتُ أظن – خطأً – أن هذه الانفصالية والتفتت في الكيان الفكري بين المدعوين مسؤولين في الكنيسة من أمناء وقادة وآباء ومُربين يرجع إلى الاستقلالية في المعرفة والتعمق بدرجات متفاوتة في الفكر الروحي، ولكن تبين لي أخيراً أن هذا الزعم غير صحيح، وإنما السبب يعود لتضارب مصادر المعرفة واختلاف أصول مناهج الفكر التي يستقي منها هؤلاء المدعوون قادة، حتى أن بعضهم لهم ثقافة تكاد تختلف في لونها وعمقها وأهدافها عن رسالة الكنيسة وعما أُوكِل إليهم سواء في تعليم الصغار أو الكبار.

وهذا الأمر يُقلق نفسي كثيراً خصوصاً لأني أشعر بأن التصحيح يكاد

يكون صعباً في هذا الجيل، ويغلب أن يكون مستحيلاً بعد ذلك. وقلبي لا يخلو من حلول عملية أحس بها إحساساً قوياً، أُصلِّي أن يُهيـــيء لي الرب فرصة مناسبة أن أؤدي واجبي من نحو إعلانها ســـواء شـــفاهةً أو كتابةً، فأستريح...

أكتب إليك مُهنئاً بعيد القيامة المجيد الذي فيه أكمل المصالحة وأنـــار طريق الخلود.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١١٢}

قيمة عمل قيامة المسيح في حياتنا الشخصية

عزيزي (...)

نعمة لك وبركة وسلام من الله.

أتعشم في وجه ربي يسوع المسيح أن تكون في ملء سلام القلب الداخلي مع الله الذي أحبك وبذل ابنه يسوع من أجلك، ليكون لك حياة فيه أو بالحري لتكون حياته فيك، لتكمل سيرةً صالحة مقدسة أمامه وبلا لومٍ أمام الناس، ولنوال نصيبك المُذخر لك في السماء حسب عمل قدرته في المصالحة بين الإنسان والله الذي أكمله بموته على الصليب وحسب هبة قيامته التي أعطانا بها ذاته لنحيا به.

أرجو أن تكون مجتهداً في تقديم عبادة لائقة برحْمته عليك غير مؤخِّر لعمله في تقديم ذبيحة شكر متواصل عن نفسك وعن أولادك حتى تكون لكم حياةٌ هادئة مُطمئنة، وإني أؤازركم بصلاتي الضعيفة التي أقدمها بفرحٍ عنك ثُم باضطرار أيضاً لأنك أسرتني كثيراً بمحبتك وأجبرتني.

أكتب إليك مُهنئاً بعيد القيامة المجيد، لكي أُنْهض ذهنك النقي لتقدير قيمة عمل القيامة التي قامها المسيح بالنسبة لحياتك الشخصية وما صار بواسطتها من إمكانيات جديدة عالية وسامية للغاية في قبولك الأمور الروحية مجاناً كهبة.

فإن كان المسيح مات، فذلك لرفع الجزاء المستحق علينا من جرائها، وذلك بأنه حمل الخطية في جسده، ثُم قدم جسده للموت على الصليب، فلما مات الجسد ماتت معه الخطية من حيث قوة سلطانها، لأن الجسد لم

يفسد ولم يتغير قط وكان مُعدّاً للقيامة. إذاً، فالذي مات في الواقع والذي صُلب وقُتل هي الخطية في الجسد المائت، كما يقول بولس الرسول: «قاتلاً العداوة بالصليب»، «وأبطل الخطية بالجسد» لأن الجسد سيقوم كما هو.

ولكن لا يزيد عمل موت المسيح عن كونه مصالحة، إذ رفع العداوة التي كانت تفصلنا عن الله أي الخطية. وهذه كان يُرمز لها بالحجاب الذي كان يفصل قدس الأقداس (أي الله) عن الشعب (أي نجاسة الإنسان). ولما مات المسيح وضح عمل الموت وأثره في صلتنا بالله، إذ انشق حجاب الهيكل من أعلا إلى أسفل، إعلاناً عن سقوط العداوة أي بدء عهد المصالحة. ويقول بولس الرسول في ذلك: «كرس لنا طريقاً حديثاً حياً إلى أقداس الله — بالحجاب — أي جسده».

إذاً، فالمسيح استطاع أولاً أن يجعل جسده مستودعاً لخطية الإنسان، وذلك يتضح من قبوله عقوبة الخطاة ولم يمتنع اعترافاً منه بأنه قَبِلَها.

ثُم تقدم بهذا الجسد للموت وهو عالمٌ بقيامته في اليوم الثالث، إذ سبق فأعلن عنها علانيةً، قاصداً بذلك أن يُميت الخطية بموته ويُبطل عمل سلطانها أي إبليس.

وقد تم كل ذلك فعلاً لما مات وأسلم الروح وأودعوا الجسد الميت القبر المقدس، ولكن رفْع الخطية التي تحجزنا عن الله وعمل المصالحة لا يفيد شيئاً إذا تُرك الإنسان لطبيعته العاجزة، فإنه حتماً يعود إلى الخطية ويسلّطها على نفسه.

لذلك كان يلزم جداً أن يأخذ الإنسان في نفسه قوة جديدة يغلب بها طبيعته القديمة ليستطيع أن يحيا مثل المسيح. وكيف يكون؟

قام المسيح بقدرةٍ فائقة وإمكانيات جديدة يستطيع بها أن يهب ذاته لنا ويدخل فينا ويتحد بنا بسر عجيب على شبه دخوله العلية التي كان التلاميذ مُجتمعين فيها والأبواب مغلقة. هذا يشرح لنا بصورة سرية إمكانية دخول المسيح في هياكلنا البشرية دون أن نحس به أو نراه حتى نجده يتحدث في النفس فجأةً قائلاً: سلام لك، كما قال لتلاميذه.

وبدخول المسيح فينا واتحادنا به بأخذ جسده ودمه الإلهيَّين بسر الشركة العجيب تصير حياة المسيح عاملة فينا، أي نأخذ قوة عمله السابق من جهة آلامه وصلبه وموته، وبذلك نغلب الخطية كما غلبها هو وننتصر على إبليس كما انتصر هو، ويكون لنا قدرة على القيامة من الأموات كما له.

هذه الإمكانيات جميعها لا تكون منا ولكن منه، بسبب اتحاده بنا وحياته داخلنا. وهذا ما عبَّر عنه بولس الرسول بالإنسان الجديد، وما الإنسان الجديد إلا يسوع المسيح فينا. وهذا الأخذ والاتحاد ما عبَّر عنه أيضاً بالميلاد الجديد للإنسان الجديد، وهو يتم بالإيمان والمعمودية، ويعمل بالطاعة لروح المسيح الذي يعمل فينا لنوال ثمار حياته المقدسة.

والذي أصبح في المسيح يستطيع أن يقول مع بولس الرسول: "مع المسيح صُلبتُ ومع المسيح قمتُ ومع المسيح جلستُ في السماويات".

لأن الاتحاد بالمسيح يجعل لنا ما للمسيح، وهذا هو سر ميراثنا أيضاً معه في السماويات في ملكوته، لأننا عظمٌ من عظامه ولحمٌ من لحمه، كما يقول بولس الرسول.

واتحادنا به أو اتحاده بنا سر عظيم للغاية، لم يكن مُمكناً قط إلا بقيامته من الأموات. وهذا الاتحاد قوي، يُعبر عنه بولس الرسول بقوله

«جعل الاثنين واحداً».

فكل مَنْ يتحد بالمسيح يصير واحداً مع المسيح، وبما أن المسيح لا ينقسم ولا يتجزأ، لذلك فإن المؤمنين جميعاً باتحادهم في المسيح صاروا واحداً، أي أعضاء كثيرة ولكن في جسد واحد.

هذه هي الوحدة العجيبة التي جاء المسيح ليكملها للإنسان مع الله في ذاته ليجعلهم ذوي طبيعة جديدة قابلة للشركة والميراث الروحي في طبيعة الله الفائقة.

قل معي يا أخي: ما أمْجد القيامة...

اهتف معي:

سلامٌ للصليب طريق القبر.

سلامٌ للقبر الفارغ موضوع القيامة.

سلامٌ للقيامة مفتاح أسرار الخلود.

كُنْ معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

سؤال

قداسة الأب متى المسكين

أرجو من أجل السيد الرب أن تتكرم عليَّ بالإجابة:

- ما الفرق بين كلمة "الموت" و"النياح" ؟ وهل توجد كتب كنسية بها وصف لحالة الانتقال من هذا العالم؟

- هل القداس والبخور والصدقة تُجدي كشفاعة عن الأموات؟ وهل تُغفر لهم الخطايا؟ وهل الروح المنتقلة تشعر بما نفعل لها الآن؟

- ماذا يحدث للإنسان عندما يفارق هذا الجسد؟ وهل لروحه هيئة خاصة شبيهة بالجسد؟ وهل جميع الأرواح لها شبه واحد أم تختلف؟ وهل ترجع الروح إلى نفس جسدها الترابي يوم القيامة؟

- هل تحس الروح بأنها كانت في العالم وأنها الآن تركته؟ وهل تشعر بما يدور الآن في العالم وبعائلتها وأولادها؟ وهل هي تتشفع عنهم الآن؟ وهل لها نفس العواطف والشعور الذي كان لها في الأرض؟ وهل هذا الشعور يستمر إلى الأبد. وهل تُميز الروح أرواح مَنْ سبقوها إلى العالم الآخر؟

والله يعوضكم بالأجر السماوي في ملكوته الأبدي، والسلام.

الرسالة {١١٣}

إجابة على الأسئلة السابقة

عزيزي (...)

نعمة لك وبركة وسلام من الله القادر أن يُعزي قلوبكم بمحبته ويُنير أذهانكم بالمعرفة المستنيرة لتزدادوا في الثقة واليقين لكل غنى الفهم لمعرفة سر الله الآب والمسيح المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم.

أطلب لأجلكم أن تمتلئوا بروح الباراقليط المعزِّي ليُعوضكم عن آلام الزمان الحاضر بفرح الروح الخفي الكفيل أن يسد أعواز المشاعر المتألمة ويكمل نقص معرفة الإنسان في الأمور الفائقة المعرفة، لأننا مهما بلغنا من الاستنارة فهي لن تتعدى بعض المعرفة كقول بولس الرسول، حيث نرى الحقائق كظلال. وإن كانت الروح تئن فينا تريد أن تلبس السمائي فوق الترابي، إذ لا تشاء أن تخلعه، ولكن لا يليق بل يجب أن تُنقض خيمتنا الأرضية أولاً لكي نسكن في نور البيت الأعلى غير المصنوع بيدٍ.

ولكن إذا عبر أحدنا قبل الآخر ليستوطن عند الرب، فلماذا نحزن وهو نصيبٌ حسنٌ ومباركٌ للذين أحبوا الرب من كل قلوبهم؟

كان لنا أن نحزن ونكتئب كالباقين الذين لا رجاء لهم إذ هم بلا إله في العالم، ولكن نحن الذين صار لنا باكورة الروح وأخذنا قوة القيامة باتحادنا في الجسد القائم من الموت، كيف نحزن؟

كيف نحزن والقبر الفارغ قائم يشهد في أورشليم بالنصيب المبارك الذي ينتظرنا بعمل روح قيامته فينا ونحن لا نتكلم بأشياء لا نحسها. حاشا، فالقيامة حقيقة راهنة تعمل في جسدنا لنكون أبناء نور وقيامة،

فالذي قام من الأموات أعطانا ذاته لنأخذها داخلنا ووهبنا هبة فائقة السر، إذ كما دخل العلية التي كان التلاميذ مُجتمعين فيها والأبواب مُغلقة، كذلك يحل في هياكلنا البشرية بدون أن نحس به أو نشعر بدخوله، ولكن علامة حلوله فينا يكون بالسلام الذي يملأنا كما قال لتلاميذه: سلامٌ لكم.

وإذ يحل المسيح داخلنا بالإيمان والمعمودية وشركة التناول من جسده ودمه الإلهيَّين، نُولد جديداً بتعبير صادق، وما الإنسان الجديد الذي يحل فينا إلا يسوع المسيح نفسه، فهو إنساننا الجديد العامل فينا بكل قوة الرب يسوع والمُكمِّل فينا كل أعمال الرب من جهة ثمرة آلامه وموته وقيامته ومن جهة حياته في القداسة والطهارة والبر ومن جهة شركة اتحاده في الله الآب.

وكل مَنْ نال هذا الميلاد صار حياً في الله بالمسيح الكائن فيه، مدعواً ابناً لله وشريكاً ووارثاً مع المسيح بحكم اتحاده به، وقادراً على القيامة بنفس قوة قيامة المسيح وانتصاره على الموت.

ولكن يلزم أن يبلى هذا الجسد ويفنى لأنه فاسد وقد أفسدته الخطية وليس هو مثل جسد الرب الذي بلا خطية ولم ير فساداً. لذلك وجب أن يبلى ويفنى بالموت ليقوم جسداً روحانياً جديداً بشبه الأول تماماً ولكن بإمكانيات جديدة للخلود في الحياة الروحانية، ويكون غير قابلٍ للآلام.

لذلك، فالموت ضرورة حتمية هامة يجب أن نجوزها، وإلا يتعذَّر علينا أن نأخذ إمكانيات الجسد الجديد للخلود، بل إنه كانت رحْمة من القدير أن يحكم على آدم بالموت بعدما أخطأ حتى تصير له فرصة

للتجديد، لأنه لو لم يحكم الرب الإله على آدم بالموت لظل حياً إلى الأبد بخطيته وفساده كما هو حادثٌ للشيطان وجنوده لأنهم لا يموتون، لذلك فخلودهم شنيع بسبب عدم قدرتهم على التغيير. ومن هذا نرى أنها كانت محبة ورحْمة من القدير أن يحكم على آدم بالموت.

أما بالنسبة لشكلنا السابق فنستطيع أن ندركه من نفس المثل الذي مثل به بولس حالة قيام الأجساد مُشبِّهاً الجسد المائت بحبة الحنطة والجسد القائم بنبات الحنطة ذي السنبلة، فهذا جسد وهذا جسد آخر ولكن كلاهُما لشيء واحد.

والآن أزيد المثل وضوحاً من جهة تناسب الحبة ونباتها موضوعاً وإن اختلفا شكلاً، فالحبة تختلف في شكلها عن نباتها ولكن كليهما موضوع واحد. وأي مزارع رأى نباتاً في الحقل يستطيع أن يقول إن هذا حنطة وهذا ذرة، مع أنه زَرْعٌ واحد أخضر. كذلك في القيامة نعرف بعضنا بعضاً وإن اختلفت أوصافنا وأشكالنا قليلاً، وأقول قليلاً لعلة وهي أن مريم المجدلية لم تستطع بسهولة معرفة الرب يسوع بعد قيامته مع أنها التفتت إليه وتكلمت معه ناظرةً إليه وظنته البستاني، وذلك لأن شكل المسيح أخذ صفات جديدةً ولكنها عرفته لما تحدث إليها.

هكذا سنكون نحن أيضاً في القيامة نعرف بعضنا بعضاً وإن اختلفت أشكالنا نوعاً ما. والمعرفة الجديدة التي سيتسع مُحيطها في القيامة لسبب إلغاء عامل الزمن والنسيان تجعلنا قادرين أن نستوعب حقائق كثيرة جداً بلا جهد من جهة معرفة أسرار العالم الآخر والتعرُّف على إخوتنا في الملكوت، ولكن أعود وأشرح إمكانية القيامة، فكل جسد من أجسادنا يحمل في وجوده صورتيْن: صورة حقيقية خالدة غير منظورة لنا لأنها روحية، وصورة طبق الأصل منظورة لأنها مادية، ولكن الأساس والأصل

هي الصورة الحقيقية التي لها علاقة بالوجود والخلود.

فنحن بالموت نفقد الصورة المنظورة بفناء المادة التي كانت تملأها وتُشكِّلها، أما الصورة الأخرى الحقيقية والتي لها نفس الشكل والمنظر (وإنما غير محسوسة) المُعبَّر عنها بالنفس الحية فهي تنطلق لتحيا تحت قوانين عالم النفوس الحية في العالم الآخر إلى أن يحين زمان القيامة العامة.

وفي العالم الآخر الآن توجد النفوس الخيِّرة معاً، وتعرف بعضها بعضاً في حدود ضيقة، وهي في سلام ومسرة عظيمة بسبب عمل الروح القدس الذي لا يُفارقهم الذي اتحدوا به في حياتهم على الأرض، والمسيح القائم من الأموات هو موضوع تعزيتهم، وكل مسرات الأنفس المنتقلة هي من جهة المعرفة، معرفة الحق الذي يعمل فيهم للمسرة بواسطة فكر المسيح الذي فيهم، المذُخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم.

أما الدرجات التي تمر فيها النفس من بعد الموت فهي كالآتي:

أولاً: حالة الموت: عندما يحين زمان انتقال النفس من عالم الشقاء تحس به النفس إحساساً قوياً إذا كانت نفساً مباركة صدِّيقة خائفة الرب، لأن موضوع الموت يخصها أكثر مما يخص الجسد، لأنه بدء انطلاقها في الحياة المُختصة بها. ومثل هذه النفس المباركة تكون مستعدة لهذه الساعة، بل ربما تنتظرها بفرحٍ، لذلك غالباً تستقبلها ببهجة كثيرة، وربما يُغمى عليها من شدة الفرح، إذ تسبق فترى قوات سمائية تنتظرها أو آتية لاستقبالها. والموت ذاته ليس فيه أي ألم من أي نوعٍ بل على العكس إذا كانت هناك آلام مرضية جسدية فإنها تتوقف في هذه اللحظة توقُّفاً تاماً وكأنما عاد المريض سليماً ويتورد وجهه بالدم، وربما يختلط عليه وعلى أهله الأمر فيعتبروا أنه شُفي، ولكنها عوارض وقتية بسبب

توقف الألم، غير أن لكل واحد ظروفه في انتقاله، فربما تفارق الجسد أثناء النوم أو أثناء الإغماء أو أثناء الألم، ولكن الذي أود أن أؤكده أن الموت ذاته ليس فيه ألمٌ، أي أنه ليس حالة ألمية.

ثانياً: اليوم الثالث بعد خروج النفس من الجسد: لا تفارق النفس الجسد، بل تظل موجودة بجواره وتحوم حوله وتظل موجودة بالمكان الذي كان فيه الجسد نحو ثلاثة أيام إلى أن يأتي الكاهن ويُصلي في المكان لصرف الروح (يُحاول بعض المفسرين نفي هذه الحقيقة بقولهم إنه صرف روح الحزن، وبذلك يلغون الطقس والتقليد، لأنه إن كان صرف روح الحزن فلماذا الكاهن؟ ولماذا يكون في اليوم الثالث؟ لماذا لا يكون في اليوم الأول أو الثاني؟).

والأمر واضح من حيث المبدأ، ولكن من حيث التعليل صعب، لأنه يختص بقوانين العالم الآخر، فمن حيث المبدأ واضح أن السيد المسيح مكث ثلاثة أيام وروحه ارتدت إلى الجسد في اليوم الثالث.

ولما رأته مريم المجدلية بقرب القبر وحاولت لمسه منعها لأنه لم يصعد بعد إلى الآب وأمرها أن تقول للتلاميذ أن ينتظروه في الجليل. في هذه الفترة صعد إلى السماء إلى الآب - لسببٍ نحن نجهله - ونزل، ولكننا واثقون أنه صعد كما قال.

لذلك نفهم سر صلاة الكاهن في اليوم الثالث، وهو اليوم المُعيَّن لذهاب النفس إلى السماء لمقابلة الله (وكاتب هذه السطور رأى رؤيا صعود نفس مباركة عزيزة في اليوم الثالث، وهي نفس المتنيح حبيب جرجس مدير الكلية الإكليريكية، في موكبٍ عظيمٍ وبهي للغاية، تتقدمه السيدة العذراء والقديس مار جرجس والقديس مار مينا ومجموعة من القديسين الآخرين، وكانت نفس هذا الأرشيدياكون في الوسط، ارتفعوا

بها إلى السماء في اليوم الثالث من نياحته ثُم نزلوا بها مرةً أخرى وقد ازدادت بهاءً أكثر من الأول) صورة طبق الأصل.

ثالثاً: الأربعين: تستمر النفس في الأرض أربعين يوماً تجول فيها في الأماكن الكثيرة التي ارتادتْها، ربما لتأدية بعض الخير، ولكن من حيث المبدأ مُقرر في حالة السيد الرب نفسه أنه مكث أربعين يوماً على الأرض، وهو النموذج الكامل للإنسان الكامل من حيث سلوكه قبل الموت وفي الموت وما بعد الموت. وبعد الأربعين تنتقل النفس إلى العالم الآخر لتأخذ مكانها.

رابعاً: مكان النفوس الخيِّرة والنفوس الشريرة: معروفٌ أن الرب فتح باب الفردوس وأدخل اللص فيه مع آدم وبنيه وكل النفوس التي أصعدها من الجحيم التي كانت تنتظره على رجاء القيامة. وهو لا زال مفتوحاً لكل الأرواح الخيرة، أما الأرواح الشريرة فهي ليست خاضعة لروح الله بل للشيطان ولا زال مقرها في الهاوية، ولا زالت الهاوية تضم كل الأرواح المرفوضة.

ملاحظة: قبل أن يكمل المسيح عملية الفداء كانت الأرواح جميعها تحت سلطة إبليس، الخيِّرة والشريرة منها سواء بسواء، لذلك كانت خاضعة لأعماله وقوته، لذلك استطاعت العرَّافة صاحبة الجن التي في عين دور (١صم ٢٨:٧) أن تُحضِّر لشاول الملك نفس صموئيل النبي، فاستطاعت العرَّافة بواسطة عمل الشيطان أن تُحضره فعلاً، وعرفته في الحال أنه صموئيل النبي، بل وعرفت أيضاً شاول الملك مع أنه أخفى شخصه عنها، وهذا يفيد أن النفوس الخيرة كانت إلى زمن المسيح تحت سلطان الشيطان.

ولكن بعد أن أخذنا المسيح واتحدنا به صار للنفوس الخيرة وضعٌ آخر تحت سلطان الروح القدس في مكان خاص، لذلك لم يَعُد في إمكان

الشيطان ولا العرافين ولا مُحضِّري الأرواح من أي صنف أن يُحضِّروا أرواح القديسين أو الأنبياء أو الصديقين، لأن هذه الأرواح ليست تحت سلطان إبليس بل تحت سلطان الروح القدس.

غير أن لبعض الأرواح الخادمة المباركة حرية من قِبَل الرب وسماح الروح القدس أن تأتي إلى الأرض وتخدم المُحتاجين والذين في ضيقة، وهي أرواح مُختارة قوية لها مقدرة وسلطان ضد الأرواح الشريرة المفسدة، وهي تأتي إلى معونتها لا بواسطة أعمال سحرية أو موافقة شيطانية، ولكن بالصلاة والإيمان، مثل السيدة العذراء والشهداء الأبطال الجبابرة مار جرجس ومار مينا والشهيدة دميانة وباقي أحبائنا وشفعائنا.

أما القداس والبخور والصدقة على أرواح الأموات، فهي أعمال لائقة ونافعة لنا نحن على الأرض، إذ أنها تجعلنا نحس بالصلة القوية التي تربطنا بالمنتقلين، لا كأنهم تلاشوا أو لم يعُدْ لهم وجود، ولكن كأحياء مثلنا تماماً، ولكن بوضعٍ آخر المعبَّر عنه بالكنيسة المنتصرة. وهم لا زالوا أعضاء معنا في جسد المسيح، لذلك تُعتبر مثل هذه الأعمال أعمالاً إيمانية هامة.

ولكن ليست لنا قدرة خاصة ولا سلطان ولا قوة أن نُقدم لهم شيئاً ينفعهم، فإن كان لهم نصيب وشركة في المسيح تصير صلواتنا مريحة لهم ونافعة كما كانت ولا زالت بيننا نحن الأحياء على الأرض بواسطة عمل المسيح الذي يربطنا معاً.

ولكن مهما قدمنا من صلوات، فهي غير قادرة أن تغفر خطية واحدة من خطاياهم أكثر مما عمل فيهم دم المسيح.

فإن كانوا خلصوا في حياتهم على الأرض بدم المسيح وبعمل الفداء، فليس مزيد على ذلك.

أما إذا لم يكن لهم خلاص أو فداء وازدروا بروح النعمة، فلن تفيدهم صلواتنا ودموعنا لأنهم هم صنعوا حرمانهم من شركة اتحادهم في المسيح الشفيع والوسيط الوحيد بين الله والناس.

وإن كان هناك تفرقة بين خطايا كبيرة وخطايا صغيرة وهفوات، على أن صلاة الكاهن تغفر نوعاً من الخطايا، فهذه بدعة كنسية خطيرة ينقضها قول الوحي الصريح إن منْ أخطأ في واحدة فقد أخطأ في الكل.

ونحن لا تُغفر لنا خطايانا على درجات، لأن ليس في دم المسيح درجات، فهو إما يغسل ويُطهر من كل عيبٍ ودنسٍ وكل شيء من مثل هذا، وإما يدين ويُوبخ على جميع الخطايا.

أما الفرق بين "الموت" و"النياح": فالكلمة الأولى تفيد عملية مفارقة النفس للجسد سواء كانت النفس مُختارة أو مرفوضة، أما كلمة "النياح" فهي تعبير متواتر يُفيد كلمة راحة أو عزاء، وتُستعمل في التعبير عن انتقال النفوس الخيِّرة (حسب تقدير الناس) بفرض أنها انتقلت إلى عالم القديسين للعزاء والراحة.

أما بخصوص الكتب الكنسية التي تشرح هذه المواضيع، فلا يوجد في الكنيسة إلا بعض مخطوطات قليلة، ولكنها مملوءة بالخرافات والبدع، منها كتاب يُدعى "رؤيا أثناسيوس"، ولكنه لا يُعتدُّ به، وبعض شذرات أخرى ضمن مخطوطات لا تفيد شيئاً.

وكل ما جاء في خطابي هذا هو مُجرد رأي شخصي، للقارئ أن يأخذ به لو شاء.

ختاماً اقبلوا تعزيتي. كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١١٤}

رسالة تعزية يوم عيد القيامة عن آلام المسيح

عزيزي (...)

نعمة لك وبركة وسلام من الله.

أتعشم في وجه ربي يسوع المسيح أن تكون في ملء سلام الله مُكملاً حياتك في سيرةٍ مقدسة أمام الله بلا لومٍ، نامياً في معرفة الرب لبلوغ قامة روحية لائقة للميراث المبارك مع القديسين.

أكتب إليك كعادتي كلمة تعزية مما أعطاني الله في أيام ذكرى قيامته الممجدة، وأعود أتصفح معك مشاعر ما قبل القيامة التي زخرت بها البشائر كأضواء تبدو متفرقة مع أنها تتجمع معاً في انسجامٍ لتتسلط بقوة فريدة لإضاءة القبر الفارغ.

لقد بدأت أحزان المخلص مبكرة جداً وامتزجت بحياته اليومية صورٌ متعددة من الآلام الضاغطة يتحسسها الذين مالوا إلى عشرته، فوجدوا فيها ملجأً فريداً في الأحزان وكتاباً صاغته حياته في أبوابٍ مستوفاة كل نواحي الألم.

وقد زادت قصته روعة تلك الأيدي التي كتبته وهي مقيَّدة في سلاسل، وراجعته عيونٌ أنهكتها الدموع، بقصد أن تقرأه تلك الجماعات المبعثرة في زوايا المدن التي أحدقت حولها نيران التجارب في كل ناحية، حتى صار إنجيلنا بشكله وموضوعه بذرة زُرعت في هوان ورُويت بالدموع ونمت في وسط لهيب نار الاضطهاد في أنحاء الأرض المتفرقة بنفس الظروف الواحدة، ولكنها انتصرت وقامت واستقامت

كباذرها وأتت بثمارٍ نحن لون من ألوانها.

وإن كانت هناك أنواع أحزان كثيرة نعرفها، إلا أن ليس فيها ولا كلها ما يُماثل أحزان الذي صُلب مُكللاً بالشوك، ومع ذلك فكثيرٌ من أحزانه لا زلنا نجهلها، وإن وُجد مُجرَّبون كثيرون بتجارب مُرة، ولكن ليس كمنْ جُرِّب في أهله وأحبائه وتلاميذه ورؤسائه وحكامه وفي مبادئه وفي طريقة موته.

وإن كانت طبيعة الألم تزداد بمقدار نُبْل الإنسان وحساسيته، فهل يُمكن أن يُتصور مقدار الآلام التي أصابت نفس المسيح وعمقها؟ لذلك فهو بلا شك رئيس الآلام ومُكملها.

ولذلك استطاع أيضاً أن يأتي بأولادٍ كثيرين إلى المجد مُكملاً خلاصهم بالآلام، وصار قائد خلاصنا عبر وادي الآلام والدموع، وقد تعلم مما تجرب به كيف يُعين المُجربين ويسكب عليهم من أحشاء رحْمته عطفاً وحنواً وغفراناً. ومن أجل هذا كم كان لائقاً لنا جداً ونافعاً ومُفيداً أن يتألم المسيح أولاً ثُم يدخل إلى راحته.

ولكن يلاحظ القارئ وهو يتصفح قصة خلاصنا أن الآلام تتجمع في سرعة غير عادية في الصفحات الأخيرة كختام سيمفونية حزينة تتوارد فيها تعبيرات الحزن شديدة مُسرعة، تُنبئ السامع بقرب انتهاء المأساة، فيها يسكب الموسيقي كل مشاعره على أوتاره المتجاوبة معه، فتمتزج فيها السرعة والشدة والألم معاً.

هذه جثسيماني بؤرة صغيرة تركزت فيها أكثر وأقوى آلام عرفها إنسان. وعلى رمية حجر من أقرب أحبائه، ارتأى أن يحزن ويكتئب وحيداً، لا بمستوى أحزانه الكثيرة التي مرت عليه ولكنه حزن حتى

الموت، يقول عنه بولس الرسول إنه كان بصراخٍ ودموعٍ.

ويقول عنه القديس لوقا البشير إنه كان مصحوباً بجهاد عميق استنْزف قطرات العرق من جبينه كنقط الدم مع أن الليل كان بارداً، ولكن ما هذا الحزن الشديد؟ أكان فزعاً من الآلام التي لم تُفزع أقل الشهداء؟ كيف تُفزعه؟ والصليب الذي قَبِله بطرس منكساً بشجاعة، أيجزع منه هو؟!

لم يكن قطعاً حزن الرهبة من الآلام ولا جزعاً من الصليب مهما كانت تعاذيبه، فهو لم يخش الموت قط لأنه جاء ليتممه بل وُلد له. نحن نخشى الموت لأننا نجهله، أما هو فكان يعلم كل شيء ويعرف أين سيمضي بل ويرى المجد الذي ينتظره.

كانت أحزاناً حقيقية ثقيلة واكتئاباً شديداً ومرارة مُميتة، لم يكن مصدرها رهبة من موت أو جزعاً من ألم، فهو رئيس الإيمان ومُكمِّله بالآلام.

اسْمعْ لماذا حزن واكتئب؟

كان أبرع جمالاً من بني البشر، ولكن لما وضع الرب عليه إثْم جميعنا صار منظره كذا مُفسداً أكثر من الرجل، ولما حمل الخطية صار مُحتقراً أكثر من بني البشر، كان حلقه مملوءاً حلاوةً. ولما تحمل أوجاعنا امتلأ صراخاً وتنهداً للقادر أن يُخلِّصه، ونحن حسبناه مضروباً من الله ومذلولاً.

هي الخطية أم الأحزان والأوجاع والمذلة، هي الرذيلة والنجاسة والإثم كئيبة مفسدة لكل مَنْ اقترب منها.

ولما ضُرب بها رئيس سلامنا أثقلته جداً فوق الطاقة حتى ستر الناس

وجوههم عنه وأنغضوا الرؤوس.

وفي اختبار آلامه خذلوه واحتقروه و لم يعتدَّ به أحدٌ، وقالوا: فليخلِّص نفسه، فلم يشأ أن يُخلِّصها لأنه هو الذي وضعها.

أوفى بأحزانه ديون الخطية، وأكمل باكتئابه وصراخه ودموعه كل مطاليبها، ولولا الخطية التي أحزنته لجاز الجلجثة مبتسماً.

ولولا عار البشرية الذي ضغطه، لصار الصليب عنده ضحكاً.

ولكن لو لم يرتعب ولو لم يحزن ويكتئب ولو لم يصرخ بدموعٍ، لكُنا اندهشنا جداً كيف يحمل خطية الناس ولا تُؤثر فيه وهو ابن الإنسان؟

وكيف يتحمل أوجاع البشرية ولا يتوجع كبشرٍ؟ لكن الذي لم يعرف خطية صار خطية واحتمل حزنها بالحق.

والذي لم يعرف اللعنة صار لعنةً وجاز مُرَّها حتى الغاية.

الخاطئ يحزن لما يشعر بخطيته، وكم يكون حزن الذي لم يُخطئ حينما يحتمل نيرها؟

وإذا لُعن المستوجب اللعنة تتمرر نفسه جداً وينسحق بحزنٍ مُميت، فكم يكون انسحاق البار ومرارة نفسه لما يُلعن؟

هذا كان كأسه، طلب لو أمكن أن يُرفع عنه لأنه لا يستحقه، ولكن الذي تعلم الطاعة مما تألم به كيف لا يشربه وقد أعطاه له أبوه؟

كانت ساعة الخطية وسلطان الظلمة، طلب أن تجوز عنه ، ولكن من أجل هذه الساعة جاء، فكيف لا يقبلها؟

لقد انعكس ظلُّ هذه الساعة على كل حياته السابقة، فكان يتطلع إليها ويئن وبكى لما تذكَّرها على قبر لعازر، ولكنه ثبَّت وجهه نحوها.

دخل الموت ليصرعه بحياته، ونزل القبر ليقوم ويتركه فارغاً شهادة أبدية، وانحدر إلى الهاوية ليصعد وفي موكب نصرته ربوات من شهود قيامته، كان لابد أن يموت ليبطل الموت بقيامته.

وكان لابد أن يظل ميتاً ثلاثة أيامٍ ليُخلِّص الذين في الجحيم، ويصعد أعظم من منتصرٍ، كجبارٍ حطم أسوار الجحيم وصعد وفي يديه المصاريع ومفاتيح الهاوية والموت.

وفي عظمة نصرته نادى: أنا الحي وكنتُ ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين. جسوني، المسوني أنا هو. كان لا يُمكن أن يموت إن لم يكن قد أخذ جسد خطيتنا، وكان لا يُمكن أن يقوم إذا لم يكن قد غلب الخطية بالجسد.

من أجل ذلك تشارك مع الأولاد في اللحم والدم لكي بالموت الذي يذوقه يبيد مَنْ له سلطان الموت أي إبليس، ويعتق بقيامته الذين بسبب الخوف كانوا كل حياتهم تحت عبودية الموت.

وعلى الصليب جرد الرئاسات المظلمة وفضحهم جهاراً وظفر بهم، فسقط قاهر الأمم وهوى كما رآه سابقاً كالبرق المنحدر من السماء، وما أرعبها معركة دارت رَحاها وراء حُجُب العالم المنظور، تلك التي طُرح فيها رئيس هذا العالم خارجاً فاقداً سلطانه الأول، ودُفع للغالب الذي خرج غالباً ولكي يغلب كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض.

+ + +

داس المعصرة وحده واعتصر من دمه كأس خلاص للناس، وحياة أبدية لكل مَنْ يتناول منه.

هو الكرمة ومن عصيره لا زالت تُقدم الكنيسة دمه جديداً مهراقاً كل

يوم على مذابحها علامةً دهرية لعهده الجديد لغفران الخطايا الذي أهرقه بإرادته إيفاءً لكل خطية، والدم هو الحياة (لا ١٧: ١١).

قدمه على الصليب مرةً واحدة، ولكنه لا يزال هو كما هو حياً إلى أبد الآبدين يعمل في الأرض كلها، وكل مَنْ يؤمن بالصليب ويحمل آلامه وعاره يأخذ قوة الدم المسفوك عليه، دمٌ يتكلم ويغسل ويُطهر ويُصالح ويفدي ويشتري ويُثبِّت ويُحيي إلى أبد الآبدين.

+ + +

وإن قيل إن المسيح كان ينبغي أن يتألم ويموت، فكم تُحتم الضرورة أن يقوم، لأنه تألم من جراء خطايانا الكثيرة التي ليست له، حملها لطاعته وتحملها لمحبته، وإن كان قد صُلب ومات فلتكميل عقاب آخرين، أما هو فكيف يُمسَك في الموت وهو لم يُخطئ قط؟!

فإن تألم وصُلب ومات من أجل ثوب الخطية الذي لبسه، فلابد أن يقوم من أجل الحق والقداسة والبر التي هي أصل طبيعته الحية غير المائتة.

وللموت الذي ماته عنا رسالة، وللقيامة التي قامها رسالة، ولو قورنت الرسالتان لوجدنا أن للقيامة عملاً فينا يفوق العقل والتقدير، إذ جعلت لطبيعة البشر مستويات جديدة أعلا مما يتصوره أي فكرٍ.

وإن كانت رسالة الموت لا تتعدى المصالحة، إذ بموت المسيح رفع الحجاب الذي كان يفصلنا عن الله، أي الخطية، مُسمِّراً إياها على الصليب بجسده الذي وُضع عليه إثْم جميعنا، ولما مات قتل العداوة أي الخطية بموت جسده الحامل لها.

فانشق حجاب الهيكل الذي كان رمزاً للعداوة التي كانت تفصل قداسة الله عن نجاسة الإنسان.

وعوض الحجاب الفاصل، صار لنا بجسد المسيح الطاهر حجاب مصالحة، إذ جعل جسده طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً للدخول بثقةٍ إلى أقداس الله.

أما رسالة القيامة فهي أكثر من مصالحة بما لا يُقاس، بل إن آلامه وصلبه وموته تظل أموراً ميتة بالنسبة لنا غير مُثمرة في حياتنا إذا لم نأخذ في أنفسنا عمل القيامة العجيب.

لذلك كان يلزم جداً أن يأخذ الإنسان في نفسه قوة جديدة يغلب بها طبيعته القديمة وينتصر بها على الموت وسلطانه ليستطيع أن يحيا فيما لله، وكيف يكون؟

قام المسيح بقدرة فائقة بإمكانيات جديدة يستطيع بها أن يهب ذاته لنا بأن يدخل فينا ويتحد بنا بسرٍّ عجيب على شبه دخوله العلية التي كان التلاميذ مُجتمعين فيها والأبواب مغلقة. هذا يشرح لنا في غموض، إمكانية دخول المسيح هياكلنا البشرية والحواس مغلقة، لا نحس به في دخوله ولا نشعر به إلا وهو يقول: سلام لكم.

وبدخول المسيح فينا واتحاده بنا بالإيمان والمعمودية وأخذ جسده ودمه الإلهيَّين في سر الشركة تصير حياة المسيح عاملة فينا، لأنه هو يكون حياً فينا، وبذلك نأخذ قوة وثمر عمله الذي أكمله كله من جهة قداسته وطهارته وعدم غشه ونصرته على الخطية وتحمُّله الآلام وصلبه وموته وقيامته.

وبذلك تتجدد حياتنا بل تتغير طبيعتنا إلى ما فوق مستوياتها، وهذه الإمكانيات جميعها ليست منا وإنما هبة عمل حياته المقامة فينا، وهذا ما عبَّر عنه بولس الرسول بالإنسان الجديد، وما الإنسان الجديد إلا يسوع

المسيح فينا الذي ننسب ذواتنا إليه ونقول إننا مسيحيون.

وقبولنا المسيح فينا هو ما عُبِّر عنه بالميلاد الجديد، أي أن يُولد فينا إنسان آخر غير التُرابي الآدمي، «وكما لبسنا صورة التُرابي سنلبس أيضاً صورة السماوي» (١كو ١٥: ٤٩).

والذي وُلد الميلاد الجديد وصار المسيح عاملاً فيه، يستطيع أن يقول مع بولس الرسول: مع المسيح تألمتُ، ومع المسيح صُلبتُ، ومع المسيح قمتُ، بل ومع المسيح جلستُ في السماويات، لأننا صرنا من عظمه ولحمه وأحياء فيه ومعه.

هذه هي هبة القيامة الفائقة الوصف التي كان يحيا فيها بولس الرسول وعلى محورها تدور جميع إلهاماته ومبادئه، وهذه الشركة العجيبة التي كان يحسها إحساساً قوياً في نفسه، فكان لا يرى شيئاً جديداً أو هبةً أو نعمةً أو قدرةً إلا في المسيح، فكان يؤمن في المسيح ويتبارك في المسيح فهو مُختار في المسيح، ومفدي في المسيح، ومخلوق في المسيح، وشريك في الميراث في المسيح، ويستطيع كل شيء في المسيح، وبالاختصار لم يكن يحيا هو بل المسيح يحيا فيه.

لأن الاتحاد بالمسيح يجعل لنا كل ما للمسيح، وهو سر قوتنا الجديدة وسر عمل الروح القدس فينا، وهو سر حقيقي نلناه بالقيامة العجيبة بقوة فائقة يُعبِّر عنها بولس الرسول بقبوله جعل الاثنين واحداً، ٢ = ١؟!

إذ قد سبق وأكمل هذا السر في نفسه، إذ وحد الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية في شخصه.

ولما أكمل مطالب الغفران والفداء بذبيحة جسده قام ليعطينا ثمرة وهبة هذا السر الرهيب بحلوله فينا وإعطائه جسده ودمه الإلهيَّين لنا،

جاعلاً كل مَنْ يأخذه بإيمان واحداً فيه، وإذ هو لا يتجزأ صار المؤمنون واحداً بواسطته كأعضاء كثيرة في جسد واحد.

فكل مَنْ قبل قيامة الرب ينال سر الشركة فيه ويصير عضواً في جسده الحي.

وكل مَنْ لا يقبل قيامته لا ينال شيئاً قط من أعمال المسيح سواء من جهة آلامه وموته، إذ يكون حجاب العداوة لا زال قائماً لعدم قبول وسيط المصالحة والشفيع الذي صار بين الله والناس.

إذاً، كم يُعوزنا أن نتذوق روح القيامة ونُمجدها في ذواتنا، فاحصين بصلاة وطلبة كثيرة عن معرفة أسرار المسيح المُقام الفائقة المعرفة، متأيدين بالقوة بالروح في الإنسان الباطن ليعمل المسيح بالإيمان في قلوبنا حتى لا نكون فيما بعد غير معتقين من ناموس الخطية والموت بناموس روح الحياة في المسيح يسوع.

أما في الدهر الآتي، فوإن كنا لا نعلم ماذا سنكون بعد (كما قال بولس الرسول)، ولكن نحن متأكدون أننا سنكون مثله، لأننا متنا عن إنسان آدميتنا، وحياتنا مستترة مع المسيح في الله، ومتى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذٍ سنُظهر نحن أيضاً معه في المجد.

سلام للصليب طريق القبر،

سلام للقبر الفارغ موضوع القيامة،

سلام للقيامة مفتاح الخلود.

وليملأك الرب يا أخي بروح قيامته لتحس بحقيقة الخلود التي تعمل في أعضائك المائتة عالماً أن كل ترتيب زمني وكل نظامٍ موضوع سيؤول حتماً إلى زوال مهما كان مبدعاً ولن يبقى من كل هذه الضجة الكبرى

التي تحيا في موكبها من الطفولة إلى الشيخوخة إلا ما ينسجم مع قانون الخلود.

وسيان إن كان جميلاً مُسراً أو أليماً مُحزناً، فأعمال الإنسان سوف تتصفى جميعاً وتغتسل في نهر الحقيقة وتجوز نار الروح فلا يتبقى من كل ما عملتْ أيدينا أو نطقت أفواهنا أو ما اشتهت قلوبنا إلا ما هو جليل وحق.

ما أعظم الحياة وما أعمقها حينما تتلامس نسماتُها التي تنبعث من قلوبنا مع الحق والله، وحياة مثل هذه قادرة أن تخط في أعماقنا صورة محسوسة عن الأمور الخالدة التي نُحبها، ألم يخلقنا الله على صورته.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١١٥}

القيامة والخلود

عزيزي (...)

نعمة لك وبركة وسلام من الله.

أتعشم أن تكون معافى وتكونوا جميعاً في ملء السلام الداخلي مُبتهجين بقيامة الرب يسوع مستثمرين ذكرى قيامته المقدسة لتأملات مناسبة جاعلين من القبر الفارغ موضوعاً للامتلاء، ومن الحجر المدحرج إعلاناً لأسرار الخلود.

كان الخلود عند الفلاسفة قبل المسيح حديثاً غير ذي موضوع، يطرقونه في كثير من الشك أو الغموض، فكان يُعوزه كغيره من أفكار فيما وراء الطبيعة نموذجاً حياً أو مثلاً.

وهكذا ظل الخلود مُجرد فكر يفتقر إلى موضوع إلى أن اكتُشفت في اليوم الثالث من موت الرب حركة غير مألوفة عند قبره، اكتشفها أول مَنْ اكتشفها امرأة تلميذة للمعلم الميت ومعها أخرى، شعرتا بزلزلة عظيمة اجتاحت منطقة القبر، وعرفتا مصدرها في الحال لما رأتا ملاكاً نازلاً من السماء منظره كالبرق وثيابه كالثلج، دحرج الحجر الثقيل عن باب القبر وجلس عليه مُعلناً أن يسوع المصلوب قام.

وللتأكيد أمَرَهُما أن تتقدما لتنظرا القبر الفارغ واللفائف ملفوفة كأنها حول جسد ولكن ليس فيها شيء.

ولو انتهت قصة المعلم الذي قام، بتأكيد القبر الفارغ واللفائف الملفوفة، لظل الخلود منفصلاً عن الوجود، ولظل موضوع القيامة مفتقراً

إلى تحقيق، ولاستمر حديث التلاميذ يُشبه حديث الفلاسفة كلاماً غير ذي موضوع.

لولا أن حدث حادثٌ عجيب عند القبر الفارغ:

إذ بينما المرأة المُخلصة لمعلمها الميت جالسة وحدها عند القبر تبكي، وأمامها صُرة كبيرة من مُرٍّ وحنوط أنفقت في شرائها مبلغاً لا يُستهان به إكراماً ووفاءً لمعلمها الذي صنع معها إحساناً كثيراً في حياته، حيث كانت تود من كل قلبها أن تكمل خدمتها وتُكفن الجسد الحبيب، ثُم تعود من حيث أتت؛ إذا بالملاك يُحيرها بموضوعٍ لم يكن في الحسبان، ويُخبرها بقيامة الجسد حياً. الأمر الذي لم تأخذ به على الإطلاق، بل استمرت جالسةً قبالة القبر تبكي (رواية إنجيل متى)، فأشفق عليها الملاك وسألها لماذا تبكين، أما هي فلم تُبالِ كثيراً لا بالملاك ولا بحديثه وأخبرته في غير اكتراث أنها تبكي لأنهم أخذوا جسد مُعلمها الحبيب من القبر ولا تعرف أين وضعوه (رواية إنجيل يوحنا).

وفجأةً رأت حركة غير عادية بدرت من الملاك مع تغييرٍ في نظرته تُنبئ بأنه يرى خلف المرأة الجالسة أمراً جللاً.

فالتفتت المرأة خلفها لتنظر السبب الذي استرعى انتباه الملاك بهذا المقدار، فرأت ولكنها أخطأت الرؤيا، وفي غير مبالاة مرة أخرى ظنت الواقف أنه البستاني، فتحولت إليه وهي تبكي مستعطفةً أن يريها موضع الجسد واستطردت بمغالاة ظاهرة أنها على استعداد لحمْله.

كل هذا والملاك مندهش من بلادة هذه المرأة واستغراقها في ركود إحساسها الروحي بهذا المقدار.

ولكن لم يطلْ المشهد أكثر من هذا، إذ ناداها الواقف خلفها باسْمها

كما نادى لعازر يوماً واستدعاه من مواته.

فاستفاقت مريم استفاقةً كانت هي الشهادة الأولى لوصل عالمَيْن وربط حقيقتيْن: ربوني أي مُعلمي (يا مُعلم).

وفي العلِّية قال لتلاميذه:

جسوني والمسوني، أنا هو.

وهذه هي شهادة سفر الرؤيا:

أنا الحي، وكنتُ مائتاً، وها أنا حي إلى أبد الآبدين.

أنا هو الأول والآخر، والكائن الذي كان والذي يأتي.

+ + +

لقد انتهى حديث الفلاسفة لا لأنه لم يكن حقيقة، ولكن لأن الحقيقة ظهرت، ومتى أُظهر الحق لم يَعُدْ للكلام موضع. كان الخلود قبل المسيح فكراً، ولما ظهر يسوع صار حياةً، ولما قام من الأموات صار طعاماً.

أليس عجباً أن نأكله لنحيا ومن الكأس نشرب سر الخلود. رأى هذا يوحنا لما انطلق كالنسر الطائر يُحلق في أفق الخلود وخفق قلبه فقال إن «الكلمة صار جسداً، ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا» (يو ١: ١٤، ١٦)، ووافق بولس على المعنى قائلاً: «إن فيه قد حل كل ملء اللاهوت جسدياً ونحن مملوئين فيه» (كو ٢: ٩).

+ «الذي كان من البدء، الذي سمعناه والذي رأيناه بعيوننا.

+ الذي شهدناه ولمسته أيدينا.

+ من جهة كلمة الحياة.

+ الحياة أُظهرت، وقد رأينا ونشهد لكم ونُخبركم بالحياة الأبدية.

+ التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا» (١يو ١: ١-٢).

لقد ربطت القيامة الوجود بالخلود، وجعلت ما يُرى وما لا يُرى موضوعاً واحداً، وما يُحَسُّ وما لا يُحَسُّ حقيقة واحدة ومتصلة.

فالحياة الأبدية أُظهرت لنا، رأوها بعيونهم ولمسوها بأيديهم وسمعوها بآذانهم، وأخبرونا بالصدق لنكون شركاء معهم فيها.

ولم يَعُدْ حديث ما وراء الطبيعة يختلف عن حديث ما أمام الطبيعة، فالذي كان وراء الطبيعة عَبَرَ الحدود ووُلد في أحضانها، والقبر الذي كان يفصل حدودهما تركه المسيح فارغاً لا يصلح لشيء.

والقيامة التي قامها جعلت الموت حياةً ونقطة وصلٍ لا نقطة فصل.

وأكل المسيح أمامهم بعد أن أراهم جسده المجروح بلحمه وعظامه، وسمح لهم أن يجسوه ويضعوا أصبعهم في جنبه المفتوح، وعندئذ سقطت حدود ما بين عالمَيْن وصار الخلود موضوع أخذ لا موضوع حديث ونقاش.

جسدي المكسور خذوه كُلُوه، ودمي المسفوك اشربوه لتحيوا إلى الأبد.

نعود إلى المجدلية التي استفاقت فأدركت حقيقة القيامة، وإذ وثقت تماماً أنه مُعلمها المحبوب ألقت صرتها وتقدمت لتمسك به، وكأنما لم تفارقها بلادة وجدانها الروحي قط، فقد اعتبرت القيامة عَوْداً على ذي بدء وامتداداً بسيطاً لحياة سابقة، فحذرها المسيح من تفريطها في تقدير حقيقة القيامة ونبهها إلى أن القيامة للصعود.

فكان في إعلانه هذا توجيهاً للذين يريدون أن يتخذوا الخلود موضوعاً للحياة الحاضرة، مع أنه وإن كان امتداداً منها إلا أنه لن يكون ارتداداً

إليها.

ثُم عاد ووبخ تلميذاً تصعَّبت عليه حقيقة القيامة وإمكانياتها، فمدَّ إصبعه وجعله في ثقوب يديه وأدخله في جنبه المفتوح، مُعاتباً، فصرخ توما لما اصطدمت شكوكه بحقائق الخلود، وحقاً إنه لموقف رهيب.

فكان في تشجيعه لتوما بلَمْس جسده توجيهاً لتحقيق الخلود وإثبات موضوعه بالحواس للذين يصعُب عليهم إدراك الحقائق بالإيمان.

ولا زال الناس بعضهم يريد أن يأخذ الخلود أخذ المجدلية، تبسيطاً أو ترفيهاً للحياة الحاضرة، فيطلبون لكي يروا رؤى أو ينظروا ما لا يُرى، لعلهم يزدادون فرحاً وابتهاجاً. لهؤلاء لا يزال المعلم يقول لا تلمسيني.

ولا زال بعضهم الآخر بتردد كمثل "توما" في الأخذ بحقيقة الخلود أو يشك في إمكانيات القيامة، ولهؤلاء لا يزال الرب يُشجعهم أن جسُّوني والْمسوني. يُريهم رؤى ويُعطيهم إلْهامات ولا يتركهم حتى يهتفوا ربي وإلهي.

ما أمْجَد القيامة!

سلام للصليب طريق القبر،

سلام للقبر الفارغ موضوع القيامة،

سلام للقيامة مفتاح أسرار الخلود.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١١٦}

الزواج المسيحي حسب الروح

عزيزي (...)

سلام الله لروحك أيها الأخ المحبوب في الرب.

الله الذي دعاك بالمجد والفضيلة لميراث حياة أبدية، واختارك من وسط جيل زاخر بشباب مُتأجج بحب يسوع المسيح الذي ولو أنهم لم يَـرَوْهُ أو يعرفوه كما يجب، إلا أنهم أحبوه، وجعلك شاهداً لهم لحياة البر والقداسة وطهارة السيرة وأمانة الشهادة لوصاياه وغيرة خدمة كلمته، يمسك بيمينك أيها الأخ المُختار لتكون أميناً في حياة الزيجة المسيحية التي هي شركة روح في شركة جسد، ولكن الروح أولاً وسيداً. عالماً أيها الحبيب أن دعوتنا هي في المسيح محفوظة وكائنة أولاً وآخراً للسلوك حسب الروح، لأنك قبل أن تُدعى لزيجة الجسد دُعيت وأكملت إكليل شركة الروح بالالتصاق بيسوع المسيح في زيجة روحية خالدة. لذلك، فالمتزوج في المسيح يسوع إنما يهتم كيف يجذب قلب امرأته لقلب المسيح ليجدا معاً هناك شركة حب وانسجام ووفاق أبدي. فالزواج المسيحي الحق وإن ابتدأ بالجسد حسب الظاهر إلا أنه منبثق أصلاً من قصد ودافع روحي لتكميل حياة بلا لوم أمام الرب وفي حضرته، كذلك فهو حتماً ينتهي بحياة قداسة وبر، لأن غاية الزواج المسيحي – إن ظل أميناً لدوافعه – فإنه يصير لحساب المسيح، أي يتحول قليلاً قليلاً إلى حياة بذل وإنكار ذات، حيث يتم الاتحاد السري بين الجسديْن روحياً، فيصيرا واحداً في المسيح، كسرِّ الكنيسة كلها.

والإنسان الروحي في المسيح إن تزوج كصورة من صور التزام الطبيعة

والتنازل إلى حتمياتها الوهْمية، فإنه يظل من جهة التزام الملكوت وحب الله وأمانة الروح غير متزوج، أي يسمو بروحه فوق تنازل الجسد حافظاً قلبه من كل ما يُدعى انغماساً ولذة وتسلطَ غرائز، «فأقول هذا أيها الإخوة: الوقت منذ الآن مقصر، لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم، والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه» (١كو٧: ٢٩، ٣١).

وبهذا يتحدد بوضوحٍ أن الزيجة في الحياة المسيحية ليست مُتعة وليست خضوعاً واستسلاماً للطبيعة، فالزواج عند الروحيين بالرغم من قيامه واستخدامه حسب الجسد، يظل من جهة الملكوت والحياة في الله غير موجود.

وبهذا يظل التعليم المسيحي وتظل دعوة المسيح لحياة الملكوت والتخصص لها قائمة أيضاً وبصورة جدية فعالة في صميم الحياة الزوجية، حينما تُعاش روحياً حيث يظل هو روحياً، وحيث تباشر النار الإلهية المتأججة في القلب الأمين لحب المسيح تحويل الحياة من صورتها البشرية إلى صورتها الملائكية، حينما يعيش الزوجان حسب الروح، وهذا من أروع المتضادات في الحياة المسيحية.

وإن كان في هذه المناسبة الهامة أن أُذكِّرك بشيء، فإني أوصيك بمضاعفة الصلاة حتى لا ينحاز الروح إلى تراخي الجسد، بل يُحفَظ في نشاطه لتظل تعمل عمل الخادم والمُبشر، عالماً أيها الحبيب أن المسيح لا يتجلى في حياة تُخيِّم عليها اهتمامات العالم الباطلة أو غرور الغنى أو العلم. واذكُرْ على الدوام أن الجهاد مبسوطٌ أمامك في الداخل أولاً ثُم في الخارج، ومطلوب أن تشهد للمسيح وحياة القداسة هنا وهناك.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

(مجموعة رسائل لأحد الشباب
من رسالة ١١٧ - ١٣٢)

الرسالة {١١٧}

التصرف المسيحي في مكان العمل

توجيهات لأحد الإخوة
عن التصرف في مكان عمله الحكومي

التدقيق: مصدر الحرارة الروحية.

١- عدم الاتكال على رئيس أو عظيم، سواء بالقلب أو الفم: لأن بالقلب معناه إلغاء الإيمان بالله العظيم، وبالفم معناه إعلان سيء عن تعطل الشهادة للمسيح. إذن كل اعتماد على إنسان هو إهانة للمسيح.

٢- ضبط **الكلام** الذي يأتي بسببه لوم الضمير: الامتناع عن:

أ- اغتياب الرؤساء. والزملاء. خصوصاً الضعفاء وغير الأكفاء أو الأشرار.

ب — الاستهزاء بقوانين الحكومة والعمل.

ج — توصيل أخبار مؤلمة من واحد لواحد.

٣- مبدأ "داري على شمعتك تقيد":

عدم التباهي بالمعرفة الروحية، وعدم الحديث عن أداء الصلوات وحضور الكنيسة وخلافه. كل هذا يُعتبر من أسرار العبادة ولا يصح التحدث بها. سئل مرة أحد القديسين عن تفسير معنى "الخراف عن اليمين والجداء عن اليسار" "من هم الخراف؟ ومن هم الجداء؟" فأما

الخراف فهم الآباء القديسون، والجداء مثلي. (المقصود عدم إعطاء الآخرين فرصة أخذ فكرة عن أني أُحسِن التفسير أو المعرفة الروحية).

٤- عينك تقع على الصالح، وتغمض عن الشر أو الشرير.
أذنك تنفتح لكلام الخير، وتنقفل عن كلام الشر.
اضبط بطنك وشهوتك عن الأطعمة في غير ميعادها.
(الصوم. فترة الانقطاع حتى الساعة ١٢ ظهراً. مقاومة كل إغراء.)

٥- اليقظة المستمرة حتى لا ينمسك الإنسان بهموم وغرور هذا العالم.

٦- نعيش في العالم ولنا شكل ناس العالم، لكن داخلنا روحي سماوي إلهي.

٧- الصلاة المستمرة والتوسل حتى يُخرج الله النفس من ضيقتها ويحس الإنسان بأنه «ولو قام عليَّ جيش فلن يخاف قلبي» (مزمور ٢٧: ٣)

٨- أخذ الأمور الروحية مأخذ الجد، وإدخال مخافة الله في القلب خصوصاً ساعة الصلاة ودخول الكنيسة.

العمل:

١- احترام جميع الزملاء والرؤساء بلا قيد ولا شرط. أي إظهار السلوك المسيحي، كنوع من الشهادة للحياة المسيحية.

٢- الأمانة المطلقة في المواعيد (كقدوة حسنة، ولقطع دابر كل

التقوُّلات والأشرار)

٣- الأمانة في العمل دون النظر إلى الجزاء أو الأجر. لأن العمل جزء من الديانة. والرئيس العام للعمل هو المسيح.

٤- عدم استخدام آلات أو أدوات أو منتجات الشركة إلاَّ حسب قواعد العمل الرسمية وكل استهتار في اغتصاب حقوق ليست لك هي كسر لوصية الإنجيل «اكتفوا بعلائفكم».

القمص متى المسكين

الرسالة {١١٨}

توجيهات في الحياة اليومية

عزيزي الأخ الحبيب (ك...)

سلام من الله لروحك أيها العزيز بالرب.

أشكر إلهي من جهتك لأنه يقبل دموعي عنك. وكم أنا في غاية الراحة بسبب وجودك الآن في حضن الرب ومواظبتك على الصلاة. أنت يا (...) **صرت قطعة من حياتي** فأتوسل إلى الله أن يحفظ حياتك حتى ترتاح نفسي فيك. كما أطلب إليك أن تُقدِّر محبة الله لك ومعونته وحفظه لنفسك، ولا تستهن بمخافته فتواظب على الصلاة أكثر وبحرارة حتى تكون حياتك أمامه بلا لوم.

كذلك أشكر الله بسبب وجودك بالعمل في القاهرة حتى تكون قريباً منا باستمرار، لكي نطمئن على حياتك أول بأول. وموضوع خطوبتك أنا أصلي أن يتدخل الله ليحدد بنفسه كل شيء وفي الميعاد الذي يحسن في عينيه فقط. أرجوك أن تصلي وتسلِّم حياتك في يديه.

مسألة المواضيع التي سبق أن كتبتها "**اسم الله**"، و"**شجرة الحياة**"...الخ أنا تعمدت تأخيرها حتى لا يخرج منها شيء أمام الناس إلاَّ بعد استقرار **حياتك** مع المسيح وعودة حرارتك وغيرتك حتى لا يُهان **اسم الله؟**

وختاماً أهديك محبتي وكل عام وأنت في كمال الاستقرار والمسرة.

القمص متى المسكين

الرسالة {١١٩}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عزيزي الأستاذ المهندس (ك...) دام

سلام الله لروحك أيها الأخ العزيز المحبوب في الرب.

أتعشم أن تكون أمورك كلها قد آلت إلى الهدوء والاستقرار وسلامة القلب راجين من إلهنا الصالح أن يقود نفسك العزيزة في طريق الروح حسب مشيئة القدير، محتملاً كل الظروف المعاكسة التي يسوقها العدو لتعطيل مسيرك. ولكننا نثق أن يد الله تسندك وعينه عليك، والنعمة تحوطك لتحويل كل شيء لخير حياتك.

أرجو أن يكون موضوع زواجك مطروحاً أمام الله في الصلاة، حتى لا يجرِّبك العدو بأفكار العدول عن حياة الزيجة، لأني أحس أمام الله أنه لا يكون لك استقرار وفرح بالرب إلاَّ في الزواج بعيداً عن مشاغل وحروب الجنس، بسبب ضعف عزيمتك لحفظ البتولية وشروطها وواجباتها الصعبة عليك.

وأنا أتعشم في محبة ربنا يسوع أن يهيئ زواجك بنعمة خاصة فوق إرادات وسعي الناس وفوق تدخل كل يد بشرية.

مرسل موضوعان قد جهزتهما وهما "نور الله" و"أخنوخ" وهما مُعدَّان للنشر، وموضوع "أصداء الروح" جاري إعداده وتبييضه لأن خطك ردئ جداً، ولكن مواضيعك الأخيرة جيدة ونافعة. الرب يكمل سعيك وحبك.

اقبل محبتي الكثيرة وشكري وامتناني ودعائي.

سلامي لأحبائي جميعاً في الرب.

كن معافى

القمص متى المسكين

الرسالة {١٢٠}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عزيزي (ك...)

سلام من الله لروحك أيها الأخ المحبوب.

أتعشم في وجه ربنا يسوع المسيح من أجلك أن تكون في حفظ وعناية الروح القدس الساهر على روحك لخلاص نفسك في يوم الرب.

إن عناية الله التي تحيط بك، وإن كانت غير منظورة لك، إلاَّ أنها فعَّالة وذات أثر ونتيجة، تستحق كثيراً من الشكر والاعتراف بفضل الله. وإن كانت تظهر لك الضيقات القليلة أنها مزعجة لنفسك سواء من جهة الجسد أو العمل أو ظروف الحياة، إلا أنها في الحقيقة لتدعيم عودك وقيادة نفسك العنيدة للخضوع لسيادة رحمة الله والتسليم لمشيئة الروح القدس الذي يقودك بالرغم من عنادك.

إنني لا أتوسل إليك وإنما أتوسل إلى الله العظيم الذي يحبك أكثر مني ويشاء خلاصك، لأنه دفع ثمنه دماً وآلاماً، أن تُخضع نفسك لمشيئة الله في شكر وتسليم حتى يكمِّل الله عمل نعمته فيك.

إنني أتضرع ليس أمامك وإنما أمام عرش الله أن يهدىء نفسك ويسوسها بهدوء وعدم صخب حتى يكمل تأهيل حياتك بزيجة مقدسة، لأنه لن تستتب حياتك وتستقر نفسك إلاَّ بعد الزواج من مختارة حياتك التي سيختارها الروح وفق حاجة روحك أكثر من حاجة جسدك!!! إنني أصلي بصدق وإخلاص أمام إلهي أن يجعل سلوكك مع رؤسائك وزملائك سلوك إنسان مسيحي غير طامح ولا طامع، ولا ناظر إلى

أنصبة الغير في حسد أو حقد أو في مفاضلة وتزكية الذات، بل في هدوء وسكينة وإخلاص تعمل كل ما يُوكل إليك كمن يخدم تحت نظر الله ورئاسته، غير مهتم بإرضاء إنسان أو الذات بل إرضاء الله الذي يجازي لا بحسب العمل ولا الجهد وإنما بحسب النية..

أرجو من الله أن يفتح عيني قلبك لتعلم عمق محبة المسيح من نحوك حتى لا تعود تقضي أيامك كأنك بلا مُعزِّي، لأن حب المسيح كفيل أن يجعلك أسعد من ملاك وأقوى من جيش، فقط اطرح عنك ذاتك التي تقف حائلاً يمنعك عن الانطلاق في حرية أولاد الله لتكون بلا همٍّ في هذه الحياة ، لا تخاف شيئاً ولا تُستعبَد لشيء، **بل يكون عملك وهمّك هو التسليم المتواصل لإرادة الله.** عالماً أن كل ما يُعمل يُعمل للخير للإنسان الذي أحبَّ المسيح وأسلم له حياته.

الآباء يهدونك السلام. كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين.

الرسالة {١٢١}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عزيزي المحبوب (ك...)

سلام الله لروحك أيها العزيز المخلص الغيور، أتعشم أن توفي بأعمالك مطالب نداء حبك للمسيح والعذراء اللذين باركا حياتك وحفظاها وسيحفظانها إلى النهاية لتكون برهان عمل أناة المسيح ولُطف العذراء في الضعف الممتثل لله.

نشكر الله لمعونته لك من جهة السيارة، وأنا أتوسل إلى الله أن يجعل قيادتك لها بحكمة ورزانة، وأن يمسك بيمينك ويحفظك في كل طرقك ولا يمسُّك سوء.

من جهة العمل نتعشم خيراً من جهة وعد (...)، الرب يلهمه لعمل مريح لك. وأظن أن الله يطالبك دائماً بأن تقبل كل شيء بشكر وتُظهر إخلاصك في كل عمل يُسلَّم إليك، لذلك كن شاكراً بشوشاً دائماً، ولا تكره أي عمل يوكل إليك.

أصلي وأطلب من الله أن يوفق حياتك من جهة الزواج، لأنه أساس كل الرجاء الذي نرجوه بالنسبة لحياتك الهادئة المثمرة جسدياً وروحياً. ولا زلنا طالبين أن يبارك في خطيبتك ويجعلها طاهرة نقية في عينيك كالعذراء مريم.

من جهة حياة الإخوة في بيت التكريس فأنا أتوسل إليهم عن لسان محبتك أن يعتبروا أنفسهم أهل بيت الله وعشيرة – أي أسرة – مع

القديسين عالمين أن أُلفتهم في المسيح هي مصدر قوتهم ودالتهم أمام الله.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٢٢}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عزيزي (ك...) دام

سلام الله لروحك أيها الحبيب.

أتعشم في وجه ربنا يسوع المسيح أن تكون حياتك نامية من الداخل، وتكون طاعتك للروح القدس كاملة حتى تمتلئ حياتك بتعزياته وقوته.

أوصيك بضرورة الإخلاص القلبي في عبادتك.

عالماً أن ليس بالكلام ولا بالعمل، ولكن بالنية الأمينة، يستجيب الله.

ولا تيأس قط في جهادك لأنه ليس النجاح الذي نتوصل إليه بإخضاع الجسد، يكون هو النجاح فقط، ولكن إخضاع الروح لطاعة الإيمان يفوق كل شيء.

بخصوص العمل أنا سررت باستجابة روحك **داخلياً** لطاعة رؤسائك.

وختاماً أرجو أن يمد الله يده ويكمل حياتك بمسرة مشيئته لتكميل نفسك لكل تقوى وعفاف في الروح.

كن معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٢٣}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

هذا خطاب فيه رد مزدوج لـ (...) و (...).

عزيزي (ك...) دام

سلام من الله لروحك أيها الأخ المحبوب.

أتعشم في وجه يسوع المسيح أن تكون في ملء عزاء الروح متقبلاً بالإيمان القيامة الحقيقية التي أكملها الرب لنا لنحيا في نورها وبهجتها، رافعين على الدوام عيون قلبنا إلى حيث الرب الآن جالساً عن يمين القوة، وله كل سلطان في السماء وعلى الأرض، ليسوس ويدبر حياة مختاريه بقدرته الفائقة، غافراً لهم كل خطية وتعدٍّ بالصليب الذي أكمل عليه كل ذبائح الإثم والخطيئة لدى الآب، الذي اشتمَّ رائحة طاعة موته وقت المساء، فرضي عن الجُبلة التي انشقت عنه سابقاً وأطاعت عساكر الملائكة الساقطين.

والآن ونحن أقرباء ومحبوبون، ليتنا نعيش في شكر دائم وتسبيح، عالمين أن أخطاءنا العفوية غير قادرة أن تقودنا إلى الموت، وبالتالي لا يلزم أن تكون موضع يأس فنجعلها حاجزاً غير شرعي بيننا وبين الله، فنعطيها سلطاناً ليس هو لها، لأن سلطان الخطية مكسور بالصليب، وكشوكة في الجسد الآدمي قام الرب بكسرها «أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية؟» (١كو ١٥: ٥٥) «وشوكة الموت هي الخطيئة» (١كو ١٥: ٥٦). إذن فقد اضمحل سلطان الخطايا إلى الأبد واندحر الشيطان، ولم يَعُدْ له قوة أن يُحدر إلى الهاوية كل الذين يتمسكون بالدم الإلهي!

لذلك فنحن الآن نحيا في سلطان القيامة، سلطان يسوع الغالب الخطية والموت والهاوية. فكما أن الموت نجوزه الآن وليس له سلطان علينا حالياً بالروح ومُستقبَلاً بالجسد، كذلك الخطيئة التي كانت سابقاً سبباً للموت الأبدي، إذ بعد أن انحلَّ سلطان الموت انحلَّ سلطان الخطيئة بالتبعية أو العكس هو الأصح، ولكن أريد أن أقول كما انحلَّ سلطان الموت فأصبحنا نجوزه ونقوم منذ الآن بالروح، كذلك الخطيئة حينما نقدمها للدم الإلهي بالاعتراف نجوزها ونقوم منها منتصرين وإن كان أثرها يبقى حتماً في الجسد [٧].

ولكن الأمر الواحد الذي أريد أن أغرسه في إيمانك أن الخطيئة ولو أنها فاقدة لسلطان الموت، وليس لها سلطان أن تقف حاجزاً يمنع اتصالنا بالله، إلاَّ أنها مكروهة ومبغوضة جداً من الله ومن الأتقياء، فالذي يستهين بالخطيئة كأنما يستهين بإحزان قلب الرب وكمن يوافق على جرح قلبه وكسره على الصليب. كذلك فالذي يستهين بالخطيئة هو كمن يصالح جسده للشيطان. من أجل هذا ينبغي أن تكون الخطيئة مبغوضة منا جداً. فالعقل الذي **يرتضي** أن تسكن فيه أفكار الخطيئة وتصوراتها لا يستنير بنور الله، والقلب الذي يرتاح لحركة الإثم إن كان حسداً أو حقداً أو عداوة أو نميمة أو كبرياءً أو غضباً أو بغضة أو تحايلاً ومكراً أو خداعاً وغشاً ودوراناً أو حب مال أو شهرة، فأية حركة داخلية من هذه الحركات تمنع سُكنى الروح القدس، والجسد الذي يأخذ السيادة على الروح ويتقدم بالإنسان نحو التعدِّي ويجر الروح ويُحدرها إلى حمأة الطين لا يصبح مناسباً كهيكل لحلول الله.

---

(٧) أثر الخطيئة في الجسد: مثلاً العداوة والبغضة تسيء للأعصاب وتضعفها والغضب والنرفزة والزعيق يسيء إلى القلب والمخ وهكذا.

لذلك الله نفسه يدعونا أن نسهر على عقلنا وقلبنا وجسدنا حتى يمكن أن يحل فينا ويهبنا حياة أبدية، وقد وعدنا بمؤازرة دائمة، فلا يمكن أن يبتدئ أي إنسان مهما كانت خطاياه لكي ينشط ويتوب ويقاوم عمل الخطية في العقل والقلب والجسد إلاَّ ويجد نعمة في حينها. معروف قطعاً لدى الله أن الإنسان غير كفء لأي عمل روحي، لذلك أعطانا الروح القدس ليكون مدبِّراً ومرشداً وهادياً؛ فالذي يتمسك بالروح القدس بكل قوته بالصلاة والتوسل واستقامة النية وإعداد القلب، فحتماً ينتصر ويغلب، لأن الروح سيكون له مُذكِّراً ومؤنِّباً وموبخاً ومعيناً ومُشجعاً معاً، وطوبى لمن تصادق مع الروح القدس، فإنه سيدرك في الحال تفاهة أعماله وجهاده بجوار قدرة نعمة الروح ومؤازرته. ولكن الروح القدس لا يهب هباته إلاَّ للقلب المتيقِّظ المُصلِّي على الدوام الذي يفتش في عيوب نفسه أولاً بأول، ولا يتجاوزها أو يستهين بها أو يدوس عليها بل بدموع يقدمها إلى الله.

القلب المستعلي لا ينال قوة من الله، بل يُترك لجهالة عقله فيسير حسب هوى فكره ويدبر نفسه بنفسه وكل ما تشتهيه ذاته يكون مُهماً لديه ومقدساً، أما القلب المتضع فتسكنه قوة الله ولا تعود مشيئة نفسه مقبولة أمامه بل يكره كل ما يُزيد كرامتها، لذلك يطلب دائماً أن يكرِّم الآخرين ويكرِّم الله وفي هذا تكون راحته، ولا يعود يفتش على عيوب الناس بل تكون مسرته في تفتيش قلبه فقط، ومعرفة خطاياه وفحصها أشهى له من كل الأعمال والمواهب.

وإن كانت أعمال المستعلي القلب كثيرة جداً وعظيمة جداً وناجحة جداً فهي لا تحسب له برّاً، وإن كانت أعمال المتضع القلب قليلة جداً وضعيفة جداً ولا صيت لها ولا اسم فهي تحسب له برّاً، لأن الله لا ينظر إلى الأعمال وإنما ينظر إلى النية التي عُمِلَت بها الأعمال.

وإن كانت حياة المستعلي القلب تظهر من الخارج أنها طاهرة بلا لوم حسب الناموس فهي حسب عين الله حياة مرذولة، وإن كانت حياة المتواضع كلها ضعفاً وكلها خطية حسب الظاهر فهي حسب عين الله حياة مطهرة ومقدسة برحمته: كالعشار وغيره مثال راحاب، السامرية، مريم المصرية... إلخ... وذلك لأن الله وحده هو الذي يقدس حياة الإنسان وهو وحده الذي يطهّر سلوكه وأعماله، والله لا يقدس ولا يطهر إلاّ المتضعين لأنهم يجذبون الله إليهم بمسكنتهم ومذلتهم وفقرهم إليه.

لذلك يمكنني الآن أن أقول لك أنه ليس بالارادة ولا بالأعمال نقترب إلى الله دائماً بالاتضاع الذي هو إحساس قلبي بالفقر والاحتياج الشديد إلى الله وحده! وإن الخطايا لا تلوث الحياة وإنما الكبرياء القلبي والاستعلاء الذاتي هو الذي ينجس الحياة. لأن الاتضاع يعطي فرصة دائمة وقوية ومستمرة لغفران الله وتطهير الدم الإلهي «طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية» (مز ٣٢: ٢). فالخطية تُحسب على المتعظم ولا تُحسب للمنسحق!! وواضح من الآية أن الغفران هبة إلهية وهبات الله للمنسحقين، وأذناه مصغيتان دائماً لصوت طلبتهم «إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي»(أش ٦٦: ٢)!!

****+****

من جهة حفظ الأفكار وعدم تشتتها أثناء النهار وأثناء الصلاة فهذا سهل لمن كان قلبه يحب يسوع شخصياً، ومحبة يسوع سهلة لأنه محبوب من أبيه فهو ابن محبة الآب. ومَنْ لا يحب المحبوب؟ والمسيح يحبنا كل واحد باسمه فكيف لا نحبه؟ لا يمتنع عن محبة المسيح إلاّ الذي أحب العالم! فكل من ترك العالم وراء ظهره ولم يعُد يشتهي شهواته ومسراته

وتسلياته الكاذبة يستطيع أن يحب المسيح. كذلك ما يمنع الإنسان من محبة يسوع أن يكون محباً لنفسه محباً لذاته محباً لكرامته. أما الذي ينوي أن يحب المسيح فعليه أن **يبيع نفسه للمسيح**، والمسيح مستعد أن **يشترينا لحسابه ويتبنانا.**

الذي يحب يسوع، قلبه يكون حاراً ملتهباً بالإحساس بشخصه دائماً. هذا الإحساس يجعل العقل متيقظاً صاحياً، سهلٌ عليه جداً أن يتكلم دائماً مع المسيح ويصلي بانتباه وتكون دموعه سهلة. والدموع في الصلاة علامة على صدق المشاعر وصدق الصلاة.

****+****

الذي أحب الرب لا يعود يطيق أن يحجز هذا الحب في قلبه، فهو يكون ملتهباً دائماً برغبة محبة الآخرين، ومحبة الآخرين تكون هي خدمتهم؛ لذلك فخدمة مدارس الأحد هي فيض من محبة المسيح وهي تنفيس عن الحرارة الملتهبة في القلب لا يستطيع الإنسان أن يحجزها. فطوبى للذي أحب المسيح وأحبَّ خدمة أولاده، لأنه يكون قد تمم الوصية الأولى والعظمى. ولكن يلزم أن يكون الخادم في صلة مع الله ليتقبل منه الدعوة والمشورة.

كونوا معافين.

القمص متى المسكين

ملاحظة: ردودي دائماً كاملة جداً ولكن تحتاج لقراءة منتبهة لأن من خلال السطور تكون الإجابة على الأسئلة.

الرسالة {١٢٤}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عزيزي (ك...)

سلام الله الذي يفوق كل عقل يملأ قلبك أيها العزيز بالرب، وسلام من الله لخطيبتك، مع الدعاء والبركة ليكمل القدير اختياره فيكما لمجد اسمه وهناء قلبيكما وسعادة أسرتيكما وفرح أصدقائكما ومسرة نفسي معكما. سُررت بقرب تحديد ميعاد خطوبتكما لأني أصلي في قلبي دائماً أن يعجل الله زواجكما لأني أرجو من ورائه استقراراً ونضوجاً وراحة بالجسد والروح.

أما بخصوص تدبير الزوجية فلي ثقة من قبل الرب أن تكون خطوات حياتكما تسير بالنعمة من يوم إلى يوم بلا تحديد ولا مناهج، إنما في ظل مخافة الله وإخلاص نفسيكما بعضكما لبعض.

أود أن لا تنعكف على نفسك كثيراً، فأرجو أن يكون لك زيارات لأصدقائك المحبين لك الأتقياء مع حضور حلقات دروس الكتاب في الكنائس النشيطة، مع الرياضة الجسدية، مع الاعتناء بصحتك وتغذيتك.

إني أصلي من أجلك في هذه الأيام لتزداد قدرتك في ضبط نفسك من جهة التدبير الروحي عموماً، ضبطاً في الفكر، ضبطاً في النظر، ضبطاً في الغضب، ضبطاً في كل شيء، لأنه يُزيد من كفاءتك الشخصية وقداستك وخصب حياتك.

اقبل محبتي الكثيرة وكن معافى باسم الثالوث الأقدس

القمص متى المسكين

الرسالة {١٢٥}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عزيزي (ك...)

سلام الله الذي يفوق كل عقل يملأ قلبك أيها الحبيب. أهديك محبتي متوسلاً من أجل حياتك في كل صلاتي حتى يرفع الله وجهي أمام الناس ويصنع معك ومعي معروفاً يدوم إلى الأبد. فلا تتعثر حياتك ولا تضعف بل تكون آية لرحمة الله.

قرأت خطابك، وقرأت اعترافاتك بتدقيق وسوف أرسل لك خطاباً مفصلاً عن توجيه حياتك وتدبير صلواتك بناءً على التقرير الذي أرسلتَه. وفي الحقيقة أنا مسرور غاية السرور بتدقيقك في تسجيل حياتك ومواظبتك على الصلاة والقراءة والميطانيات ولا شك أن الثمر الروحي سوف تظهر بوادره إن واظبت على هذا النشاط. أما بخصوص العثرات فهي تشير بوضوح وبلا أدنى شك إلى حاجتك المُلحَّة إلى الاستقرار الجنسي.

وأنا أناشدك أمام الله وبشهادة القديسين وبالأخص القديسة العذراء مريم شفيعتنا أن تنظر إلى موضوع الزواج نظرة جدية، فهو المخرج الوحيد **لحفظ سلامك وضمان خلاصك واستقرار حياتك**، أتوسل إليك أن تسمع نصيحتي ولا تتأخر. أما من جهتي فأنا سأؤازرك بصوم خاص وصلاة حتى يهبك الروح القدس شجاعة وإقداماً واتضاعاً لتكمل زواجك بدون النظر إلى أي عراقيل، كن معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٢٦}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

العزيز (ك...)

نعمة وبركة وسلام من الله لروحك أيها الابن المطيع المبارك. سررتُ وسررتُ وسررتُ بطاعة محبتك. الله القادر على كل شيء يكمل زواجك بأختنا المباركة (ل...) ويجعل قرانكما خلاصاً وكمالاً للروح.

١- اعكف على الصلاة، لأن بالصلاة تتقدس أعمالك كلها.

٢- اثبت في طاعتك للروح القدس، حتى تتخلص من مشورة الجسد.

٣- تشجع في تحمُّل كل المسئوليات، لأنها وإن ظهرت كصليب فهي إكليلك.

٤- لا تغضب، لأن غضب الإنسان لا يصنع برَّ الله.

٥- لا تنساق وراء العواطف، بل ارجع دائماً إلى رزانة الفكر الإنجيلي.

٦- اجعل صلتك بعائلة نسيبك الفاضل المحترم (...) تقوم **على أساس الروح**، وتوصل رسالة الإنجيل في قالب المحبة. وتجنب الحديث عن الجسديات. وتجنب الحديث عن نفسك.

٧- علاقتك بخطيبتك تظل مقدسة تحت عين الله.

٨- لا تكن مُسرفاً في حياتك، وابدأ في أن تقتصد في مصروفك.

كن معافى

القمص متى المسكين

الرسالة {١٢٧}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عيد الميلاد يناير ١٩٦٧م

عزيزي الأخ (ك...) دام

سلام الله لروحك أيها العزيز بالرب والمحبوب من جميعنا. نتعشم في وجه ربنا يسوع بسؤال وطلبة أن يملأ نفسك بنعمته لتدرك مراحم الله المحيطة بك، وينبِّه قلبك لواجب الشكر.

في عيد الميلاد أهديك محبتي الصادقة التي استمدها من محبة يسوع، متضرعاً من أجل نفسك لدى الروح القدس أن تكمل خلاصها ويحوِّل كل الظروف المحيطة بك إلى منفعة روحك.

خطابك الأخير فيه تذمُّر، احذر من التذمر لأنه لا يوجد تقصير قط من جهة الله نحوك. فما هو الخير والصلاح والمعونة التي طلبتها و لم يُعطِها الله لك؟

بل أقول ما هو الخطأ والعيب الذي تورطتَ فيه بإرادتك، و لم يرفعه الله عنك وينقذك منه؟

بل أقول من هو الإنسان الذي دلَّه الله وأحبه مثلما دلَّك وأحبك؟ بل أقول فتش وأنظر إن كان يوجد إنسان منذ الدهر جمع بين المال والروح، والغِنى والفقر. والشباب والتقوى، والخطية والغفران، والاستهتار وعناية الله مثلما عمل الله فيك؟

لماذا تهمل الاعتراف بعناية النعمة، لماذا تتجاهل رحمة الله، لماذا تتناسى عطف العذراء مريم عليك وعلى ضعفك؟ لماذا تستصغر الصلاة والدموع

المرفوعة من أجلك؟ إن كنت تريد أن تجرب الله فاحذر لأن له حدوداً في الاستثناءات، ووراءك مُشتكي يشتكي ضدك بسبب محاباة الله لك!!

قم يا أخ أمين، استيقظ، وليضئ لك نور المسيح.

ليس المطلوب منك أن تنفق على الله من وقتك للصلاة!

ولكنك تصلي أولاً وقبل كل شيء لكي لا تدخل في تجربة!!!

أنت لا تتصدَّق على الله حينما تعطي هذا جنيهاً وهذا عشرة! ولكنك إذ تعطي مالك صدقة، فكل ما تبقى لك يتطهَّر!! كقول الإنجيل.

وإذا لم تعطِ، فالله لن يجوع، ولكن أنت ستعتاز رحمة الله وتقديسه لك!!

أنت لا تزيد الله طهارة بطهارتك، وحفظك لعينيك من شهوة الأجساد والوجوه. ولكنك إذا لم تفعل ذلك فلن تجد راحة، لأن الروح القدس يسكن فيك الآن وهو الذي لا يستريح عندما تزلُّ عيناك وعندما يتنجس قلبك، فهو يُقلقك حتى تكف عن الأعمال الميتة التي لا تُزيدك شيئاً بل وتورِّثك التعب.

يا أخ (ك...) الله لا يطلب منك أن تجاهد بقوتك وبذاتك لأن قوتك لا شيء. وذاتك يطالبك الله أن تجحدها برمتها.

الله يقول لك «بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً» (يو ١٥: ٥)

فالرجاء من حضرتك أن تبدأ تصرخ لله أن يعمل فيك برحمته، وحينئذ الذي يستلزم منك أن تعمله بجهدك في عشر سنين يعمله لك في ليلة!!

يا أخ (ك...) لتكن طلبتك في هذه الأيام متركِّزة في الاستسلام لله

وليس الاستسلام للدنيا ولا الاستسلام لليأس. سلِّم نفسك وجسدك لله، سلِّم روحك وعقلك لله، سلِّم لسانك وعينك لله.

اسهر في الصلاة وحدك.

اسهر في الصلاة وحدك.

اسهر في الصلاة وحدك.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٢٨}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عزيزي (ك...)

سلام الله لروحك أيها الحبيب.

أهدي محبتك تحياتنا وتمنياتنا الطيبة بعيد القيامة المجيد. سائلاً إلهي أن يحفظ حياتك في هدوء وسلامة المسيح وأن يجعل روح القيامة فعَّالاً في جسدك وروحك لتبلغ إلى ملء نعمة المسيح وتفرح بخلاصك.

كن معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٢٩}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عزيزي (ك...)

سلام من الله لروحك أيها الأخ العزيز، وسلام لخطيبتك.

أين الجدول؟ أنت تريد مني أن أكتب إليك، وأنت لا تريد أن تكتب إليَّ لماذا؟ أنت تعلم يا حبيبي أن كتابتك لي تطمئنني دائماً عن أحوالك وظروفك وهي التي تشجعني للكتابة إليك. فأرجوك أن لاتتأخر أبداً في الكتابة وتنفيذ الجدول لأنه ضروري لحياتك.

لقد ترجَّيتك أن تهتم بميعاد الزواج فلماذا لم تهتم به؟

وبالرغم من إهمالك أنا لا أستطيع أن أنسى محبتك وباستمرار أصلي من أجلك متوسلاً لدى الله أن يجعل حياتك نوراً وخلاصاً ومجداً لاسمه القدوس. وبخصوص الكتابة للأخت المباركة خطيبتك أرجو أن تعلم تماماً أن الصلاة من أجل نفسها وروحها أثمن بكثير من الكتابة ولكني أكتب إليها:

أيتها الأخت المباركة اعلمي أن حياتك كوعاء طاهر مقدس، بقدر ما تقدميه لله كل يوم بقدر ما يمتلئ من روح الله، فلا تكُفِّي أبداً من تقديم نفسك كذبيحة محبة حتى تصيري يوماً فيوماً أكثر انطباعاً بمشيئة الله.

لا يمكن للذبيحة أن تُقبل إلاَّ إذا كان صاحبها يقدمها من كل قلبه، بمعنى أن لا يكون لك في قلبك اهتمام بشيء قط سوى محبة المسيح.

حينما تزداد المحبة في قلبك للمسيح، فهذا معناه أن الذبيحة ابتدأت تلتهمها نار الله.

حينما تصير المحبة متأججة جداً، يكون هذا إيذاناً بحلـــول العـــريس السمائي في القلب.

إن السعادة والسلام والنصرة والحكمة التي ينالها الإنسان في عشـــرته للمسيح تفوق كل وصف وقادرة أن تغلب كل ظروف الحياة وتســـود فوق كل العواصف.

محبة المسيح هي عملنا الوحيد على الأرض وهي مصـــدر الســـعادة الوحيد لنا.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين.

الرسالة {١٣٠}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عزيزي الأخ (ك...)

سلام من الله لروحك وسلام لزوجتك أختنا الجديدة في الرب.

أتعشم في وجه يسوع المسيح أن تكون حياتكم نامية في الروح وفي مخافة الله وأن يكون كل واحد منكم رسول محبة وسلام وتعزية للآخر حتى تمتلئ حياتكم بركة وتكونان قدوة طاهرة للزواج المسيحي.

أريد من الأخت زوجتك أن تهتم بقراءة الإنجيل العهد الجديد من الأول بالتدقيق وتكتب كل الأسئلة التي تعترض فهمها، كما أريد منها أن تواظب على الصلاة في الصباح بعد خروجك، ويكون تأملها أثناء النهار في كتاب الاقتداء بالمسيح، وأن تتعلم الترتيل. وتكتب جدول بقراءاتها وصلواتها وتأملاتها حتى أطلع عليه.

وأنا منتظر تتميم وعدك بكتابة جدول منظم شهري، في نوتة محترمة ترسلها كل شهر لأنه لا يوجد أمامي صورة واضحة عن حياتك الآن. أتوسل أن تكف عن الكلام ضد الرؤساء في العمل لأن هذا لا يليق بأولاد المسيح، وأن تنشط في قراءاتك الروحية وصلواتك. وأنا منتظرك لأتكلم معك فماً لفم في الميعاد الذي حددته.

وأخيراً أتوسل لدى الله القادر على كل شيء أن يضيء حياتك وحياة (ل...) بالروح القدس ليجعل منكما قديسين كاملين في الجسد والروح والمحبة. كن معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٣١}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

عزيزي (ك...)

نعمة وبركة وسلام من الله لشخصك العزيز ولزوجتك المختارة.

أُهديك محبتي في شخص يسوع الذي جمع قلوبنا وأرواحنا لنتحد معاً فيه بعمل روحه القدوس، طالباً من أجلك حياة مقدسة خصبة تعلو فيها الشهادة للمسيح بالسيرة الطاهرة التي بلا لوم ولا عثرة أمامه وأمام العالم. وإني لا أزال أجاهد أمام الله في صلواتي حتى تستقر حياتك الزوجية بكل معنى الاستقرار، إذ أشعر أني هكذا مسئول عن سلامتك وسلامة زوجتك في كل شيء حتى الأمور البسيطة الجسدية فكم يكون شعوري بجسامة المسئولية من جهة خلاص روحيكما في يوم الرب حتى تلبسا معاً إكليلاً واحداً هو إكليل الظفر الذي ينبغي أن تتهيئا معاً له بالتواضع بعضكما لبعض والمحبة الطاهرة التي من قلب صادق؟ ولكن أتوسل إليكما معاً أن تؤازراني في الصلاة حتى لا يجد الروح فيكما عائقاً لعمل نعمته، وإن كان استعداد كل واحد منكما للتنازل عن راحته لراحة الآخر، وعن فكره لفكر الآخر باستمرار، حتى لا يجد العدو فيكما مكاناً قط. كما أني فرح ومسرور لأن كل اهتمامكما هو لإرضاء الرب أولاً إذ في إرضاء الرب ومخافته إرضاء لكل إنسان بالحق. لذلك أتمنى أن يدوم فرحي وسروري بسببكما عندما أسمع بتقدمكما في الصلاة والتقوى القلبية والاهتمام بالإنجيل.

وإني واثق أنه بمقدار اهتمامكما بالصلاة والقراءة في الإنجيل بمقدار ما

تستقر حياتكما وترتاح نفسكما، ويدوم فرحكما وسروركما. لأن الحياة جميلة وبسيطة ومُفرحة لقلب الإنسان إن هو أدخل الرب في كل أمورها، الكبير منها والصغير على السواء. فاطلبا الرب ودواماً وفي كل شيء ليرشدكما ويسند خطواتكما ويحول كل شيء لخلاصكما. وختاماً لا أزال مصلياً عنكما بكل قلبي منتظراً أن أسمع عنكما ما يُفرح روحي، واثقاً أن الذي جمعكما هو المسيح وهو قادر أن يكون ثالثاً لكما على الدوام يربط قلبيكما معاً بقلبه برباط المحبة الروحية التي لا تضعف ولا تزول قط. وليستجب الآب السماوي لدعائي ورجائي في المسيح إكراماً لدمه الكريم.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين.

الرسالة {١٣٢}

توجيهات في الحياة اليومية (تابع)

يناير ١٩٧٠م

عزيزي المحبوب (ك...)

سلام من الله ومحبة روحية وقبلة مقدسة لروحك أيها الإنسان المبارك وسلام وتحية وصلاة من كل قلبي لزوجتك التقية المخلصة.

أهديكما تهاني عيد الميلاد متوسلاً لدى ربي وإلهي يسوع المسيح أن يجعل هذه السنة سنة خير وبركة ونماء لحياتكما في الروح والجسد، متضرعاً إلى القدير أن يرزقكما نسلاً مقدساً صالحاً يملأ حياتكما تسلية وعزاء.

علمت بأتعابك في العمل ورفعت قلبي بالصلاة أن يتدَّخل كما تدَّخل مرات كثيرة سابقة ويهدئ الرؤساء ويرعى ضعفك ويجعلك تجد نعمة في عين الجميع، ولكن أطلب إليك أيها الابن المبارك والمطيع أن لا تستثقل نير الخدمة ولا تحاول إطلاقاً أن تستبدل العمل أو تفكر في الخروج من الوظيفة، بل اترك كل شيء تحت يد الآب الحنون الذي يستطيع أن يذلل كل الصعاب أمام وجهك ويهدي أقدامك في طريق السلام.

وختاماً بركات عيد الميلاد وأفراح الملائكة وبُشرى خلاص الرعاة فلتحل عليكما وتملأ بيتكما.

كونوا معافين بقوة الله.

القمص متى المسكين.

الرسالة {١٣٣}

توجيهات في الحياة الروحية

يناير ١٩٧١م

عزيزي دكتور (ج...)

سلام من الله لكم مع الدعاء بالبركة طالباً من الله أن يشمل حياتكما مع ابنكما بالعناية والحفظ الإلهي لتكونوا جميعاً موفَّقين في كل أموركم الجسدية، نامين في معرفة الرب مُحبين لبعضكم البعض، غير مهملين قراءة الإنجيل الذي هو كلمة الله التي ستورثكم ملكوته الأبدي؛ عالمين أن كل شيء مهما عظم وكل حياة مهما عَلَت في مجدها وغناها ستؤول في النهاية إلى التراب. والإنسان عند رحيله إلى السماء يترك كل شيء وراءه ولا يأخذ معه إلاَّ تقواه وصلواته وأصوامه ودموعه وحبه للمسيح. فهذه وحدها هي غناه الحقيقي الذي سيرافقه في رحلته الكبيرة الأبدية.

أتعشم في وجه ربنا يسوع المسيح أن يكون هذا العيد المبارك بدء سنة مباركة في حياتك وحياة زوجتك وأولادك. أسأل الرب يسوع مولود بيت لحم أن يهبك إشراقة الروح في القلب التي رُمِزَ لها في الإنجيل بالنجم السمائي المتحرك، لكي تقود قلبك الوديع حيث المسيح دائماً لتقديم هداياك من كنوز الفضائل التي غرسها المسيح في حياتك ذهباً حقيقياً مُصفًّى بالنار الذي هو إيمانك النقي المزكّى بالتجربة، ولباناً عطراً الذي هو صلوات القداسة بطهارة القلب، ومُرّاً زكياً الذي هو بذْلك السخي باستعداد الآلام في البشارة والمناداة بالخلاص باسم المسيح. ناظراً إلى المسيح الموضوع في تبن المذود لكي ينبه روحك إلى عظمة الفقر

المحسوب أنه الباب الأول الذي دخل منه الله ليكمل خلاصنا لأنه وهو الغني لم يخلِّصنا بغناه بل تحتم أن يفتقر – ليدخل إلينا – حتى بفقره نستغني بكل غنى السماء. وناظراً إلى هذه العذراء الوديعة التي بعفتها وطهارتها صارت أماً لكل أولاد الرب حتى ينتبه ذهنك إلى أن العفة الصادقة هي باب التبني وإنجاب البنين الروحانيين، وأن بالطهارة الجسدية والقلبية تقوم أمومة الكنيسة وتُدشَّن معموديتها السرية بالروح.

إلهنا الصالح يملأ حياتك من الفضائل التي هي لائقة بطبيعة أخلاقك الطيبة واستعداد روحك الذي أثق بالرب أنه فعلاً إناء مختار لكل موهبة روحانية.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٣٤}

توجيهات للحياة اليومية

فبراير ١٩٧١م

عزيزي دكتور (ج...)

سلام من رب السلام ومحبة قلبية في شخص الفادي. أتعشم أن يصلك خطابي هذا وتكون الحالة قد انجلت عن مضاعفات بَرْد يزيلها الرب بقوته وإحسانه ومراحمه الكثيرة. الموضوع حسب رغبة السيدة الفاضلة زوجتكم في طي الكتمان ولكن القلوب كلها تبتهل من أجل شفائك، لأن الرب والكنيسة كلها تفرح بذلك، ولنا ثقة وطيدة أننا سنفرح بشفائك وبمجد الله الذي سيتجلى في صنيعه معك. صحيح أن حياتنا تافهة بالنسبة لمجد الله ولكن هو يشاء دائماً أن يُظهر مجده في حياتنا، فلنمجده ونباركه على اتضاعه الذي يحرك قلوبنا رغماً عنا بالتسبيح والشكر في كل حال ومن أجل كل حال. إنها فرصة، ربما كان خطاب أختنا زوجتكم له دخل كبير فيها لأشرح لك مقدار ما نحمله لك من إخلاص وحب. وإني أعتبر نفسي مقصراً جداً في السؤال عنكم، ولكني أتوسل لدى الله أن يقبل من ضعفي ومسكنتي تضرعي أمامه من أجلك ليسندك الرب الإله بيمينه ويقيمك في صحة أوفر وأكثر لخدمة اسمه المبارك. كذلك إني متوسل بشفيعة حياتنا وخلاصنا أمنا العذراء الطيبة مريم لكي تتكرم بزيارة من عندها لك لتطمئنك أن هذا المرض لمجد الله ولزيادة فاعلية حبنا له ولها، وأنا واثق من إتضاع أمنا أن هذا زمان الشفاعة وأنتم في غربتكم؛ فلْتصِر العذراء لكم وطناً وعزاءً وقوة وسنداً.

وأرجوا عندما يمنُّ الله بمعجزته ويطمئن قلوبكم أن تطمئنوني أنا أيضاً

لأشترك معكم في تقديم الشكر لله وللعذراء.

سلامي الكثير ومحبتي القلبية الخالصة للدكتور (...) وعائلته.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٣٥}

أوائل الستينيات

تأملات عن النعمة

الدكتور (ج...)

- النعمة هبة مجانية وهي تعبير عن مسرة مشيئة الله الدائمة من نحو الإنسان.
- والنعمة تظهر بوضوح تجاه الإنسان الخاطئ، وقد ظهرت بصورتها العظمى في تبرير المسيح للخطاة بموته عنهم "وهم بعد خطاة".
- المسيح أراد أن يرسم صورتها للناس قبل موته حينما أطلق الزانية بدون دينونة؛ والمرأة الخاطئة مُبرأةً من كل خطاياها بدون مقابل.
- الله يريدنا أن نفهم جيداً أن تبرير الخطأة والفُجَّار تُعدُّ عملاً يختص بقدرة الله، أي هو **عمل إلهي** لدرجة أن مجرد من يؤمن بأن الله قادر أن يبرِّر الفاجر، يحسب له الله إيمانه هذا برّاً أيضاً.
- مع أن الإنسان خاطئ بطبعه وليس أحد بلا خطيئة، "ليس بار ليس ولا واحد"، وبالرغم من ذلك فالإنسان لا يستطيع أن يتبرر في عين أخيه، ربما كل إنسان يستطيع أن يبرر نفسه، وأما أن يبرر إنساناً خاطئاً أو فاجراً فهذا أمر عسير بل ومستحيل. ومن هنا تظهر قوة وقدرة الله أنها فائقة فعلاً إذ في استطاعته وهو قدوس وهو بار وصالح أن ينظر إلى الفاجر مبرِّراً إياه

بمشاعره وبمشيئته أيضاً، هذا يسمَّى نعمة. وهذه النعمة هي معجزة الله!! ومن يؤمن بها يتبرر أيضاً!!

- لكي تتفاضل النعمة جداً ولكي تتزكى في أعيننا للغاية، يلزم أن ندرك أن الإنسان الفاجر الذي يبرره الله لا يعتبره الله بعد ذلك كأنه أخذ شيئاً ليس له كمن يلبس ثوباً ليس ملكه أو ينظر إليه كإنسان كان يوماً ما خاطئاً وفاجراً، أبداً. فالله لما يبرر الفاجر يُبرِّره بعدله الرحيم فينال البراءة الكاملة من الله وكأنه لم يخطئ في حياته قط، ويتراءى أمام الله والملائكة كواحد منهم. «لأني أكون صفوحاً عن آثامهم، ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد » (عب ٨: ١٢).

- بدون نعمة الله يبقى الإنسان كمية من الخطيئة وكومة من الفساد ولا يستحق أن يرفع نظره إلى السماء أو يترجى شيئاً من عطايا الخلود، ولكن بالنعمة ينال الخلاص والتبرير ويصير واحداً من «أهل بيت الله» (أف ٢: ١٩)، "وارثاً لله بالمسيح" "ابناً" «وشريك الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤). محبوباً من الآب والابن والروح القدس كشيء مهم في نظر الله.

- إن كانت نعمة الله تستطيع وتشاء أن تبرر الفاجر، فهل يمكن أن يوجد إنسان يستطيع أن يقول إنه مستحق لنعمة الله؟ وهل يليق لأحد أن يعتذر عن قبول دعوة المجيء إلى الله؟

- إن كنت فاجراً حقاً فالنعمة من نصيبك حقاً!!!

- إن كنت خاطئاً حقاً، وإن كانت حياتك السابقة فاترة ليس فيها نار المحبة الإلهية التي جاء المسيح ليُضرمها في قلب الإنسان،

وإن كانت أعمالك السابقة كلها ليس فيها رحمة ولا لطفاً ولا مجاملة للناس فأنت ماذا أنت؟ خاطيء وفاجر؟ هذا كله يؤهلك لقبول نعمة الله الخصوصية!! والسماء كلها مستعدة أن تفرح بك.

- إن كنت تشعر في نفسك أنك غير جدير إطلاقاً برحمة الله وغير مستحق أبداً أن تقف أمامه أو ترفع صوتك بالصلاة له أو تدخل بيته أو تقف أمام مذبحه لتشترك في وليمته، فأنت إذن الفاجر الذي يطلبه الله والذي أَعدَّ له نعمته المجانية واذَّخر له محبته، وأمر السماء كلها أن تترقب مجيئه.

- ماذا يمكن أن تكون بعد ذلك، هل صارت حياتك كلها شكلية تهتم بالمظاهر وتتراءى للناس أنك معلم وتخدم وتعظ وتقضي أوقاتك في بيت الله وتتحدث بالإنجيل والآية، ولكن بالرغم من ذلك تجد الخطيئة ساكنة في أعماقك وتتكلم بغير ما تعمل وتعمل بغير ما تؤمن، وتنادي بالتوبة وأنت لا تشعر بها، إذن فماذا أنت؟ مُرائي؟ فاجر؟ إذن أنت ضيف النعمة ولذَّتها، وهي تطلبك بإلحاح لتكمل عملها فيك ويكمل عملك بها، وأعلم أن مسرة النعمة هي في الخطاة.

- أكرر لك أن النعمة هي وقف على من يشعر أنه لا يستحقها، والخلاص هو من أجل الفُجَّار والخطاة جداً. أما الذي لا يشعر أنه خاطئ ولا يحس أنه فاجر أبداً فهذا بعيد عن النعمة بعيد عن الخلاص «الحكمة بَنَت بيتها من هو جاهل فلْيملْ إلى هنا» (أم ٩: ١، ٤)

- **الذي يبرر نفسه**، إما هو ضال وإما هو مُضِلٌّ، لأن الكتاب المقدس لا يكذب «ليس بار ولا واحد!!» (رو ٣: ١٠)
- **الذي يبرر نفسه**، ليس له نصيب في النعمة، وكلمة الخلاص بعيدة عنه، والإنجيل كله يصير له عديم الفائدة؛ ولو تناول كل يوم فهو غريب عن الجسد.
- إنسان واحد فقط في جميع أنواع البشر هو الذي لا تستطيع النعمة أن تفتقده هو "البار في عين نفسه"، وهو لن يستفيد من تجسد المسيح ولا موته ولا قيامته حسب قول المسيح: «لم آت لأدعوا أبراراً» (مت ٩: ١٣). والله نفسه لا يستطيع أن **"يبرر البار"**.
- يوجد إنسان يقول **إنه خاطئ** ولا يشعر بخطيئته **ويدَّعي أنه غير بار**، بينما هو يرى في نفسه من الداخل أنه لم يفعل شيئاً يستوجب الدينونة. ويقرع صدره ويتذلل أمام الناس، وهو في أعماقه ليس كذلك. هذا هو **"الخاطئ المزيف والفاجر المدَّعي"**. هذا يريد أن يتمجد من الناس ليقولوا عنه إنه **"بار"** و**"صدِّيق"**. هذا لا تعرفه النعمة ولا تستطيع أن تساكنه.

النعمة الحقة للخاطئ الحقيقي.

المسيح مسيح الخطاة والإنجيل إنجيل الخطاة.

والنعمة لخلاص وتبرير الخاطئ.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٣٦}

توجيهات في الحياة المسيحية العائلية

(من الرسالة ١٣٦ - ١٤٢)

عزيزي وأخي الحبيب (ش...)

نعمة لك وبركة وسلام من الله.

أتعشم في وجه السيد المسيح أن تكون في ملء سلامك الروحي وتعزيتك بالإنجيل المبارك مع أختنا العزيزة زوجتك وأولادك المشتاق إلى رؤيتهم، ولكن أكتفي بذكرهم دائماً في الصلاة فأرتاح. أما أنت، فأنا واثق أن الله قد وضع اسمك أمامه وعليك أن تكمل مشيئته المباركة لتنال نصيبك الصالح المذخر لك. لذلك أوصيك أن تهتم بنفسك روحياً وتواظب على الصلاة في مخدعك مع أسرتك وبمفردك، وتكون تعزيتك مستمرة بالقراءة في الكتاب المقدس، وبالأخص في رسائل بولس الرسول لأنها نافعة جداً لإرشادنا في الطريق.

واعلم أيها الأخ الحبيب أن هذا وقت مقبول أمام الله، فلا تؤجل عمل الله لأنه ليس هناك وقت مناسب وموافق للصلاة والتأمل في مراحمه أفضل من هذه الساعة. ولتبدأ الآن في رفع قلبك بالصلاة وتقديم كلمات العبادة والشكر والحب مستمراً في صلتك الداخلية. ولا تجعل أي عمل يعوقك عن الاستمرار في حديثك مع الله، بل ارفق كل عمل بالصلاة الداخلية، واجعل مع كل اهتمام عالمي اهتماماً روحياً حتى تتقدس حياتك وأيامك وساعاتك وأعمالك وأقوالك وأفكارك جميعاً فتكون لائقاً للعِشرة المقدسة الدائمة مع إلهك.

وثِقْ، أيها الحبيب، أن اهتمامات العالم الحاضر إذا كانت ممزوجة

بالعبادة والشكر، فإنها تكون مباركة ونافعة؛ أما إذا خَلَت من الله واسمه وشكره ودوام إشراكه معنا في كل عمل، فإنها تصير تافهة وباطلة. وبهذا ترى أن وصية بولس الرسول صحيحة أن «كل شيء طاهر للطاهرين» (تي ١: ١٥).

واعلم أن وصية الرب فيها قوة من ذاتها تساعد المتقدم لتنفيذها على تكميلها مهما كانت صعبة ومهما كنا ضعافاً، لأن كلمة الرب روح وحياة، كما أعلن السيد المسيح «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو ٦: ٦٣).

ومن هنا تدرك قوة الوصية على إنارة الذهن وتفهيم القلب بل وإقامة الإنسان من موت الخطية إلى حياة البر، لكل من يتمسك بالحق الذي فيها.

وكل وصية فيها أيضاً حقٌّ لا يقبله العالم ولكن علينا أن نتمسك به، وكل من تمسك بالحق تحرَّر من عبودية العالم، وصار يشعر أنه ابن الله «تعرفون الحق والحق يحرركم» (يو ٨: ٣٢).

أرأيت معي كم هو نفع الوصية! ليتك تجرب الآن وتبدأ في حفظ مبادئ الإنجيل، لأنها لذة تفوق العقل والوصف، وكما قلت لك إن بولس الرسول له في رسائله استنارة روحية عجيبة قادرة أن تنير العينين، وتفتح الذهن لحقائق روحية كثيرة نافعة ولائقة ومفيدة للحياة في هذا الدهر وللدهر الآتي أيضاً.

وتجدني أتمنى لو كانت رسائلك بها أسئلة روحية، وأنا على استعداد للإجابة عنها بما يناسب روحك.

اقبلوا جميعاً محبتي وسلامي، كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

أخوك في الرب

الرسالة {١٣٧}

توجيهات في الحياة المسيحية العائلية (تابع)

عزيزي الأخ الحبيب (ش...)

نعمة لك وسلام من الله القادر أن يبارك حياتك ويجعلك مثمراً في كل شيء، ويقويك لخلاص نفسك وأهل بيتك. وإني دائماً أطلب أن يكون لك نصيب صالح في ملكوت ربنا، ولتكون حياتك وجهادك وخدمتك وتعبك وعطاياك مقبولة أمامه تصعد تذكاراً لمحبتك عن نفسك وعن زوجتك وأولادك الذين أعطاهم لك الرب.

ورجائي أن يكون لكلمة الإنجيل مكان في قلبك، فتداوم بغير ملل، وبسؤال أمام الله من ضمير نقي أن يفتح لك الرب ذهنك بالروح القدس لتفهم أعماق الروح الكائن في وصايا الإنجيل لقيادة نفسك حسب مسرة مشيئة الله الصالحة والمرْضية والكاملة، لأن كلمة الله حية وفعالة وقادرة أن تُحكِّمك للخلاص وتُلبس ضميرك شجاعة قُبالة تجارب الحياة ومشقّات الجهاد حسب الحق. لأنك إذا سرتَ حسب حق الله والإنجيل وأعددت نفسك لحياة البر والتقوى والتمسك بالله، فلابد أن تُختبر بأنواع ضيقات، حينئذ تكون كلمة الإنجيل فعَّالة في قلبك وضميرك، عاملة بالروح المعزِّي لتعزية نفسك وتشجعك للسير في طريق الآلام، لتشارك مخلِّصك في أنواع الآلام التي جازها، حتى يكون لك أيضاً حقُّ المشاركة معه في مجده وملكوته وميراثه.

لذلك، اجعل فكرك دائماً مشغولاً بكلام السيد وبوصاياه، لأن هذا هو الزيُّ (الثوب) الأبيض الذي هو لباس القديسين، واجعل الآيات

المقدسة في فمك دائماً، سواء في الأفراح والمسرات والخيرات للشكر والتسبيح، أو في أوقات الكَرب والضيق والألم للصبر والتعزية والثبات في رجاء النصرة.

آباؤنا الأوائل كانت كلمة الإنجيل تجري على أفواههم في كل مناسبة، حتى كانت لغتهم تكاد تكون عبارة عن تكرار لكلمات الإنجيل، فكانت حياتهم مملوءة بركة وكانوا قادرين دائماً على تحمُّل مشقات الاضطهاد المتنوع بصبر وقوة، وكانوا مستعدين دائماً للشهادة باسم المسيح في أخطر الظروف وأمام الولاة الوثنيين والسلاطين القساة الظالمين. وكانت حياتهم رخيصة في عينهم، مستعدين للموت في كل لحظة بسبب كلمات الحياة التي كانت تملأ قلوبهم وعقولهم، وبسبب رجائهم الحي في الحياة بعد الموت، حسب وعد ربنا وحسب شهادة الروح القدس في أنفسنا.

لذلك، ليكن الإنجيل هو كتابك الحلو الذي لا يفارقك في أثناء عملك وأثناء راحتك وأثناء فرحك وأثناء تعبك لأنه نافع ولائق لكل شيء.

ابتدئ بفحص المبادئ التي فيه، واحفظ وصاياه، لأنها هي التي تُزيدك حكمة للخلاص، بل وأيضاً حكمة بين الناس. فإن كانت لك قدرة على تصريف الأمور الآن فثق أنك لو أتقنت قراءة الإنجيل وحفظت مبادئه فإنك تكون أقدر الناس جميعاً، لأنه يعطي إفرازاً روحياً لمعرفة الخير والشر وحكمة خاصة لتمييز مشيئة الله، الأمر الذي يُزيدنا فهماً لأمور هذه الحياة والحياة الأخرى أيضاً.

وإذا كان داود وهو ملك كان يصلي ٧ مرات في اليوم وألَّف بالروح

١٥٠ مزموراً، والملك ادوارد ملك إنجلترا قرأ الكتاب المقدس ٨ مرات، وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي تشجعنا على الإقبال لمطالعة الإنجيل بالرغم من كثرة مشاغلنا؛ لذلك يجب كما يقول بولس الرسول لا نهمل خلاصاً معروضاً علينا هذا مقداره، لأنه بالجهد اليسير الذي نبذل هنا نكسب حياة أبدية لا نهاية لها، ومجداً عظيماً لا يُقاس بأنواع التضحيات التي نُضحيها هنا حتى ولو كانت بالحياة نفسها وسفك الدم.

وثق أنَّ أعظم طريقة يمكن أن تُعلِّم بها أولادك مخافة الله هي أن تجلس **وحدك** في غرفتك الخاصة **بعيداً عنهم** وتقرأ الإنجيل باستمرار، فتنطبع هذه الصورة في أذهانهم، فيشبُّوا على معرفتهم بضرورة الاعتكاف والصلاة وقراءة الإنجيل في الخلوة. لأن ما تعمله أمام أولادك باهتمام وانتظام ومثابرة وجَدٍّ يعتبرونه هم أنه من ضروريات الحياة؛ أما إذا كانت قراءتك بلا اهتمام وبلا انتظام، فلن يأخذوا الدِّين ولا الإنجيل بمأخذ الجد هم أيضاً إذا شبَّوا وكبروا.

واعلم أنه كما تجاهد جسدانياً لإطعام هذه النفوس جسدياً، عليك أن تجاهد أيضاً بصورة جدية واضحة لتغذيتهم روحياً أيضاً، حتى تستطيع في اليوم الأخير أن تتقدم أمام عرش الله وأولادك وزوجتك معك بوجه فرح وفم مملوء حمداً، وتقول: «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الرب» (إش ٨: ١٨)، «أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش ٢٤: ٥).

الرب الإله يحفظ نفسك وجسدك وروحك بلا عثرة ولا لوم ويجعلك بركة أنت ونسلك إلى الأبد.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس

القمص متى المسكين

الرسالة {١٣٨}

توجيهات في الحياة المسيحية العائلية (تابع)

أخي العزيز(ش...)

نعمة وبركة وسلام من الله لشخصك العزيز وأختنا المباركة زوجتك وأولادك المحبوبين المحروسين بيمين الرب. أتعشم أن تكونوا كلكم ممتلئين فرحاً وسلاماً قلبياً ولكم عشْرة صادقة مع المسيح، حتى ينمو بيتك في مخافة الرب ويصير أولادك أَعمدة للكنيسة في جيلهم.

هوذا عيد ذكرى ميلاد المسيح قد أتى يحمل إلينا صورة مجددة لمحبة الآب نحونا، الأمر الذي جعل الملائكة تهتف بنشيد مسموع لم يكن قبله ولا بعده أن يسمع البشر أصوات نشيد الملائكة!! وقد بشرونا بالسلام والمسرة، ولكن أوضحه السيد المسيح فيما بعد أنه ليس كسلام العالم؛ بل مسرة القلب لا الوجه. ولهذا وُلد المسيح ليعطي سلامه الخاص للقلوب المفتوحة إليه ويَهَب المسرَّة لكل نفس بشرية استطاعت أن تحبه.

وقد كان من أولى مقاصد التجسد الإلهي إعلان حقائق الحياة الأبدية التي كانت مخفية عن الإنسان كل الأزمنة السالفة. فقد جاء المسيح متحدثاً عن العالم الآخر كشاهد عيان أو بتعبيره الخاص «في حضن الآب» (يو ١: ١٨)، أوكقوله في مخاطبته للآب: «إني خرجت من عندك... أنت أرسلتني» (يو ١٧: ٨)، فكان حديث السيد المسيح على الدوام يدور حول الآب والملكوت، ولم يكن يعتبر نفسه قط أنه من هذا العالم، بل كآتٍ إلى العالم ليخبره بما عند الآب!! وكذاهب إلى الآب ليخبره بحاجات الإنسان!! «ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد

الآب بالابن» (يو ١٤: ١٣).

لذلك نجد أن أول ما استرعى انتباه التلاميذ في كلام السيد المسيح أنه ليس كباقي الناس إذ رأوا أن له معرفة خاصة بالحياة الأبدية والملكوت السمائي والخلود! واعترفوا بذلك «إلى من نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك» (يو ٦: ٦٨).

بل إن يوحنا بعد حوالي ٥٠ سنة من صعود الرب أراد أن يعبِّر عن حياة المسيح على الأرض وصفاته التي لمسها فيه، فلم يجد تعبيراً مناسباً ينطبق على حقيقة المسيح سوى وصفه «**بالحياة الأبدية** التي أُظهرت لنا» (١يو١: ٢).

وحينما نفتش في كلام المسيح وتعبيراته المختلفة التي عبَّر بها عن نفسه لا نجد أقوى من قوله عن ذاته «أنا الحياة» (يو ١١: ٢٥).

والآن بعد هذه المقدمة، أدعوك معي يا أخي الحبيب أن تستثمر معي هذا التأمل، أي الحياة الأبدية التي أُظهرت لنا، لنشترك فيها ونكون من رعاياها كما يدعونا إلى ذلك يوحنا الرسول في بدء رسالته الأولى.

فإن كنا قد عرفنا المسيح كطريق مؤدي إلى الحياة الأبدية بتعاليمه ووصاياه، فعلينا الآن أن نعرفه أنه هو الحياة الأبدية أيضاً، إذ بمجرد أن نلتصق به ونوجَدَ في حضرته ونحبه، ففي الحال تفوح علينا رائحة الحياة الأبدية ونحس بالملكوت داخلنا، فما أسعدنا بمسيحنا الذي وفرَّ علينا كل جهد العقل، وجعل عبادتنا حلوة سهلة ليس فيها شيء غامض، إذ أظهر لنا ذاته، وذاته هي الألف والياء والبداية والنهاية معاً (أي الكمال)، وليس هناك شيء يكمل بدونه أو يحتاج إلى غيره!!

والعجيب أن السيد القدوس سهَّل لنا طريق الحياة الأبدية إلى الدرجة

التي يُظَنُّ من بساطتها وسهولتها أنها صعبة، ولكن كلٌّ من تشجَّع وذاقها وعرف مطالبها، اندهش لأنها سهلة وفي مقدور كل إنسان.

فمدخل الطريق يحتاج إلى كلمتين: **تسليم، وتدقيق**. فالإنسان يسلِّم حياته وروحه للروح القدس. والروح القدس يستطيع أن يعبر بنا بسهولة كل صعوبات ومشاكل الحياة الحاضرة.

أما **التدقيق**، فيُقصد به حياة التفتيش داخل الفكر، وفي دائرة العمل، في داخل البيت وخارجه، حتى يوجد الإنسان أميناً في التسليم لروح الله، ولا ينفِّذ أي فكر أو عمل يقوم على شهوة الجسد أو تعظُّم المعيشة، بل يكون كل عمل هدفه تمجيد الله. كما يقول الرسول: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١كو ١٠: ٣١).

أما إذا دخلنا الطريق فعلاً وسرنا قليلاً بصحبة الرب والروح القدس، فإننا لا نعود نحتاج إلى مشجع أو معلم، إذ أن المسحة الخاصة التي يسكبها الروح في أولاد المسيح هي تعلمهم كل شيء وهي صادقة كما يقول الرسول (١يو ٢: ٢٠).

وها أنا في هذا العيد المبارك أسأل سيدي الرب أن يَهَبَك بسعة دخولاً إلى ملكوت الله حسب مسرة مشيئته، ويمتِّع نفسك وزوجتك وأولادك بعشرة طيبة مع روحه القدوس الموهوب لنا للفرح والمسرة والعزاء.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٣٩}

توجيهات في الحياة المسيحية العائلية (تابع)

عزيزي الأخ المحب (ش...) دام

نعمة إلهنا الصالح مع روحك وأهل بيتك المحبوبين، وصلتني معايدتك وشكرت شعورك ومحبتك، وتجدني دائماً داعياً لك ولزوجتك وأولادك بالسَتْر والرضى، طالباً من المسيح أن يقود حياتكم للخلاص، وأن يحفظكم من غواية العالم الشرير، ويفتح أذهانكم من نحو المجد المعدّ لكم في شركة وميراث ابن الله الذي احتمل أتعاب وضيقات وآلام هذه الحياة مثلنا، ومات وقام، ورفع عنا اللعنة والعقاب والموت ليعطينا قيامة الحياة الأبدية.

لذلك أطلب أن لا يخيب رجاؤنا فيما أُعدَّ لنا، بل نسعى إليه بأكثر اجتهاد أو على الأقل كما نجتهد في سعينا من نحو أكل خبز الجسد. هكذا نسعى بدون توانٍ في معرفة الخلاص، عاملين الصلاح، متممين وصايا الرب، عاكفين على قراءة الإنجيل لإنارة طريق الحياة والخلود.

ولي اشتياق أن أسمع خبر تقدمكم في النعمة لأن ذلك لا يعادله فرح عندي.

اقبل عظيم محبتي وسلامي للسيدة الفاضلة زوجتكم وأولادك بأسمائهم جميعاً.

كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٤٠}

توجيهات في الحياة المسيحية العائلية (تابع)

٢٥/ ٣/ ١٩٥٧م

عزيزي الأخ المحب (ش...)

نعمة لك وسلام من الله القادر أن يحفظك أنت وزوجتك وأولادك بلا لوم أمامه لنوال ميراث المختارين وللحياة الأبدية مع المسيح رجاء كل الأجيال.

وصلني خطابك وتقبلت عطيتك بالشكر والسؤال عنك أمام سيدي يسوع المسيح وعن زوجتك الفاضلة المحبوبة وأولادك جميعاً.

وقد علمت بعطاياك السابقة وأعْلَمت إخوتي الرهبان بذلك وهم جميعاً يشكرونك.

والآن نحن بخير جميعاً، ونقوم ببناء قلالي جديدة حوالي أربعين قلاية، والرب يساعدنا ويقوينا ويحامي عنا بطرق تفوق التصوُّر، حتى أننا كلما رغبنا نحن أنفسنا في تضييق العمل أو أخذ راحة، يشاء إلهنا الصالح أن يعمل بالعكس، فيتسع العمل أكثر ويسير بقوة وبأس عظيم. وتصور أننا بالرغم من عدم وجود رصيد لدينا إذ بالعمل لا يتوقف مع وجود أربعة معلمين بنائين وثلاثة مساعدي بنائين وحوالي ١٥ عاملاً، وأربعة جمَّالين بجمالهم، وثلاثة حَجَّارة لقطع الأحجار من الجبل، وبالاختصار نحن نقوم بإطعام حوالي ٥٥ نفساً يومياً، والكل في غاية الفرح والسرور والصحة وكثير من العمال يتبرعون بعرقهم مجاناً، ولكن لم تقلّ المصاريف يومياً منذ شهر ونصف عن ستة جنيهات يومياً والرب معنا بذراعه العالية

الممدودة – وأنا طبعاً أقصُّ عليك ذلك لتفرح معنا وتسرَّ برضى القدير علينا.

وختاماً اقبل محبتي وكن معافى أنت وأهل بيتك وأحباؤك.

متى المسكين

الرسالة {١٤١}

توجيهات في الحياة المسيحية العائلية (تابع)

عزيزي (ش...)

نعمة لك وبركة وسلام من الله.

أتعشم في وجه ربي يسوع المسيح أن تكون مع الأخت العزيزة (...) والأولاد المباركين في ملء النعمة وسلام الله نامين في معرفة الرب، مكمِّلين سيرة مقدسة صالحة أمام الرب بلا لوم أمام الناس، لنوال نصيبكم المذخر لكم في ملكوت الله مع القديسين.

راجياً أن تكونوا مجتهدين في تقديم عبادة لائقة برحمته الكثيرة عليكم وشاكرين بالعمل في تقديم ذبائح صلوات أمام الله عن أنفسكم وعن أولادكم حتى تكون لكم حياة هادئة مطمئنة كل الأيام. طالباً منكم أن تكونوا قدوة صالحة أمام الأولاد في كل شيء، حتى يتعلم الأولاد من سيرتكم ويكونوا خَلَفاً صالحاً لسلف صالح يُريح قلوبكم، ويكونوا ثمر بركة محفوظاً لكم في السموات. ولا تكونوا متكاسلين أمامهم في العبادة والقراءة والصلوات، لأنه كما تكونون سيكونون هم أيضاً. فمن أجل أيامهم الصعبة التي ضعف فيها عمل النعمة قدِّموا لهم أنفسكم مثالاً.

أكتب إليكم مهنئاً بعيد القيامة المجيد، مُلفتاً نظركم إلى عظم أهمية القيامة بالنسبة لحياتنا الشخصية، لأن للقيامة عملاً هاماً في رفع مستويات الإنسان وإعطائه إمكانية للاشتراك في ميراث أمجاد المسيح.

فإن كان المسيح قد تألم كثيراً، فذلك إيفاءً لديون الخطية التي هي الآلام المميتة التي بلا رجاء، وإن كان قد مات فلدفع كل استحقاقات

الخطية التي علينا لأنه حملها في جسده، ثم قدَّمه للموت على الصليب، فلما قُتل الجسد قُتلت معه الخطية على الصليب، كما يقول بولس الرسول: «قتل العداوة بالصليب»، «وأبطل الخطية بالجسد» (أف ٢: ١٥، ١٦). ولكن لا يزيد كل ذلك عن أنه صالحنا بالله، إذ رفع العداوة بيننا وبين الله التي كان يُرمَز لها بالحجاب الذي يفصل أقداس الله عن نجاسة الإنسان في الهيكل. فلما مات انشق الحجاب مُعلناً رفع العداوة من الوسط بموت الجسد. لذلك يقول بولس الرسول في ذلك، إنه كرَّس لنا طريقاً حديثاً حياً إلى أقداس الله "بالحجاب" أي جسده (عب ١٠: ٢٠).

فجسده جعله أولاً مستودعاً لخطايا الإنسان (إذ ارتضى أن يقبل عقوبة الخطايا كمجرم ويموت كملعون على خشبة اللعنة)، ثم قدمه للموت. وإلى هنا كل هذا يساوي انشقاق الحجاب فقط، أي المُعبَّر عنه بالمصالحة.

ولكن المصالحة لا تفيد شيئاً إذا تُرك كل واحد بعيداً عن الآخر لأن ذلك يحتمل العودة إلى العداوة (بصنع الخطية). لذلك إذا لم تتم عملية اتصال فعلي بين المتصالحين أي الله القدوس والإنسان الخاطئ فلن تفيد آلام المسيح التي تألمها ولا موته الذي ماته.

لذلك قام المسيح بقدرة فائقة، وإمكانيات جديدة يستطيع أن يَهَبَ بها ذاته لنا ويدخل فينا ويتحد بنا بسر عجيب، على شِبْه دخوله العليَّة والأبواب مغلقة! وبدخول المسيح فينا وبأخذنا جسده ودمه الإلهيَّين تصير حياته فينا وعاملة أيضاً «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). إذن، بذلك نستطيع أن نقول: إني **مع المسيح تألمت، ومع المسيح صُلبت، ومع المسيح مُتُّ، ومع المسيح قُمتُ، ومع المسيح جلستُ في**

السمويات. (هذه كلها خلاصة آيات تنص على ذلك).

أُنظر إلى هذه الإمكانيات العجيبة التي صارت لنا بقيامة المسيح؟ إذ بدون القيامة لا نستطيع أن نأخذ المسيح فينا، وبدون المسيح فينا تكون كل أعماله السابقة من آلام وموت وصلب إلخ. ميتة بالنسبة لنا، ونكون كما كنا مائتين في خطايانا ولعنتنا الأولى، لذلك كم هو لائق بنا جداً أن نعظم القيامة ونمجدها ونقبل ثمارها!

كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٤٢}

توجيهات في الحياة المسيحية العائلية (تابع)

عزيزي أخي (ش...)

نعمة وبركة وسلام من إلهنا الصالح لروحك المباركة وزوجتك الفاضلة وأنجالك الأعزاء.

أتعشم في اسم المسيح أن تكونوا جميعاً بخير في ملء بركة الحياة الروحية الحارة، مثمرين جميعاً ورابحين بوزنات إيمانكم، فرحين بالرجاء الذي وعد به إلهنا للذين يحبونه من كل قلوبهم.

كما وأرجو أن تكون شاكراً دواماً رحمة الله التي جذبتك إلى طريق معرفة المسيح ومحبته وخدمته، لتختبر أكثر فأكثر غِنى الفداء، وتنال النصيب الصالح المذخور لك ولنسلك ثمناً لأمانتك وصبرك وغيرتك. لذلك أكتب إليك مشجعاً محبتك حتى تتقدم في خدمتك وفي صلتك الروحية الداخلية بإله خلاصك، حتى تُكمِّل دعوتك وتؤدي شهادتك الحسنة بحياتك الأمينة، وتعكف أكثر على الكلمة الحية المحيية التي سُلِّمت إلينا بيد ملائكة، وحُفِظَتْ لنا حتى الآن كما هي لننال بها الحياة الأبدية.

وإني أعتقد أنك لست محتاجاً أن أُذكِّرك بأمانة كنيستك التي من أجل الحق المسلَّم إليها من الرسل جاهَدَتْ في أشخاص أولادها العلماء اللاهوتيين الجبابرة كأثناسيوس وديسقوروس وكيرلس عمود الدين وبطرس خاتم الشهداء، وفي أشخاص شهدائها الذين ملأت أسماؤهم كل الآفاق، وبذلت ألوف وملايين من خيرة المؤمنين للاضطهاد المرير ألفي سنة حتى أوصلت الإيمان الحي الذي استلمته بنفخة الروح القدس من

الاثنى عشر.

والموضوع يقصر عنه خطاب بل خطابات بل كتاب عن أن أوفي الحق حقه، غير أنّي واثق أن الروح القدس سيكشف لقلبك عن أعماق الحق المذخر في الإيمان الأرثوذكسي، الحق الذي (يتخلّل) لا المبادئ والعقيدة فقط، بل الحق الذي ننسج منه ثوب الحياة الروحية الفاضلة، كما نسج منه آباؤنا الأوائل فلبسوا الحياة الأبدية.

والعبرة ليست في الطقوس والألحان والصور، ولا هي في الكلام والوعظ القوي المنمق الذي يثير العقل ويقنع الفكر. ولكن هبة ملكوت السموات ليست بالكلام بل بالقوة كما يقول بولس الرسول.

فإذا كان الكلام بالروح القدس، فكلمة واحدة تكفي لتغيير الحياة كلها.

والعجب أنه ربما كلمة يقولها الواعظ أو الكاهن ولا يقصد منها شيئاً بالمرة، يكون فيها تبكيت لنفس من النفوس أو ربما لثلاثة آلاف نفس مرة واحدة، كخطاب بطرس الرسول البسيط الخالي من أية قوة بيانية أو منطقية أو حتى لفظية!

فالعبرة يا أخي الحبيب ليست هي بالوعظ ولكن **بالواعظ**، هل هو مملوء من الروح القدس؟ هل يحيا حياة حسب مشيئة الروح القدس؟ هل له صلوات وخلوات ودموع؟ فإذا كان الكاهن أو الواعظ له عِشْرة بالله فهو يستطيع، أما إذا كان الواعظ خالياً من لمسة النعمة والروح القدس فلا يُرتجى خلاص كثير على يديه مهما أوتي من لباقة وقوة وصوت حسن ومنطق وإقناع.

أما الذين يريدون الامتلاء من نعمة روح الله فلا يهم كثيراً سماعهم

عظات وتعاليم كثيرة ولا يفيدهم المناقشة والسؤال والجواب والاستفسار عن المشاكل العويصة والأمور الغامضة، **ولكن** يهمهم العزم القلبي على حياة طاهرة نقية وتواضع نفسي وخضوع لصوت الحق في القلب، وتفتيش العيوب والخطايا والاعتراف بها، **والبدء** بحياة روحية تتخللها صلوات ودموع وركوع وندم وتوبة، **وحينئذ** سوف ينفتح ذهن الإنسان لمعرفة كلام الله والحق، ولا يحتاج كثيراً لمن يفسر له أو يعلِّمه، ولكن الروح القدس يرتاح في قلبه ويُفهِّمه ويعلِّمه ويُذكِّره بكل ما قاله المسيح وما يريده، بل ويكون خبيراً بمعرفة مشيئة الله أكثر من كاهن ومن واعظ، لأن هذا هو وعد المسيح.

لذلك أقول لمحبتك إن الوعظ لا يفيد كثيراً من جهة نمو المؤمنين في الحياة الروحية، بل هو مشجع لغير المؤمنين فقط أن يُقبِلوا إلى الإيمان أو للمؤمنين لكي يتمسكوا به أكثر.

أما النمو في الحياة الروحية فهو عمل الروح القدس الخاص ولا يحتاج لكثرة سماع أو قراءة وإنما يحتاج جداً لهدوء وصلاة في المخدع وتواضع وتفتيش القلب مع الصوم **والقراءة في الكتاب بدموع وانسحاق لمعرفة مشيئة الله من جهة الحياة الجديدة**، وليس لمعرفة قوانين أو مبادئ أو حقائق الروح واللاهوت العالية أو الفحص عن الأمور الغامضة.

وبالاختصار، أقول لمحبتك إن الحياة الروحية الداخلية شيء والحياة العقلية التفسيرية شيء آخر. والأولى نافعة لخلاص النفس والحياة الأبدية؛ أما الثانية فهي نافعة فقط للزمان الحاضر لردِّ الشك والدفاع عن المبدأ أو عن الرأي الشخصي.

أما من حيث حضور عظات في كنائس أخرى غير أرثوذكسية

فلحكمة روحية قطعت الكنيسة برأيها في الموضوع بعدم الاشتراك في الصلاة مع غير أولادها المؤمنين بعقيدتها لا تعصباً منها ولا كُرْهاً للآخرين، ولكن حفظاً لحياة أولادها في ظل الإيمان الحق خصوصاً ضعاف الإيمان الذين تغرُّهم فلسفة ومنطق الآخرين. وقد كانت هذه مشكلة منذ العصر الأول عانى منها الرسل والمبشرون الأوائل صنوف الضيق والعذاب، لأن شيعاً كثيرة قامت تناوئ الإيمان المسيحي السليم، ولفصاحة المنادين بها انحاز كثير من المؤمنين إليها وهلكوا.

وحاشا طبعاً أن أقارن هكذا بين كنيستنا والبروتستانتية فكلنا مسيحيون ولنا إيمان بالمسيح، غير أن البروتستانت استباحوا لأنفسهم نصيباً من الحرية أكبر من إيمانهم، بل أكثر مما أخذه الرسل لأنفسهم ما جعل حياتهم لها شكل برَّاق من الظاهر من جهة الحرية والنصرة، ولكن حقيقة حياتهم الفردية ضعيفة مما انتهى بغالبية طوائفهم إلى الإباحة والانحلال وخصوصاً في الغرب بشكل مريع لفت نظر الحكومات نفسها لخطورة الأمر.

والعجب أن الحرية القاتلة التي استباحها البروتستانت لأنفسهم هي وليدة السيطرة والاستبداد عند الكاثوليك. فمن ناحية، نرى الكاثوليك يؤمنون بعصمة البابا وبصلواته القادرة على مغفرة خطايا الناس، ويخضعون لسلطان الكنيسة خضوعاً مُشيناً فيه إهدار لحرية الروح وأولاد الله؛ ومن ناحية أخرى نجد أن البروتستانت يستهينون بسلطان الكهنوت والرئاسة والكنيسة استهانة مُخلة بكرامة الروح وجماعة المؤمنين.

وكلا الوضعين انحراف أنشأه إما التفريط أو الإفراط في تقدير الروح. أما كنيستنا فقد وقفت معتدلة مستقيمة الرأي والمبدأ، تحترم الكهنوت والرئاسة الدينية ولكن أَخضَعت الرئيس للمحاكمة والقطع إذا أخطأ في

الإيمان أو تصلف وتكبَّر، أو أَخرج الأحكام جزافاً، أو ارتشى برشوة أو تعرَّض لقوانين أسلافه. كذلك أعطت الحرية لأولادها ولكن بقيود لئلا تنشئ الحرية لهم انحلالاً وهلاكاً.

وهكذا، كم نشكر الإله الصالح الذي جعلنا ورثة لإيمان وعقيدة مستقيمة معتدلة، وبقي علينا أن نعمل بها ونحبها ونجاهد لحفظ تراثها لينعم بها أولادنا بعدنا كما نحن استمتعنا بها بتعب وجهاد أجدادنا.

هذا من جهة الموضوع الذي كتبت لي عنه وإن شاء الله سأوالي الكتابة في كل ما يحيط به روحياً في الخطابات القادمة.

علمت بمرض الأخ العزيز (...) والله القدير يعفي عنه ويشفيه ويحيطه بملاك السلامة ليؤدي رسالته ببركة صلوات القديس أنبا أبرآم جارهم.

أرجو أن تبلغ زوجتك تحيتي وسلامي القلبي وسلِّم على أحبائي أنجالك جميعاً. الرب يُريني وجهكم قريباً وأنتم جميعاً بكل صحة وبركة وهناء. كن معافى.

القمص متى المسكين

الرسالة {١٤٣}

أفراح مجد القيامة

عزيزي (...)

سلام إلهنا الصالح ومحبة ورحمة لروحك المباركة.

أشكرك أيها الحبيب على مشاعرك الرقيقة المباركة المقدسة التي تقدمها من نحونا بصُوَر مختلفة كلها تنمُّ عن نفسك التي طُبعت على الخير، للتأهيل للميراث الأبدي مع مُحبِّ المحبين وقدوس القديسين إلى أرقِّ المشاعر وذي أحنِّ القلوب وذى الوداعة والتواضع والقلب الشفوق، الذي يستطيع أن يُعزِّي كل محتاج ويحس بإحساس كل صارخٍ وباك وحزين، لأنه رجل أوجاع ومختبر الحزن، وذاق آلاماً واحتمل آلاماً هي كل الآلام التي عرفتها البشرية أو ستعرفها. لذلك إذ لنا رئيس كهنة مثل هذا غير ضعيف قادر أن يعيننا إذ تألم بكل آلامنا، لذلك نحن نجاهد بالصبر مُلقين كل رجائنا عليه لأنه يستطيع بذبيحة نفسه أن يغفر ويكفِّر عنا في كل ضعفاتنا، ويعزِّي بوداعته قلوبنا التي تضغطها الآلام أحياناً حتى لا يصير إلا رجاء واحد وهو حكم الموت وما يعقبه من راحة مجد القيامة.

ولكن لا نُحسب بذلك أننا هكذا انتقلنا سريعاً من أفراحنا الأولى لأنها دائمة، ولن يستطيع أحد أو ملاك أن ينزعها منا لأنها هبة منه، وهباته بلا ندامة للذين يعرفون كيف يفرحون وبماذا يفرحون. إن عيوننا شاخصة مع اسطفانوس إلى فوق حيث الجالس وسط تسبيحات أورشليم ولنا معهم تسبحة إذا لم تستطع شفاهنا أن تُعبِّر عنها بسبب الحجارة

المتساقطة على أجسادنا ومشاعرنا البشرية، إلا أن فرحة الرؤية السماوية قادرة أن تحفظ القلب في أعلى حالات المسرة والفـــرح إلى أن تنتـــهي الحجارة أو تنتهي أنفاس الحياة الأرضية، وحينئذ يشترك الفم مع القلب مع الروح مع العروس بأنشودة الأبد بلا مانع.

ولكن مع نحميا أقول كلمة هي ختام كلماتي: آذكرني يا إلهي للخير كل ما عملت للإخوة والشعب والذين جحدوا جهادي وتعبي ودموعي، نعم آذكرني ولا تُقِم على أحد خطية.

القمص متى المسكين

١٩٥٧م

الرسالة {١٤٤}

إرشادات روحية

«ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة»

(يوحنا ١: ١٦)

عزيزي الدكتور (أ...) دام

سلام الله مع روحك الوديعة وزوجتك المباركة وأولادك المحفوظين بالرب. أتعشم في وجه يسوع المسيح أن تكون ممتلئاً من كل ما يُرضي الرب، إنْ بالعمل الصالح أو الفكر الصالح، يتحرك قلبك بالخير والسلامة والبركة نحو جميع الناس، شاكراً الله القدير الذي جعلتَ عليه اعتمادك، حافظاً للمسيح محبته وعنايته وحراسته لك على الدوام.

أسأل إلهي من نحو شخصك العزيز على نفسي جداً، أن تَكمُل نفسك في معرفة الرب وتمتلئ روحك بمحبة المسيح التي هي أثمن من كل ما في الحياة، لأن كل ما في الحياة هو عطية محبته لأولاده وهو قادر أن يُزيدها حتى لا يكون عَوَزٌ في شيء.

ولكني أيضاً أسأل محبتك أن لا تكفَّ عن الصلاة القلبية حسب وقتك واستطاعتك وحسب نعمة الله المعينة لك، لأن بالصلاة القلبية يحل الروح القدس ويُقدِّس قلبك وجسدك وروحك، ويقودك ويرشدك، ويملأك بفرح المسيح وبالعزاء الحقيقي الذي هو أشهى من الحياة كلها. وليكن لك أوقات لقراءة الكتاب المقدس، تقرأ بتأمل وهدوء وسكون حتى تنكشف قوة الكلمات لقلبك، لأن القوة الموجودة في كلام المسيح لها

سلطان سرِّي داخلي يُطهِّر النفس. هذا أوضحه السيد المسيح بقوله لتلاميذه: «أنتم أطهار بسبب الكلام الذي كلَّمتُكم به»، لذلك فقراءة الإنجيل بوعي وحساسية وشوق تنقل لنا قوة المسيح المذخورة في كلامه وهذا سند عظيم جداً وهبة مجانية سهلة. لذلك تُعتبر مداومة القراءة في الإنجيل معوناً لا ينضَب لحياتنا. هكذا تكون لنا شركة مع المسيح بالصلاة القلبية المخلصة وبالقراءة الهادئة الواعية، حسب الإمكان وليس بالكثرة، وإنما بالمداومة تكون النتائج.

علماً بأني أنا والآباء ذاكرين محبتكم وشخصكم الطيِّب في صلواتنا على الدوام. والإله القادر على كل شيء يحفظ حياتكم بالبركة كل الأيام لتظهروا أمامه بالابتهاج في المجد عند استعلان مجيئه العظيم.

اقبلوا محبتنا. كونوا معافين باسم الثالوث الأقدس

القمص متى المسكين

الرسالة {١٤٥}

التسبيح في أفواه مُحبِّي المسيح

عزيزي (...)

لتكثر لك أزمنة السلام وليهبك الله أفراح القلب وسعادة تنسُّم الحياة الأبدية. وليشرق لك دوماً نجم الطريق المؤدي إلى المذود هادياً خطاك إلى مدينة الملك العظيم أورشليم بلد السلامة التي أساسها حقٌّ، وأسوارها خلاص، وأبوابها طهارة، وطُرقها حياة. وفيها الحبيب جلس وسط تسبيحات مُحبِّيه يرون مجده علانية وينشدون له أنشودة الأبد، كلها حب وكلها فرح وكلها تمجيد، ولا يملُّون إذ ليس فيها "سلاه"[٨]، ولا يتعبون إذ يتجددون كل حين بقوة لاهوته إذ يصبحون شركاء فيه، لا حزن ولا كآبة ولا تنهد ولا زمان قليل أو كثير، فصباحهم مشرق وليس له مساء ونورهم حبيبهم وحبيبهم معهم ولن يدركهم ظلام.

طعامهم الحق الخارج من فيه وشرابهم الروح الذي يعطيه، ونسيمهم ريح القداسة المحيط به ولن يعوزهم شيء خارج عنه ولن يفتر حبهم له واشتياقهم إليه لأن كله حب وكله مشتهيات يأخذون منه ولا يفرغون.

قيثاراتهم قلوبهم، وحناجرهم كلها أوتار، وأصواتهم أعذب من ربوات هم محفل ملائكة. أناشيدهم تسبيح، وتسبيحهم صلاة، والناطق فيهم روحه القدوس!

---

(٨) وقفة بين قطعتي تسبيح في مزامير داود النبي.

يعرفون ما يقولون وإذ يقولون يزدادون معرفة وابتهاجاً لأنهم ليسوا هم القائلين ولا هُم العارفين فالقول قول أبيهم والمعرفة بالكلمة أصل المعرفة والحياة.

قد ربطهم الحب برباط مثلث: الآب والابن فيهم والحب هو من الروح، فصار الجميع واحداً كما صلّى الابن يوماً وهو على الأرض من أجلهم. «ليكونوا واحداً فينا».

كل هذا أطلبه أن تكون واحداً فيهم، ولترافقك السلامة أينما كنت.

القمص متى المسكين.

يناير ١٩٥٤م

الرسالة {١٤٦}

خفقة القلب بالحب نحو المسيح

عزيزي (...)

نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا.

أتعشم أن تكون بخير مع بقية إخوتك أحبائي في المسيح وأن تكونوا متمتعين بالسلام الكامل نامين في معرفة الرب ممتلئين من كل عمل صالح.

وصلني خطابك و لم يكن جديداً على نفسي، شعورك الفياض بالحب نحو المسيح لمستُه فيك يوم أن عرفتك دون أن نتحدث عن هذا لأن صورة الله التي عرفناها بيسوع المسيح منطبعة على قلوبكم وفي وجوهكم. أما عن الرهبنة يا أخي الحبيب فهي حب، ومَنْ قال لك خلاف ذلك يكون قد ضلَّ الطريق؛ هي حب بلا مقابل. ليس بأعمال جسدية شاقة نقدم هذا الحب ولا بسهر ولا دموع ولا صلاة ولا بأي مجهود بشري كبر أو صَغُر، وإنما الحب الذي فينا الذي دفعنا أن نقدم ذواتنا على مذبح الرب هو الذي يدفعنا لكي نقدم صلاة أو سهراً أو دموعاً أو تنهُّداً لعجزنا عن إظهار حبنا كاملاً للمسيح. كثيراً ما تحاول الروح أن ترفع من الجسد وتحمله على الصلاة أو السهر فيأبى ويتكاسل، ولكن هل نقص حبنا؟ كلا. فالقلب مكشوف وعريان وكل الحب ظاهر وواضح للحبيب. يكفي دمعة رقيقة أو تنهد أسيف ليكفِّر عن ضعف الجسد لأنه يعرف منذ البدء أن الروح نشيط أما الجسد فضعيف. فثق يا عزيزي أن الرهبنة حب. وأنا أقول كلمة ربما ترن في أذنك رنة غريبة نوعاً ما ولكنها الحقيقة أن الرهبنة درجة حب فائق يصل إلى "العشق"،

وهي كلمة تحمل معنى انشغال الحبيب بالمحبوب لدرجة تُفقده أية لذة في أي شيء آخر خلاف يسوع.

يكفيك حبك الذي امتلأ به قلبك. لا يعوزك كفاءة مرثا وانشغالها الكثير واهتمامها الجسدي بالمحبوب. نعم يكفيك قعود مريم وإهمالها كل شيء لتجلس تحت قدميه، لا لكي تتحدث إليه! ولا لكي تسأله ماذا تصنع له، لا لا، جلست لتسمع ما يقوله لها. وحتى السمع أيضاً لن يهمها في شيء، ولا فَهْم ما يقوله في شيء سوى أنها اكتفت بالجلوس إليه، تراه ويخفق قلبها بالحب. ماذا يا عزيزي يكون بين المحبين؟ أهو كلام أو مجاملة أو خدمة؟ أبداً إنه تبادل شعور ووجدان. يكفيك، يا عزيزي، حبك لأنك وجدت كنزك داخلك، بل وجدت الجوهرة الكثيرة الثمن الذي إذا ما نظرت من خلال أي ركن فيها لرأيت محبوبك أنه داخل قلبك.

إن كان لك هذا الحب فطوباك؛ فقد وصلتَ دون أن تسير، فثق وتشجع ولا تشك قط. أما إذا خفق قلبك بالحب لتقدم له حياتك على مذبح البتولية الطاهرة في حياة الرهبنة، كما تقول، فاعلم أنها دعوة. فسِر بإيمان، يقودك صوت هذا الحب في قلبك. وكل إعلان ولو كان من السماء وبيد ملاك للدخول إلى الرهبنة فهو لن يوازي خفقة القلب الصادقة بمحبة تقدمة النفس على مذبحه المقدس.

ليكن قلبك مرشدك وصوت ضميرك دليلك، وإلهي الذي أعبده بروحي يرافقك ويهدي طريقك ليوصلك إلى ميناء السلام.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس. متى المسكين

صيف ١٩٥٢م

الرسالة {١٤٧}

أتحد بالآخرين لأكون كفوءاً للاتحاد بالله

عزيزي (...)

نعمة وبركة وسلام لنفسك المحبوبة، ذاكرين إخلاصك وتعبك أمام من يستطيع أن يكافئ عنا ويجازي بالحب عن عطايا المحبة.

أرجو بروح الله أن تفتكر عنا دائماً كأحباء حقيقيين حتى وإن كنا نطلب أحياناً مساعدة جسدية من لوازم الجسد، إلا أن الواقع المستتر ليس في الحقيقة حاجة الجسد ولكن نداء الحب الذي يتخفى ويتشكل بصورة مطلب أو احتياج جسدي.

فنحن دائماً مستعدون للتنازل عن الحاجات وعن مصدر هذه الحاجة أي الجسد، هذا حق تعلمتُه، وأَعلَمُه، وأشكر إلهي أن الذين معي أو بالحري الذين بقوا معي يؤمنون بهذا.

ولكن كضعفاء، يحوجنا جداً أن يفتكر الناس عنا فكراً حسناً، وإن كنا نفتخر بالرب فقط ولكن كثيراً ما نخور ونطلب شهادة على أمانة أو تصديق على خير الدوافع التي نحيا بها. لا زلت أرزح تحت عبء جسد ذي مشاعر بلغت ما بلغت من قوة الإحساس ومنتهى الشعور بحاجة تبادل الوجدان ليس فيها شائبة جسدية، الله يعلم، ولكن وجدان الروح الخالص المخلص الذي يتشبب ويتشبث لبلوغ قامة الوحدانية في المسيح.

كنت أسعى **أولاً** لأَفنى في إلهي ولا أُوجد بعد كإنسان ذي شخصية أو مطالب أو حقوق بين الناس، ولكن حوَّلني الرب بشدة لكي لا أَفنى وحدي، لأن الله الذي ينتهي إليه كل ساعٍ نحوه، هو في ذاته تكمَّلت

وحدته من ثالوث، لذلك يشتاق دائماً أن الذين يأتون إليه يكونون قد تعلموا مثل هذه الوحدانية الجامعة أو الجماعة المتحدة حتى يصير قبول وحدانيتهم فيه. هكذا تعلمت من الروح ولهذا أسعى جاهداً لبلوغ مقاصد العليِّ مع من التصقوا بي. وكلما أنحرف وأشتهي أن أبلغ الله وحدي أو في وحدتي؛ يردُّني الله بأكثر عنف لأتعلم أولاً أن أتحد بالناس لأُهيأ للاتحاد به، ما أعظم تعليم الله للساعين إليه.

إن مشاعري لترقُّ وترقُّ حتى صارت دموعي أقرب إلى فهم مشاعر الناس من عقلي، ولكأني إنسان أحيا بقلب أكثر مني بعقل.

لذلك أندهش حينما تطلب مني بإلحاح أن أذكرك في صلواتي، وهل لي صلاة أكثر من هذا أو هل لي أمل ورجاء أحيا به في عزلتي أكثر من أن تهيم روحي بالأرواح التي تحلق معي في جو الله؟

لكن لا أستطيع أن أكذب، ليس كل الناس أو بالحري كل الأرواح أستطيع أن أسايرها أو تسايرني. فإن لم تتحرر الروح من ذاتها فلا يمكنني أن أحس بها ولا هي تستطيع أن تحس بي.

لذلك وإن كنت لا أندهش كثيراً من الذين أساءوا إليَّ ويسيئون أيضاً، إلا أني أعلم السبب، أو بالحري أحسه إحساساً. هل وضعني الله صخرة فحص وعثرة؟ كثيرون اصطدموا بي فما زدتُ إلا يقيناً من طريقي وقرباً من إلهي، وكثيرون صادروني مجاناً فما زادوا إلا زيغاناً عن الحق وبُعداً عن الطريق.

أعيش يومي صديقاً للخليقة كلها وأحس كأني قِطعة من كل شيء، أو كل شيء قطعة مني. ولكن يوجد كثيرون أخذوني عدواً بالرغم مني وناصبوني العداء رغم أنف حبي! آه لو استطعت أن أثبت لهم يوماً أني

مستعد نعم مستعد، والله شاهد على هذا، أن أموت عنهم وعن حب. وإن كنت هكذا مع من عادوني فماذا تظن عن شعوري تجاه من أحبوني؟ إنها الوحدة التي هي ثمرة الحب. فإن كان الحب عظيماً وأعظم من الرجاء والإيمان معاً فالوحدة أعظم من الحب والإيمان والرجاء ثلاثة. لأن الحب طريق الوحدة وهو الباب الموصل إليها والحياة التي تكمل بها.

فالآن أيها الحبيب أَتَعْلَم لماذا أحبك؟ لأني أراك مُكمَّلاً ومُكَمِّلاً في وحدانية بشريتنا وأنفسنا وروحنا لله في المسيح. ولكن ما رجاء هذه المحبة؟ أهي حياة على الأرض من أي نوع أو على أي طقس؟ حاشا. إن رجاء محبتنا إن وُجد على الأرض بأي صورة فهو رجاء كاذب لحب كاذب. ولكن إن ترجيناه عند الله مع المسيح فسوف نبلغه حتى وبالرغم من كل المعوقات والاضطهادات والضيقات هنا على الأرض لنكمله هنياً في السماء.

على هذا أعيش وعلى هذا عش أيها الحبيب محفوظاً في يمين القدرة العلوية مسنوداً بذراع الله القدير القادر أن يمسك بيدك لتخطو خطوات اليقين إلى أن تبلغ منتهى آمالك المقدسة في يسوع.

القمص متى المسكين

١٩٥٦م

الرسالة {١٤٨}

الخميرة الصغيرة

عزيزي (...)

نعمة لك وسلام من الله ومحبة صادقة من قلبي الذي يغترف من ينابيع الحب والسلام ولا يهدأ حتى يستشعر بالقلوب التي أحبها وهي تَرِدُ إلى ذات الينابيع وتشترك في ذات الحب وترتبط بذات السلام.

الحب الذي بذره يسوع في أرضِ الجحود وفلَّحه بين أشواك و لم ينبت قط ثلاث سنوات، حتى سقاه أخيراً بدمه ورحل إلى مواطنه الأصلية الأولى؛ ولكنه نما ولا يزال ينمو مهما أحاطت به الأشواك وهو لابد أن يقوى ويمتد ويتأصل ويخنق الشوكَ من أصوله ويتغلب على الجحود ويبيده.

ما أصغر الخميرة التي استودعها السيد في أكيال العالم ولكن الخميرة جادة في عملها وسوف تُخمِّر العجين كله في ملء زمانها المحدود، ما أقل الحبوب التي واراها الرب في تربة قلوب قليلة واجفة ولكن الحقول ابيضَّت من تكاثر الثمار وعلينا أن نجني بركات لأتعاب آخرين.

أما قلبي وقلبك فهو عالمنا الذي نحيا فيه، والشوك والجحود أحد معطلات نبات الحب وبذور النعمة التي استوردها لنا الآتي من مواطن الآب السمائي. وهذه وإن لم تنبت بعد نباتاً حسناً حسب مواصفاتها الأصلية فذلك لأنها لم ترتوِ بعد بدم البذل ولا استظلَّت بظلال الصليب.

آه! لأن قلبنا لا زال صخرة غير مضروبة وجنيناً مستريحاً على فراش ناعمة ورأسنا سامقة متشامخة كالأرز لم تنحنِ بعد تحت إكليل من شوك

أو بصاق الازدراء.

وإن كانت أشباح الجلجثة لم تُلق ظلالها بعد على قلوبنا، فذلك لأننا لم نثبِّت وجهنا نحو أورشليم. وهيهات أن نصل إلى الثانية إذا لم نصطدم بالأولى أو بالحري نجدّ في أثرها ونرجوها!!

وحينما نخطو الخطوة الأولى، تبدأ تتفرق من حولنا الجموع، وفي الطريق لا نجد صديقاً ولا تلميذاً ولا معيناً، وإن طلبناه فلن ننتفع به حتى تكمل مسرتنا أخيراً في القول القائل قد دستُ المعصرة وحدي! ولكلٍّ جُلجثته، ولكلٍّ معصرته. فليت بنات أورشليم يبكين على أنفسهن.

وإن كان الآب يُسرُّ بانسحاقنا على الصليب ولكن الحكم يصدر من الناس بغضب الرؤساء وشهود زور كثيرين وربما يجحدنا تلميذ ثلاث مرات.

من هم الناس؟ من هم الرؤساء والآباء؟ من هم التلاميذ؟ إنهم حربة ومسامير وأشواك وعلى أيديهم يكمل الصليب! ولكن ليس كل صليب صليباً، ولا كل مصلوب مصلوباً.

فربما مصلوب يجدِّف على مصلوب. هذا صليب الناس.

وربما مصلوب يتوب. وهذا صليب الفردوس.

أما المصلوب بمشيئته للعالم بالحب فهو الذي سيغلب الموت والهاوية. وعلى هذا الصليب أَشتهي أن أُصلبَ وأُماتَ كل النهار.

****

ردود على أسئلة:

١- **(الفتور الشديد، والضعف المخزي).**

الذي تشكو منه هو بسبب دخول العالم في حياتك الداخلية،

وسهل جداً نَبْذُه وصعب جداً دوام نبذه.

٢- **(نجاك من فخاخ كثيرة جداً).**
لأنه ساهر على كلمته ليُجريها في قلبك شهادة لأمانته وتكميلاً لوعده واستجابة لصلواتك الأولى.

٣- **(ماذا يفعل إنسان هبط من مستواه الأول هبوطاً فظيعاً؟)**
ثق أن الله لا زال يرحب بك أكثر من الأول بمعونة أقوى. فليس الآن زمان دينونة وقضاء من قبل الرب، بل زمان خلاص وتوبة وقبول وحياة أفضل. وهو لن ييأس من رجوع الابن.

٤- **(ولا يحتفظ الآن إلا بمظهر الخادم الغيور المصلي المدقق.)**
هذه هي القوة الكامنة لحياة النعمة الأولى وهي قوة القصور الذاتي التي تدفع العجلة للمسير بالرغم من توقف القوة المحركة.. وهي نعمة مفيدة جداً كمثيلتها في القوى الميكانيكية – ليتها لا تكف عن العمل فيك حتى تعود النعمة تعمل فيك بشدتها الأولى.

٥- **(أصلي الست صلوات – كثيراً ما أنام دون أن أصلي – لا أحس بمعونة أو اشتياق).**

العشرة الحقيقية مع المسيح متوقفة نظراً لبرودة المحبة بسبب دخول بعض خطايا وأخطاء بالمشيئة عن رضى.

ليست الخطايا مهما كانت شنيعة قادرة أن تفصلنا عن المسيح أو عن الله الآب إلا إذا كانت بمشيئة ورضى.

التوبة والدموع والعزم على حياة التجديد والجهاد والمثابرة

كفيلة أن تعيد العريس إلى عروسته بحنان كثير وعطف وإشفاق.

٦- **(بل أحس بالعكس - بانقباض وضيق)**
هذا هو إعلان عدم الرضى الصادر من الروح الساكن فينا وهو عمل مجيد لإظهار الحق من الكذب والعمل الروحي الصالح من المزيف. ليته يقودك إلى التصحيح.

٧- **(أستطيع أن أتلو مزاميري من غير فهم أو انتباه)**
هذا أفضل من عدم تلاوتها ولكن ليتك تطعِّم صلاتك بخوف الله وخشيته لأنه غيور، "ورحمته أفضل من الحياة".

٨- **(كثيراً ما يغتصب العدو كلمات الصلاة من فمي بانشغالي بمنظر أو فكرة صالحة ثم يتدرج بي إلى منظر أو فكرة رديئة).**

حينما تنتبه وتجد فكرك بعيداً عن الله **لا تحزن ولا تيأس** لأن هذا الشعور كاذب وهو من العدو أيضاً للتمادي في البعد عن الله، ولكن عُدْ سريعاً في الحال إلى الله والحديث إليه، جاعلاً الفكر أو المنظر الردئ منخاساً أو مُنبِّهاً للعودة إلى الله في الحال. وهذا كفيل بأن ييئِّس العدو، ويعوِّد الفكر على الدوام في الحق والصلاح. إن هذا التدريب نفعني كثيراً في حياتي.

٩- **(لا أجد في نفسي قوة أو دافعاً للسير في التداريب باستمرار، وإن انتظمت أسبوعاً أُقصِّر وأتهاون بعد ذلك).**

توجد بعض تداريب لا يمكن الاستمرار فيها مهما حاول الإنسان، وخصوصاً إذا كان التدريب ضعيفاً أو كان

الشخص متقدماً في درجته الروحية (المعرفة) عن مستوى التدريب.

وتوجد تداريب مؤقتة ونفعها مؤقت ولا داعي للاستمرار فيها طالما يمتص الإنسان الخير القليل الذي فيها.

وتوجد تداريب لا تصلح لبعض النفوس وأخرى لا تصلح لبعض أنواع الحياة، وهكذا ليس من اللائق أن تحزن على عدم نجاحك في تدريب ما أو عدم مثابرتك فيه، ففي الغالب إن التدريب لا يوافقك أو لا يوافق حالتك بل إن هذا قطعاً؛ مهما كانت حالتك الروحية متقدمة أو متأخرة فلكل حالة تدريب ولكل تدريب حالة. فالتدريب الموافق لابد تنجح فيه.

١٠- **(الحرب التي أذلّني فيها إبليس كل الإذلال)**

لاحظ: عنصر المفاجأة، حالة الاشفاق على الذات، تركيز التفكير ولو إلى ثانية في مراكز الإحساسات السفلية، الشعور بالوحشة والوحدة، الشعور بالندم بإفراط، السماح للجسد بأخذ لحظات راحة وانحلال بعيداً عن الشعور بالوجود في حضرة الله.

دقق في كل نقطة من النقط السالفة وتأمل معناها واحترس لها. معونة الله رهن إشارة من يطلبه في الحال؛ إراحة الجهاز السفلي بأعضائه وأعصابه وعدم إثارته يولد راحة وهدوءاً، والراحة والهدوء له يولّد انفطاماً وضموراً في حساسية عضلاته وأعصابه. وهذا كفيل بالسمو بمراكز الحساسية

الأخرى والتسامي. حالة النصرة تملأ الإنسان بشعور الثقة والفرح والحب وتنمي الإيمان.

١١- **(كنت أجد قوة في قراءة الكتب الروحية ونشيطاً في قراءة الكتاب المقدس – ليس الأمر كذلك الآن).**

هذه أكبر خدعة من العدو. والدليل على ذلك: ابدأ اليوم بعد الصلاة بقراءة الكتاب المقدس تجد حرارة وغيرة ونشاطاً. ولكن قبل أن تختم قراءتك حدد ميعاد قراءتك القادمة وموضوع القراءة وانتظر ميعاده باشتياق. وحينما تجلس لتقرأ انسَ العالم وكل ما حولك وحياتك ونفسك. واعلم أن العدو يمنعك من القراءة واللذة في التأمل في كلمات الحياة لأنها المفتاح الدائم للتجديد والنشاط الروحي.

١٢- **(كنت أُدرب جسدي ولا أعطيه مشتهاه ولكن...)**

لا زال جسدك لك وأنت سيده، وسيظل يشتهي ضد الروح حتى لآخر نسمة، ولن تكف الروح أن تشتهي ضده. ولكن الذي مع الروح ويشهد لها أقوى من الجسد وكل ما يشهد له.

لا تخضع لمطالب الجسد مهما كانت الظروف طالما يمكن الاستغناء عنها، ودعِّم حياتك الروحية بروح التعقل والفطنة وافحص كيف تنحرف، ومن أين تخطئ، وضع حدوداً لمطالب الجسد ولا تتعداها مهما كانت الإغراءات لأنه خير لنا أن نموت ونحن أمناء لله متعففين من أن نحيا طويلاً بانحلال وشهوة.

١٣- (كانت لي تعزيات ودموع وتأملات...)

نعم كانت، كانت درجة من درجات حياتك وسوف تتذوق ما هو أجمل منها باختبار آخر بتعزية من نوع جديد ودموع بدوافع متجددة. والذي يمنعك هو أمران:

الأول: أنك تريد نفس الحالة ونفس الدرجة ونفس الدموع، ولكن، ولكن في الحياة الروحية لا يوجد تكرار لنفس التعزية وإنما يوجد تقدم وامتداد دائم مستمر حتى بعد فترات الركود والفتور. أي لا يوجد نكوص ولكن يوجد فرغة وهدنة تصيب الإنسان ثم يبدأ بعدها مباشرة **بتكميل** التقدم **واتصال** الخبرات؛ لدرجة أن الإنسان بعد تذوقه يوماً واحداً من النشاط عقب فترة فتور طويلة وربما طويلة جداً جداً يشعر أنه لم يسقط عن درجته قط ولم ينزل عن مستواه الروحي أبداً ولكن كان الأمر عبارة عن توقف فقط، وما عليه إلاّ الامتداد. وحينئذ يشعر الإنسان **بعمق** رحمة الله ولذة الطريق الروحاني وتغمره فرحة عميقة بسبب أنه لم يخسر شيئاً من غناه السابق!!

الثاني: أنك تعتقد (خطأ) أن حالتك لا تتناسب مع التعزية والدموع والتأملات لذلك لا تسعى إليها ولا تطلبها، مع أن الله، بخبرتي الخاصة وبدراستي لحياة القديسين، يكون أقرب إلينا في حالة فتورنا أكثر من اقترابه إلينا في حالة تعزيتنا بل وأكثر إصغاء! وأكثر حناناً واستعداداً للاستجابة والعطية (ومَثَل الابن المتغرب والأب الصالح واضح جداً في التعبير عن هذه الحالة).

أما الحل فهو الالتجاء إلى الله مرة واحدة، وتقديم الحياة كلها دفعة واحدة والثقة به ثقة كاملة مرة واحدة، وتقرير الحياة المقدسة الصالحة مهما كانت الظروف ثم الالتجاء إلى **الصلاة** الفردية في المخدع في كل مناسبة ولكل سبب، ورفع القلب إليه على الدوام بشعور داخلي بدون عمل أو كلام.

وهوذا أنا أصلي من أجلك.

كن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين.

١٩٥٨م